

موسوعة

الخطيب المنبري



للشيخ الدكتور

عبد العزيز الخطيب الحسني



المجلد الثاني عشر
المحاضرات



موسوعة الخطيب المنبري



المحاضرات

الطبعة الثانية
حقوق الطبع لكل مسلم

٢٠١٩ م

تطلب النسخة من المؤلف مباشرة

هـ ١٤٤٩ ٩٣٣٤٨٤٩٥٦

مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي أنعم فأفضل وأعطى فأجزل

أحمده بجميع محامده كلها على نعمه كلها ما علمت منها وما لا أعلم
وأصلي واسلم على سيد السادات، وأمير الأنبياء والقادات، جدي سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وعترته وأنصاره وسلم تسليماً.
أما بعد:

فهذا الكتاب مما منّ الله به عليّ في حياتي من خلال إلقاء المحاضرات التي ألقيتها
في المساجد والرحلات والمؤتمرات، منوعة المواضيع لتنوع المواقف والأزمنة.
وقفت في حياتي مواقف شتى وكلها مشرفة والله الحمد.

منذ أن كنت في المرحلة الثانوية حين كان والدي رحمه الله تعالى يكلفني بخطبة
الجمعة عن الخطباء الغائبين بعذر عن مساجدهم يوم الجمعة.
وما كنت أعلم أنه رحمه الله تعالى كان يعدّني لأمر جلل في الدعوة إلى الله تعالى،
وكنت خادمه في حضور دروسه ومجالسه وخصوصاً دروس الإمام الشيخ محمد
بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى ...

وحين ارتقت روح والدي رحمه الله إلى الملاء الأعلى خصني الله تعالى دون
إخوتي بأن أكون خليفة والدي رحمه الله على منبره في جامع الجراح خمس عشرة
سنة، ثم مثلها في جامع الدرويشية بعد وفاة شيخنا الإمام الشيخ عبد الوكيل
الدروبي ...

وكان بعد وفاته يشرف على خطابتي الشيخ محمد رفيق السباعي تلميذ الشيخ البدر
والشيخ عبد الرحمن التلسماني زوج شقيقتي رحمهم الله تعالى.

وخلال هذا وهذا أكرمني الله تعالى بدروس عدة في مساجد دمشق وخصوصاً بعد صلاة الجمعة وبعد العصر في رمضان، وأثناء تدريسي لمادة التربية الإسلامية في المدارس العامة.

ثم في معهد التهذيب والتعليم الشرعي في آخر الحريقة في سوق الحرير بدمشق منذ ١٩٩٤ ولغاية اليوم في الفقه والعقيدة والخطابة.

وكنت كلما انتهيت من ملف من الملفات الإسلامية قمت بإرساله إلى الطباعة حتى اجتمع لي بكرم الله تعالى تسعون كتاباً مطبوعاً وثلاثون لم تتم بعد ... وتوج عملي الدّعوي شهادتا الماجستير والدكتوراه في الفقه الشافعي والمقارن وكلها مطبوعة ...

وكنت بفضل الله تعالى أجمع هذه المحاضرات في ملف على مر الأيام والشهور سواء ألقيت في دمشق، أو في كراتشي (الباكستان)، أو في وهران، أو في أمريكا، أو في ماليزيا، أو في اندونيسيا، أو في تكرار حجي إلى بيت الله الحرام وزيارة نبينا صلى الله عليه وسلم، أو في لبنان، أو في الكويت، أو في الإمارات، أو في الأردن على قناة صوفية، منها ما احتفظت بها، ومنها ما لم احتفظ ...

وبعد: فهذا كتاب جمع أطراف حياتي كلها في الأمكنة والأزمنة. فأنه أرجو أن يكون ذخيرتي وعدتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

رحم الله أسيادنا الكرام ووالدينا ونفع بهذا الكتاب عباده الصالحين

والحمد لله رب العالمين

٢٠١٩ - ١٤٤٠

خادم العلم الشريف
شيخ الطرق الصوفية
عبد العزيز محمد سهيل الخطيب الحسني
القادري الشافعي الدمشقي

الأدب مع الشيوخ

الأدب مع رسول الله فرض عين على كل مسلم أمر به القرآن الكريم

وعدم التأدب مع النبي كفر وردة.

{ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله { لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض }.

لمكانته ومحبته ومنزلته ولا يقبل الله من عبد فريضة ولا نافلة حتى يكون كامل الأدب مع سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما كان الشيخ العارف بالله الكامل المربي هو الوارث المحمدي ونائب سيدنا رسول الله في تعريف العباد بربهم كان لزاماً التأدب معه تأدباً للنبي، فالشيخ المربي يقوم بمقام خير الخلق وكذلك التأدب مع أوليائه.

والمقصود من الأدب تنفيذ أوامر الله تعالى المعبود لا شريك له. وللوصول إلى النبي لا بد من سلوك الطريق، والطريق هو الآداب، والتصوف هو سلوك الطريق الموصل للحق عز وجل وقد أجمع العارفون بالله أن التصوف كله آداب.

وسوء الأدب قاطع رئيسي، لكل وقت أدب .. ولكل فعل أدب .. ولكل حال أدب .. ولكل مقام أدب.

فمن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال .. ومن حرم الأدب فهو محروم مردود، قال مولاي الإمام الجيلاني قدس الله سره: أوصيك بالفقر وأوصيك بحفظ حرمان المشايخ.

والآداب نوعان: باطنة وظاهرة.

الآداب الباطنة:

- ١- الاستسلام لشيخ وطاعته استسلام الميت لمغسله والمريض لطبيبه.
- ٢- عدم الاعتراض على شيخه في طريقة تربيته لئلا تضعف ثقته في شيخه ويقطع المدد الروحي بينه وبين شيخه (سيدنا موسى مع سيدنا الخضر).
- ٣- أن يعتقد كمال شيخه وتماهى أهليته للتربية والإرشاد، حتى لا ينصرف قلبه ويتشتت كالمريض بين طبيبين في وقت واحد.
- ٤- أن يكون صادقاً في خدمة شيخه منزهاً طلبه عن كل الأغراض، فالغرض نافٍ للصدق فلا يطلب منزلة ولا جاهاً.

٥- أن يعظم شيخه ويحفظ حرمة حاضراً وغائباً، مولانا الجيلاني قدس اله سره يقول: (من وقع في عرض ولي ابتلاه الله بموت القلب).

٦- أن يحب شيخه محبة كبيرة وذلك بموافقة أمراً ونهياً فلا يكون المريد مريداً وهو يبغض شيخه ويعصيه.

٧- وأعز أدب مع الشيخ أن لا يتمنى منزلة فوق منزلة شيخه وأن يحب لشيخه كل منزلة عالية.

وأما الآداب الظاهرة:

١- أن لا يفعل شيئاً بدون إذن الشيخ: (أوراذاً أو نوافل أو ما يتعلق بالطريق). فما الإذن إلا مدد.

٢- أن يلتزم السكينة والوقار في مجلسه، وأن لا يبادر إلى الكلام بحضرة شيخه إلا إذا طلب منه الشيخ.

٣- أن يبادر إلى خدمته بقدر الإمكان فمن خَدَم خُدِم ولا يبخل على شيخه مالاً أو جهداً.

٤- أن يزوره بقدر المستطاع فالانقطاع يحرمه من التعلم ويورث الغفلة والغفلة تقطع الطريق.

٥- الصبر على مواقفه التربوية كجفوته وإعراضه.

٦- أن لا ينقل للناس من كلام الشيخ إلا بقدر أفهامهم وعقولهم حتى لا يسيء إلى نفسه وإلى شيخه.

هذه الآداب تطلب من المريد الصادق الذي يريد دخول حضرة الأنس بالله وبرسوله فمن تحقق بها انتفع ومن فرط فيها انقطع.

٧- أن لا يقطع كلامه ولا يمشي قدامه ولا يتم كلامه ولا يعطل أحكامه ولا يقدم مقامه.

٨- ولا يصير المريد شيخاً حتى يلتزم الشريعة ظاهراً وباطناً أمام الناس وفي الخلوة - ولا يكون ذا الوجهين: وجه أمام الناس صالح شيخ وهو لا يعرف أن يقرأ القرآن بل جاهل ولا دين، وفي الليل سكرجي خمرجي حشاش. نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

وعلى المرید أن يتحلّى بصفات منها: التواضع وتوأمه لزوم الآداب مع الشيوخ والبعد عن العجب والغرور ولا ينشئ حلقة علم إلا بأذن شيخه فهذا الإمام مالك ما قعد في المدينة حتى شهد له سبعون من شيوخه، وهذا الإمام سفيان بن عيينة ما قعد بمكة حتى أجبره شيوخ مكة على التحديث... ومن تصدّر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه، واحترام الطلاب لشيخوخهم مفاتيح الأبواب حتى يتأهلوا للحديث، (من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه).

ولهذا وردت القاعدة الأصولية

الإمام أحمد رضا خان

انقضت المئة الأولى الهجرية لرحيل الإمام العلامة الشيخ أحمد رضا خان رحمه الله...

الإمام أحمد لم يولد في بلده بريلي في الهند فقط ولكنه ولد في العالم كله سنة ١٨٥٦ وكل العالم بلده وشعت فيه أنواره..

صحيح لم ألتق بالإمام أحمد ولكنني التقيت بمؤلفاته ف وقعت محبته في قلبي فقد مضت على الأمة أقطاب الأئمة العظام وكتب الله لأمتنا أن يأتي على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها ونحن اليوم بحضرة إمام من هؤلاء بل إمام مجاهد سلك درب الإمام أبي حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد والإمام الأشعري والإمام الماتريدي في تثبيت دعائم الشرع المطهر وعقيدة أهل السنة والجماعة..

امتزج العلم بخلاياه ودمه وأفاض الله عليه من العطايا ببركة أبيه وجدّه ما أدهش أهل عصره وحفظ القرآن الكريم وهو صغير في مدة وجيزة وحصلت له علوم شبه طريق الوهب فلم يكن له فيها معلّم إلا الكتاب ولعلّ مدد أبيه وجدّه العالمين الصالحين قد وصل إليه..

وقد بلغت العلوم التي برع فيها عدداً كبيراً لم يعرف لمثله من قبل حتى قيل إنّهُ ابتكر عشر قواعد لمعرفة القبلة من أيّ جزء من العالم.. وبرع بالعلوم العقلية إلى جوار العلوم النقلية: الهندسة، الهيئة، الكيمياء، الاقتصاد الرياضيات، السياسيات، الطب، الجغرافية، التاريخ، المناظرة، المنطق، الفلسفة، الجبر، والمقابلة...

حتى أصبح قدوة زمانه رحمه الله.. وأبطل نظريات بعض علماء الفلك الغربيين بأدلة بلغت سبعة عشر دليلاً..

إلى جوار هذه المعارف والعلوم كان شاعراً مجيداً باللغات الثلاث العربية والفارسية والأوردية حتى تجاوزت مؤلفاته الألف وهذا لا أعلم بمثله عند أهل العلم حتى قال فيه علامة الهند الشاعر محمد إقبال: (إن شبه القارة الهندية من أقصاها إلى أقصاها لم يولد فيها من يشبه الإمام أحمد رضا خان في عبقريته التي لا وجود الزمان على أحد بما يُدانيها).

لقد سخر حياته لثلاثة أهداف أسوقها لكم باختصار:
الأول: حماية جانب سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ممن يكرهه من كل
وهابي مهين.

الثاني: نكاية بقية المبتدعين ممن يدعي الدين وما هو إلا من المفسدين ..

الثالث: الافتاء بقدر الاستطاعة على المذهب الحنفي..
والناظر في مؤلفات الإمام يرى أن الله حقق له هذه الأهداف لإخلاصه وصدقه
ولأضرب لكم ببعض الأمثلة على ذلك:..

عندما اطلع ابن تيمية على كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض
رحمه الله وما أكرم الله به نبيّه ومصطفاه قال ابن تيمية قولته الشنيعة: غلا هذا
المغيربي.. وأفتى:

١- بمنع زيارة النبيّ حتى ادّعى أنّ السفر لزيارة حبيب الله مُحَرَّم بالإجماع.

٢- وأنّ الصلاة لا تُقصر فيه لعصيان المسافرين به.

٣- بل ادّعى أن سائر الأحاديث الواردة في فضل الزيارة موضوعة.

٤- كما أفتى بأنّ النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم لا يُستغاث به.

وذكر ابن حجر في الدرر الكامنة بعض هذه الفتاوى وأنّ فيه تنقيصاً ومنعاً من
تعظيم النبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم. ولذلك سجن ابن تيمية بإجماع مشايخ المذاهب
الأربعة درءاً للفتن التي أثارها.

وبعد أربعمئة عام ينهض في الجزيرة العربيّة داعية جديد استخرج من علم ابن
تيمية هذه الفتاوى وبنى عليها دينه كلّهُ على أساسها ألا وهو ابن عبد الوهّاب
النجدي أقام دعوته على أساس أن الأمة قد ارتدّت عن الإسلام بسبب توسّلها بالنبي
وبالأولياء الصالحين

وبسبب زيارتها لقبورهم وقبر نبيها صلى الله عليه وسلم سمي أتباعه بعبّاد القبور..

واعتبر تعظيم النبي إشراكاً له في عبادة الله تعالى وراحوا ينتقصون من قدره..

وقد عاصر هذه الفتن السيد أحمد زيني دحلان فقيه الشافعية في البلد الحرام وكتب
في الرد على ابن عبد الوهاب كتابه (الدرر السنية).

وكيف ان ابن عبد الوهاب جاء بطامات غير صحيحة في الشرع المطهر..

ووصلت هذه الافكار إلى الهند وتبناها شيوخ مدرسته ديوبند أكبر المدارس الهندية في الهند وتصدى لهم ولرجالهم الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى وحاول بادئ ذي بدء

لفت أنظارهم بالحسنى إلى مفسد هذه الأقوال لعلهم يرجعون عنها فتخمد نيران الفتنة؛ إلى جوار رده على القاضيانىة الفرقة الكافرة وصرف حياته رحمه الله في الرد عليهم وقال قولته:

* (أما وقد شاع الباطل وأصبح دعائه يتجرؤون على أهل الحق ويتهمونه بأبشع التهم ويجدون بين الناس من يصدقهم عندئذ يصبح السكوت أو التغاضي جريمة لا تغتفر فليست المصيبة أن يكتب أهل الباطل ولكن المصيبة في تصديق الناس الطيبين له).

واليوم و بعد مئة عام ماتزال تعاليم الإمام سارية في الوجود تحمل مشاعل نور إلى الأجيال بعده..

الحديث طويل والزمن قصير عن الإمام ومناقبه وحسبي أن ألقبه بقطب القارة الهندية وسيد دعائها رحم الله الإمام فلولا له لما عرف أهل الهند والباكستان ضلال الديوبندية والوهابية والقاضيانىة

ويشرفني أن يتصل نسبي إلى الطريقة البريلوية إلى الإمام أحمد رضا خان رضي الله عنه وارضاه.

الإمام الجيلاني وكراماته

ولد الإمام الجيلاني ٤٧٠ هـ - وتوفي ٥٦١ هـ = ٩١ سنة
بدأ إقبال الناس عليه سنة ٥٢٨ هـ حين بنى مدرسته وجلس بأمر النبي على كرسي
الوعظ والإرشاد في جامع بغداد.
وقصده طلبة العلم من كل مكان وانتهت إليه تربية المريدين وأصبح قطب الوقت
حكماً وعلماً.

رأى أحد تلامذته في منامه الشيخ الجيلاني في مكان عظيم السعد وفيه مشايخ البر
والبحر ومنهم من فوق عمامته طرحة، ومنهم من فوق عمامته طرحتان، وفوق
عمامة الشيخ ثلاث طرحات فاستيقظ من نومه وهو يفكر ما هذه الطرحات الثلاث
وحضر الإمام الجيلاني فقال له مباشرةً يا خضر طرحة علم الشريعة، وطرحة
تشريف علم الحقيقة، وطرحة الشرف من آل البيت.

يقول أحد أصحابه رأيت رسول الله وغيره من الأنبياء في مجلس الشيخ عبد القادر
غير مرة، ورأيت رجال الغيب والجن يتسابقون إلى الجلسة ورأيت سيدنا أبا
العباس الخضر يكثر حضوره فسألته فقال: من أراد الفلاح فعليه ملازمة هذا
المجلس.

كان رضي الله عنه إذا صعد الكرسي للدرس وقال الحمد لله أنصت له كل ولي في
الأرض وسمعه الأصم وسمعتة النساء في بيوتهن.

لم يكن مجلس من مجالسه يخلو من يسلم من اليهود والنصارى ولا ممن يتوب عن
قطع الطريق وقتل النفس ولا ممن يرجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة.

أتاه راهب من اليمن واسلم على يديه في المجلس ثم قال للناس إني رجل راهب
من أهل اليمن وإن الإسلام وقع في نفسي وقوي عزمي على ألا اسلم إلا على خير
أهل اليمن وجلست مفكراً ففكرت فرأيت عيسى بن مريم وهو يقول لي يا سنان
اذهب إلى بغداد واسلم على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني فإنه خير أهل الأرض
في هذا الوقت.

من نعم الله على الإمام: أنه اسلم على يديه أكثر من ٥٠٠ من اليهود والنصارى
وتاب على يديه مئة ألف من أهل الكبائر.

قصة الروافض والسنتين اللتين فيهما صبي:

فتشت بالأعمال كلها فلم أجد أفضل من إطعام الطعام لقمة في بطن جائع خير من بناء ألف، جامع وخير ممن كسا الكعبة وألبسها البراقع، وخير ممن قام لله ساجد وراكع، وخير ممن جاهد الكفار بسيف مهند قاطع. وإذا أنزل الدقيق في بطن جائع كان له نور كنور الشمس ساطع فيا بشرى لمن أطعم الجائع.

من كراماته:

أنه توضاً يوماً فبال عليه عصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فوق ميتاً فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه وقال هذا بهذا.

يقول رضي الله عنه خرجت في بعض سياحتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماءً فاشتد بي العطش فإذا بغمامة تظلني وينزل علي منها شيء يشبه الندى ترويت ثم رأيت أمناً حولي وبدت لي صورة ونوديت فيها: يا عبد القادر أنا ربك وقد حللت لك المحرمات.

فقال سيدنا عبد القادر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإذا بذلك النور ظلام وتلك الصورة دخان وإذا هو إبليس، وإذا إبليس يجيبه: نجوت مني بعلمك وبحفظ ربك وصدقك في أحوال منازلتك ولقد أغويت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق.

وسئل الإمام الجيلاني: بم عرفت أنه شيطان فقال بقوله قد حللت لك المحرمات. جاءه مرة أحد الولاة وطلب منه كرامة ليطمئن قلبه بها. قال له: وماذا تريد؟ قال: تقاحاً من الغيب، ولم يكن ذلك أوان التقاح بالعراق.

فمدَّ يده في الهواء فإذا فيها تفاحتان فأعطاه إحداهما وقسم الشيخ التي بيده وإذا هي بيضاء تفوح منها رائحة المسك، وقسم المستنجد التي بيده فإذا فيها دودة فقال ما هذا؟ قال يا أبا المظفر لمستها يد الظلم فدوّدت.

ولماذا نبعد كثيراً وبيننا سيدنا عبد القادر الجيلاني قدس الله سره.

سيدنا عبد القادر في بعض السنين أشرفت بغداد على الغرق فأتى الناس إلى الغوث الأعظم رضي الله عنه يستغيثون به فأخذ عكازه وأتى إلى الشط وركزه عند حد الماء وقال: إلى هنا فقط ... فما زال الماء ينقص وينقص حتى وصل إلى الحد الذي علمه سيدنا الجيلاني.

كان مرّة يتكلم في درسه في القضاء والقدر، وبينما هو كذلك إذ سقطت من السقف حية في حجره ففر منها الناس ولم يبق إلا هو ونظروا من بعيد فدخلت الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت من طوقه والتفت حول عنقه ومع ذلك ما قطع كلامه ولا غيّر جلسته ثم نزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه فصوتت، ثم كلمها بكلام ما فهمه الناس ثم ذهبت. فجاء الناس إليه وسألوه عما قالت له، وقال لها؟.

فقال: قالت لي اختبرت كثيراً من الأولياء فلم أر مثل ثباتك. فقلت لها إنك سقطت عليّ وأنا اتكلم في القضاء والقدر، فهل أنت إلا دودة يحركك ويُسكنك القضاء والقدر.

أتاه بعض الشيعة بقفتين مغطاتين وقالوا له: قل لنا ما فيهما فوضع يده على إحداهما وقال: هذه صبي مقعد ففتحوها فإذا فيها ذلك.

فأمسك بيد الصبي وقال: قم... فقام بإذن الله. ثم وضع يده على القفة الأخرى وقال فيها صبي لا عاهة به. ففتحوها فإذا فيها ذلك فقال له: أقعد.

ففعد ولم يقم، فتاب الشيعة على يديه ومات في المجلس ثلاثة من أثر الكرامة.

مدد يا جيلاني مدد يا أولياء الله

أمدونا بما أمدكم الله من الكرامات اشفعوا لنا عند الله

الإمام الجيلاني شيوخه

اليوم أطرح على حضراتكم سؤالاً هاماً
كلنا يعلم مكانة القطب الغوث وسيد أهل زمانه الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني
والسؤال كيف وصل الإمام الجيلاني إلى هذه المرتبة لعلنا نسلك منهجه؟
فنرتقي عند الله تعالى

الحقيقة أن الإمام الجيلاني وصل إلى مرتبته تلك بثلاثة أشياء:

١ - التلمذة على الشيوخ.

٢ - المجاهدات الكبيرة.

٣ - حفظ العلم الشرعي.

واسمحوا لي أن أفصل فيما أوجزت من الكلام:

أما التلمذة على الشيوخ فمنذ أن وطئت قدماه بغداد سنة ٤٨٨ هـ دار في مسجدها
على شيوخ الحلقات وراح يسمع من كل منهم ويبحث عن أستاذ يلازمه فوقعت
عيناه على أستاذين عظيمين كبيرين القدر مولانا الإمام الغزالي - ومولانا الإمام
حماد الدباس هذان الشهيوان.

لما التقى بشيخه في التربية الشيخ حماد الدباس في زاويته والشيخ حماد الدباس
انتمى إليه كل شيوخ بغداد في التربية وكان يقول: القلوب ثلاثة قلب يطوف في
الدنيا وقلب يطوف في الآخرة وقلب يطوف بالمولى عز وجل.

اعتنى الشيخ الدباس وأصله من الشام وسكن بغداد واعتنق سيدنا الجيلاني وضمه
إليه وبكى وقال: يا ولدي عبد القادر الدولة اليوم لنا وغداً لك فإذا وليت فأعدل بهذه
الشبية.

وتأدب بأدبه وكان الطلاب يلاحظون أن الشيخ يزيد الاهتمام بسيدنا الجيلاني ثم
خرج الإمام الجيلاني ساعة فالتفت سيدنا حماد الدباس إلى طلابه وهم متعجبون
كيف يقدم شيخهم هذا العجمي عليهم فقال لهم: لهذا العجمي قدم تغلو في وقتها على
رقاب الأولياء وليؤمن أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ثم قال:
ولتوضعن له رقاب الأولياء في زمانه.

وكان يشدد عليه في التربية ليلبلغ في الصبر مرتبة عالية (رمى في نهر دجلة) وبقي الإمام الجيلاني أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء. وبقي خمسة عشر سنة إذا صلى العشاء يفتح القرآن وهو واقف على رجل واحدة حتى ينتهي إلى آخر القرآن عند السحر.

ورافقه سيدنا الخضر في أول تجرده لله، يقول: وكانت تأتيني طوائف من الجن أعلمهم الطريق إلى الله تعالى.

يقول أحد تلامذته: كنت أدخل على الشيخ الجيلاني في وسط الشتاء وقوة برده وعليه قميص واحد وعلى رأسه طاقية وحوله من يروحه بالمروحة والعرق يخرج من جسده كما يكون في شدة الحر.

ثم بنى مدرسته سنة ٥٢٨ هـ واجتمع به من العلماء والفقهاء والصلحاء جماعة كثيرة ينتفعون بكلامه وقصد إليه طلبة العلم في كل مكان وانتهت إليه تربية المريدين فأصبح قطب الوقت حكماً وعلماً، وقيل: إنه قلماً يمر يوم إلا ويسلم فيه أحد أو يهتدي به الفساق حتى بلغ مريده مئة ألف. ومن شدة قوته في التدريس كان يحفظ ١٣ علماً تفسير علماء حديث الرسول قراءات، فقه شافعي، وفقه حنبلي، وكانت فتواه تعجب علماء بغداد.

رفع مرة إليه سؤال في رجل (حلف الطلاق الثلاث أنه لا بد أن يعبد الله عز وجل عبادة يتقرب بها دون جميع الناس في وقت أدائها لها)، فماذا يفعل من العبادات ودارت الفتوى على علماء بغداد كلهم فلم يستطيعوا الجواب عنها حتى وصلت إلى سيدنا الإمام الجيلاني، فكتب خلف السؤال على الفور: (يأتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف سبعا وحده وتنحل يمينه). رضي الله عنه.

ورأى أحد تلامذته في منامه الشيخ الجيلاني في مكان عظيم السعة، وفيه مشائخ البر والبحر، ومنهم من فوق عمامته طرحة، ومنهم من فوق عمامته طرحتان، وفوق عمامة الشيخ ثلاث طرحات فاستيقظ من نومه وهو يفكر ما هن هذه الطرحات.

وحضر الشيخ الجيلاني فقال له مباشرة: يا خضر طرحة تشريف علم الشريعة، وطرحة تشريف علم الحقيقة، وطرحة الشرف من آل البيت.

يقول أحد أصحابه رأيت رسول الله وغيره من الأنبياء في مجلس الشيخ عبد القادر وغيره، ورأيت رجال الغيب والجان يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت أبا العباس الخضر يكثر من حضوره فسألته فقال: من أراد الفلاح فعليه ملازمة هذا المجلس. كان رضي الله عنه إذا صعد كرسيه وقال: الحمد لله أنصت له كل ولي في الأرض وسمعه الأصم وسمعته النساء في بيوتها، وكأنه يلقي محاضرة على الفضائيات (بلا تشبيه).

إذا مر على الجامع يوم الجمعة وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى فيه حوائجهم.

يقول رضي الله عنه: أراد الله مني منفعة الخلق، فأسلم على يدي أكثر من ٥٠٠ من اليهود والنصارى، وتاب على يدي أكثر من مئة ألف.

فلم يكن مجلس من مجالسه يخلو من يسلم من اليهود والنصارى ولا ممن يتوب عن قطع الطريق وقتل النفس ولا ممن يرجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة.

أتاه راهب من اليمن وأسلم على يديه في المجلس ثم قال للناس: أنا رجل راهب من أهل اليمن وإن الإسلام وقع في نفسي وقوي عزمي على ألا أسلم إلا على خير أهل اليمن، وجلست مفكراً، فنمت فرأيت عيسى بن مريم وهو يقول لي: يا سنان اذهب إلى بغداد وأسلم على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت.

يقول رضي الله عنه مبشراً كل مرید له:

مريدي لا تخف واشِ فإني عزوم قاتلٌ عند القتال

قدس الله سره ورضي عنه وعلى ذريته وأتباعه.

الإمام محمد بن الهاشمي

١٢٩٨ - ١٣٨١ هـ / الموافق ١٨٨١ - ١٩٦١ م

في جامع عباد الرحمن - كفرسوسة -

هو سيدي الإمام محمد بن أحمد الهاشمي بن عبد الرحمن التلسماني الجزائري أصلاً، والدمشقي سكناً وهجرة.

شيخ الطريقة الشاذلية في البلاد الشامية في عصره.

ولادته ونشأته :

ولد سماحة الأستاذ المرشد الكبير سيدي محمد بن الهاشمي قدس الله روحه من أبوين صالحين، كلاهما من آل بيت النبوة، يرجع نسبهما إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، ولد يوم السبت ٢٢ شوال ١٢٩٨ هـ الموافق ١٦ أيلول ١٨٨١ م في ضواحي مدينة تلمسان، وهي من أشهر المدن الجزائرية. وكان والده من علمائها وقاضيا فيها، فلما توفي ترك أولادا صغاراً، والشيخ أكبرهم سناً.

بقي الشيخ مدة من الزمن ملازماً للعلماء، قد انتظم في سلوكهم جادا في الازدياد من العلم، ثم هاجر بعد شيخه سيدي محمد بن يلس إلى بلاد الشام فارا من ظلم الاستعمار الفرنسي إذ رفضوا التجنيد ضمن الجيش الفرنسي المعتدي، الذي منع الشعب الجزائري من حضور حلقات العلماء وتوجيههم وثورتهم ضد الاحتلال الفرنسي. وكانت هجرتهم في ٢٠ رمضان سنة ١٣٢٩ هـ عن طريق طنجة ومرسيليا، متوجهين إلى بلاد الشام. فمكثا في دمشق أياما قلائل، وعملت الحكومة التركية على تفريق جميع المغاربة الجزائريين، وكان نصيبه رحمه الله أن ذهب إلى تركيا وأقام في أضنة، وبقي شيخه ابن يلس في دمشق. وعاد بعد سنتين إلى دمشق، فالتقى بشيخه ابن يلس وصحبه ولازمه.

شيوخه:

وفي بلاد الشام تابع أخذ العلم عن أكابر علمائها. ومن أشهرهم المحدث الكبير محمد بدر الدين الحسنى ١٨٥٠ - ١٩٣٥ من ذرية الإمام الجزولي صاحب دلائل الخيرات تلميذ الإمام الشيخ عبد العزيز الدباغ - ولد بدمشق وتوفي بها. والشيخ أمين سويد الفقيه الحنفي الأصولي اللغوي الصوفي من كبار علماء دمشق - رحالة (القدس - مكة - الهند) ١٨٥٥ - ١٩٣٦ من مدرسي جامع الدرويشية. والشيخ محمد بن جعفر الكتاني ١٨٥٧ - ١٩٢٧ فقيه محدث مؤرخ له ٦٠ كتاباً من كتبه المشهورة الرسالة المستطرفة.

والشيخ نجيب كيوان علامة فقيه حنفي حافظ توفي ١٢٨٧ هـ.

والشيخ توفيق الأيوبي علامة فقيه متكلم أديب شاعر توفي ١٢٥١ هـ.

والشيخ محمود العطار فقيه، أصولي، شارك في النحو والمنطق والبلاغة والحديث والقرآن والعقيدة توفي ١٩٤٤ م. وأخذ عنه علم أصول الفقه،

والشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافي توفي ١٣٨٢. وأخذ عنه الفقه المالكي

والشيخ محمد سليم بن أحمد الحلواني الشافعي شيخ القراء في عصره توفي ١٣٦٣ هـ.

والشيخ حسين بن عبد الكريم الحمزاوي العلامة الفقيه الورع توفي ١٣٩٥ هـ.

والشيخ عبد القادر الدوكالي علامة مشارك في كثير من العلوم توفي ١٣٤٥ هـ.

والشيخ عبد المجيد الطرابيشي الفقيه الحنفي الكبير توفي ١٣٦٣ هـ.

— شيوخه في التصوف:

— سيدي محمد بن يلس ١٢٧١ - ١٣٤٦ هـ

— الشيخ أحمد بن مصطفى بن محمد بن عليوة الشهير بالعلوي ١٨٦٩ -

١٩٣٤ حامل لواء الجهاد ضد المستعمر الفرنسي، مجدد الطريقة الشاذلية

في أسلوبها وأصولها، له فوق العشرين مؤلفاً من كتبه الرسائل العلاوية وهي ألف بيت تحتوي على أهم الأحكام الشرعية من توحيد وعبادات وختمها بكتاب التصوف ١٣٢ بيتاً، بايعه على المشيخة بعد وفاة شيخه محمد بن يلس جامع الشامية ثم أرسل له الإجازة الخطية من الجزائر. وقد أجازته أشياخه رحمهم الله بالعلوم العقلية والنقلية.

أما من ناحية التصوف: فقد أذن له شيخه محمد بن يلس بالورد العام لما رأى من تفوقه على تلامذته، من حيث العلم والمعرفة والنصح لهم وخدمتهم. ولما قدم المرشد الكبير الشيخ أحمد بن مصطفى العلوي من الجزائر لأداء فريضة الحج، نزل في دمشق بعد وفاة سيدي محمد بن يلس سنة ١٣٥٠ هـ ، وأذن له بالورد الخاص (تلقين الاسم الأعظم) والإرشاد العام، علماً أن الثلاثة: سيدي محمد بن يلس والشيخ أحمد بن مصطفى العلوي والشيخ محمد بن الهاشمي كانوا تلاميذ الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي في مستغانم بالجزائر.

أخلاقه وسيرته:

كان رحمه الله تعالى متخلياً بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، متابعاً له في جميع أقواله وأحواله وأخلاقه وأفعاله، فقد نال الوراثة الكاملة عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وكان متواضعاً حتى اشتهر بذلك ولم يسبقه أحد من رجال عصره في تواضعه. وكان يعامل كما يحب أن يعاملوه. دخل عليه رجل فقبل يد الشيخ وأراد الشيخ أن يقبل يده فأمتنع الرجل وقال: استغفر الله يا سيدي أنا لست أهلاً لذلك أنا أقبل رجلكم فقال الشيخ: إذا قبلت رجلنا فنحن نقبل رجلكم،

وكان يحب أن يخدم إخوانه بنفسه، فيأتي الزائر، ويأتي التلميذ فيبيت عنده فيقدم له الطعام، ويحمل له الفراش مع ضعف جسمه. وكم جاؤوه في منتصف الليل،

وطرقوا بابه، فافتح لهم الباب وهو بثيابه التي يقابل بها الناس، كأنه جندي مستعد.
فما رأي في ثوب نوم أبداً .

وكان حليماً لا يغضب إلا لله. حدث أن جاءه رجل من دمشق إلى بيته وأخذ يتهجم عليه، ويتهكم به، ويتكلم بكلمات يقشعر لها جلد المسلم، ولكن الشيخ رضي الله عنه لم يزد على قوله له : الله يجزيك الخير ، إنك تبين عيوبنا، وسوف نترك ذلك ونتحلى بالأخلاق الفاضلة. وما أن طال المقام بالرجل إلا وأقبل على الشيخ ، يقبل قدميه ويديه ، ويطلب المعذرة منه.

وكان كريماً لا يرد سائلاً. وكم كان يأتي إليه أشخاص فيعطيه ويكرمهم، ولا سيما في مواسم الخير؛ حيث يأتي الناس لبيته وترى موائد الطعام يأتيها الناس أفواجاً أفواجاً يأكلون منها ، ولا تزال ابتسامته في وجهه، وقد بلغ من كرمه أنه بنى داره التي في حي المهاجرين بدمشق قسمين: قسم لأهله ، وقسم لمريديه وتلاميذه.

يذكر أحد أهل الفضل والخير يقول:

ذهبت مرة وأنا صبي صغيرٌ بصحبة والدي لزيارة سيدي الشيخ المجاهد محمد الهاشمي رحمه الله في داره،

وكان ذلك ثاني أيام عيد الفطر، والوقت وقت شتاء ومطر، فولجنا بيته ودخلنا غرفة الاستقبال، فإذا جمعٌ من العلماء وطلاب العلم وأهل الصلاح جالسون يصيرون من موائد الضيافة والحديث (إن الحديث جانب من القري)، ويناقشون بعض المسائل الفقهية، ويخوضون في أبحاث وموضوعات علمية..

فأخذت أمحّص وجوه الحاضرين أسائل نفسي: أيهم الشيخ الهاشمي يا ترى؟ وما هي هيئته؟ لما كنت أسمع عن شخصه وهيئته وسمته رحمه الله... ولم يثبت عندي خبر ولم يتيقن في نفسي جواب، وبقيت تلك حالي...

ثم ما لبثنا أن غادرنا الغرفة الدافئة ووقفنا على شيخ هرم لطيف الهيئة حسن الوجه عليه هيبة ووقار يعمل في بعض شأنه، فسلم عليه والدي وتبادلا الدعوات والتبريكات، ثم سأله الدعاء لي ولإخوتي وانصرفنا...

وما كدنا نغادر البيت وتستوي بنا الطريق حتى سألت والدي رحمه الله بشوق:

مَنْ مِنَ الجالسين هو الشيخ الهاشمي؟

أهو الشيخ الوقور صاحب العمامة البيضاء في صدر المجلس؟

فتبسم وقال : لا،

قلت: هو إذاً الرجل الكهل عن يمينه الذي انجذبت إليه الأسماع والقلوب

فقال: أيضاً لا،

فسألته عن أهل المجلس واحدا تلو الآخر وهو يقول: لا ليس هو،

فقلت بلهفة: فمن هو إذا؟

قال: رأييت الشيخ المسن على باب الغرفة قد أصابه الهواء ونال منه البرد الذي

سلمنا عليه وقت غادرنا؟!

قلت: نعم، رأيته،

فقال: فذلك هو شيخنا الهاشمي!

قلت: وما كان يصنع في البرد؟!

قال: إنه كان ينظف أحذية ضيوفه ومريديه من الطين الذي أصابها!، لأنه كان لا

يحب أن يرى إلا النظافة والترتيب، وكان يقول أبداً في كل أمر: مشربنا جمالي.

وكان من صفاته رضي الله عنه أنه كان واسع الصدر متحملاً للمشقة والتوجيه،

وشدة الصبر مع بشاشة الوجه، وحين يستغرب الناس ذلك منه يقول: يا سيدي إن

مشربنا هذا جمالي. وكان يأتي إليه الرجل العاصي فلا يرى إلا البشاشة من وجهه

وسعة الصدر، وكم تاب على يديه عصاة منحرفون ، فانقلبوا بفضل صحبتهم
مؤمنين عارفين بالله تعالى.

وكان إذا توضأ ذكر الاسم الأعظم على أعضاء وضوئه.

كان لسيدي الشيخ محمد الهاشمي رضي الله عنه مجلس علم في جامع الشامية كل
يوم أحد ويعقبه بجلسة ذكر.

مر رجلان أمام المسجد فقال أحدهم للآخر دعنا ندخل لجلسة الذكر، فقال الآخر:
لا أستطيع، فألح عليه، فقال: أنا لست على طهارة، فقال له: ومن سيعلم دعنا
ندخل، وبعد إلحاح دخل الرجل، ووقف على حلقة الذكر وكعادة الشيخ الهاشمي
وبلطفه المعهود، بدأ ينتقل بين جموع الذاكرين ببطء حتى وصل أمام الرجل فوقف
واستدار نحوه، فخارت قوى الرجل وتمنى لو أن الأرض تبثله، تقدم الإمام
ووضع يده على صدره وقال له بصوت خافت: (يابا عندما تأتي في المرات
القادمة إغسل يديك أولاً) ومشى الشيخ.

الله..... الله..... الله على أهل الله ولطفهم وحسن توجيههم.

حدث أنه كان سائرا في الطريق بعد انتهاء الدرس ، فمر به سكران ؛ فما كان من
الشيخ رحمه الله تعالى إلا أن ازال الغبار عن وجهه ، ودعا له ونصحه ، وفي
اليوم التالي كان ذلك السكران أول رجل يحضر درس الشيخ ، وتاب بعد ذلك
وحسنت توبته.

وكان رحمه الله تعالى يهتم بأحوال المسلمين ويتألم لما يصيبهم، وكان يحضر
جمعية العلماء التي كانت في الجامع الأموي، يبحث في أمور المسلمين ويحذر من
تفرقتهم، وقد طبع رسالة تبين سبب التفرقة وضررها، وفائدة الاجتماع على الله
والاعتصام بحبل الله سماها (القول الفصل القويم في بيان المراد من وصية
الحكيم) وسيمر الحديث عنها.

وانقطع المطر عن أهل الشام فاجتمع شيوخ أهل الشام ومعهم سيدي محمد الهاشمي ووالدي رحمهما الله وصعدوا إلى مقام جبل الأربعين في رأس جبل قاسيون يستسقون لأهل الشام وفي خضم الدعاء والالتجاء أمسك الشيخ الهاشمي لحيته بيده وأغمض عينيه ملتجئاً إلى الله فلم يرفعها عن لحيته حتى أمطرت السماء بالماء.

كان كريماً على الله تعالى فوضع الله له القبول في الأرض وجاءته المريدون في كل جهة.

وكان رحمه الله يكره الاستعمار بكل أساليبه، ويبحث في توجيهه عن مدى صلة الحوادث مع الاستعمار وكيفية الخلاص من ذلك. ولما ندبت الحكومة الشعب إلى التدريب على الرماية، ونظمت المقاومة الشعبية، سارع الشيخ لتسجيل اسمه بالمقاومة الشعبية، فكان يتدرب على أنواع الأسلحة مع ضعف جسمه ونحوه وكبر سنه. وبهذا ضرب للشعب المثل الأعلى لقوة الإيمان والعقيدة والجهاد في سبيل الله، وذكرنا بمن قبله من المرشدين الكُمل الذين جاهدوا الاستعمار وحاربوه؛ أمثال سيدنا عمر المختار والسنوسي والأمير عبد القادر الجزائري. وما المجاهدون الذين قاموا في المغرب، لإخراج الاستعمار وأذئابهم إلا الصوفية.

وكان رحمه الله تعالى حسن السيرة والمعاملة، مما جعل الناس يقبلون عليه ويأخذون عنه التصوف الحقيقي ، حتى قيل "لم يشتهر الهاشمي بعلمه مع كونه عالماً، ولم يشتهر بكراماته مع أن له كرامات كثيرة، ولكنه اشتهر بأخلاقه، وتواضعه، ومعرفة بالله تعالى" وكفى بها.

وكان رحمه الله تعالى إذا حضرت مجلسه، شعرت كأنك في روضة من رياض الجنة؛ لأن مجلسه ليس فيه ما يشوبه من المكدرات والمنكرات. فكان رحمه الله

تعالى يتحاشى أن يذكر في حضرته رجل من غير المسلمين وينقص. ولا يحب أن يذكر في مجلسه الفساق وغيرهم، ويقول: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة. وبقي رحمه الله دائبا في جهاده مستقيما في توجيهه للمسلمين وإخراجهم مما وقعوا فيه من الضلال والزيف. فقد كانت حلقاته العلمية متوالية من الصباح حتى المساء؛ ولاسيما علم التوحيد الذي هو من أصول الدين فيبين العقائد الفاسدة والإلحادية، مع بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والرجوع إلى الله تعالى؛ والتعلق به دون سواه.

منهجه في التربية:

١- التمسك الشديد بالكتاب والسنة والحرص على تعلم المريدين لعلم العقيدة وإزالة الشبه العالقة بعقول المسلمين.

٢- التخلق بأخلاق المسلمين مع الناس والسير بالسالكين إلى معرفة الله ذوقاً (الخلوة الشاذلية) مع المحافظة على اللسان الشرعي الذي لا يخل بالشرعية باسم المعرفة والحقيقة ولا يشطح شطحاً بمخالفة الكتاب والسنة.

يروى سيدي العلامة العارف بالله تعالى الشيخ عبدالرحمن الشاغوري عليه الرحمة والرضوان أن شيخه وأستاذه العارف بالله تعالى الشيخ محمد الهاشمي التلمساني أستاذ التوحيد في عصره استدعته رابطة علماء الشام التي كان عضوا فخريا وبارزا فيها. وكان الأمر الذي استدعي لأجله أن أحد تلاميذه قد وقع في محذور شرعي ، وقد طلبت الرابطة من الشيخ طرده من مجالسه، فأطرق الشيخ ثم قال: اخواني كأصابعي ، وأصبعي اذا مرضت أو جرحت أداويها أم أقطعها؟؟ قالوا: تداويها ، قال فهكذا إخواني .

نشاطه في الدعوة والإرشاد:

كان بيته قبلة للعلماء والمتعلمين والزوار، لا يضجر من مقابلتهم، ويقيم -مع ضعف جسمه- حلقات منتظمة دورية للعلم والذكر في المساجد والبيوت، ويطوف

في مساجد دمشق يجمع الناس على العلم وذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم يزل مثابراً على همته ونشاطه ودعوته حتى أيامه الأخيرة. تتلمذ على يديه نخبة طيبة صالحة من العلماء وطلاب العلم، ومن مختلف طبقات الأمة يهتدون بإرشاداته، ويغترفون من علومه، ويقتبسون من إيمانه ومعارفه الذوقية، ويرجعون إليه في أمورهم. وقد أخذ التصوف عن سيدي الهاشمي رحمه الله تعالى كثير من العلماء وغيرهم لا يعلم عددهم إلا الله. ومن أهمهم:

- الشيخ عبد القادر عيسى توفي ١٩٩١ م.
 - الشيخ محمد سعيد الكردي توفي ١٩٧٢ م.
 - الشيخ سعيد البرهاني توفي ١٩٦٧ م.
 - الشيخ عبد الرحمن الشاغوري توفي ٢٠٠٤ م.
 - الشيخ سعيد الحمزاوي نقيب الأشراف توفي ١٩٧٨ م.
 - الشيخ محمد النبهان من حلب توفي ١٩٧٤ م.
 - الشيخ أحمد الشامي توفي ١٩٩٣ م.
 - الشيخ ابراهيم اليعقوبي توفي ١٤٠٦ هـ.
 - الشيخ عبد الوكيل دروبي توفي ١٩٩٣ م.
 - الشيخ قاسم القيسي توفي ١٩٥٥ م.
 - الشيخ شكري اللحفي توفي ٢٠١٥ م.
- وسئل: لم الناس يرتكبون الحرام مع علمهم بتحريمه فأجاب قدس الله سره: يرتكبون الحرام لجهلهم بالله فلو عرفوا الله ما وقعوا في الحرام. وقد أذن للمستفيدين منهم بالدعوة والإرشاد، وبذا انتشرت هذه الطاقة الروحية في دمشق وحلب وفي مختلف المدن السورية والبلدان الإسلامية.

شعره:

كان له مساهمة في الشعر (شعر تعليمي) يخدم علمي التوحيد والتصوف إلا قصيدة واحدة قالها في رثاء شيخه محمد الحبيب البوزيدي:

لقد غاب بدرنا ونوره ساطع	فأبكى النجوم دمعاً والأمر واقع
تبسمت الثرى سروراً بما لها	وقال لسان حالها لمن يسمع
فأهلاً وسهلاً ثم أهلاً ومرحباً	بغوث الورى البوزيدي جاء يسارع

ومن شعره التعليمي: شروط التكليف العشرة:

والتكليف شروط محصلة	عقل بلوغ وبلوغ الرسالة
سلامة الحواس تمكن النظر	وعدم الإلجاء غفلة تعتبر
وعدم الإكراه والنوم الثقيل	وعدم النسيان خذها يا خليل

وجمع الأذكار العشرة التي وردت فرضيتها ولو مرة في العمر:

عشر من الأذكار فرض عين	في العمر مرة بغير مين
تعوذ بسملة وحمد له	هيللة تسبيح أيضاً حوقله
تكبير استغفار والصلاة	مع السلام قالها الثقة
حسبلة زادها بعض العلماء	والندب يأتي بعد فرض علما
وإن قسمى القلب من الأغيار	فأذكر حتى لا يبقى إلا الباري

وله شعر في التصوف منها نظم النفوس السبعة:

إن النفوس سبعة منظمه	أمانة لؤامة وملهه
وذاات الاطمئنان بالله وله	راضية مرضية وكاملة

وله منظومات في علم التوحيد نظم سبيل السعادة في معنى كلمتي الشهادة.
والثاني: نظم عقيدة أهل السنة: شرحه في رسالة شرح نظم عقيدة أهل السنة.
شرحه أولاً شرحاً مقتضباً ثم شرحه بالتفصيل في كتاب مفتاح الجنة.

مؤلفاته:

مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة: كتاب نفيس في التوحيد أكثر فيه الشيخ من
النقولات العلمية وهو أوسع كتاب له. ويوجد تسجيل لشرحه للإمام الشاغوري
رحمه الله.

الرسالة الموسومة بعقيدة أهل السنة مع نظمها ٥١ بيتاً بدأها بقوله: يقول راجي
رحمة المنان / محمد بن الهاشمي الرحماني.

الحمد لله على الإيمان / وغيره من نعيم الديان.

البحث الجامع والبرق اللامع والغيث الهامع فيما يتعلق بالصناعة والصانع، الرسالة
الموسومة بسبيل السعادة في معنى كلمتي الشهادة مع نظمها ٢٤ بيتاً مطلعها:
الحمد لله الغني الصمد / يا ربنا صل على محمد وآله وصحبه الأئمة وتابع لهم
وباقى الأمة.

الدرة البهية.

الحل السديد لما استشكله المريد من جواز الأخذ عن مرشدين. أجاب فيها عن
أسئلة مريديه لمن يدخل في الطريقة وأن عدم الأخذ عن مرشدين قد يحرمه من
العلم أو صحبته أهل الطريق فيموت جاهلاً أو ينكث عهده مع شيخه الأول لأخذه
عن الثاني....

القول الفصل القويم في بيان المراد من وصية الحكيم. وهي شرح لقصة المهلب
بن أبي صفرة مع أولاده لما دعاهم قبل مماته وأعطى كل واحد منهم رمحاً ليكرسه
ثم أعطاهم حزمة من الرماح فلم يستطيعوا كسرها وأنشد: كونوا جميعاً يا بني إذا

اعتري خطب ولا تتفرقوا أحاداً تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أفراداً ... أخذ الشيخ من هذه القصة عبراً جليلة دونها في هذا الكتاب. شرح شطرنج العارفين للشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله. المسمى أنيس الخائفين وسمير العاكفين في شرح شطرنج العارفين ... رأى فيه تحريفاً لمعنى هذه الرسالة فدفعته الغيرة إلى شرحه على منهج العارفين بالله، وذكر فيه أنه لم يجد ذكره في كلام الشيخ الأكبر.

شرح نظم عقيدة أهل السنة. شرح مبسط في التوحيد يشرح فيه نظماً يتألف من ٤٨ بيتاً وهي مختصر لكتاب مفتاح الجنة، وهو مطبوع وقد طبع مؤخراً ثانية. الأجوبة الوافية الوفيه على الأسئلة الطرقية: أجاب بها الشيخ عن أسئلة مريده الشيخ قاسم القيسي مفتي العراق في علم التصوف ويجب عنها الشيخ بإسهاب. وتسمى أيضاً (الدرر المنتشرة في الأجوبة العشرة)، وغير ذلك من الرسائل.

وفاته:

وهكذا قضى الشيخ الهاشمي حياته في جهاد وتعليم، يربي النفوس، ويزكي القلوب الراغبة في التعرف على مولاها، لا يعتريه ملل ولا كسل. واستقامته على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً وحالاً، ووصيته في آخر حياته: "عليكم بالكتاب والسنة" تشهد له بكمال وراثته ومرض مرضاً شديداً منعه عن مواصلة نشاطه فأوصى الجميع بملازمة مجلس العلم والذكر والتمسك بالكتاب والسنة.

وكان رحيل الشيخ الكبير إلى رضوان الله تعالى وقربه يوم الثلاثاء ١٢ من رجب ١٣٨١ هـ الموافق ١٩ كانون الأول ١٩٦١ م عن عمر يناهز الثمانين أمضاها بين علم وتعليم وجهاد في سبيل الله، وصلي عليه بالجامع الأموي، ثم شيعته دمشق تحمله على الأكتاف إلى مقبرة الدحداح، حيث ووري مثواه وهو معروف ومزار.

ولئن وارى القبر جسده الطاهر الكريم، فما وارى علمه وفضله ومعارفه وما أسدى للناس من معروف وإحسان، فلمثل هذا فليعمل العاملون. وهذا من بعض سيرته الكريمة، وما قدمناه غيضٌ من فيض ونقطة من بحر، وإلا فسيره العارفين منطوية في تلامذتهم؛ ومن أين للإنسان ان يحيط بما تكنه صدورهم وأسرارهم؟ أخي! ... عندما تريد أن توجهني بكلام لسيدي محمد بن الهاشمي رضي الله عنه فأرني من نفسك شيئاً من أخلاقه، لأن الإمام الهاشمي على غزارة علومه ما عرف وما اشتهر بين العلماء والصلحاء والأولياء في عصره إلا بأخلاقه وآدابه ... لم يشتهر بالتصنع في الكلام ... بل كان مظهراً نبوياً محمدياً ... وبمثل هذه الشخصيات الحية نفتدي وبمثلهم نتشبه:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

وقد قيل:

موت التقى حياة لا انقطاع لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء

مصادر الترجمة:

- حقائق عن التصوف للشيخ عبد القادر عيسى.
- غرر الشام في تراجم آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم.
- مشافهة إمام أهل السنة والجماعة الشيخ عبد الرحمن الشاغوري.
- مشافهة الشيخ أسامة الرفاعي ١٩٨٥.
- رحمه الله ورحم أشياخه ومحبيهم والمنتسبين إليهم آمين. وجمعنا الله معهم في أعلى عليين.

الحذر من إيذاء سيد البشر صلى الله عليه وسلم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنَّ محبة النبي صلى الله عليه وسلم أصل من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، فعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » (صحيح البخاري [١٥])، ويقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

هل سمعتم الآية، والآية تنبه وتقيم الحجة والدليل على وجوب محبته وفرضيتها لهذا النبي وتنبيهها ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ هدد الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله".

ومن ثم عظمت هذه الأمة مكانة نبيها وحببيها صلى الله عليه وسلم، وراعت حرمة في حياته وبعد مماته، واجتمعت كلمتها على أن الانتقاص منه أو سبه كُفر بواح، وجريمة عظمى.

فقد "أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله صلى الله عليه وسلم، أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل، أنه كافر بذلك وإن كان مُؤمراً بكل ما أنزل الله". هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قولٌ وعمل".

إن عدم احترام النبي صلى الله عليه وسلم أو تنقيصه صلى الله عليه وسلم، والاستخفاف أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله، وقد قال تعالى في الذين استهزءوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وسخروا منه في غزوة تبوك: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ (أَي نَتَسَلَّى) قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة منالآيتين: ٦٥-٦٦].

ومن ثم أرسل الله عز وجل تحذيراً شديداً من إيذاء سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم بأي صورة من صور الإيذاء، فقال تعالى مخاطباً المؤمنين:

{ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ } [الأحزاب من الآية: ٥٣]،

وقال مخاطباً المنافقين: { وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ (ليتجسس ويطلب أخبارنا) خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَنْ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [التوبة: ٦١].

وجعل الله إيذاء رسوله صلى الله عليه وسلم إيذاءً له سبحانه فقال: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً } [الأحزاب: ٥٧]، بل نهى الله المؤمنين عن مجرد رفع أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم لأن رفع الصوت فيه إشعار بالاستخفاف، فجعله الله محبطاً للعمل وإن لم يشعر صاحبه بذلك، فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [الحجرات: ٢]، فكيف بمن يصرح بسبه أو الانتقاص منه؟!

إن التاريخ ليشهد منذ بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كثير من المواقف والأحداث أن الله تعالى تكفل بالانتقام لنبيه صلى الله عليه وسلم، وممن استهزأ به، فتعالوا أستعرض لكم بعض تلك الأحداث التاريخية.

فعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال:

"كان رجلٌ نصرانيًّا فأسلم، وقرأ البقرة، وآل عمران، فكان يَكْتُبُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فعاد (فارتد) نصرانيًّا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبتُ له،

فزِلقت رجله وسقط فِدقت عنقه

أما لله الله فدفنوه، فأصبح وقد لَفِظَتْهُ الأرضُ! إن الأرض رفضت أن تقبل في بطنها من استهزأ برسول الله فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه لَمَّا هربَ منهم، نَبَشُوا عن صاحبنا فأخرجوه. فحفروا له فأعمقوا، فأصبحوا وقد لَفِظَتْهُ الأرضُ! فقالوا: هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه، نَبَشُوا عن صاحبنا لما هربَ منهم فأخرجوه.

فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا، فأصبحوا وقد أفضت الأرض، فعلموا أنه ليس من فعل الناس فتركوه (تأكله السباع والكلاب) (صحيح البخاري [٣٦١٧]).

" أن هذه عقوبة من استهزأ بالنبي عقوبة خاصة لأن الموتى الذين يموتون لا يفعل الله بهم ذلك ".

أما قصة كسرى وقيصر فمشهورة مع النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بالتأمل والتفكير، فقد كتب إليهما النبي صلى الله عليه وسلم فامتنع كلاهما عن الإسلام، لكن قيصر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأكرم رسوله، فثبت الله ملكه، وكسرى مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستهزأ به فقتله الله بعد قليل بيد ولده، ومزق ملكه كل ممزق، ولم يبق للأكاسرة ملك. (إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده).

قال الله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر من الآية: ٣١].

وما زالت الإساءات للنبي صلى الله عليه وسلم مستمرة، ولن تنتهي طالما كان هناك من يبغض الإسلام ويحقد على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. ألم يحدث في بلادكم أن امرأة سبت النبي علانية، ألم تسمعوا بها، لكنني أرفع رأسي عالياً بدولة الباكستان.

الباكستان بمفردها أعلنت في قوانينها أن من سب النبي فإنه حكمه الإعدام، ارفعوا رأسكم عالياً ببلدكم.

لما حاصر المسلمون الروم، قالوا: كنا نحن نحاصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا، حتى نكاد نياس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم والوقعة في عرضه (وسب أهل بيته في عرضه) عرفنا أن الله قد أذن لنا بفتحه، ولم يكذب تأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة ".

إن في أحداث التاريخ منذ بعثته صلى الله عليه وسلم من المواقف والعبر ما يؤكد على أن الله عز وجل يدافع عن نبيه صلى الله عليه وسلم ويكفيه ممن يؤذيه، وهذا ماضٍ إلى قيام الساعة دائماً وأبداً، مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: ٩٥].

الآن آتي إلى موضوع مهم وهو موضوع والدي الرسول صلى الله عليه وسلم فإن فريقاً من الغرقى ادعوا أن والدي النبي في النار. ولكن عقيدة الأشاعرة وبعض الحنفية يدافعون عن أنهما ناجيان يوم القيامة وليساً من أهل النار.

وقد صرح بذلك جمع من العلماء، وصنف العلماء المصنفات في بيان ذلك، منها: رسالتا الإمام السيوطي "مسالك الحنفا في نجاة والدَي المصطفى" و"التعظيم والمِنَّة بأنَّ والدَي المصطفى في الجنة". وبينوا أن الله تعالى ذكر في كتابه آية تدل على ذلك. وهي قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا).

فسمي العرب الذين كانوا بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد بأهل الفترة. فوالدي النبي ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها على من مات، لأن مَنْ مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً.

الإمام الطبري أورد في تفسيره عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال في تفسير قوله تعالى: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } [الضحى: ٥]، قال: "مِنْ رِضَا مُحَمَّد -صلى الله عليه وآله وسلم- أَنْ لَا يَدْخُلَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النَّارَ". هذا أولاً.

ثانياً:

الدليل على أنهما ناجيان؛ لأنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية دين جدّهما إبراهيم -عليه السلام-، ولقد ذهب إلى هذا القول جمعٌ من العلماء منهم الفخر الرازي في كتابه "أسرار التنزيل".

إن آية من كتاب الله عظيمة تشير إلى عظمة آباء النبي وإيمانهم بالحنيفية دين سيدنا إبراهيم

وهي قوله تعالى: { الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ }. [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩]،

أي أنه -صلى الله عليه وآله وسلم- كان يتقلب في أصلاب الساجدين المؤمنين مما يدل على أن آباءه لم يكونوا مشركين، قال الرازي: "قال -صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَمْ أَزَلْ أُنْقَلْ مِنْ أَصْلَابِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ))"،

وقال تعالى: { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ }. [التوبة: ٢٨]، فوجب ألا يكون أحدٌ من أجداده -صلى الله عليه وآله وسلم- مشركاً".

ثالثاً:

هناك حديث ضعيف الإسناد يذكر نجاة والدي الرسول، بأن الله تعالى أحياهما له -صلى الله عليه وآله وسلم- حتى آمنا به، ومال الى هذا المسلك طائفة كثيرة من حفاظ المحدثين وغيرهم، منهم: الخطيب البغدادي والمحب الطبري والقرطبي، واحتجوا بأحاديث ضعيفة، ولكنها ترقى إلى الحسن بمجموع طرقها.

ماذا نستفيد من قولنا إن أباهما في النار إلا قلة الأدب مع النبي، وهل النبي يشفع لجميع المؤمنين وتكبير الكبائر ولا يشفع لوالديه، إن هذا يؤذي رسول الله.

أتعرفون ماذا قال القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية سئل عن رجل قال: إنَّ أبا النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في النار، فأجاب بأن مَنْ قال ذلك فهو ملعون؛ لقوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا }. [الأحزاب: ٥٧].

قال: "ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار".

والفقير أوجه كلامي إلى الوهابية هل جعلكم الله على أبواب الجنة والنار تدخلون

من تشاؤون إليهما وتمنعون من تشاؤون

اتقوا الله في نبيكم صلى الله عليه وسلم.

إننا نقول بنجاة أبويه صلى الله عليه وسلم سواء آمنا به أو أنهما من أهل الفترة بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد.

صلوا عليه وسلموا تسليماً

الدفاع عن النبي وفداؤه بأرواح الصحابة

كان النصر للمسلمين في بدر أقلق اليهود فقال حقيرهم كعب بن الأشرف:

— والله إن كان محمد أصاب قريشاً لبطن الأرض خير من ظهرها.

وانبعث عدو الله يهجو رسول الله ويؤذي نساء الصحابة بحقارة لسانه. فقال رسول الله: من لكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله.

فقال محمد بن سلمة: أنا يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال: نعم.

فخرج مع مجموعة من الصحابة دفاعاً عن رسول الله ونصرة الإسلام حتى أتوا عدو الله فتحاملوا عليه فقتلوه، فلما أتوا برأسه إلى رسول الله كبر وكبر المسلمون (فكبروا أنتم) وحمد الله على قتله وقال: (**أفلحت الوجوه**). (خ).

وجمعت قريش قوتها لتنتقم من يوم بدر، وأتوا بثلاثة أضعاف جيش المسلمين على خيولهم وجمالهم فكانت وقعة أحد وانحصر المسلمون بين جيش قريش وجيش خالد بن الوليد.

ونجا رسول الله وليس معه إلا تسعة نفر، فأحاط به المشركون من كل مكان يريدون القضاء عليه، فأصيب بالحجارة حتى وقع، وكسرت سنه، وجرح في وجهه ورأسه، وجرحت شفته، وجعل يمسح الدم وهو يقول: (**كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم**). (خ).

واحتدم القتال وأحاط المحبون بالنبي الأعظم، وجمعوا بين الحب والشجاعة، وتفانوا بالدفاع عنه ومرافقته في أعلى الجنان. (م) وقال سيدنا رسول الله: (**من يردهم عنا وله الجنة؟**) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، وتبعه آخر فقتل حتى قتل سبعة، فلم يبق إلا سيدنا رسول الله وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص، واشتدت المعركة وأنزل الله نصره بالغيب (ق) عن سيدنا سعد: (رأيت رسول الله يوم أحد، ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد وما كانا إلا جبريل وميكائيل).

ثم اجتمع المسلمون حول رسول الله وبدأوا بحمايته كل بنفسه فهذا سيدنا طلحة بن عبيد الله وقى رسول الله بنفسه واتقى النبل عنه بيده فشلت أصبعه وضرب الضربة في رأسه وأصيب ببضعة وثلاثين طعنة وضربة ورمية بسهم.

وانحنى عليه أبو دجانة يحميه من وقع السهام والنبال حتى كثر آثارها على ظهره، ومَصَّ مالك بن سنان الدم عن وجه رسول الله وبلعه فقال رسول الله: **(من مسّ دمي دمه لم تصبه النار)**. (م).

وسحب سيدنا أبو عبيدة الدرع بأسنانه بعد أن دخل في وجنتي سيدنا رسول الله فانكسرت سنّين له ثم سحبه بدون أن يؤذي رسول الله. وهكذا تسابق الصحابة في الدفاع عن نبيهم وحبّيبهم فكانت العاقبة جنة الخلد وملك لا يبلى.

{ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً }.

وتنادى الكفار يوم أحد قتل محمد، فخرجت امرأة تبحث عن سيدنا رسول الله فإذا بها ترى ولدها قتل فتقول: أين رسول الله، وترى زوجها قد قتل وأبيها قد قتل حتى وصلت إلى مؤخرة الجيش فرأت رسول الله فقالت: أنت حي لا أبالي إذا سلمت بمن قتل.

لقد بلغ حب الصحابة لنبي والدفاع عنه أن أحدهم قدم جمجمته فداء لنبيه فماذا قدمنا؟! نحن وقد تعرض عرض النبي للاستهزاء وشخصه الكريم للازدراء، فما واجبنا كمسلمين للدفاع عن سيد المرسلين وإمام النبيين، إن واجبنا أن نفديه بأرواحنا فنحن اليوم نمثل خمس سكان العالم فأين القلة، ونملك ما لا يملكه أعداؤنا من المال فأين الفاقة، ولولا قول الله تعالى **{ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً }** لهلكنا.

جالدوا أعداءكم فلن يرضوا عنا حتى نصم الآذان ونطمس الأعين ونخرس الألسن ونتبع دينهم، وهيهات أن يتحقق الأعداء منا ذلك!! لقد كان الصحابة أعظم الناس حباً لنبيهم وأشد الخلق دفاعاً عنه.

سيدنا الصديق رأى عقبة بن أبي معيط أحد رؤوس الكفر يتجه صوب سيدنا رسول الله وهو يصلي فرآه يخلع ثوبه ويضعه حول عنق رسول الله ليخنقه فانطلق كالسهم تجاه هذا الكافر ثم أخذ بمنكبه ورفعته رفعة شديدة ونجا رسول الله من كيده وراح يصرخ فيه **{ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم**

بالبينات من ربكم } غافر ٢٨ فأنزلها الله في كتابه تخليداً لدفاع الصديق عن رسول الله.

أيها المسلمون:

إن خذلتكم رسول الله ولم تنصروه فاعلموا أن الله ناصره لا محالة { إلا تنصروه فقد نصره الله } وستبقى عليكم تبعة الخذلان عبر القرون وتالله لتخشون إيقاع العقوبة الإلهية والنقمة الربانية.

حان الوقت لتعلنوا للعالم بأسره أننا أمة محمد بحق ندافع عن ديننا ونبينا. لقد دافع سيدنا حسان في شعره عن سيدنا رسول الله ودم من آذاه وهجاه فقال: هجوتَ محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

هجوتَ محمداً براً رحيماً رسولَ الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمدٍ منكم وقاءً

تجرات صحف الغرب الكافر على الاستهزاء برسول الله فلم يفق المسلمون بعد الدانمارك والنرويج وفرنسا، خسؤوا والله ولقد قامت مجموعة من المسلمين في الدانمارك فقتلوا من أسأؤوا لرسول الله وانتقموا لرسول الله فقولوا الله أكبر. وإليكم هذا المشهد المليء بالحب للنبي، مرة جاء رجل إلى النبي فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من ولدي وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى أتني فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك.

فلم يرد عليه سيدنا النبي شيئاً حتى نزل جبريل بقول الله تعالى: { ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا }. النساء ٢٦ الطبراني عند عائشة (مجمع الزوائد ١٠/٧).

لبيك لبيك يا رسول الله من يبايع على طاعة الله ورسوله والطريقة القادرية.....

العلامة محمد أختَر رضا خان

سأحدثكم عن شمس كانت إذا طلعت في أية مدينة أو حفلة أو ندوة علمية اختفت نجوم اهل العلم أمامها وخشعت شخصياتهم لهيبتها .

إنه إمامنا وشيخنا الإمام العلامة محمد أختَر رضا خان رحمه الله القاضي مفتي الديار الهندية وإمام أهل السنة في الهند الذي توفي عن عمر ناهز ٧٥ عامًا.

والعلامة الراحل كان خريجًا لجامعة الأزهر الشريف عام ١٩٦٦م، وهو من بيت عامر بالعلم والعلماء المعروفين في القارة الهندية منذ أكثر من ٢٠٠ سنة.

ولد قاضي قضاة الهند الشيخ الإمام تاج الشريعة محمد أختَر رضا خان الحنفي القادري الأزهري يوم الاثنين ٢٦ من شهر محرم لعام ١٣٦٢هـ الموافق ٢ من شهر فبراير لعام ١٩٤٣م بمدينة بريلي في شمال الهند.

والإمام الراحل هو ابن حفيد الشيخ الإمام المجدد لأوائل القرن الرابع عشر الهجري، سيدي أحمد رضا خان الحنفي البريلوي، فهو ابن الشيخ المفسر الأعظم بالهند الشيخ إبراهيم رضا (المكنى جيلاني ميان) ابن حجة الإسلام الشيخ محمد حامد رضا ابن الإمام الشيخ أحمد رضا خان الحنفي البريلوي، .

ومن جهة والدته: فإن جده من والدته هو المفتي الأعظم بالهند الشيخ محمد مصطفى رضا خان القادري الحنفي البركاتي، ابن الشيخ أحمد رضا خان الحنفي البريلوي.

نشأته وتعلمه العلوم وأساتذته:

وبحسب سيرته المنشورة فقد أخذ الشيخ الراحل رحمه الله الدروس الأولية والعلوم الابتدائية العقلية والدينية عن العلماء الأكابر المعروفين في وقته، وعن والده الشيخ إبراهيم وجده من والدته الشيخ محمد مصطفى رضا، وحصل على شهادة خريج العلوم الدينية من دار العلوم منظر الإسلام بمسقط رأسه مدينة بريلي، ثم أكمل رحمه الله تعليمه في جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة في الفترة ما بين ١٩٦٣م إلى ١٩٦٦م درس فيها العلوم المتداولة من التفسير، الحديث، اللغة العربية، وبرع بها والفلسفة الإسلامية وغيره من العلوم وتخصص في الحديث وتخرج من كلية أصول الدين بارعا في الأحاديث وعلومها ومتضلعا بها.

حياته العملية والعلمية:

بعد عودته رحمه الله من القاهرة إلى الهند، انخرط في التدريس بدار العلوم منظر الإسلام.

ولما رأى جده لأمه همته العالية وعلمه ودعوته أجازته واستخلفه. فأسس بعد فترة دار الإفتاء بعد أخذ الإجازة من مرشده و معلمه المفتي الأعظم بالهند الشيخ محمد مصطفى رضا خان المتوفى سنة ١٤٠٢ هـ، وترك التدريس بدار العلوم منظر الإسلام.

وبنى بعد وفاة جده جامعته ومركز الدراسات العلمية. وقضى شطر عمره في عدة ملتقيات علمية وندوات فقهية وظهر فيها كالبدر بين كواكب العلماء وأذعنوا له واعترفوا بفضلته.

وقد برع الشيخ في الإفتاء وحلّ المسائل المعقدة المتعلقة بالفقه، ورد على الفرق الضالة وأقام الحجة عليها. ولا غرو في ذلك لتعلم الشيخ حفظه الله الطريقة على يد أستاذه عن جده الشيخ أحمد رضا.

وكان الشيخ رحمه الله كثير السفر لنشر الدين والتوعية الفكرية والعقدية، إذ رحل في أنحاء الأرض في سبيل الدعوة لتكون كلمة الله هي العليا.

وأسلم على يديه كثيرون من الذين كانوا يتيهون في أودية الكفر وصدق فيه قول سيدنا رسول الله: (لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم).

وأذكر أن شيخنا زارنا في دمشق سنة ٢٠٠٨ واستقبله العلماء والشيوخ وأساتذة الجامعات والمفتون وطائفة كبيرة من الدعاة امتلأ بهم المكان وصنع لهم مأدبة عظيمة وألقى الكلمات والأشعار

في الترحيب به .

وجرت كرامة للشيخ اختر عظمة إذ كان حضوره في الشهر الأشد حرارة في الشام وهو شهر آب فتحركت الرياح واعتدل الجو وماهي إلا سحابة امطرت على الشام وعجب الناس كيف ينزل المطر في هذا الشهر من السنة فأقبلوا على الشيخ يتبركون به ويقبلون يده ويطلبون منه الإجازات وخاصة عندما تكشف لهم قلبه المليء بحب رسول الله والمتخلق بأخلاقه.

وكانت ساعات من العمر النادرة.

ثم زار الأولياء وضريح الإمام ابن عربي والإمام عبد الغني النابلسي. وحين غادر دمشق ودعه الطلاب من باكستان والعرب من داخل دمشق في المطار وكأنهم فقدوا أبا لهم من شدة التأثر. وله تلامذة ومحبون منتشرون ليس في الهند فحسب بل في سائر المعمورة، ويعتبر سماحته المربي لهم، وهم ينهلون من علمه ومكانته الروحانية، وقد أُعطي الشيخ لقب تاج الشريعة من قِبَل كبار العلماء. كما أن الشيخ الراحل محمد أختَر رضا خان رحمه الله كان بارعاً في كتابه الشعر والمناجيات وإلقائها في المحافل والمناسبات، كان أمة في رجل اكتسب احترام جميع فئات وطبقات الأمة حتى أجمعت على حبه.

وقد تم نشر ديوانه المسمى: "نغمات أختَر" ولاحقاً ديوانه باسم: "سفينة بخشش" بمعنى (سفينة العفو) عام ١٩٨٦م، وتم إصدار طبعة جديدة ومنقحة في أوائل سنة ٢٠٠٦م، والديوان يشتمل على مدائح الشيخ باللغتين العربية والأردية، كما توجد مدائح وقصائد للشيخ لم تنتشر بعد. كما أن له مؤلفات كثيرة باللغات الأوردية والعربية وترجم بعضها إلى الإنجليزية ، منها التعليق على البخاري وحكم التصوير وعمليات الفيديو والحق المبين بشمول الإسلام لأصول الرسول الكرام – صيانة القبور قوارع القهار على المجسمة انفجار – الصحابة نجوم الاهتداء بشرح على البردة للبوصيري. وهذا غير الفتاوى التي بلغت خمسة آلاف فتوى أو يزيد. وقد طبعت في مركز الدراسات الإسلامية جامعة الرضا.

وبعد أن قضى حياته مليئة بالأعمال الجليلة والتأليف النافعة ودافع عن الحق ولم يخف في لومة لائم دعاه مولانا عز وجل إلى رحمته يوم الجمعة ٢٠ يوليو ٢٠١٨ فارتحل إلى جوار ربه عن عمر يناهز الخامسة والسبعين .

وكان لوفاته أثر بالغ في محبيه وتلامذته وخلفائه حتى أحصى الإعلام عدد الذين خرجوا في جنازته فبلغوا ٣٠ مليون وأقيمت صلاة الجنازة الغائب على روحه في المدن التي زارها ومنها دمشق والقاهرة في مسجد الإمام الحسين وعم الحزن

الايوساط الدعوية في العالم الإسلامي والغربي في الهند وخارجها وأصبحت الامة
بفقدته يتيمة في شرقها وغربها.
قضى حياته في الرد على الفرق الضالة القاديانية والبهائية والوهابية والديوبندية
خصوصاً في القارة الهندية.
ومن مؤلفاته رحمه الله تعالى:

- ١- الدفاع عن كنز الإيمان: جزآن.
 - ٢- حكم التصوير وعمليات التلفزيون والفيديو.
 - ٣- الحق المبين.
 - ٤- شمول الإسلام لأصول الرسول الكرام.
 - ٥- تحقيق أن سيدنا أبا إبراهيم تارح لا آزر.
 - ٦- أزهر الفتاوى. خمس مجلدات
 - ٧- حاشية على صحيح البخاري
 - ٨- صيانة القبور.
 - ٩- مرآة النجدية.
 - ١٠- قوارع القهار على المجسمة الفجار.
 - ١١- الصحابة نجوم الاهتداء
 - ١٢- حاجز البحرين الواقى عن جمع الصلاتين.
 - ١٣- الفردة في شرح قصيدة البردة.
 - ١٤- مجموع فتاوى الشيخ المواهب الرضوية في الفتاوى الأزهرية.
- كانت دار الفتوى التي أسسها بمدينة بريلي تعد دار الفتوى العالمية على طريقة
أهل السنة والجماعة.
ومن عظيم مكانته انه كان بارعا باللغتين العربية والانكليزية بالإضافة الى
الاوردية.
رحم الله شيخنا ورفع قدره عنده واخلف على المسلمين خلفا مثله.

الكرامة

أفضل الخلق على الإطلاق الرسل ثم الأنبياء ثم رؤساء الملائكة
ثم أصحاب رسول الله ثم التابعون ثم تابع التابعين.
وهناك طبقة من الطبقات ميزها القرآن ونبي الإسلام وأعطاه أوسمة ومكانة بين
رجال الأمة. وهم الذين قال الله فيهم:

{ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون }

لا خوف عليهم فيما يستقبلون بعد موتهم من أهوال القيامة.
ولا هم يحزنون على من تركوا من أهلهم وأحبابهم بعد أن يرحلوا عن هذه الدنيا.
من هم ؟ الذين آمنوا وكانوا يتقون.
فالأولياء قسمان أو لك أن تقول: الولاية قسمان:
ولاية عامة – وولاية خاصة.

الولاية العامة كل مؤمن تقى ولي الله تعالى
الولاية الخاصة اصطفاء من الله تعالى لأشرف أحبابه وخلص أهل الإيمان الفرق
بينهم وبين القسم الأول أن الله أيدهم بالكرامات ليبين للناس مكانتهم عنده. فتعالوا
أستعرض لكم بعضاً من هذه الطبقة في القرآن الكريم آيات تحدثت عن هؤلاء.
١ - قال الله تعالى عن السيدة مريم نبيه بإجماع العلماء، بل كانت ولية صديقة
(وأمة صديقة) اسمعوا ماذا قال الله عنها، قال:

**{ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنى لك
هذا، قالت هو من عند الله }. وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة
الشتاء في الصيف.**

٢ - من الآيات قصة صاحب سيدنا سليمان حيث قال له: **{ أنا آتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك }.**

٣ - وفي القرآن قصة أهل الكهف وما اشتملت عليه من خوارق العادات ولم
يكونوا أنبياء بالإجماع.
هذا في القرآن لا شك فيه ولا ريب.

٤- أما الأحاديث فكثيرة منها في البخاري أن سيدنا عباد بن بشر والسيد بن خضير كانا عند النبي فخرجا في ظلمة الليل وأعطى لكل واحد منهما غصن شجرة أضاء لهما الطريق حتى أتيا أهلهما.

٥- وحديث البخاري مسلم في أصحاب الغار الثلاثة الذين آووا إلى الغار في المطر فأطبقت عليهم صخرة سدت باب الغار فدعا كل واحد منهم بدعوة فانفرت عنهم الصخرة.

٦- وحديث الراهب جريح جيء بولد وقالوا له هذا ابنك فنكز الصبي الرضيع بأصبعه وسأله من أبوك فأنطقه الله وقال أبي الراعي فلان، وهو في الصحيح وكان سيدنا عمر من أولياء عصره محدث ملهم كما قال صلى الله عليه وسلم.....

٧- في صحيح البخاري أسروا سيدنا حُبَيْباً بن زيد وسجنوه فكانوا يدخلون عليه في الشتاء في مكة فيرووه وهو ممسك بقطف من العنب يأكله وما في مكة عنب واحدة. بل كرامة كرمه الله بها.

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية

أهل السُّنة والجماعة هم أكبر مجموعة دينية من المسلمين في معظم الفترات من تاريخ الإسلام، وينتسب إليهم غالبية المسلمين، ويُعرَّف بهم علماءهم أنهم هم المجتمعون على اتباع منهج السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين وأئمة الدين من الصحابة والتابعين وأصحاب المذاهب الفقهية المعتمدة من فقهاء أهل الرأي وأهل الحديث، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم وأخذ عنهم طريقتهم بالنقل والإسناد المتصل.

ولم تكن هذه التسمية مصطلحاً متعارفاً عليه في بداية التاريخ الإسلامي حيث لم يكن هناك انقسام ولا تفرق، وإنما ظهرت هذه التسمية تدريجياً بسبب ظهور الفرق المنشقة عن جماعة المسلمين تحت مسميات مختلفة، الخوارج، الشيعة....

وكان لقب أهل السنة يطلق على أهل العلم من أئمة الصحابة ومن تبع طريقتهم المملوكة.

فالأئمة في الدين من الصحابة ومن تبعهم بإحسان هم أهل السنة أي: أصحاب الطريقة المتبعة في الدين باعتبار أن طريقتهم التي كانوا عليها قائمة على اتباع منهاج الهدي النبوي حيث نقلوا علم الدين بعمومه، واستند عليه علمهم فيما بينوه وفيما استنبطوه وفق أصول الشريعة.

كان علماء الصحابة في صدر الإسلام يسمونهم القراء لقراءتهم القرآن وعلمهم في الدين،

ثم لما تمكن الفقه وكمل وصار علما بدلوا باسم الفقهاء والعلماء بدلا من القراء، وانتقل علم الصحابة إلى التابعين وأخذ عنهم الأئمة من بعدهم، ثم انقسم الفقه فيهم إلى:

طريقة أهل الرأي في العراق ويرأسهم الامام أبو حنيفة النعمان، وطريقة أهل الحديث في الحجاز وإمامهم مالك بن أنس والامام الشافعي من بعده.

بعد القرن الهجري الثاني:

انقسم الناس الى ثلاث فرق في العقيدة

١ - جماعة من السلف تعلقوا بظواهر نصوص متشابهة وبالغوا في إثبات الصفات فوقها في التجسيم،

٢ - وبالمقابل فإن المعتزلة بالغوا في التنزيه فأنكروا صفات ثابتة لله تعالى.

٣ - والفرقة الثالثة هم أهل السنة فكان منهم جماعة مثل: أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني وآخرون أخذوا بمنهج المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث كمالك بن أنس وغيره فقالوا في النصوص المتشابهة: نؤمن بها كما هي ولا نتعرض لتأويلها، وكان جماعة من أهل السنة في عصر السلف أيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية.

بعد حدوث بدعة المعتزلة والمشبهة وغيرها وانتشار مقولاتهم في أواخر عصر السلف اتى القرن الرابع الهجري حيث قام الإمام أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي بإيضاح عقائد السلف من أهل السنة ودفع الشبه عنها وتأييدها بالأدلة العقلية والنقلية بمناهج كلامية وكتبنا عن مقالات الفرق، هنا تمايزت هذه الفرق التي كتب العلماء عنها في "كتب الفرق" جلها في القرن الرابع الهجري ومنهم الامام عبد القاهر البغدادي من فقهاء المذهب الشافعي في كتابه: "الفرق بين الفرق"، ذكر فيه أهل السنة والجماعة هي الفرقة الثالثة والسبعون وأنهم جماعة واحدة من فريقَي الرأي والحديث، وكلهم متفقون على قول واحد في أصول الدين، وكانت التسمية تطلق على أهل السنة والجماعة تمييزا لهم عن الخوارج والمعتزلة والمجسمة وفرق التشيع وغيرها من الفرق.

تعالوا الآن لنتعرف على معنى العبارة اهل السنة والجماعة:

والسُّنة لغةً: الطريقة والسيرة، وتكون بمعنى الطريقة المسلوكة في الدين، أو في مقابل البدعة،

وسنة الرسول منهج لكل المسلمين، فهو إمام الأمة وأولى الناس بأمرته ومعلمهم الأول، والمقصود بالسنة التي دلت نصوص الشرع على لزومها ووجوب اتباعها هي الطريقة النبوية «طريقة النبي صلى الله عليه وسلم»

وسنته طريقته في الدين وسبيله إلى الله وعلمه ومنهجه وهديه الذي كان عليه هو وأصحابه، فإنهم أخذوا عنه علم الدين واهتدوا بهديه وكانوا من بعده قدوة للأمة، فالسنة هي الطريقة المسلوكة في الدين التي كان عليها هو وأصحابه والخلفاء الراشدون من بعده في الهدى والعلم والعمل والاعتقاد، وهذه الطريقة عند أئمة أهل السنة والجماعة هي المثال المتبع في الدين، الذي كان عليه الخلفاء

الراشدون وأئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، فيشمل سنة الخلفاء الراشدين ومن سار سيرتهم من أئمة الإسلام المجتهدين في الأحكام والعقيدة.

قال الله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله.. الآية) وقال تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم.. الآية).

وأما كلمة الجماعة في هذه التسمية فتشير إلى جماعة أهل السنة والجماعة من معنى الاجتماع على هذه الطريقة.

اجتمعوا على هذه الأحكام والعقائد ورضوا بها ودافعوا عنها لذلك سموها بالجماعة. وقد جاء في الحديث الأمر باتباع السنة واجتناب البدعة، (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...)

وأهل السنة والجماعة يفسرون البدعة بمعناها الشرعي بأنها البدعة في الدين التي لا أصل لها في الشريعة، وهي التي ورد في الشرع ذمها ووصف صاحبها بالضلال والموعود عليها بالنار، وهي عندهم تشمل صنوف البدع التي استحدثتها الفرق التي ظهرت في العصور المتقدمة من التاريخ الإسلامي، مثل: بدع الخوارج ومن تبعهم والقدريّة والمجسمة وغيرهم، وكانت أول بدعة ظهرت في الإسلام فتنة الخوارج الذين انشقوا عن جماعة المسلمين وأعلنوا خروجهم عن سيدنا علي بن أبي طالب، وغالوا في الوعيد فقالوا بتكفير العصاة وتخليدهم في النار، واتخذوا من تكفير المسلمين مبررا للخروج على ولادة الأمر واستباحوا بذلك دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم بغير حق، وقصروا الإيمان على جماعتهم، وتشعبت منهم فرق كثيرة.

وأريد أن أوكد لكم أن أهل السنة والجماعة هم السواد الأعظم من أهل العلم الشرعي أصحاب المذاهب الفقهية الأئمة المجتهدون وعلماء الشريعة عبر التاريخ الإسلامي، ويدخل فيهم من سواهم ممن تبعهم ووافقهم من المسلمين، ولعل سائلا منكم يسأل ما الذي تميز به أهل السنة والجماعة حتى يكونوا هم الفرقة الناجية يوم القيامة؟؟ سؤال وجيه.

الا فلتعلموا ايها السادة أن أئمتنا المتقدمين قد اتفقوا على قول واحد في أصول الاعتقاد، عقيدتهم واحدة حب القرابة واحترام الصحابة.

٢ - وعلى صحة خلافة الخلفاء الأربعة الأوائل: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي،
٣ - يؤمنون بعدالة كل الصحابة وبوجوب السكوت عما جرى بين الصحابة، وإثبات أجر الاجتهاد لهم،

٥ - واتفقوا على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور وعدم جواز الخروج عليهم. وإن كانوا عصاة، قال النووي: «وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين.

٦- أهل السنة والجماعة * يَحْتُون على زيارة القبور؛ لأنها تُذكر بالآخرة، وللسلام على أهلها، والدُّعاء لهم

(٧) أهل السنة والجماعة * يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَلَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْفِتْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكِبَائِرِ كَالْخَوَارِجِ وَالْوَهَابِيَّةِ.

(٨) أهل السنة والجماعة لَا يُكْفَرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنَ الْفِرْقِ الْأُخْرَى لِمَجَرَّدِ مَخَالَفَتِهِمْ لَهُمْ، مَا عدا الْفِرْقَ الَّتِي اجْتَمَعَتْ عَلَى أُصُولِ كُفْرِيَّةٍ، كَالْقَاضِيَانِيَّةِ وَالْبَهَائِيَّةِ.

(٩) أهل السنة والجماعة * يَتَبَرَّؤُونَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُلْحِدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ، وَيُعَادُونَهُمْ وَيُبَغِضُونَهُمْ، وَيُحِبُّونَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُؤَالُونَهُمْ وَيَنْصُرُونَهُمْ بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

١٠ - أهل السنة والجماعة يُحِبُّونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَرَوْنَ أَنَّ كُلَّهُمْ عُدُولٌ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ بِحُبِّهِمْ وَحُبِّ آلِ بَيْتِهِ وَزَوْجَاتِهِ أُمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَتَبَرَّؤُونَ مِمَّنْ يَسُبُّهُمْ وَيُعَادِيهِمْ، وَيَتَبَرَّؤُونَ كَذَلِكَ مِمَّنْ يُغَالِي فِيهِمْ وَيَرْفَعُهُمْ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الْبَشَرِ أَوْ يَقُولُ بِعَصْمَتِهِمْ.

١١ - أهل السنة والجماعة يَأْخُذُونَ فِي الْفِقْهِ بِالْإِجْمَاعِ وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ وَيَعْتَبِرُونَ بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، وَيَتَّبِعُونَ أَكْبَارَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، مِثْلَ: أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْأَئِمَّةِ الْمَنْبُوعِينَ الْمُتَّبَعِينَ لِلْسُّنَّةِ وَالْمَشْهُورِينَ بِالْخَيْرِ فِي الْأُمَّةِ.

- ١٢ - أهل السنة والجماعة؛ المسلمون عندهم سواء من حيث التكاليف الشرعية، وليس عندهم احد سقطت عنه التكاليف مدعيا انه وصل الى الله تعالى.
- ١٣ - أهل السنة والجماعة هم أهل التوسط والاعتدال في كل شيء؛ فهم وسط بين الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط، والتيسير والتشديد.
- هؤلاء هم الذين اخبر عنهم نبينا صلوات الله عليه انهم الفرقة الناجية يوم القيامة.
- باختصار هم أتباع المذاهب الأربعة في الفقه واتباع الامام ابي الحسن الاشعري والامام ابي منصور الماتريدي في العقيدة.

أهمية تعليم المرأة

أشكر لكن حضوركن لهذه الجلسة العلمية وهذا إن دل على شيء فيدل على أهمية العلم والتعليم عند المرأة .

المرأة يا أخوات نصف المجتمع لأن المجتمع يتألف من رجل وامرأة
المرأة هي النواة الأساسية لكل أسرة ومجتمع ..
لذلك من الضروري أن تكون متعلمة لا جاهلة.

لذلك اليوم العالم مهتم جدا بتعليم المرأة لأنه يزيد المجتمع الإسلامي قوة وتطوراً
ويساهم في بناء المجتمع.

لكن بعض الأسر اليوم تفضل الذكر على الأنثى وتهتم بتعليم الأولاد على البنات
وتخاف على الفتاة من الاختلاط بالشباب لذلك تقوم بعض المجتمعات بتزويج
المرأة باكراً.

وهذا خطأ واضح لأن الأم المتعلمة المتمسكة بالأخلاق تغرس العلم في أولادها.
والمرأة هي أول ملقن للطفل لدروس الحياة.

كيف تلقن أولادها العلم اذا كانت جاهلة؟؟!.

هي المعلم الأول فيجب أن نعتني بتعليمها أحكام الدين والعمل به.

لا ينبغي للعادات والتقاليد أن تكون ضحيتها المرأة ويحصر دورها في الزواج
والإنجاب فقط.

تعالين معي لنرى كيف كانت الصحابييات زمن سيدنا رسول الله
وخاصة أمهات المؤمنين وعددهن إحدى عشرة امرأة.

يا أخوات:

كان لأمهات المؤمنين دور أساسي في تبليغ الدعوة للنساء.

فقد كانت النساء يخجلن من سؤال رسول الله عن أمورهن الخاصة فيأتين إلى
أمهات المؤمنين فيتعلمن منهن الأحكام والأحاديث والفقه والشريعة حتى قال
رسول الله: (**خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء**) وكانت شقراء رضي الله
عنها.

خصوصاً السيدة عائشة رضي الله عنها

السيدة عائشة هي المعلمة الأولى للصحابيات بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإليكن هذا المشهد

عندما أتت إحدى الصحابيات تسأل رسول الله عن الغسل من الحيض فقال لها خذي فرصة من مسك وتطهري بها. فقالت: وكيف أتطهر بها؟ قال: سبحان الله تطهري بها. وكان عنده أم المؤمنين السيدة عائشة فجذبتها وقالت: تتبعني بها أثر الدم.

وكانت رضي الله عنها تراجع النبي الكريم بالمعلومات وتتأكد منه قبل أن تفتي بها..

مرة كان رسول الله يقول: **من حوسب عذب فقالت السيدة عائشة أوليس يقول الله تعالى: { فسوف يحاسب حسابا يسيرا }.**

فقال لها : **(إنما ذلك العرض على الله تعالى، ولكن إذا نوقش الحساب يهلك اي يعذب)**.

أتدريين يا أخوات عاشت السيدة عائشة مع سيدنا رسول الله تسع سنوات وهي تأخذ عنه العلم مع ذكاء كبير وفهم عالي حتى حفظت (٢٢١٠) أحاديث كانت تنشرها بين الصحابة جميعاً فكانت خير معلم بعد رسول الله .

وإذا ذكرنا ذلك عن بقية أمهات المؤمنين السيدة أم سلمة والسيدة حفصة بنت سيدنا عمر والسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان والسيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية وهي آخر من تزوجهن رسول الله وبقية أمهات المؤمنين كن خير مبلغ عن سيدنا رسول الله .

أريد أن أقول يا أخوات

التعليم مهم للمرأة لذلك كانت الصحابيات يحضرن مجلس رسول الله. وجاءت بعض النسوة تقول للنبي الكريم (ذهب الرجال بحديثك أي يحضرون معك ولا نحضر وطلبن منه أن يحدد لهن جلسات خاصة بهن ليسألنه في أمور دينهن ويتعلمن أحكام الإسلام فواعدهن النبي الكريم في بيت يدرسهن الإسلام .)

حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين .

ولذلك النبي الكريم أمر الرجال أن يتركوا النساء أن يخرجن إلى المساجد يتعلمن العلم ويحضرن الجماعة بعد استئذان أزواجهن فقال: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)

فكل من يمنع تعليم المرأة يكون قد خالف الأمر النبوي وخاصة حديث :
(طلب العلم فريضة على كل مسلم) أي العلم الشرعي الواجب تعلمه لم يحدد النبي الكريم ذكراً أم أنثى .

وإليكم هذا المشهد الفذ الذي يطلب رسول الله شخصياً من إحدى الصحابيات وهي الشفاء القرشية أن تعلم زوجته حفصة القراءة والكتابة.

في صحيح البخاري يوجد حديث مهم يقول فيه صلى الله عليه وسلم: (من كان عنده أمة أي جارية فأدبها فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران)

وبلغ من أهمية تعليم المرأة في صدر الإسلام أن بعض النساء كنَّ يفتين في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقدم معنا قوله عن السيدة عائشة (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء) وكانت شقراء .

وقد دون لنا التاريخ أن هناك نساء كن يحفظن القرآن زمن رسول الله فليس لأحد أن يقول إن الإسلام لم يهتم بتعليم المرأة.

وأما المرأة التي لا تريد التعلم فعليها خدمة زوجها وأولادها لتتال مثل ثواب الرجال في تعلم العلم.

جاءت أسماء بنت السكك الأنصارية الأشهلية - رضي الله عنها -
الملقبة بـ خطيبة النساء .

جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت :

" يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، إنَّ الله بعثك للرجال وللنساء كافة فآمنا بك وبإلهك ، وإنَّا معشر النساء محصوراتٌ ، مقصوراتٌ مخدوراتٌ ، قواعدُ بيوتكم ، وحاملاتُ أولادكم ، وإنَّكم معشرَ الرجال فضَّائِمٌ علينا بالجمَع والجماعات ،

وَفُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِشُهُودِ الْجَنَائِزِ ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى ، وَفُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ ، وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا خَرَجَ لِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ أَوْ جِهَادٍ ، جَلَسْنَا فِي بَيْوتِكُمْ نَحْفَظُ أَمْوَالَكُمْ ، وَنُرَبِّي أَوْلَادَكُمْ ، وَنَغْزِلُ ثِيَابَكُمْ ، فَهَلْ نَشَارِكُكُمْ فِيمَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْأَجْرِ؟

فالتفت صلى الله عليه وسلم بجملته وقال: ((هل تعلمون امرأة أحسن سؤالاً عن أمور دينها من هذه المرأة ؟))

قالوا :يا رسولَ الله ، ما ظننا أنَّ امرأةً تسألُ سؤالَها .

* فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((يا أسماءُ ، افهمي عني ، أخبري من وراءك من النساء أنَّ حُسْنَ تَبْعِ الْمَرْأَةِ لَزَوْجِهَا ، وَطَلَبُهَا لِمَرْضَاتِهِ ، وَاتِّبَاعُهَا لِرَغْبَاتِهِ يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلُّهُ)) فَادْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ وَتُرَدِّدُ :
يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلُّهُ ، يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلُّهُ .
* أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شَعْبِ الْإِيمَانِ ...

وشكراً لكم.

بين آل البيت و الصحابة

اختلف العلماء في تحديد من هم آل بيت النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أرجح الاقوال بأنهم أزواجه وذريته وبني المطلب وبني هاشم ، من أعظم فضائل آل البيت في القرآن الكريم أن الله تعالى:.. طهرهم وأذهب عنهم رجس الشيطان، فهم مطهرون من الصفات الذميمة، ومتصفون بالأخلاق الحميدة، قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).
و أمرنا الله عباده بمحبتهم ومودتهم إكراماً لنبيه الكريم، قال تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).
وأما في السنة النبوية الشريفة فأحاديث كثيرة نذكر منها:

الأخذ بالعترة والتمسك بها، ففي الحديث عن الصحابي جابر بن عبد الله قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء، يخطب، فسمعته يقول: يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي).
ومعنى الأخذ بالعترة كما جاء في الحديث أن يتمسك المسلمون بهم، ويراعوا حرمتهم، ويعملوا بروايتهم، ويعتمدوا مقالتهم.
وقد ذكرنا النبي عليه الصلاة والسلام بآل بيته ثلاث مرات حتى يعرفوا حقهم، فيحبونهم ولا يظلمونهم.
ومن أعظم فضائلهم انقطاع الأسباب والأنساب يوم القيامة إلا نسب النبي عليه الصلاة والسلام، ففي الحديث: (كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مَنْقُطٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِلَّا سَبَبِي وَنَسَبِي).

ومن الحقوق التي ثبتت لآل بيت النبي الكريم وأمر الله برعايتها وجوب الصلاة عليهم مع الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام. في الصلاة.
وقد جاء في السنة فضائل غي بعض مناقب رجال منهم كسيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، فقد جاء في الحديث: (عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق).

فضل الصحابة

وإنّ من عقيدة أهل السُنّة والجماعة حبّ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال الطحاوي - رحمه الله -: "ونحبُّ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا نفرط في حب واحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبُّهم دين وإيمان وإحسان، وبُغضهم كفر ونفاق وطغيان".

فأهل السُنّة والجماعة يُحبُّون أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ويفضّلونهم على جميع الخلق بعد الأنبياء؛ لأنّ محبتهم من محبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من محبة الله، وهم يُثَنُّون على الصحابة، ويترصّون عنهم، ويستغفرون لهم؛ وذلك للأمور التالية:

أولاً: أنهم خير القرون في جميع الأمم؛ روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبدالله - رضي الله عنه - أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)) مسلم.

ثانياً: هم الوساطة بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين أمّته، فمنهم تلقّت الأمة عنه الشريعة.

ثالثاً: ما كان على أيديهم من الفتوحات الواسعة العظيمة.

رابعاً: أنهم نشروا الفضائل بين هذه الأمة؛ من الصّدق والنُصح والأخلاق والآداب، التي لا توجد عند غيرهم، قال - تعالى - مُثْنِيًا عَلَيْهِمْ: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: ١٠٠]،

وقال - تعالى -: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ([الفتح: ٢٩]، وقال - تعالى -: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) [الفتح: ١٨].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا، ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه)).

قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها - عندما قيل لها: إن ناسًا يتناولون أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى أبا بكر وعمر، فقالت: وما تعجبون من هذا؟! انقطع عنهم العمل، فأحبَّ الله ألاَّ يقطعَ عنهم الأجرَ.

وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: " لا تسبوا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - فلمقام أحدكم ساعة خيرٌ من عبادة أحدكم أربعين سنة " مسند احمد ٦٠/١.

قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلبَ محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد - صلى الله عليه وسلم - فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتلون على دينه). الإمام احمد ٨٥/٦

وقال أيضًا مخاطبًا أصحابه: أنتم أكثر صلاة، وأكثر صيامًا، وأكثر جهادًا من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم كانوا خيرًا منكم، قالوا: فيم ذاك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة. البيهقي وقال الإمام الحسن البصري - رحمه الله -: إن أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا أكياسًا، عملوا صالحًا، وأكلوا طيبًا، وقدموا فضلاً، لم يُنافسوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يجزعوا من ذلها، أخذوا صفوها، وتركوا كدرها، والله ما تعاضمت في أنفسهم حسنة عملوها، ولا تصاغرت في أنفسهم سيئة أمرهم الشيطان بها. البيهقي.

قوله: ولا نُفرط في حبِّ واحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، وحبهم دين وإيمان وإحسان.

يقصد بذلك الرد على الروافض والنواصب؛ فإن الرافضة يُكفِّرون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعتقدون أنهم كفروا إلا ثلاثة منهم؛ بل يعتقدون أنه لا ولاء إلا ببراء؛ أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر، وأهل

السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، والرافضة يغفلون في عليّ ويرفعونه فوق منزلته، أما النواصب، فإنهم يسبون عليّاً، ويبغضون آل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

"فَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَادَاتِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ؟! بَلْ قَدْ فَضَّلَهُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِخَصْلَةٍ، قِيلَ لِلْيَهُودِ: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ عِيسَى، وَقِيلَ لِلرَّافِضَةِ: مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قَالُوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! لَمْ يَسْتَنْتُوا مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ، وَفِي مَنْ سَبُّوهُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَنْتَوْهُمْ بِأُضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ".

قوله: وبُغضهم كُفْر ونفاق وطُغيان؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث البراء - رضي الله عنه - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: ((لَا يَحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يَبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ)) مسلم.

خذوا عني يا أخوة:

إذا رأيتم الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعلموا أنه زنديق؛ وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرحُ بهم أولى، وهم زنادقة..

ولله در القائل:

سَتَمُوا الصَّحَابَةَ دُونَ مَا بُرْهَانِ

لَا تَرْكَنْنَ إِلَى الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ

وَوَدَّاهُمْ فَرَضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ

لُعِنُوا كَمَا بَغَضُوا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ

أَلْقَى بِهَا رَبِّي إِذَا أَحْيَانِي

حُبُّ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ سُنَّةٌ

حَتَّى تَكُونَ كَمَنْ لَهُ قَلْبَانِ

احْذَرُ عِقَابَ اللَّهِ وَارْجُ ثَوَابَهُ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه .

الإمام الجيلاني - تصوفه

الإمام الجيلاني ٤٧٠ - ٥٦١ هـ = ٩١ سنة

ولقد بدأت حياة القطب الجيلاني تشع بالنور منذ فجر ميلاده، وتعلن للعالم للدنيا قدوم ولي وإمام ستذعن له رقاب الأولياء وسيغمر نوره الأرجاء. عاش يتيماً بعد وفاة والده وانتقل لبغداد سنة ٤٨٨ هـ.

وسرعان ما اكتملت له موسوعية المعرفة والتبحر في علوم الشريعة بصورة أذهلت عقول أقرانه، فطارت شهرته في مختلف الأرجاء وشدت إليه الرحال في بغداد تستقي من فيوضاته العلمية النادرة.

كان عالماً موسوعياً يتكلم في ثلاثة عشر علماً وزاره ابن الجوزي وحضر مجلسه وراح الشيخ الجيلاني يتكلم في تفسير آية ويسأله من بجواره أتعرف هذا القول فيقول نعم حتى بلغ أحد عشر وجهاً يعرفها ابن الجوزي، ثم زاد الشيخ حين انتهى إلى أربعين وجهاً وعزا كل وجه إلى قائله، فاشتد تعجب ابن الجوزي من كثرة علم الشيخ، ثم قال الإمام الجيلاني: نترك المقال ونرجع إلى الأحوال، فصار يتكلم بالمعنى الصوفي للآية فاضطرب الناس ومزق ابن الجوزي ثوبه من شدة الحال الذي أخذه.

ومضى الإمام في طريقه إلى الله وازداد عكوفاً في محراب العبودية وسلك حياة الساجدين لربهم، يدخل خلوته ويطيل سجوده، يصلي الصبح بوضوء العشاء مدة ٤٠ سنة، ويختم كل ليلة القرآن بقي على ذلك يختم القرآن كل ليلة ١٥ سنة.

وحين قال قدمي هذه على رقبة كل ولي رأى أحد معاصريه واسمه خليفة النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد قال الشيخ عبد القادر قدمي هذه على رقبة كل ولي لله؟ فقال: صدق الشيخ عبد القادر، كيف لا وهو القطب وأنا أرفعاه. (لقد كانت تربيته محمدية ووراثته نبوية).

وفي ذلك يقول الإمام الجيلاني: كل ولي على قدم نبي، وأنا على قدم جدي، ما رفع المصطفى قدماً إلا وضعت قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه. اتباع كامل للكتاب والسنة هذه طريقة الإمام (غير مسموح لك ترك الشريعة مهما وصلت). ولقد أيده الله بالكرامات والكرامة فعل الله وليست فعلاً لمن وقعت له.

وأعظم كرامة له أنه ولد له ٤٩ ولداً.
وكان درسه يسمعه الأصم والنساء في البيوت.

تفاحة من الغيب:

زاره الخليفة وطلب منه كرامة تفاحة من الغيب، ومدّ الإمام الجيلاني يده في الهواء وأخذ تفاحتين، وأعطى واحدة للخليفة فقسمها فوجدها مدودة (فيها دود) دودت تفاحة الخليفة المستنجد فقال له: لمستها يد الظلم فدودت.
رؤية النبي في مجلسه مراراً - راهب اليمن - الروافض يمتحنونه.
فنتشت بالأعمال كلها فلم أجد أفضل من إطعام الطعام: لقمة في بطن خير من بناء ألف جامع، وخير ممن كسا الكعبة وألبسها البراقع، وخير ممن قام لله ساجد وراكع، وخير ممن جاهد الكفار بسيف مهند قاطع وإذا أنزل الدقيق في بطن جائع... له نور كنور الشمس ساطع .. فيا بشرى لمن أطعم جائع.

حقوق الاخوات في الإسلام*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

إن الإسلام لم يغفل حقوق المرأة كأخت، بل أكدها ودعا الى صيانتها، ومن هذه الحقوق:

حسن إعالتها والإنفاق عليها:

فعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان، فأحسن صحبتتهن، واتقى الله فيهن فله الجنة» (رواه الترمذي).

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»، وفي رواية قال: «ثلاث أخوات أو ثلاث بنات أو بنتان أو أختان» (رواه أبوداود).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أنفق على ابنتين أو أختين أو ذواتي قرابة يحتسب النفقة عليهما حتى يغنيهما الله من فضله عز وجل أو يكفيهما كانتا له سترا من النار» (رواه أحمد).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يموت أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى» (رواه أحمد).

الدفاع عن الأخت وصيانة حقوقها على زوجها:

كذلك دعا الإسلام الى الدفاع عن الأخت وصيانة حقوقها، إذا ما أراد زوجها أن يظلمها أو يهينها، فإذا رجعت مطلقة إلى بيت أخيها، فعليه أن يكرمها،

ولا يجبرها على الرجوع إلى زوجها إلا راضية راغبة معززة مكرمة، مع نصحتها والقيام على شؤونها وقصد الخير لها.

روى البخاري عن معقل بن يسار قال: زوجت أختا لي من رجل، فطلقها، حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها، فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك، فطلقتها، ثم جئت تخطبها؟ لا والله، لا تعود إليك أبدا، وكان رجلا لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأنزل الله هذه الآية: {فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن} (البقرة: ٢٣٢) فقلت: الآن أفعل يا رسول الله، قال: فزوجها إياه» (رواه البخاري).

فهذا صحابي يحرص على صيانة أخته، وصيانة حقوقها، ويدافع عنها أمام زوجها الذي طلقها.

تضحية الأخ من أجل أخته:

ومن دلائل عناية الإسلام بالأخت أن علم إخوانهن من الرجال التضحية من أجلهن، حتى وإن كان هذا على حساب سعادة هذا الأخ ورغبته، هذا جابر بن عبد الله، يموت أبوه شهيدا يوم أحد، ويترك له تسع بنات أخوات! لا عائل لهن إلا جابر، فماذا فعل هذا الصحابي الجليل بأخواته؟

يقول: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «ما تزوجت يا جابر.. أبكرا أم ثيبا؟» فقلت له: تزوجت ثيبا، قال: «أفلا تزوجت بكرا تلاعبك وتلاعبها؟» فقلت له: يا رسول الله، توفي والدي - أو استشهد - ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج إليهن مثلهن، فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبا لتقوم عليهن وتؤدبهن» (رواه مسلم).

وعند البخاري ان جابرا قال: هلك أبي وترك سبع بنات أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيبا، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تزوجت يا جابر؟» فقلت: نعم، فقال: «بكرا أم ثيبا؟» قلت: بل ثيبا، قال: «فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك؟» قال: فقلت له: إن عبد الله - أي أبوه - هلك وترك بنات،

وإني كرهت أن أجيئنهم بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحن فقال: «بارك الله لك»، أو قال: «خيراً» (رواه البخاري).

فانظر الى هذا الفكر الراقى الذي طبقه جابر ، لقد ضحى بحقه في الزواج ب بكر ، وتزوج ثيباً، من أجل اخواته، تدبر قوله: «فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحن»، إنه لم يكن له هدف من الزواج في المقام الأول إلا القيام على راحة أخواته، ولم يكن همه من الزواج إسعاد نفسه، بقدر تفكيره في إسعاد أخواته، فمن يطبق هذا الفكر السهل الممتنع في زماننا هذا؟ ومن يؤثر أخواته على نفسه في عصرنا هذا؟

حق الأخت في الصلة:

كم من أخ لا علاقة له بأخته إلا من خلال الهاتف!

وكم من أخ يضيق ذرعاً بأخته لمجرد حضورها لزيارته!

إن قوماً في زماننا يسيئون معاملة الأخوات إساءة بالغة، ربما أكل أموالها وحقوقها بالباطل، وربما أهانها وقطع الصلة بها، والله تعالى يقول: {فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم} (محمد: ٢٢).

حق الأخت في الميراث:

لقد نص الإسلام كذلك على حق الأخت في الميراث وصيانتته وأكدت السنة النبوية على ذلك، يقول الله تعالى: {... وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حلیم} (النساء: ١٢)، واتفق الفقهاء على أن المقصود هنا هم الاخوة والأخوات لأم، فما بالك بحق الأخت الشقيقة التي لها شرعاً نصف نصيب أخيها من مال أبيها أو أمها؟ لذا وجب صيانة حق الأخت في الميراث،

وعدم المساس به فعن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني، فوجدني قد أغمي علي، فأتى ومعه أبوبكر وهما ماشيان، فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فصب علي من وضوئه، فأفقت، فقلت: يا رسول الله، كيف أقضي في مالي؟ أو كيف أصنع في مالي؟

فلم يجبني شيئاً، وكان لي تسع أخوات، حتى أنزلت آية الميراث: { **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ** } (النساء: ١٧٦) (صحيح الترمذي).

وعن معاذ بن جبل أنه ورث أختاً وابنة، فجعل لكل واحدة منهما النصف وهو باليمن، ونبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حيّ (رواه أبوداود)، فإلى الذين يحرمون الأخوات من الميراث ظلما وزورا وبهتانا، نقول لهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة» فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن كان قضيباً من أراك» (رواه النسائي)، ونقول لهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخرج مال الضعيفين: المرأة واليتيم» (رواه ابن حبان)، فالله الله في الأخوات.. والله الله في النساء!

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد والحمد لله رب العالمين.

خطبة الجمعة

الحمد لله الذي شرف قدر سيدنا محمد الرسول الكريم. وخصه بالصلاة عليه والتسليم. وامرنا بذلك في كتابه الكريم { إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما } .

وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله.

تلهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أولي الفضل العميم. صلاة وسلاما دائمين يضيء نورهما جناح الليل البهيم. وسلم تسليما.

أما بعد:

فقد جئكم اليوم بأربع بشارات في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.:
البشارة الأولى: حديث (من صلى علي في يوم ألف صلاة لم يمت حتى ييثر بالجنة).

البشارة الثانية: حديث (من صلى علي في يوم مئة مرة قضى الله له مئة حاجة سبعين منها لآخرته وثلاثين منها لدنياه).

البشارة الثالثة: حديث(من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة).

البشارة الرابعة: حديث (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام).

فصلوا عليه وسلموا تسليما. والحمد لله رب العالمين

خطبة المشفى

عندما خلقنا الله سبحانه وتعالى، خلق معنا الرحمة والعطف والتسامح والكثير من الأخلاق الحميدة التي يجب علينا أن نتحلى بها لنكون عباداً صالحين، ومن بين الأشياء والأخلاق التي أمرنا الله تعالى بها، مساعدة الآخرين ومد يد العون لهم وتقديم الخير لهم دون تردد، لأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، فمن يُساعد الآخرين بنية خالصة وقلب صادق، يُيسر الله له الخير ويُعينه ويقضي حوائجه،

ويرسل له من يعينه عندما يحتاج الى المساعدة.

أذكر ان رجلا خدم والده المريض خمس سنوات وهو يطعمه ويسقيه ويقوم بتنظيف جسده، أتعرفون ماذا دعا الوالد لولده ؟ دعا له فقال: الله لا يتخلى عنك. وتمضي الايام والسنون فيقع الولد في المرض فيرسل الله اليه ستة اولاد له يخدمونه مثلما كان يخدم والده. اعمل ما شئت كما تدين تدان، كما تفعل مع الآخرين يفعل الله بك. تيقنوا هذا.

وانا ابشركم يا سادة بأعظم خير سيأتيكم فانتظروا.

فمن يساعد الآخرين إنما يُساعد نفسه في الحقيقة، ويدّخر الكثير من الأجر والثواب.

مساعدة الآخرين مثل نبع الخير الذي لا ينضب، وإنما يتجدد ويزيد تدفقه أكثر كلما ساعدناهم أكثر، فتخفيف عبء المرض عن الناس، من الأشياء الرائعة التي تُزيل عنهم هم الحياة وتدفعهم ليكونوا متفائلين بالشفاء أكثر، وترسم الفرحة على قلوبهم، وتجعل الضحكة على شفاههم..

وتكون مساعدة الآخرين بطرق كثيرة لا حصر لها، فيُمكن مساعدتهم بتقديم الادوية أو بالتداوي مجانا، أو قد تكون هذه المساعدة معنوية لا تُكلف صاحبها الا ابتسامة ترسمها على شفتيك عندما تلقاه لتزيل عنه الالم وتعطيه طاقات ايجابية ليعيش ويتفاعل ان الله سيسقيه.

أتدرون هذه المساعدات ماذا تفعل لكم في المستقبل؟

تزيد روابط المحبة والأخوة بين الناس سيبقى معروفكم في اعناقهم الى الابد وسيدعون لكم ليلا ونهارا ويستجيب الله دعاهم لان دعوة الاخ لأخيه في ظهر

الغيب مستجابة. اسمعوا الى هذا الموقف الذي حصل مع والدي رحمه الله تعالى. جاء جندي غي شدة الحر الى بيتنا ليقوم بتبليغ اخي الكبير ليذهب الى خدمة الجيش. كل الناس الذي كان يأتهم هذا الجندي كانوا يقولون له ام اولادهم مسافرون حتى لا يبلغهم على الجيش. اما والدي فادخل الجندي الى دارنا واحضر له ماء باردا وضيافة واستلم التبليغ وودعه باحترام.

وتمضي الايام ويحتاج اخي ورقة موقعة من وزارة الداخلية فيزل الى الوزارة وممنوع الدخول الا للضباط ويقف اخي يشرح للحارث اهمية توقيع الورقة فينظر الحارس الى اسم اخي فيجده من بيت الخطيب ويسكن في منطقة المهاجرين. فيسأله: كان هناك شيخ من بيت الخطيب في المهاجرين بيته في منطقة كذا وكذا. فيقول اخي: إنه والدي. وهنا فوجئ بالحارث يقول له: هات الورقة لأوقعها لك. فلما عاد إليه بالورقة موقعة سأله أخي باستغراب. فأخبره الحارث بمساعدة والدي له في شدة الحر وضيافته له بينما الناس كانت تطرده من بيوتها.

انتبهوا: لا يضيع معروفكم مع المرضى عند الله تعالى.

ساعدوهم لله فهو الذي سيحفظ معروفكم ويرده لكم عندما تحتاجونه.

الشخص الذي يُساعد الآخرين يشعر بالكثير من الفرح والسعادة والطاقة الإيجابية، لأنه يحسّ بقيمته كإنسان ويتولد لديه رغبة قوية أن يكون قائداً لفعل الخير، فمن يُساعد الآخرين يتميز عن غيره برقة القلب وطيبته وإنسانيته الكبيرة، ولا تقتصر هذه المساعدة على الناس فقط، بل ربما يُساعد الإنسان حيواناً ما فيطعمه ويسقيه ويمنحه الدفء أو يُخلصه من موقفٍ ما، فأبواب المساعدة كثيرة ومفتوحة وعديدة،

يجب على كل شخص أن يتخذ مساعدة الآخرين منهجاً ثابتاً في حياته اليومية، فلا شيء يزيد من رفعة المجتمع ورقيه أكثر من التعاون الذي تفرضه هذه المساعدة، كما أن الله تعالى يُبارك بالإنسان الذي لا ييخل على غيره، فمن يُساعد غيره بالصدقة والأموال يُضاعف الله له أمواله، ومن يُساعدهم في العلم والمعرفة، يُبارك الله له في عمله

وقد خصكم الله تعالى بمساعدة المرضى والتخفيف عنهم.

وهذا من الإحسان، وقد قال تعالى: وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {البقرة: ١٩٥}.

وقال سبحانه: إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ {الأعراف: ٥٦}.

وقال سبحانه: نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {يوسف: ٥٦}.

رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد من العمر. رواه الطبراني. وجاء رجل الى النبي فسأله: أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - ومن مشى مع أخيه في حاجة - حتى يثبتها له - أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: قضاء الحوائج، والطبراني وغيرهما،

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً، أو تقضي له ديناً، أو تطعمه خبزاً. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب: قضاء الحوائج، والبيهقي

خلق الإيثار

أحدثكم اليوم عن خلق من أخلاق الإسلام العظيمة، هو مرتبة راقية من الكرم، ومنزلة عظيمة من السخاء، خلق يبعث على المودة والرحمة: إنه الإيثار علامة حب المرء لإخوانه، وبرهان على سلامة النفس من البخل والأنانية، الإيثار أن يقدم المرء غيره على نفسه في جلب النفع له ودفع الضر عنه، قال تعالى: **{ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون }**.

إن الله تعالى وصف الأبرار أصحاب الجنة فقال: **{ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً }**.

وأفضل أنواع الإيثار، وأعلاها منزلة: **الإيثار مع الله تعالى**، إيثار رضاه على رضا غيره، إيثار حبه على حب غيره، الإيثار مع الله تعالى أن يفصل العبد كل ما يحبه الله تعالى ويأمر به، وإن كان ما يحب مكروهاً إلى نفسه ثقيلاً عليه، فتؤثر رضاه على رضا نفسك وعلى رضا الناس.

الإيثار مع الله تعالى أن يداوم على طاعة الله ولا ينشغل بدنياه على أخراه، وكيف لعقل أن يقدم الدنيا وهي دار الفناء على الآخرة وهي دار البقاء. قال تعالى: **{ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى }**.

وأعظم نموذج للإيثار هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان يشارك الصحابة في طعامه وشرابه فعند (ت) (ذبح شاة فقام النبي الكريم بتوزيعها، ثم سألهم: ما بقي منها؟ قالت السيدة عائشة: ما بقي منها إلا كتفها. فقال: **بقي كلها غير كتفها**) (ما تصدقتم به هو الباقي عند الله تعالى).

ومرةً أهديت لسيدنا النبي بردةً منسوجة فلبسها وخرج بها إلى الصحابة فقال رجل من الصحابة: ما أحسن هذه وأكسبها يا رسول الله. قال: نعم. فأعطاه إياها. فلامه الصحابة وقالوا: ما عند النبي غيرها وهو محتاج إليها. فقال: طلبتها لعلني أكفن فيها. فكانت كفنه (خ).

وكان إيثار الصحابة يضرب به المثل لما نزلت الآية: **{ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون }** قال سيدنا أبو طلحة: بخ ذلك مال رابع. ذلك مال رابع. وإنني أرى أن تجعلها في الأقربين.

ولما أمر الله تعالى نبيه الكريم بالهجرة وقررت قريش أن تقتل سيدنا النبي جاء الأمر من الله له أن يهاجر فقام سيدنا علي وأثره على الحياة وفداه بنفسه ونام في سريره بدله لتظن قريش أنه ما زال في بيته، ثم خرج مع الصديق الأكبر بالحادثة المشهورة المعروفة في الهجرة.

وانظروا إلى إيثار الصديق لما وصل إلى الغار خاف أن يكون فيه ثعبان أو عقرب، فقال: مهلاً يا رسول الله حتى أنظر في الغار، وراح يسد ثقوب الغار بثوبه يقطع منه قطعاً ويسدها حتى بقي ثقب سده بقدمه وقال: أدخل يا رسول الله ... فدخل النبي وجلسا في الغار ريثما يهدأ الطلب، ووضع سيدنا النبي رأسه في حجر الصديق ونام، وراحت عقرب تلدغ الصديق في قدمه، والصديق لا يتحرك خشية أن يوقظ حبيبته رسول الله، لكن دمعة نزلت من عين الصديق على وجه النبي من شدة ألم الصديق فاستيقظ رسول الله فسأله: مالك يا أبا بكر؟ قال: عقرب يا رسول الله، فمسح سيدنا النبي بريقه على مكان اللدغ فشفيت قدم الصديق لساعتها.

وأقبل المهاجرون إلى المدينة المنورة لا يملكون من أمر الدنيا شيئاً، قد تركوا وراءهم أموالهم وما يملكون خلف ظهورهم، وأقبلوا على ما عند الله عز وجل يرجون رحمته ويخافون عذابه، فاستقبلهم الأنصار الذين تبؤوا الدار وأكرمهم أيما إكرام ولم يبخلوا عليهم بشيء من حطام الدنيا في صورة يعجز عن وضعها اللسان، ويضعف عن تعبيرها البيان:

فعن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لما قدم المهاجرون المدينة نزلوا على الأنصار في دورهم فقالوا: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم نزلنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أبذل في كثير منهم، لقد أشركونا في المهناً وكفونا المؤنة، وقد خشينا أن يكونوا ذهبوا بالأجر كله، فقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا ما دعوتهم الله لهم وأثيتهم عليهم).

وهذا سيدنا عبد الرحمن بن عوف لما قدم المدينة آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سيدنا سعد بن الربيع الأنصاري، وعند الأنصاري امرأتان، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال سيدنا عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق.

وأرى أمامي مشهداً لم ترا الإنسانية مثيلاً له، مشهد إيثار بالحياة، وهذا غايته الجود ومنتهى البذل والعطاء ... نحن في غزوة اليرموك، يحدثنا سيدنا عكرمة بن أبي جهل فيقول: قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن أفرُّ منكم اليوم؟ ثم نادى من يبايع على الموت. فبايعه عمر الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط سيدنا خالد بن الوليد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق، منهم سيدنا ضرار بن الأزور رضي الله عنهم، فلما صرعوا من الجراح استسقوا ماءً، فجيء إليهم بشربة ماء. فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر. فقال: - ادفعها إليه - فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: - ادفعها إليه - فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين.

أنتقل بكم الآن إلى مشهداً آخر من الإيثار لم تسمعوا بمثله، تعالوا نزور سيدنا ابن عمر رضي الله عنه فقد مرض مرضاً شديداً واشتهدى عنباً، فأرسلت له السيدة صفية (امرأته) فاشتريت عنقوداً فلما دخل به نادى السائل من وراء الباب: سائل. فقال سيدنا ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت عنقوداً فرآه السائل فاتبعه فلما دخل نادى من وراء الباب: سائل. فقال سيدنا ابن عمر: أعطوه إياه، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: - والله إن عدت لا تصيب من خيراً أبداً. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به.

فلما نقه سيدنا ابن عمر من مرضه انتهى سمكة، فالتمست بالمدينة فلم توجد حتى وجدت بعد مدة، واشتريت بدرهم ونصف، فشويت وجيء بها على رغيف فقال سائل بالباب، فقال: سيدنا ابن عمر للغلام لفها برغيفها وادفعها إليه، فأبى الغلام. فردده وأمره بدفعها إليه، ثم إن الغلام جاء بها فوضعها بيت يديه وقال: كل هنيئاً يا أبا عبد الله، فقد أعطيته درهماً وأخذتها. فقال: لفها وادفعها إليه، ولا تأخذ منه الدرهم.

بهذا سادوا وبهذا قادوا الأمم وبهذا افخر الأمة برجالها وعظمائها، وهذا الدرس أخذه سيدنا ابن عمر من والده الفاروق رضي الله عنهما، إذ والده أخذ أربعمئة دينار فجعلها في صرة ثم قال لغلامه: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، تلكأ

ساعة في البيت حتى تنتظر ماذا يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه، وقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه.

ثم قال: تعالي يا جارية. اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان ... حتى أنفذهما، فرجع الغلام إلى سيدنا عمر فأخبره، فترحم عليه.

ولقد ضربت أمنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها المثل في الإيثار من ذلك أنه لما طعن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنه عبد الله: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام ثم سلها أن أدفن مع صاحبي، فقالت: كنت أريده لنفسه فلأوثرنه اليوم على نفسي. فلما قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع. فإذا قبضت فأحملوني، ثم سلموا، ثم قل: سيأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فادفنوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين.

صور من محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم وافتدائه بأرواحهم

محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتدائه بأرواح المؤمنين فرض أوجه الله تعالى على كل مسلم ومسلمة، فقد قال تعالى:

{ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة: ١٠].

وإذا كانت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجة على كل مسلم ومفروضة عليه، فإنها لدى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أشد وأقوى؛ فلقد أحب الصحابة رضوان الله عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم حباً فاق كل حب فآثروه على المال والولد وآية ذلك إتباعهم لتعاليمه صلى الله عليه وسلم وابتعادهم عن نواهيه، وقد روي أن عمر قال للرسول صلى الله عليه وسلم:

"والله يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي"؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»، فقال عمر: "فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي"؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الآن يا عمر ».

وقد كان حب الصحابة رضوان الله عليهم للنبي صلى الله عليه وسلم يأتي في صور عديدة منها على سبيل المثال:

١ - لقد خاض الرسول صلى الله عليه وسلم في سبيل نشر الدعوة المباركة حرباً شرسة دائمة مع الكفار، وأخذت الدعوة المحمدية تغزو معاقل الشرك وتجتث عروش المشركين، فقابلها الكفار بمحاولة إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والتعرض له في كل مكان حتى أنه لم يسلم من إيذائهم حتى وهو قائماً يصلي في محرابه، وكان المسلمون يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافحون عنه، ويبذلون أنفسهم فداء له فهذا أبو بكر الصديق خليل رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في ناحية من نواحي المسجد الحرام إذا به يبصر عقبة بن

أبي معيط أحد رؤوس الكفر متجها صوب رسول الله صلى الله عليه وسلم،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي؛ فأخذ أبو بكر يترقبه فإذا هو يخلع ثوبه
ويضعه حول عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخنقه، فما أن رأى ذلك حتى
انطلق كالسهم تجاه هذا الكافر، ثم أخذ بمنكبه ودفعه دفعة شديدة، ونجا رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كيده، ثم أخذ يردد الآية الكريمة: « أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ
يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ » [غافر: ٢٨].

٢ - ومن حبهم رضوان الله عليهم له خوفهم من فراقه، ومن يألفه عليه الصلاة
والسلام ويتعامل معه فلا شك أنه سيجزع لفراقه فهو مصدر أمن وأمان لأصحابه؛
كيف لا وهو الذي قد أنقذهم من جاهليتهم العمياء إلى نور الإسلام المبين، وقد كان
الرسول صلى الله عليه وسلم يعاملهم كل حسب طبعه وسنه فهو الأب الحاني لكل
طفل، وهو الأخ العائن لكل مسلم، وهو النصير المساعد لكل محتاج، وهو السند
والذخر لكل يتيم.

أخرج أحمد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: لما بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه ومعاذ
راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال: « يا
معاذ إنك عسى أن لا تلاقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»،
فبكى معاذ جزعاً لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم (مجمع الزوائد: ٢٥/٩).

ولم يكن خوفهم من فراقه يقتصر على الدنيا بل تعداه إلى خشيتهم من فراقه في
الآخرة، أخرج الطبراني عن عائشة رضى الله عنها قالت: "جاء رجل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب
إليّ من ولدي، وإنني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك،
وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإنني إذا
دخلت الجنة خشيت أن لا أراك"، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً
حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ
رَفِيقًا } [النساء: ٣٦] (مجمع الزوائد: ١٠/٧).

٣ - ومن حبهم له صلى الله عليه وسلم تفضيلهم إياه على أهلهم وذويهم بل أيضاً على أنفسهم؛ وهذا ما أمر الله به المسلمين جميعاً، أخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: "لما كان يوم أحد خاض أهل المدينة خيضة وقالوا: قُتِل محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها (وقد قتلوا) لا أدري أيهم، استقبلت بهم أولاً، فلما مرّت على أحدهم قالت: "من هذا؟" قالوا: "أبوك، أخوك، زوجك، ابنك"، تقول: "ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟" يقولون: "أمامك"، حتى دُفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمت من عطب" (حلية الأولياء: ٣٧٧/٢).

٤ - ومن صور إخلاصهم رضوان الله عليهم في محبته عليه الصلاة والسلام، السعي والتنافس في محبته، فكل منهم حريص أن يفوز بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم له أكثر من غيره وهكذا اجتهدوا رضوان الله عليهم في محبته وإخلاص النية في وده.

روى أسامة بن زيد عن أبيه قال: "اجتمع علي و جعفر و زيد بن حارثة فقال جعفر: "أنا أحبكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقال علي: "أنا أحبكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقال زيد: " أنا أحبكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فقالوا: "انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله، قال أسامة: "فجاءوا يستأذنونهم"، فقال: «أخرج فانظر من هؤلاء»، فقلت: "هذا جعفر وعلي وزيد"، فقال: «إذن لهم»، فدخلوا، فقالوا: "يا رسول الله من أحب إليك؟" قال: «فاطمة»، قالوا: "نسألك عن الرجال"، فقال: «أما أنت يا جعفر فأشبهه خلقك خلقي وأشبه خلقي خلقك وإنك مني وشجرتي، وأما أنت يا علي فختني وأبو ولدي وأنا منك وأنت مني، وأما أنت يا زيد فمولاي ومني وإلي وأحب القوم إلي»، ففضل زيدا وكرّم الآخرين (مجمع الزوائد: ٢٧٧/٩).

٥ - ومن حبهم له تقبلهم جسده الطاهر، فعندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسوي صفوف المسلمين إذ لامس بطن سواد بن غزية بجريدة كانت بيده فانتهاز سواد تلك الفرصة وقال: "لقد أوجعتني يا رسول الله!" فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه الشريف وقال: «استقد مني يا سواد». فأسرع سواد

فاحتضن رسول الله ثم جعل يقبل كشحه، ثم قال: "يا رسول الله، لقد ظننت أن هذا المقام هو آخر العهد بك، فأحببت أن يمس جلدي جلدك كي لا تمسني النار."!

٦ - ومن صدق حبهم له أنهم كانوا يتلذذون بأصناف العذاب في سبيل نجاة النبي صلى الله عليه وسلم وسلامته من الأخطار، بل إنهم لا يكادون يتصورون راحتهم وهناءهم حال إيذائه وتعذيبه.

ومن ذلك قصة زيد بن الدثنة، عندما ابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهطاً من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: "أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه، وإنك في أهلك؟"،

قال: "والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي"،

فقال أبو سفيان: "ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً ثم قتله نسطاس."

٧ - ومن عظيم حبهم له امتثالهم أمره في كل ما يقول، وسماع رأيه وإجابة ما يأمر به والانتفاء عما ينهي عنه، وذلك من صدق حبهم رضوان الله عليهم له.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: «اجلسوا» فجلس مكانه خارجاً عن المسجد حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته، فبلغ ذلك النبي فقال له: «زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله». (الإصابة: ٣٠٦/٢).

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه سعيد بن منصور عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال: "خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: «رأيتها؟» فقلت: "لا"، قال: «فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما». فأتيتها فذكرت ذلك لوالديهما، فنظر أحدهما إلى صاحبه فقمت فخرجت، فقالت الجارية: "علي الرجل"، فوقفت ناحية خدرها، فقالت: "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنتظر إليّ فانظر، وإلا فإني أحرّج عليك أن تنتظر"، فنظرت إليها

فتزوجتها فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إلي منها ولا أكرم علي منها (شرح السنة: ١٤/٥).

وانظروا الى هذا الشاب الذي رأى رسول الله خاتما من ذهب في أصبعه. فقال الم أنهم عنه ثم اخذه من أصبع الشاب ورماه على الأرض. وخرج. فقليل للشاب: خذ خاتمك فانتفع به. فقال: لا والله لا آخذ شيئا ألقاه رسول الله على الأرض.

فضل التجارة والتجار

من الآيات القرآنية التي وردت في فضل التجارة .. قوله تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه).

و قوله: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) . و قوله : (وأخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله) ..

وقد سأل صحابي النبي الكريم .. يا رسول الله أي الكسب أطيب فقال: عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور ..

كان للأنبياء مهنة وتجارات كان نبي الله داود يأكل من عمل يدع وكان سيدنا زكريا نجاراً .. وكان سيدنا موسى قد عمل في رعي الغنم عند سيدنا شعيب حتى قال سيدنا رسول الله: (ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم) .

ولا شك انكم تذكرون أن نبينا الأعظم تاجر بمال السيدة خديجة الى الشام قبل البعثة.

قيل لسيدنا عبدالله بن مبارك الزاهد أنت تأمرنا بالزهد ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان الى البلد الحرام .. فكيف ذا فقال: إنما أفعل ذلك لأصون به وجهي وأكرم به عرضي وأستعين به على طاعة ربي ..

وسئل الامام أحمد ما تقول في من جلس في بيته أو مسجده وقال : لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال الامام احمد: هذا رجل جهل العلم .. (أما سمع قول النبي: وجعل رزقي تحت ظل رمحي .) وكان أصحاب النبي يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم .. ولنا فيهم القدوة الحسنة ، الأنصار كانوا مزارعين والمهاجرين كانوا تجاراً .. سيدنا عثمان كان من تجار المدينة الأبرار ..

اسمعوا التوجيه الذي وجهه عملاق الاسلام سيدنا عمر .. كان يقول لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة انتبهوا الى هذا الحديث الشريف ففيه عزك في الحياة .. يقول فيه سيدنا رسول الله .. (شرف المؤمن قيامه الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس .)

ولكن هناك صفات يجب على التاجر أن يتصف بها :

١ - حسن النية والقصد ، أي أن يطلب بتجارته العفاف والاستغناء عن الناس ، ونبينا يقول : من يستغف يعفه الله ومن يستغني يغنه الله ..

٢ - الجرأة ..التاجر جريء ..

انظروا كلمه تاجر من أربعة أحرف : التاء تقي ، والألف أمين، والجيم جريء ،
والراء رحيم ..

فالمطلوب منك أخي التاجر تقوى الله ومراقبته في تجارتك
اسمعوا وعد الله من الآية القرآنية (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والأرض).

يا أخوة : تيقنوا من وعد الله الذي يقول : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب).

فمن أخذ مالا بحقه بارك الله له فيه ومن أخذه بغير حقه خذله الله ومحق تجارته .
٣- ومن الشروط التي يجب توفرها في التاجر الاكتفاء بالربح المناسب وهو بقدر
قيمة ثلث السلعة كما نصوا عليه ، ألا يكفيكم قوله عليه الصلاة والسلام:
(الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) أي
الملائكة.

٤- بعض التجارات تحتاج الى الصبر لأن الربح قد يتأخر ..

أريدكم اليوم أن تتعلموا قواعد التجارة من فم سيد المرسلين (البيعان بالخيار ما لم
يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) .
لذلك كان عليه الصلاة والسلام يحذر التجار ويقول لهم: إن التجار هم الفجار
قالوا: أوليس قد أحل الله البيع قال: بلا ولكنهم يحدثون فيكذبون ويحلفون
ويأثمون..

٥ - على التاجر أن يؤدي الزكاة في وقتها ويضعها في مواضعها الشرعية الزكاة
تجب في المال اذا :

١- حضر المال

٢- وجد الفقير

٣- لم يكن مشغولاً عن اخراجها كأن كان خارج بلده .

يكفينا قوله تعالى (خذ من أموالهم صدقه تطهرهم وتزكيهم بها) الزكاة طهرة
ونماء للمال ذلك النبي يقول: (ما نقص مال من صدقة)

٦- الابتعاد عن التعاملات المحرمة أو المشبوهة وفي الحديث (لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت النار أولى به).

٧- ومن أسباب البركة في التجارة التصدق من غير الزكاة ففي مسلم قصة حديث اسق حديقة فلان ..

٢- روى البخاري ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَلَمَّا هَلَكَ. قَالَ لَهُ اللَّهُ - عز وجل - : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ؟، قَالَ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ: خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزَ عَنَّا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ.

فضل الصلاة على سيدنا النبي

الحمد لله الذي شرف قدر سيدنا محمد الرسول الكريم. وخصه بالصلاة عليه والتسليم. وامرنا بذلك في كتابه الكريم (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله.

تلهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أولي الفضل العميم. صلاة وسلاما دائمين يضيء نورهما جناح الليل البهيم. وسلم تسليما.

أما بعد:

فقد جئكم اليوم بأربع بشارات في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.:
البشارة الأولى: حديث (من صلى علي في يوم ألف صلاة لم يمت حتى يبشر بالجنة). أبو الشيخ عن أنس. أو قال حتى يرى مقعده من الجنة.
البشارة الثانية: حديث (من صلى علي في يوم مئة مرة قضى الله له مئة حاجة سبعين منها لأخوته وثلاثين منها لندياه).
البشارة الثالثة: حديث (من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة).
البشارة الرابعة: حديث (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام).

فصلوا عليه وسلموا تسليما.

إذا امتلأت القلوب بمحبة النبي سرت هذه المحبة إلى الجوارح وتعشقت الجمال المحمدي وتعشقت الرحمة التي هي حقيقة النبي
وتعشقت الصدق الذي هو منهج النبي
وتعشقت الإحسان الذي هو حال النبي
وهكذا كلما قويت روابط المحبة سرت الأنوار والأوصاف والشمائل المحمدية من القلب الشريف إلى من يحبه إلى من يكثر الصلاة والسلام عليه
وحبيبك يقول لك : ما من مسلم يصلي علي إلا بلغته

وما من مسلم يسلم علي إلا رددت عليه السلام فنحن وإياكم الآن نتلقى السلام من سيد الأنام على يقين بالتمام لا يشك فيه من كان في قلبه ذرة من إيمان فهبوه نسائم السلام إلى ذلك المقام. فما كان هو ينتظر منكم الصلاة والسلام عليه أرفعوا سماعة الهاتف واتصلوا جميعاً بسيدنا محمد. يا شباب:

هذا المجلس لا تأتيه نسمة واحدة من ذاك المقام ولكن نسيمات مباركة لكل منا نسمة تصل إليه أعداد هنا جلست وهي تصلي عليه فتسري أنوار الصلاة عليه إلى تلك الحجرة فيلتفت الحبيب الأعظم مجيباً كل واحد منا على حسب حاله وقلبه وحبه للنبي. فتعالوا جميعاً لنصلي ونسلم عليه من كل قلب محب لرسول الله عاشق لحبيب الله . عندما تصلي وتسلم على سيدنا محمد بالحب العظيم فأنت تصلي على سيدنا محمد بسيدنا محمد لولا سيدنا محمد لما صلينا على سيدنا محمد في كل صلاة نصليها نستشعر نور حضرته صلى الله عليه وسلم عندما نقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته أتعرفون معنى ذلك ما هو معناه أن الله تعالى يقول لك لا تصح صلاتك حتى تدخل علي من باب حبيبي محمد فلا تصح صلاتك حتى تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وأنت تقول السلام عليك بالكاف كاف الخطاب يعني أنك رأيت النبي فسلمت عليه يا أخوة انظروا إلى تعظيم الله إلى حبيبه حتى ونحن نصلي نقول له أيها النبي لا نقول يا محمد بل نقول معظمين السلام عليك أيها النبي غير مسموح لك عندما تذكر النبي أن تقول محمد بل عليك أن تعظمه لأن الله في أقدم حالة لك أمرك أن تخاطبه بالتعظيم حتى وانت تصلي عليه علمك أن تطلب من الله أن يصلي عليه هو فتقول اللهم صل على سيدنا محمد لأنك مهما بلغت من علم وقدر لن تعرف أن تعطي النبي حقه من الصلاة عليه لذلك أمرك أن تطلب من الله أن يصلي عليه. أتعرفون ما معنى ذلك؟

الصلاة من التوحيد، ووجود الصلاة على النبي فيها معناه اننا لا نتحقق بالتوحيد
الله تعالى الا من باب النبي فالله جل جلاله علمنا ونحن في حضرته أن نخاطب
سيدنا محمد

فلا تلتفتوا للمنكرين لتعظيم هذا النبي الكريم ابقوا مع اهل الله المحبين لسيدنا
رسول الله .

أتعرف أخي الحبيب:

اللحظة الأجل في حياتك ماهي:

أجل لحظة في حياتك حين يناديك النبي باسمك فتسأله كيف عرفت اسمي يا
رسول الله فيقول لك : صلاتك علي كانت تصلني.

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: إن الصلاة على النبي خير من سجود الملائكة
لآدم من ثلاثة وجوه:

١- أن سجود الملائكة لسيدنا آدم سجود امتحان لذا لم يسجد ابليس وأما الصلاة
على النبي فترقي العبد وتقربه من مولاه.

٢- كان سجود الملائكة لسيدنا آدم خاص بالملائكة فقط. أما الصلاة على النبي
فإن الله وملائكته يصلون على النبي.

٣- سجود آدم حصل وانتهى ولكن الصلاة على النبي ثوابها لا ينقطع.
وأعظم صنعة الجامعة للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي صلاة الإمام
الشافعي فيها ثواب كبير جداً

ما هي: اللهم صل على سيدنا محمد بعدد من صلى عليك.

وصل على سيدنا محمد بعدد من لم يصل عليك.

وصل على سيدنا محمد كما تحب أن يصلى عليه.

وصل على سيدنا محمد كما أمرت بالصلاة عليه.

وصل على سيدنا محمد كما ينبغي الصلاة عليه.

فهذه صنعة جامعة لا يحصى ثوابها.

كلمة افتتاح الكلية

الحمد لله الذي يجدد مظاهر التوفيق لهذه الأمة ليعيد لها حقائقها وخصائصها. ابتدئ بسم الله بافتتاح هذا الصرح العلمي الواسع في المنهج الشرعي. وأحيي من قام على تأسيسها وبنائها. في وقت تمكن فيه أعداء الأمة من تفريقها وتمزيقها. وجاءت هذه الكلية لترسم لوحة مشتركة مع أخواتها الكليات لإضافة نوعية جديدة واستيعاب طلبة العلم لنشر الدعوة إلى الله تعالى. وأبشركم بأن هذه الكلية لن تكون رقماً تضاف لكليات بل قوة عظمى لنصرة دين الإسلام على يد شيوخ وأساتذة هذه الكلية، وأنها ستحمل بإذن الله تعالى رسالة يمتلك أبنائها القدرة على رفع شأن المستقبل للأمة. وتنمية القدرات العلمية لهم. تواجدنا هنا معاً جميعاً لتوحيد الصف المسلم ورفع شأن العلم والعلماء ضد الهجمة التي تعاني منها الأمة لهدم الدين عن طريق العلمانية والإلحاد والاستخفاف بالدين جنناً لنجدد للأمة أمر دينها مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها).

هذه الكلية ذرة من ذرات تعاليم سيدنا محمد ومبدأ من مبادئه السامية وأرى واجباً على أهل الإيمان دعم هذه الكلية وإن كان أصحابها لا يقصرون وأدعوهم ليسخروا أموالهم لخدمة الدين والشرع المطهر. لخدمة التعاليم النبوية المتصلة بسيدنا رسول الله.

مبارك عليكم وبارك الله بجهودكم التآزر أمر ضروري واتحادكم قربة إلى الرب لا تنهض الأمة إلا به.

هذه الكلية أرى أن يكون لها مجلس من الأمناء يعينون شيخ الكلية وعميدها إن نسي ذكره وإن ذكر أعانوه، يضعون الأسس الشرعية المناسبة لها. ولا يخرجون عن قانون الأكاديميات حتى لا يحرم الكلية من الاعتراف بشهادتها.

هذه الكلية تكملة وتنمية وتعويض وتعاون لإكمال المنهج الشرعي الذي دعا إليه الإسلام ولكن بلغة العصر والزمان وما يناسب الإمكان.

فالعالم يتطور ومنذ أن أنشأ سلفنا الزوايا وتطورت إلى مدارس ومن المدارس إلى الجامعات كل ذلك كان مع بقاء منهج الشريعة منهج الشرف، مع سلوك الوسطية والشرعية والاعتدال الواعي.

نحن نحتاج إلى همتمكم جميعاً وإلى مساعدة الكل، سواء كانوا من أهل الظاهر أو الباطن لمواجهة واقع الزمان. لنستوعب أبناءنا الذين يرون العالم وشبابه كيف تحولوا إلى العلمانية أو الليبرالية أو الإلحادية.

لنستوعب أبناءنا وبناتنا الذين ضاعوا في عالمنا اليوم وهم يسافرون شرقاً وغرباً. الوسطية الشرعية حفظ اللسان من الذنب، وحفظ اليد من الدم، وحفظ القلب من الذم والهم، ننفذ اليوم الغبار عن تعاليم الإسلام الحق معتمدين على قوله تعالى: **{ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً }** ضمن الثوابت الثلاثة التالية: فقه الأصول والعلوم الشرعية – فقه الدعوة إلى دين الله – وفقه الطريق الصوفي. ثلاثة محاور تقوم عليها الكلية إعادة ترتيب المجتمع من الداخل ضمن المنهج الدعوي المحمدي ولو على المدى البعيد، ليس هناك صعب أمام التوكل على الله.

أمام الإخلاص ستضيء هذه الكلية وما معها من بقية الكليات ظلمات الجهالة بصرف النظر عن التوجه لها، لن نحمل رسالة الدعوة بأنفسنا فقط، ولا تظنوا أننا سنكون بديلاً عن أحد بل نساعد وننتم، ونعوض النقص الموجود في الساحة الإسلامية.

أمامنا معارك مع الشيطان الذي يثير الفرقة بين المسلمين أمامنا الدجال العالمي الذي يؤلف جيوشه للقضاء على الإنسانية والوحدة في ساحات القتل والخطف والدم، نار الدجال تشتعل في العالم أجمع في كل بلد في بلاد الإسلام، معركتنا ليست بالسيف ولكن بالقلم، معركتنا القادمة فيها وعي، فيها الكلمة الطيبة، فيها الحكمة، يقوم اللسان مقام السيف، والقلب مكان القوة، لن نخرج عن دائرة السلف، لن نكون خارج دائرة السلف، بل نخدم السلف ومن وإلى السلف وبإذن السلف نتعاون لندفع بأولادنا لاستعادة منهج السلف في التربية منهج الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم.

نحن الأقلام والسواك والسير على القدم، والكلام باللسان وهو نوع من أنواع الجهاد.

فشدوا هممكم واجمعوا قلوبكم فقد دقت ساعة العمل واسألوا الله العون.
إنها فرصة مباركة أن أكون معكم، فرصة مباركة باجتماعكم، نأمل أن يكون لهذا
الافتتاح الخير كل الخير لأهلنا في كراشي والباكستان والعالم الإسلامي.
أنتم غرستم وستلقون ثمار الغرس بإذن الله تعالى
إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً

وفقكم الله والسلام عليكم

كلمة الجامعة

اغتنام الوقت

الحمد لله علّم بالعلم، علم الإنسان ما لم يعلم. وأصلي وأسلم على الموصوف بالجمال والقيم سيدنا ومولانا محمد النبي العلم.

أما بعد:

فينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع من لحظة في غير قربة ويقدم فيه الأصل فالأفضل من القول والعمل. واعلموا إخوتي أن الأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاساً، والأنفاس جواهر وكل نفس خزانة فاحذروا أن يذهب نفس بغير شيء فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم.

وإننا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى جزء من العمر.

إن الوقت معظم في الإسلام، ألا تنتظرون معي إلى أوقات الصلاة كيف هي محددة **{ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً }**. ألا تعلم ضبط الوقت دقة الوعد وأداء كل عمل في أوقاته المخصصة له.

ألا تنتظرون إلى بقية التكاليف الشرعية الحج، الزكاة، الصوم، زكاة الفطر، الأضحية، التيمم، والمسح على الخفين، الرضاع، الطلاق، العدة، الرجعة. إن الإسلام ربطك بالزمن فعليك أن تحترم الوقت لأن الوقت أغلى ما تملك، هو حياة العالم وطالب العلم، هو رأس المال والربح جميعاً، فالعاقل لا يضيع وقته.

الزمن نعمة من أغلى النعم على العبد لأن الزمن هو عمر الحياة. هل عرفتكم الآن لماذا أقسم الله بالزمن **{ والفجر وليال عشر }**. **{ والضحي والليل إذا سجي }**. **{ والعصر }**. أقسم الله بها لأن فيها يحصل السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر.

والوقت أنفس ما غنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع لقد نبهك سيدنا رسول الله إلى هذا وقال: إنك مغبون بالوقت وسوف تضيعه سدى وقال لك: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ).

وحذرك عن مسألة الوقت يوم القيامة وقال لك: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه).

فاغتنموا يا شباب شبابكم ووجودكم مع أساتذتكم. خففوا من اللهو ما استطعتم وإياكم أن تبيتوا ليلة لا تزددون فيها علماً عما سبق.

يقول سيدنا ابن مسعود: (ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسهُ نقص عمري ولم يزد فيه علمي).

وقال سيدنا علي: لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه علماً عما سبق ولعمر الله كم كان سيدنا الحسن بليغاً حينما قال: (يا بن آدم إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك). والفقير أقول وإذا ذهب بعضك يذهب كلك.

والله عندما أسمع عن السابقين كيف كانوا مع الزمن وتسايقوا معه أتعجب أيما العجب.

هذا سيدنا سفيان الثوري يقدم على سيدنا حماد بن سلمه البصري النحوي، (يقول عنه الذهبي: الإمام القدوة شيخ الإسلام توفي ١٦٧ هـ، وعمره ٧٦ سنة). فيقول له حدثني بحديث أبي العشراء عن أبيه فحدثته فلما فرغ أقبل على سيدنا سفيان فسلم عليه واعتنقه فقال حماد: من أنت؟ قال: سفيان. قال: ابن سعيد؟ قال: نعم، قال: الثوري؟ قال: نعم، قال: أبو عبد الله؟ قال: نعم. قال: ما منعك أن تسلم علي قبل أن تسأل الحديث. فقال: خشيت أن تموت قبل أن أسمع الحديث منك. هذا يسمى الحرص على العلم.

هل تعرفون لم أشتهر ابن أبي حاتم المحدث. قال عنه ولده حاتم: أنه كان يأكل وابنه يقرأ عليه، ويمشي وابنه يقرأ عليه، ويدخل بيت الخلاء وابنه يقرأ عليه. اليوم الولد يجلس على التواليت ويبيده الجوال ضيع حياته ودينه.

وأريد أن أحدثكم عن ابن عقيل (أبو الوفاء بن عقيل توفي ١١١٩ م - ٥١٣ هـ في بغداد تلميذ أبو اسحق الشيرازي الفقيه الشافعي) شيخ الحنابلة من كبار الأئمة وشيخ الإمام الجيلاني، من كتبه الفنون في الوعظ والتفسير والفقه والأصول والنحو والفقه والشعر والتاريخ والخطابات والمناظرات ومجالسه التي وقعت له حتى عد حاجي خليفة صاحب كشف الظنون أن الفنون التي فيها أكثر من أربعمئة فن / الذهبي قال عنه الإمام العلامة البحر المتكلم كان كريماً حضر جنازته ٣٠٠/٠٠٠ ما ترك إلا كتبه وثيابه وكانت قيمة جداً (كتب عنه ابن حجر في لسان الميزان وسير أعلام النبلاء). عاش أكثر من ثمانين سنة) هذا الرجل كان دائم الانشغال بالعلم، آية من آيات الله، ألف كتاب الفنون، يقول عنه الحافظ الذهبي: لم

يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب. ويقول ابن رجب عنه: هو ثمانمئة مجلدة. يا ترى كم من وقته ضيع، كم سيران، وكم فيديو، وكم جوال. اسمعوا يا شباب:

وأنا أغار عليكم، أريد أن أسألكم كم يعيش العبد؟ ٦٠ سنة (أعمار أمتي بين الستين والسبعين وقليل من يجوز ذلك) ت - جه - حب - حا. يمضي ثلثها بما يشبه الطفولة ٢٠ سنة وكل والد يعتبر ابنه ما دون العشرين أنه يحتاج إلى الرعاية والعناية والاهتمام.

بقي ثلثان ٤٠ سنة لمن قد مدَّ الله في عمره، كم يذهب للنوم؟ ثلثها حوالي ١٤ عاماً، يبقى من عمر الإنسان ٢٦ سنة كم منها لطعام، وكم منها لشرا به، أو كم منها للأمر المباحة.

هل تعلمون أن العبد إذا أضاع في كل يوم ١٠ دقائق فقط يكون مجموع ما أضاع في عمره ٦ أشهر ولو أضاع ٢٠ دقيقة = سنة. ولو أضاع ساعة = ٣ سنوات. ولو أضاع ١٠ ساعات = ٣٠ سنة.

انتبهوا على أوقاتكم واستعينوا عليها بثلاثة أمور:

١- الانفراد والعزلة قدر الإمكان.

٢- الاقتصار على السلام لمن تلتقي به.

٣- قلة الأكل فكثرته سبب للنوم الطويل.

الآن أرى أن تغتتموا أوقاتكم المضاعة: مثلاً تنتظر وسيلة النقل، أو أنك تعاني الأرق أو يفاجئك أحدهم بزيارة غير متوقعة، أو عندما تمسك الجوال، أو عندما ينقطع التيار الكهربائي، أو تمشي في الطريق نحو هدف فاستثمر كل هذه الأوقات بأشياء مثل ما استثمرها سيدنا حماد بن سلمة حدثوا عنه أنهم ما رأوه ضاحكاً قط وكان مشغولاً إما أن يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي، ومات وهو يصلي.

الخطيب البغدادي (توفي ٤٦٣ هـ عاش ٧١ سنة) كان يمشي وفي يده جزء يطالعه... ضع المصحف الصغير في جيبك واحفظه وأنت ماشي.

وإذا فاتك كل ذلك (لا يزال لسانك رطباً بذكر الله) (ت - ج - أحمد) أو بالدعوة إلى الله بالمعروف.

سبب حديث الإمام أحمد الحديث الثلاثي من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة.

سأخبرك مشهداً جميلاً حدث مع محمد بن سلام تلميذ البخاري كان يجلس في مجلس إملاء الحديث للبخاري فانكسر قلمه فنادى قلم بدينار فتطايرت إليه الأقلام.

ومن عجيب ما ذكر للإمام أحمد بن حنبل أنه كان يحمل معه المحبرة أينما ذهب فالتقاه رجل من العلماء فرآه يحمل المحبرة فقال يا إمام ٧٠٠/٠٠٠ حديث وما زلت تحمل المحبرة فقال: مع المحبرة إلى المقبرة.

شيء عجيب وأعجب منه تلميذ الإمام أبي حنيفة القاضي أبي يوسف (كان حريصاً على العلم والوقت، لما مات ولده وكل من يقوم بتجهيزه ودفنه وذهب ليحضر درس شيخه أبي حنيفة. وقد لازم شيخه ٢٩ سنة). حضره الموت فجاءه تلميذه يعود (إبراهيم بن الجراح) فوجده مغمى عليه فلما أفاق قال: ما تقول في مسألة؟،

فقال له: الآن وأنت مريض؟!

قال: لا بأس بذلك ندرس لعله ينجو به ناج.

ثم قال يا إبراهيم: أيهما أفضل في رمي الجمار أن يرميها ماشياً أو راكباً؟
قال: راكباً.

قال: خطأ.

قال: ماشياً.

قال: خطأ.

قال: قل لي فيها يرضى الله عنك.

قال: أما إذا كان يوقف عنده دعاء فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يوقف فيه دعاء فالأفضل أن يرميه راكباً.

ثم قام من عنده فما بلغ باب داره حتى سمع صارخاً يقول: مات أبو يوسف رحمه الله.

ختاماً خذوا القواعد من إمامنا الشافعي رضي الله عنه:

أخي لن تنال العلم إلا بسة
سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

وفقمكم الله وفتح عليكم مغاليق العلوم وأعانكم على طرقه.

وجعلكم من أئمة الدين والهدى

كلمة مؤتمر التصوف الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم التقارب بين الطرق الصوفية (اندونيسيا)

لك الحمد يا من أحصى بلطفه الخلائق عدداً، وجعلهم بمشيئته طرائق قدداً، كل يعمل على شاكلته في عاجلته لأجلته.
صل على صفوتك من أنبيائك، الواقف على سر حقيقة أنبيائك سيدنا محمد خاتم، رسالة الرسالة، المنتخب من أكرم عنصر وأطيب سلاله، و على آله الجامعين لمكارم الأخلاق، وصحبه الحائزين من الفضل مرتبة الاستحقاق . وسلم تسليماً.

أما بعد :

فأحيي جمعكم المبارك سادة ومشرفين ومشاركين..
وأتشرف وأتبارك وإياكم في البداية بتلاوة آية من كتاب ربنا عز وجل...
وهي قوله: { وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا }...
فجمعنا المبارك يستمد مدده من المنهج القرآني الكريم..

إخوتي الكرام :

كنت أقرأ في الفقه على المذاهب الأربعة قاعدة لطيفة تعبر عن مدى ترابط المذاهب الإسلامية وهي قول كل منهم: (مذهبي صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيري خطأ يحتمل الصواب)..
أما في الطرق الصوفية فأقول: (طريقتي صواب وطريقة إخوتي صحيحة لأنها كلها تدل على الواحد الأحد جل جلاله)..
..

طريقنا واحد - أيها السادة- والاختلاف فيه ليس اختلافا في منهجية الطريقة فكلها مستمدة من الكتاب والسنة ، وإنما يأتي الاختلاف بيننا في طريقة التربية واختلاف المشارب واختلاف البيئة الاجتماعية التي تظهر فيها هذه الطرق:

- فقد يسلك بعض الشيوخ طريق الشدة في التربية فيأخذوا المريدين بالرياضات العنيفة ؛ ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر... واشتهر ذلك عن سيدنا الإمام حماد الدباس شيخ سيدنا الإمام الجيلاني قدس الله روحهما...
- وقد يسلك بعض الشيوخ طريقة اللين في تربية المريدين فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام والقيام وكثرة الذكر.. ولا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلا... وهي طريقة سيدنا الإمام الشاذلي وطريقته جمالية... والأولى جلالية هي والنقشبندية..
- ومن الشيوخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين ... وهي أكثر الطرق...

وكل هذه الأساليب لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله بل هي من باب الاجتهاد المفتوح للأمة... ورحم الله من قال : (لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق) ..

ويظهر التواصل بين الطرق جميعا بالمنهجية الواحدة.. سواء تم التواصل جسدياً بين الطرق أم لا.. لكنهم جميعاً في قلب كل صوفي يعتقدون اعتقاداً جازماً أن شيخ طريقتهم والدهم الروحي أو والدهم في الدين على حد تعبير الامام النووي رحمه الله تعالى.. وأن بقية شيوخ الطرق هم اعمامهم وإخوة والدهم يحترمونهم كما يحترمون أعمامهم من القرابة بل أشد...

فالتواصل موجود ولو اختلفت الرايات لأنها لتمييز الأب الروحي لهم فقط؛ فتمييز السادة الرفاعية باللون الاسود.. والسادة القادرية باللون الأخضر والسادة الأحمدية باللون الأحمر...فهو اختلاف تمييز وليس اختلاف منهج.. اختلاف لباس وليس اختلاف قلوب ومنهج..

كلهم دعواهم واحدة متحدون في السلوك فهم:

١-يعتمدون على القدوة الصالحة.

٢-وبسر هذه القدوة استطاعوا حمل راية الإسلام إلى كل مكان.

٣-ولا وجود لإرهابي أو متطرف فيهم..

كلهم سندهم متصل في التربية والتزكية، هم طريقة واحدة من مدرسة واحدة عميدها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولها أساتذة محاضرون فيها.. هم شيوخ الطرق...

واسمحوا لي أن أرجع بكم إلى الوراء أربعة عشر قرنا من الزمان زمن العهد النبوي الشريف...

فقد كان صلى الله عليه وسلم يخص كلا من أصحابه بورد يتفق مع درجته وأحواله... :

- فكان نصيب جدي سيدنا علي بن أبي طالب أن أعطاه الذكر بالنفي والإثبات وهو (لا إله إلا الله)..كما نقل ذلك بعض من كتب في تاريخية التصوف دون ذكر المصدر..

- وأما الصحابي الجليل سيد أهل زمانه وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد أخذ عنه الذكر بالاسم المفرد وهو (الله) ...

ثم أخذ عنهما من التابعين هذه الأذكار وسميت الطريقتين بالبكرية والعلوية..

ثم انتقلت الطريقتين حتى التقتا عند الإمام سيدنا أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه..

ثم تفرعنا إلى الخلوتية والنقشبندية ... واستمر الحال كذلك حتى جاء

الأقطاب الأربعة:

سيدي الإمام أحمد الرفاعي
وجدي سيدي الإمام عبد القادر الجيلاني..
وسيدي الإمام أحمد البدوي
وسيدي الإمام إبراهيم الدسوقي.
رضي الله عنهم أجمعين..

هؤلاء جميعاً اجتمعوا على مائدة واحدة هي مائدة المصطفى صلى الله عليه وسلم شيدوا عليها طرقهم وأضافوا عليها من أورادهم وأدعيتهم... وكل الطرق الأخرى مستمدة من طرائقهم إضافة إلى أوراد إمامنا الشاذلي قدس الله سره والتي تعتبر أوراده جزءاً من أوراد أي طريقة موجودة اليوم... كان التقارب بين هؤلاء العمالقة ومريديهم موجوداً وإن لم يتواصلوا جسدياً فأهل الله من المشرق يحبون أهل الله من المغرب.

والفقير من الشام أطرب لسيدنا الإمام - أحمد الرفاعي وهو من العراق.
واحترم سيدنا الإمام أحمد البدوي وهو من مصر.
وأعتر بسيدنا الإمام الجيلاني وهو من العراق.
وأرفع رأسي عالياً بسيدنا أبي مدين الغوث وهو من المغرب.
وأنتسب إلى والدي سيدنا الإمام أبي الحسن الشاذلي قدس الله أسرارهم..
وهكذا كل صوفي في العالم الإسلامي يعتز أن عنده كتاب الفتوحات للإمام ابن عربي

و طبقات الصوفية للمناوي

و جامع كرامات الأولياء للنبهاني و كتاب الإحياء للإمام الغزالي.

ومن منا لا يجلُّ الإمام الجنيد وسيدنا معروف الكرخي والإمام شاه
نقشبند، وهذه البلاد تدين بالوفاء للسادة الباعلوية الأشراف إذ حملوا إليها
الفقه الشافعي والتصوف..

لقد أصبحت الصوفية في العالم الإسلامي لحمّة واحدة لا تنفك عُراها ما
دامت دولة الأولياء قائمة، ولقد سرت روح الإيمان والإحسان من
شيوخها إلى مريديهم ويا لها من نعمة عظيمة.

واسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد الفذ الذي يعبر عن تواصل الصوفية
عبر العالم الإسلامي تواصلاً عجيباً من نوعه...

أنقل لكم الأنباء من بغداد الجريحة ومن جامع سيدنا الإمام الشيخ عبد
القادر الجيلاني

قدس الله سره، تعالوا بنا نسمع هذه الكلمة من فمه الطاهر ما قالها أحد
من الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأقطاب، ما قالها إلا هو ها هو
يقول رضي الله عنه: (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله).

وليس الشاهد من القصة تأويل هذه الكلمة لأن الصوفية لا يحتقرون أحداً،
ولكن الشاهد هو كيف تواصل الصوفية معه عبر العالم الإسلامي في
عصره أي فاكس أو تليكس أو أنترنيت نشر هذا القول ..؟؟!

أتدرون ماذا فعل سيدي الشيخ أحمد الرفاعي في العراق وسيدنا الشيخ
رسلان الدمشقي في دمشق وسيدنا الإمام ابو مدين الغوث في المغرب
وسيدنا عدي ابن مسافر في العراق وسيدنا حياة بن قيس الحراني في
ظاهر دمشق، وكل ولي حاضر أو غائب؟ كل منهم مدّ عنقه وقال: على
رقبتي.

فاستغرب المريدون الجالسين مع هؤلاء الأقطاب فسألوا شيوخهم فقال
كل منهم:

- الآن ببغداد الشيخ عبد القادر الجيلاني قال: (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله). فمددنا أعناقنا تصديقاً لكلامه...

إنه تواصل عجيب... ولحمة قلبية رائعة... وهكذا كل الصوفية الصادقين في العالم.... على قلب واحد رضي الله عنهم.

ولعل التواصل القلبي أهم بكثير من التواصل الجسدي وها أنا الفقير دعوتموني إلى مؤتمرهم فقطعت آلاف الأميال لآتي إليكم ولكن ليس بيني وبين قلوبكم شعرة واحدة من البعد.

والفقير أتواصل معكم بعد كل ورد أقرؤه وأدعو لكم (اللهم أغفر لمشايخ الطرق الصوفية ومريديهم.... لا أقطع ذلك في حل ولا سفر.

إخوتي في الله

تلك هي أمهات الطرق ولقد انتشرت عن طريق مريديها في العالم الإسلامي والعربي والغربي بسبب زيادة التواصل بينهم، وانعكس ذلك على الحياة الاجتماعية فتماسك أفرادها فكانوا على قلب واحد ولو اختلفت أقطارهم...

وها أنا الفقير نائب مشيخة الطرق الصوفية في البلاد الشامية أعلن أمامكم أخوتكم ومحبتكم والتواصل معكم، كما وأنقل لكم أخوة ومحبة إخوانكم في الشام الشريف من على هذا المنبر الكريم..

إخوتي في الله

اليوم الطرق الصوفية تستوجب نفساً جديداً لوقف نزيف الدم بإحداث ثورة روحية جديدة تتعاطى مع المتغيرات بروح جديدة.... تتميز بالعقلانية الأم والحكمة والتسامح والمحبة والصبر..... مستمدة ذلك من أخلاقيات الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي قال: (ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)، (إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)...

اذن نحن اليوم في أمس الحاجة لجسر اتصال وتواصل بين الظواهر المنفلتة في الغرب والشرق على حد سواء، هذا الجسر الإنساني والحضاري يحمل في طياته ثمار الحوار الواعي الذي يزرع بذور السلام العالمي بالأمن والأمان ؛ والعمل بهدوء وأناة لعلاج كل البثور الخطيرة ونزع فتيل الخراب والدمار بذكاء ودهاء ، ويمكنني أن أقول بملء الفم: إن هذا الجسر ما هو إلا التصوف...

نعم - أيها السادة- التصوف الإسلامي هو الجسر الحضاري والإنساني الذي يمد أسباب الاتصال والتواصل بين الشرق والغرب بأنوار الإشراف الرباني الذي يضيء ظلمات الغيش الذي يتردى في ظلماته العميان من أبناء البشرية الذين فقدوا البوصلة التي تهديهم لهذه المنارة، فتخطوا في العنف والتطرف والتعصب ، وأسألوا أنهارا من الدماء في غيبة العقل والحكمة..

جرب العالم الاشتراكية ففشلت وجربوا الديموقراطية فانخذلت وجربوا العلمانية فما أفلحت ...كل الأحزاب والهيئات فشلت في هدي الإنسانية إلى الخلاص مما هي فيه من تردٍ وفوضى.. وأقول للعالم أجمع : جربوا التصوف ولن تندموا فهي طريق أهل الله تعالى...فلا نجاة إلا بالتصوف...

إنني وأنا الفقير أتحدث عن التواصل الصوفي فيما بيننا لأعلم تلك الاتهامات التي تدور حوله لا أول لها ولا آخر...وألتمس العذر للمتهمين وأقدر حيثيات اتهاماتهم.. فقد اختلط الحابل بالنابل (اختلط الحق بالباطل) و لبس جبة التصوف أهل التسوق والتسول وال دراويش الذين لا يعرفون من التصوف إلا اسمه ورسمه.. فهو لاء أسكت عنهم...

وإنما أتحدث عن المتصوفة العباقرة المتمسكين بحبل الكتاب والسنة...هؤلاء اليوم هم الذين يعالجون أمراض العلمنة والإفراط في

الحرية؛ فالعلمنة تدبير لا يستهدف سوى تجريد الأشياء من قيمتها الروحية ، هذه القيمة التي عبّر عنها الإمام الجنيد رحمه الله تعالى بقوله : (التصوف ذكر مع اجتماع ، ووجد مع استماع ، وعمل مع اتباع)... والتي قال عنها الإمام الشبلي رحمه الله تعالى : (التصوف الجلوس مع الله بلا هم)..

إخوتي في الله

هذه المؤتمرات والندوات مهمة جدا لثلاثة أهداف :

- ١- تحقيق الترابط والتعاون بين الطرق الصوفية على مستوى العالم.
- ٢- نشر الفكر الصوفي الوسطي الذي لا يميل إلى الإفراط والتفريط.
- ٣- إقامة مجتمع إسلامي يتحلى بأخلاق وآداب الإسلام..

هذه الأهداف الثلاثة تساعد على العمل والإنتاج وبناء حضارة تفخر بها الأجيال القادمة..

وإذا كان لا بد من التواصل الجسدي فأقدم لكم بعض الوصايا لتحقيق ذلك، أرجو ضمّها إلى وصاياكم الكريمة في هذا المؤتمر الكريم:

الوصية الأولى:

خروج الصوفية من الخلوات إلى الجلوات وضرورة تحولهم من صالحين إلى مصلحين، وانتشارهم في المجتمعات الإسلامية لقيادة عملية الإصلاح ونشر أخلاق وآداب الإسلام.

الوصية الثانية:

الاهتمام بالجانب الإعلامي الصوفي عن طريق إصدار مجلة دورية لخدمة التصوف عالميا باللغات المتاحة، وضم طائفة من المصلحين أصحاب الأقلام النظيفة في العالم تحت رايتها ونشر مقالاتهم فيها.

الوصية الثالثة:

عقد مؤتمرات دورية لبحث أوجه العمل الإيجابي لمصلحة التصوف.

الوصية الرابعة:

التواصل العلمي عن طريق تبادل المطبوعات بين الطرق الصوفية .. وخاصة قد أصبح ذلك سهلاً أمام أجهزة التواصل المتعددة التي توصل المعلومة بأقل زمن ممكن...حتى إنها جمعت الشرق إلى الغرب والشمال إلى الجنوب وكأنها قرية واحدة...

الوصية الخامسة:

عمل موقع على الإنترنت لتسهيل تبادل المعلومات...وأعتقد أن هذا موجود...

الوصية السادسة:

تأسيس قناة فضائية صوفية كالتى أسسها الشيخ ناصر الدين الخطيب رحمه الله تعالى في الأردن ، وبقيت سنوات حتى مات رحمه الله .. وهذه القناة الصوفية تعمل على توحيد كلمة التصوف بين المسلمين ومواجهة التحديات والمخاطر التي تهددهم..

الوصية السابعة:

إنشاء صندوق مالي يتبع للمؤسسة الصوفية العالمية لتمكين الطرق الصوفية من تنفيذ برنامجها الإصلاحي الشامل..

الوصية الثامنة :

اعتماد مندوبين وأعضاء عاملين عن المؤسسة في كل بلد ليلقى التواصل متاحاً بين تلك الدول ومؤسسة التصوف.

الوصية التاسعة:

نشر منارات وزوايا الصوفية في جميع أقطار العالم تحت اسم تلك المؤسسة.. وهو اليوم وإن كان موجوداً على الصعيد المحلي لكنه غير فعال عالمياً...

الوصية العاشرة :

تقديم العون المادي والروحي للمسلمين المستضعفين في جميع أنحاء العالم..

الوصية الأخيرة :

تحريض الصوفية أن يمارسوا حقوقهم الكاملة في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية حيثما كانوا واستثمار ثقلهم البشري والروحي في خدمة قضايا الإسلام..

إنني من على هذا المنبر لأرفع التحية إلى كافة الطرق الصوفية في العالم...أحيي الطريقة القادرية والشاذلية والرفاعية والدسوقية والنقشبندية والأحمدية والأكبرية والبالوعية والبكتاشية والخلوتية والسمانية والتيجانية والإدريسية والمولوية...وما تفرع منها من طرق موصلة الى الله تعالى...

وأدعوهم جميعاً للتواصل أينما كانوا ورفع راية التصوف غير هيايين من الهجمة الشرسة على التصوف.. فهذا وقتهم وهذا أوانهم مع انخزال القوى المناوئة لهم...

كما أرفع التحية إلى صوفية الشيشان على مؤتمرهم الأول في التصوف.. وأهنئ صوفية كراتشي على مؤتمرهم الثاني للتصوف.. وأهنئكم جميعاً، وما هذا المؤتمر إلا سلسلة في الوصول إلى طريق الحق والحقيقة والشرعية.. وأذكرهم جميعاً بالحديث الشريف المروي عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ روي عنه : (إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين، والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة).

رواه الدراقطني وابن عدي وابن حبان واورده القشيري في الرسالة.(١).
وشكرا لحسن إصغائكم. والحمد لله رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته.

(١) قال الإمام العراقي في الإحياء: رواه الداقطني في غرائب مالك وأبو
بكر بن الخلال في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وابن حبان في
الضعفاء من حديث ابن عمر .. واورده الإمام القشيري في الرسالة فقال:
اخبرنا أبو عبد الله السلمي . اخبرنا ابراهيم بن احمد بن محمد بن رجاء
البيزار . حدثنا عبد الله بن جعفر بن احمد البغدادي. حدثنا عثمان بن معبد.
حدثنا عمر بن راشد. عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن
الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لكل شيء مفتاح،
ومفتاح الجنة حب المساكين....) الحديث.

من هم الأولياء ، وما هي درجاتهم؟

الحمد لله حديثي اليكم اليوم عن أولياء الله —
وهم أهل الإيمان والتقوى، الذين يراقبون الله تعالى في جميع شؤونهم، فيلتزمون
أوامره، ويجتنبون نواهيه.

قال الله تعالى : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ
هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) يونس/ ٦٢-٦٤.

" يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كما فسرهم ربهم ، فكل من
كان تقيا كان لله وليا : أنه (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فيما يستقبلون من أهوال القيامة،
(وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) على ما وراءهم في الدنيا بعد أن يرحلوا عن الدنيا.
وقال سيدنا عبد الله بن مسعود ، وجدي سيدنا ابن عباس ، وغير واحد من السلف:
أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله .

وقد ورد هذا في حديث مرفوع .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن
من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء . قيل : من هم يا رسول الله ؟ لعنا
نحبهم . قال : هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور
على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس . ثم
قرأ : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) رواه أبو داود بإسناد
جيد —

ثانيا :

الولاية متفاوتة بحسب إيمان العبد وتقواه ، فكل مؤمن له نصيب من ولاية الله
ومحبته وقربه ، ولكن هذا النصيب يتفاوت بحسب الأعمال الصالحة البدنية
والقلبية التي يتقرب بها إلى الله ، فكل مؤمن ولي
ثم لا شك أن النبوة هي أعلى وأرقى درجات الولاية لله عز وجل .
" الناس على ثلاث درجات : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات .
فالظالم لنفسه : العاصي بترك مأمور أو فعل محظور .

والمقتصد : المؤدي الواجبات والتارك المحرمات .
والسابق بالخيرات : المتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب ، والتارك
للمحرم والمكروه .

وإن كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه : إما بتوبة - والله
يحب التوابين ويحب المتطهرين - وإما بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفرة ،
وإما بغير ذلك . وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذين
ذكرهم في كتابه بقوله :

(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) ،
فقد أولياء الله هم : المؤمنون المتقون .
فهناك ولاية عامة وهناك ولاية خاصة "

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري
في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أنه قال : (يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي
عبدني بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدني يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه
، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي
يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي
يمشي ؛ ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا
فاعله ترددني عن قبض نفس عبدني المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له
منه) .

وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان : فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه ، كما
معه من ضد ذلك بقدر فجوره ، إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات
المقتضية للثواب ، والسيئات المقتضية للعقاب ، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب ،
وهذا قول جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل
السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من
إيمان " انتهى .

ثالثاً :

الولاية ليست حكراً على أحد ، وليست علامة مميزة لطبقة معينة من الناس ، ولا تنال بالوراثة ولا بالأوسمة ، بل هي رتبة ربانية تبدأ بالقلب محبة وتعظيماً لله عز وجل ، وتترجم إلى واقع عملي ، فيكسب صاحبها حب الله تعالى وولايته.

رابعاً :

الولاية لا تبيح لصاحبها فعل المحرمات ولا ترك الواجبات ، بل إن فعل ذلك فهو دليل على نقص ولايته لله،

خامساً :

أفضل أولياء الله تعالى هم الرسل والأنبياء ثم أصحاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ولا نعلم أنه ورد إطلاق اسم "أصحاب الله" على أحد منهم .

وإنما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم تسمية "أهل القرآن" بـ "أهل الله" .
فقد روى الإمام أحمد (١١٨٧٠) وابن ماجه (٢١٥) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ) .

(أهلين) جمع أهل .

(أهل القرآن) حفظته القارئون له العاملون بما فيه .

(أهل الله) أي : أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به .

والله أعلم .

كرامات الأولياء

واعلموا أن مذهب أهل الحق، إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، وآيات في القرآن العزيز، وأحاديث النبي مستفيضة.

أما الآيات، فقولته تعالى في قصة مريم: {وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا} .

ولم تكن مريم نبيهة بإجماع العلماء؛ بل كانت ولية صديقة،

- وقوله تعالى: {كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله}.
- ومن ذلك قصة صاحب سليمان عليه السلام حيث قال: {أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك}.
- وفي ذلك قصة أهل الكهف وما اشتملت عليه من خوارق العادات قال إمام الحرمين وغيره: ولم يكونوا أنبياء بالإجماع.
- وأما الأحاديث فكثيرة؛ منها: حديث أنس، أن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي في ليلة مظلمة، ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا، صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله! .
- أخرجه البخاري في صحيحه في "كتاب الصلاة" وفي "علامات النبوة".
- هذان الرجلان: "عباد بن البشر" و "أسيد بن حضير".
- ومنها: حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين أوا إلى الغار فأطبقت صخرة عليهم بابه فدعا كل واحد منهم بدعوة فانفجرت عنهم الصخرة، وهو مخرج في صحيح البخاري ومسلم.
- ومنها حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في قصة جريج، أنه قال للصبي الرضيع: من أبوك قال:؟. فلان الراعي وهو مخرج في الصحيح.
- ومنها حديث أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر).
- وفي رواية:
- (قد كان فيمن [كان] قبلكم رجال من بني إسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء).
- "رواه البخاري في صحيحه".
- ومنها الحديث المشهور في صحيح البخاري وغيره في قصة خبيب الأنصاري -
- وقول من سجنته بنت الحارث فيه: والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده، وأنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر!.
- وكانت تقول: إنه لرزق الله ساقه اليه.
- [المعجزة والكرامة لا يفترقان]

- قال: وأما الفرق بين المعجزة والكرامة، فلا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة، ووقع الكرامة دون ادعاء النبوة. وقد جرى من الآيات في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا ينكره منتم إلى الإسلام، وذلك قبل النبوة والانبعاث، والمعجزة لا تسبق دعوى النبوة، فكان كرامة.

- فإن قالوا: وقعت للأنبياء دون عوامهم، قلنا: شرط المعجزة: الدعوى؛ فإذا فقدت كانت خارقة للعادة، كرامة للأنبياء، ونجعل بذلك غرضنا في إثبات الكرامات.

[الفرق بين السحر والكرامة]

- قال الإمام وغيره في الفرق بين السحر والكرامة: أن السحر لا يظهر إلا على فاسق، والكرامة لا تظهر على فاسق قال: وليس ذلك من مقتضيات العقل؛ ولكنه متلقى من إجماع الأمة.

[في إثبات كرامات الأولياء]

- ظهور الكرامات، علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله؛ فمن لم يكن صادقا فظهور مثله عليه لا يجوز.

وتكلم أهل الحق في الفرق بين الكرامة والمعجزة.

[الفرق بين المعجزة والكرامة]:

- المعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي، كما أن الفعل المحكم لما كان دليلا للعالم فيكونه عالما لم يوجد غيره يكون عالما.
- وكان يقول: الأولياء لهم كرامات، منها شبه إجابة الدعاء، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا.

- المعجزات دلالات الصدق، ثم إن ادعى صاحبها النبوة دلت على صدقه، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت على صدقه في حالته. فتسمى كرامة، ولا تسمى معجزة، وإن كانت من جنس المعجزات، للفرق.

- وكان رحمه الله يقول:

- من الفرق بين المعجزات والكرامات، أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون بإظهارها، والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها.

[كل كرامة لولي معجزة لنبي].

الكرامات تتنوع بتنوع الأحوال

هذه الكرامات [قد] تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام في أوان [فاقة] من غير سبب ظاهر، أو حصول ماء في وقت عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليص من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، وغير ذلك من فنون الأفعال المناقضة للعادة.

[رؤية الله تعالى]

قال القشيري: فإن قيل: فهل تجوز رؤية الله [تبارك] وتعالى بالأبصار اليوم في الدنيا على جهة الكرامة؟.

- قلنا: الأقوى أنه لا يجوز؛ لحصول الإجماع عليه.

- قال: ولقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رضي الله عنه، يحكي عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله أنه قال: في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبيرة.

- قلت: قد نقل جماعة الإجماع على أن رؤية الله تعالى لا تحصل للأولياء في الدنيا، وامتناعها بالسمع، وإلا فهي ممكنة بالعقل عند أهل الحق، كما أنها حاصلة للمؤمنين في الآخرة باتفاق أهل الحق.

- وقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء، والمختار عند الأكثرين أو الكثيرين أنه رأى. وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد بسطت مقاصد ذلك في أوائل شرح صحيح مسلم رحمه الله.

[أبو مسلم الخولاني رضي الله عنه]

وأخبرنا شيخنا أبو البقاء الحافظ قال: أخبرنا أبو محمد أخبرنا أبو بكر أخبرنا الخطيب أخبرنا الحسن بن محمد البزاز أخبرنا محمد بن جعفر الآدمي أخبرنا محمد بن موسى الشطوبي أخبرنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة، عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال:

- قالت امرأة أبي مسلم: - يعني الخولاني - يا أبا مسلم ليس لنا دقيق قال:؟! عندك شيء قالت: درهم بعنا به غزلا قال: أبغضيه أي أعطينيه وهاتي الجراب فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام، فوقف عليه سائل فقال: يا أبا مسلم تصدق علي فهرب منه وأتى حانوتا آخر، فتبعه السائل، فقال:! تصدق علينا فلما أضجره

أعطاه الدرهم، ثم عمد إلى الجراب فملأه من نحاعة النجارين مع التراب! ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب، وقلبه مرعوب من أهله فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب! فلما فتحته إذا هي بدقيق حواري، فعجنت وخبزت، فلما ذهب من الليل الهوي جاء أبو مسلم فنقر الباب، فلما دخل وضعت بين يديه خوانا وأرغفة حواري فقال: من أين لكم هذا فقالت: يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به فجعل يأكل ويبكي! .

- قلت: ما أنفس هذه الحكاية وأكثر فوائدها!.

وقوله: "الجراب" بكسر الجيم وفتحها، لغتان الكسر أفصح.

وقوله: الحواري هو بضم الحاء المهملة وتشديد الواو وفتح الراء وتخفيف الياء، وهو الأبيض.

وقوله: الهوي هو بكسر الواو، وتشديد الياء، وأما الهاء فتفتح وتضم لغتان: الفتح أفصح وأشهر، وهو قطعة من الليل [قيل] يجوز ربعه [أ] وثلثه.

وقوله: خوانا هو بضم الخاء وكسرها، لغتان الكسر أفصح وأشهر، وهو عجمي معرب، وجمعه أخونة وخوان.

- وأما أبو مسلم صاحب هذه الكرامة رضي الله عنه، فاسمه: عبد الله بن ثوب، بئاء مثلثة مضمومة، ثم واو مفتوحة مخففة، ثم باء موحدة ويقال: ابن ثواب، ويقال: ابن أثوب، ويقال: ابن عبد الله، ويقال: ابن عوف، ويقال: ابن مسلم، ويقال: اسمه يعقوب بن عوف والصحيح المشهور ما قدمناه.

- وهو من أهل اليمن سكن الشام بداريا بالقرية المعروفة بجانب دمشق، وكان من كبار زهاد التابعين وعبادهم وصالحهم، وأهل الكرامات الظاهرات، والأحوال السنية المتظاهرات.

- وكان قد رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصاحبه، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق، فجاء فلقى أبا بكر الصديق، وعمر وغيرهما من الصحابة، رضي الله عنهم.

كرامات الباز الأشهب سيدنا ومولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني

روي انه زادت دجلة في بعض السنين حتى أشرفت بغداد على الغرق فأتى الناس إلى جناب الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الكيلاني يستغيثون به فأخذ عكازه وأتى إلى الشط وركزه عند حد الماء وقال : إلى هنا فنقص الماء من وقته

وقال عمر البزاز : خرجت مع سيدي الشيخ عبد القادر إلى الجامع يوم الجمعة الخامس عشر من جمادي الاولى سنة ٥٥٦ هـ فلم يسلم عليه أحد فقلت في نفسي : يا عجباً نحن كل جمعة لا نصل إلى الجامع إلا بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ فلم يتم خاطري حتى نظر إلي الشيخ مبتسماً وهرع الناس إلى السلام حتى حالوا بيني وبينه فقلت في نفسي : ذاك الحال خيرٌ من هذا الحال فالتفت إلي مسابقاً لخاطري وقال يا عمر أنت الذي أردت هذا

وعن أحمد بن صالح شافع الجيلي رحمه الله قال : كنت مع سيدي الشيخ عبد القادر بالمدرسة النظامية فاجتمع إليه الفقهاء والفقراء فتكلم في القدر والقضاء فبينما إذ هو يتكلم إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف ففر منها كل من كان حاضر عنده ولم يبق إلا هو فدخلت الحية تحت ثيابه ومرت على جسده وخرجت إلى طوقه والتفت إلى عنقه ومع ذلك ما قطع كلامه ولا غير جلسته ثم نزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه فصوتت ثم كلمها بكلام ما فهمناه ثم ذهبت فجاء الناس إليه ثم سألوه عما قالت له وقال لها ، فقال : قالت لي لقد اختبرت كثير من الأولياء فلم أر مثل ثباتك . فقلت لها : إنك سقطت علي وأنا اتكلم في القضاء والقدر فهل انتِ إلا دويذة يحركك ويسكنك القضاء والقدر .

يقول الامام المناوي في طبقاته عن سيدي عبد القادر (واجتمع له ببغداد مائة من اكابر الفقهاء واتوه لامتحانه فظهرت منه بارقة من نور مرت على صدورهم فصاحوا صيحة واحدة ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم فصعد الكرسي واجاب عن جميع ما عندهم)

وذكر ايضا ان الذباب كان لا يصيبه وراثه من جده المصطفى صلى الله عليه وسلم

وذكر الامام الشعراني من كراماته انه توضأ يوماً فبال عليه عصفور فرفع راسه اليه وهو طائر فوق ميتاً فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه وقال : هذا بهذا

ومنها أنه أتاه بعض الرافضة بقفتين مخيطتين وقالوا : قل لنا ما فيها ، فوضع يده على احدهما وقال : في هذه صبي مقعد ففتحت فاذا فيها ذلك ، فامسك يده وقال قم فقام يعدو ، ثم وضع يده على الأخرى وقال فيها صبي لا عاهة به ففتحت فاذا فيها ذلك فامسك بناصيته وقال له أقعد فاقعد فتأبوا عن الرفض ومات في مجلسه يومئذ من الحاضرين ثلاثة

ومن أراد المزيد من البيان في حق غوث الأعظم الجيلاني فليرجع الي كتاب جامع كرامات الاولياء للنبهاني الصفحة ٢٠٠

ان طلب الدعاء والشفاعة من الحي أو روح الميت طلب عبودية لله، وهو مباح في مبادئ الإسلام، وطلب المدد من الحي معناه دعاؤه، وإرشاده، وروحانيته، وتوجهه، وبركة صلاحه، وتقواه، وسره مع الله، وطلب المدد من الميت طلب من روحه الحي بخصائصه في برزخه السامع المدرك الذي له ما يشاء عند ربه". [أصول الوصول لمحمد زكي ابراهيم ٢٢٤].

فمعنى المدد هنا هو طلب التوسل إلى الله والاستشفاع به إليه عز وجل في قضاء الحوائج ودفع الجوائح، والتماس بركة مقامه عند الله تعالى، والاستمداد من مدد الله وسره. (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً). [الاسراء ٢١].

والتوسل ليس معناه التوسل بالذات المشخصة من اللحم والدم والعظم والعصب، وإنما هو التوجه إلى الله تعالى بالمعنى الطيب في الإنسان، والمعنى الطيب ملازم للروح سواء تعلقت بالجسم في الحياة أو تخلصت منه بالموت واستقرت في برزخها على مقامها هناك.

هذا منهجنا

قال السيد محمد أبو الهدى الصيادي رضي الله عنه :

اعلم ان قيام الليل من احسن القربات واعظم العبادات ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدع قيام الليل وكان اذا مرض صلى قاعدا وكان يحث اصحابه على القيام ويقول

(لا تدعوا قيام الليل ولو حلب ناقة او شاة)

وكان يقول (قيام الليل فريضة على قارئ القرآن)

وكان يقول (قالت ام سليمان بن داود عليهما السلام : يا بني لا تكثر من النوم فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة)

وكان ابو ذر رضي الله عنه يقول اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام :يا داود كذب من ادعى محبتي فاذا جنَّ الليل نام عني، واذا جنَّ الليل بظلامه يقول الله تعالى يا جبريل حرك اشجار المعاملة فاذا حركها قامت القلوب على باب (المحبيب)

وقال الفضيل بن عياض :اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم قد كثرت خطاياك.

وقال الحسن :ان الرجل ليحرم قيام الليل بذنب وقع منه.

وقال سفيان الثوري :حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب واحد قيل وما هو؟ قال رأيت رجلا يبكي فقلت: هذا مرء

المصدر :

كتاب ضوء الشمس في بني الإسلام على خمس للسيد العلامة الفهامة محمد أبو هدى الصيادي الرفاعي رضي الله عنه.

سورة البلد

لما خلق الله الإنسان في كبد يكابد أهوال الدنيا وبلاياها وكربها دعاه إلى ماذا؟؟

دعاه إلى اقتحام العقبة، وما أدراك ما العقبة؟ شاطر فقط يقول: أهلكت مالا لبدا (كثيراً مجتمعاً في المعاصي والموبقات والمباحات) ويفتخر بذلك ... إذا أردت المفاخرة والمغفرة فاقتم العقبة (أي اطلب معالي الأمور)، كلما كان الهدف نبيلاً كانت العقبة أكبر، كلما عظمت درجة الجنة كانت العقبة أكبر (حفت الجنة بالمكاره) بالعقبات، ماهي العقبة التي أشارت إليها الآيات: بذل المال والصدقة وإطعام الطعام فهو شبيه بعقبة الجبل وهو ما صعب منه ...

هذا الفخر: فك رقبة في وقت انتشر فيه الرق في الجزيرة العربية

(أو إطعام في يوم ذي مسغبة) مجاعة، أتعرفون؟ أحياناً عمل بسيط تفعله يكون الناس بحاجة ماسة إليه ينيلك الدرجات العلى، لأن النفس بطبيعتها بخيلة، ألم تسمع إلى قوله تعالى: (وأحضرت الأنفس الشح) (البخل) فالصدقة مثلاً لا تخرج من يد الإنسان حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطانا (أخرجه أحمد_بز- هق_ خز_)، وقد صرح إمام الدنيا سيدنا الجيلاني بهذه الحقيقة صعد مرة المنبر والناس في قحط وجذب فخطب أقصر خطبة في عصره فقال:

(لقمة في بطن جائع خير من بناء ألف جامع،

وخير ممن كسا الكعبة وألبسها البراقع،

وخير ممن قام لله راعع،

وخير ممن جاهد الكفار بسيف مهند قاطع، وإذا نزل الدقيق في بطن جائع له نور
كنور الشمس ساطع،

فيا بشرى لمن أطعم الجائع).

تذكروا يا إخوتي : (ق) (أن الله تعالى غفر لبغي من بني إسرائيل لأنها سقت كلبا
كاد يقتله العطش) فكيف بمن سقى الناس وأطعمهم وكساهم ؟!

انتبهوا إلى العبارة القرآنية كيف تعبر فتقول (أو مسكينا ذا متربة) لا فراش لا
لباس لا لحاف، وإنما صار لا يقيه من التراب شيء، حتى صار صاحب التراب،
... انظروا إلى إخوانكم من أهل الشام في شدة وجوع وقتل وحصار لا مأوى لا
أمان، الآن الآن وقت الصدقة أشد من أي وقت.

أخي المسلم: إياك أن تأتي يوم القيامة وأنت لم تفك رقبة من الفقر ولم تطعم
مسكينا من جوع، (فلا صدق ولا صلى) (ماسلككم في صقر قالوا لم نك من
المصلين، ولم نك نطعم المسكين) سمى الله ذلك بالعقبة الذي لا يقتحمها إلا صاحب
عزيمة وقوة وصبر وشجاعة.

لكن هناك شرطاً لقبول العبادة عند الله تعالى ذكره في السورة (ثم كان من الذين
آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة)، لا يقبل الله عبادة إلا من المسلم، ففي
صحيح مسلم عن السيدة عائشة قالت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية
يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوما رب
اغفر لي خطيئتي يوم الدين) لم يكن يؤمن بالبعث ويرجو لقاء الله.

فيا أخي جاهد نفسك واقتحم العقبة.

خطبة عقد أخي الشيخ راشد

علماء النفس يقولون : (الزوجة تحتاج في كل يوم إلى أربع عشرة لمسة حنان).

-عندما يستيقظ صباحاً يقول لها: صباح النور.

- وعندما تضع الطعام يقول لها : سلم الله اليدين .

-عندما يدخل فيجد بيته نظيفاً مرتباً يقول لها: الله لا يحرمننا منك.

الحنان واللفظ مع الزوجة أمر إخباري من القرآن (لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وفي الحديث (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأطفهم بأهله).

عندما تكون الزوجة ثائرة غاضبة من عملها في البيت يقوم بتهديتها والعطف عليها وتلطيف جو الحياة الزوجية .

أريد أن أوجه رسالة الى الزوجين : إن الحقوق متبادلة، والواجبات متبادلة، كل حق يقابله واجب؛ عندما تثور الزوجة يتحمل الزوج غضبها ويتعامل معها بحنان، الزوجة يتقلب مزاجها شهرياً وعلى الزوج أن يقدر سيكولوجية الزوجة.

وهو عندما يثور: عليها أن تعامله بحنان ولطف، والمرأة أقدر على الحنان من الرجل، والمرأة لديها من العاطفة ما يسع العالم أجمع من حولها لأن الله جهزها بهذا الجهاز لتعطف على أولادها وتقوم بشؤونهم.

تعالوا لتتعلم من سيدنا عمر الذي يقول: (ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي فإذا وجد في القوم وجد رجلاً).

عملاق الإسلام هذا جاء إليه أعرابي وطرق بابَه فسمع امرأة سيدنا عمر تكيل له بالكلام : أنت خليفة المسلمين؟؟! أنت صاحب رسول الله؟؟! أنت كذا .. ؟!

فعاد أدراجَه وهو مطرق الرأس لكن أمير المؤمنين فتح الباب وناداه: يا أخا الإسلام.

فخجل الرجل وعاد إلى سيدنا عمر وقال له : جئتُك أشكو زوجتي فسمعت زوجتك تقول كذا وكذا. فقال رضي الله عنه: أليست مربية لأولادي؟ أليست مهية لطعامي؟ أليست مرتبة لثيابي؟ أليست؟ ... أليست؟ .. فخجل الأعرابي وعاد أدراجَه...

تعالوا الآن نتعلم الحنان من أمهات المؤمنين:

كن حانيات على سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: سيدتنا خديجة جاءها الحبيب الاعظم بعد حادثة الوحي وهو يقول: زملوني زملوني.

فاستقبلته وضمته إلى صدرها وغطته وهي تسأله الخبر، فيخبرها كيف رأى سيدنا جبريل على هيئته التي خلقه الله عليها بين السماء والأرض. فتقول له: كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر ... هذأت من روعه وأزالت عنه ما اعتراه.

الحنان مهم في الأسرة والرحمة أحد أركان الأسرة ، الرفق مهم في الأسرة ...

سيدنا النبي الأعظم يقول : (الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه ، إذا أراد الله يأهل بيت خيرا دلهم على الرفق). (من يحرم الرفق يحرم الخير كله).

أنت لا تدير في بيتك السجن المركزي!! أنت تدير بيتا سماه الله سكنا (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) النحل ٨٠.

أمهات المؤمنين تعطينا درسا آخر في الحنان بين الضرائر:

لما مرض الحبيب الأعظم صار وهو يحمل يسأل كل ليلة: أين أنا غدا؟.. أين أنا غدا..؟ فعرفن أنه يسأل عن يوم السيدة عائشة وليلتها، فقلن له: قد أذنا لك يا رسول الله أن تكون في بيت عائشة: فتحول إلى بيت السيدة عائشة حب رسول الله. السيدة عائشة بمفردها درس للحب بين الزوجين للحنان للعطف للرعاية: السيدة عائشة كانت حب رسول الله أي أحب أزواج النبي إليه سئل من أحب الناس إليك؟ فقال: عائشة. فقالوا: من الرجال؟ قال: أبو بكر.

أهمية العمل في الإسلام

من شدة اهتمام النبي بالعمل دعا الصحابة فقال رسول الله ﷺ : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها)
إنها ليست دعوة للعمل فقط، بل ترغيب في العمل حتى آخر لحظة في الدنيا.

لكن السؤال الذي لا بُدَّ منه: لماذا لم يُسجَل التاريخ أنَّ عاملاً من عُمال دولة الإسلام من زمن رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ومن بعدهم أعلن الإضراب، أو تظاهر ضد قوانين العمل؟ أتدرون لماذا؟ لسبب واحد؛ هو لأن قوانين الخالق هي التي كانت تحكم، لا قوانين المخلوق.

قوانين المخلوق لم تكن تحتقر العامل فقط، بل كانت تستعبدُه وتسترقُه من قِبَلِ رب العمل، فإما أن تكون عبداً خادماً، وإما أن تكون سيّداً، وذلك منذ الجاهلية الأولى حتى جاء الإسلام. وتم تجديدها في جاهلية القرون الأخيرة، ففي عام ١٧٩١م اعترفت أوروبا بحق كل شخص باختيار العمل الذي يُريد، وذلك بعد أكثر من ألف ومئة سنة من إصدار القانون الرباني الذي يقول: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) } (سورة الملك)،

وفي أمريكا بعد ذلك بنحو مئة عام، وفي روسيا اضطر لينين إلى تغيير سياسته وإعطاء العمال وأبناء الشعب بضع شياه بعد موت نحو ٢٠ مليون إنسان جوعاً عام ١٩٢٢، حتى رجال الدين كانوا يأخذون من العمال قوتهم ورزقهم ويعدوهم أن ذنوبهم ستُغفر..

لماذا لم يُسجل التاريخ أن عاملاً واحداً اعترض على قوانين العمل في الدولة الإسلامية؟

لأن أرباب العمل والعمال، والأغنياء والفقراء، والحكام والمحكومين في دولة الإسلام كانوا وقَّافين عند حُدود الله التي حدَّها، مُلتزمين بالقوانين والأحكام التي شرَّعها، فلا يَتَجَاوَزُهَا أَحَدٌ لأن قلوبهم تنبض بقول ربِّهم: { *وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ* }... الله هو الذي سيرى عملكم.. لأنه محفورٌ في قلوبهم قول ربِّهم: (يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفِّيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل، ومن وجد غير ذلك فلا يُلَوِّمَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ). ومحفورٌ في قلوبهم قول نبيِّهم: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

أيها الناس

إن العامل في دولة الإسلام كان راضٍ أشدَّ الرضا؛ لأنَّ رسول الله أمر أرباب العمل فقال: (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه).

راضين لأن الله أمر أرباب العمل على لسان شعيب عليه السلام فقال: { *وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ* }.

راضين لأن الله تعالى أمر أرباب العمل فقال: (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ).

راضينَ لأن نبيَّهم يأمر أربابَ العمل يقول: (إن إخوانكم خولُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم).

راضينَ لأن نبيَّهم (نهى عن استئجار الأجير حتى يُبينَ له أجره).

فضائل الشام

قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام ».

١- عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا »، قالوا: " يا رسول الله، وفي نجدنا؟ " فأظنه قال في الثالثة: « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » (أخرجه البخاري [١٠٣٧]).

٢- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام » (أخرجه أحمد [٢١٧٣٣]).

٣- عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فنظرت فإذا هو نور ساطع عمده إلى الشام، ألا إن الإيمان -إذا وقعت الفتن- بالشام » (أخرجه الحاكم [٨٥٥٤]، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي).

٤- عن سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً: «إنني رأيت الملائكة في المنام أخذوا عمود الكتاب، فعمدوا به إلى الشام، فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام» (أخرجه ابن عساكر في

تاريخ دمشق [١١٠/١]، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام لأبي الحسن الربيعي).

٥- عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام » (أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [٤٤٨/٦]، وابن عساكر في تاريخ دمشق [١٠٩/١]).

٦- عن سيدنا عبد الله بن حوالة رضي الله عنه: كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا إليه العري والفقر وقلة الشيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أبشروا؛ فوالله! لأنا من كثرة الشيء أخوف عليكم من قتلته، والله! لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله عز وجل أرض فارس، وأرض الروم، وأرض حمير، وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة: جنداً بالشام، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن، وحتى يُعطى الرجل المئة فيسخطها ». قال ابن حوالة: " فقلتُ: يا رسول الله! اختر لي إن أدركني ذلك؟ " قال: «إني أختار لك الشام؛ فإنه صفوة الله عز وجل من بلاده، وإليه يحشر صفوته من عباده. يا أهل اليمن! عليكم بالشام؛ فإنه صفوة الله عز وجل من أرض الشام، ألا فمن أبي؛ فليسق من عُدر اليمن -جمع غدير الماء-؛ فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله ».

سورة الأعلى

{ سبح اسم ربك الأعلى }

ما سر التسبيح بالسورة ؟ ما معناه؟ ما فائدته؟

ولماذا قال تعالى: { وإن من شيء إلا يسبح بحمده }

ولماذا خص سيدنا النبي التسبيحات خلف الصلوات المكتوبات ؟

أسئلة تجيب عن سر مطالبة الله منا التسبيح.

التسبيح - يا إخوتي - يعني تنزيهه الله عن كل مالا يليق في علاه، تنزيهه عن كل نقص وعيب، فإذا حضر القلب والعقل والجوارح أثناء التسبيح استشعر العبد قربه من مولاه وحفته الملائكة، وتنزلت على قلبه السكينة.

هلا سألت نفسك لماذا قال تعالى: { وإن من شيء إلا يسبح بحمده }؟

لأنه محتاج إلى رحمة ربه، الجمادات كلها تسبح وأنت معرض عن مولاك، لذلك أملك هنا بالتسبيح لتشارك الكون بتمجيد الله وتعظيمه.

ولعلمك فإنك المستفيد الأكبر من التسبيح، احفظ عني القاعدة: حاصر همومك بالتسبيح فالتسبيح تسليح.

من سبح لا يخيب، من سبح أخذ أسلحته معه، اسمع إلى حبيبك يقول: معقبات لا يخيب قائلهن (التسبيح دبر كل صلاة مكتوبة).

معقبات أي تفعل خلف الصلوات مرة بعد مرة، تأتي خلف المؤمن لتحفظه، وهذا مصرح به في رواية النسائي لما قال النبي الكريم للصحابة: خذوا جنّتكم ! قالوا: أمن عدو قد حضر؟

قال: لا ، جنّتكم من النار، قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مجنّبات ومعقبات). (مجنّبات عن اليمين وعن الشمال ، ومعقبات من خلفه).

هل عرفت الآن معنى أن التسبيح تسليح ؟!

جاء بدوي إلى سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله علمني خيراً؟ قال: قل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. فأخذها البدوي وذهب ثم عاد فقال: هذا كله لله فما لي؟ قال رسول الله: إذا قلت: سبحان الله. قال الله: صدقت، وإذا قلت :الحمد لله. قال: الله صدقت، وإذا قلت: لا إله إلا الله. قال الله: صدقت وإذا قلت: الله أكبر. قال الله: صدقت. فتقول: اللهم اغفر لي. فيقول: قد فعلت. فتقول: اللهم ارحمني. فيقول الله: قد فعلت. وتقول: اللهم ارزقني. فيقول الله: قد فعلت. فعقد الأعرابي سبعاً في يديه).

فالدعاء مستجاب بعد التسبيحات (لا يخيب قائلهن) إياك أن تسبح ثم تغفل عن الدعاء بعدها أنتعرف مثال من تكون؟

تكون كالذي استأذن على الملك فأذن له ، فلما وصل إليه سكت ولم يطلب حاجة.

وإذا سألتني: لماذا دعوتي مستجابة بعدها ؟

أقول: لأن الله يكون قد غفر لك خطاياك ، وإذا غفر لك استجاب لك دعائك.

وحبيبك قال: من قالهنّ غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر. (مسلم).

هذا غير تثقيل الميزان والنخلات والغرسات التي تزرع لك في الجنة .. باختصار سيدنا النبي يقول لك: (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس). (مسلم).

فالتسبيح كله خير، وعندك تسبيحة إذا قلتها صبّ الله عليك الخير صبا، وصرت غنيا ببركتها ولكن بشرط: أن تسبّحها كل يوم مئة مرة ، ولا تسأل عن الأرزاق التي ستأتيك بعدها ، ستصير غنيا ببركتها.

هذه التسبيحة هي: (سبحان الله وبحمده) وهي تسبيح الملائكة (دعواهم فيها سبحانك اللهم).

أتعرف أخي المسلم هذه الكلمة تعدل آلافا من الصدقة وقيام الليل والجهاد في سبيل؟؟

اسمع إلى حبيبك وأنت تصلي عليه ماذا يقول: (من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل). (الطبراني. والبخاري).

وقال حبيبك: (من قال سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر) (البخاري)

أتعرفون ماذا يروي ابن أبي الدنيا؟ أتريد أن تعرف ماذا يفعل الله بهذه التسبيحات التي ترددها؟ اسمعوا الحديث الشريف : عندما تسبح يصعدن نحو العرش (ينعطفن نحو العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها...)

قال عليه الصلاة والسلام : (أما يحب أحدكم أن يكون له من يذكر به) .

أخيراً اسمعوا الحديث الذي ختم به الإمام البخاري صحيحه آخر حديث في صحيح البخاري أرويه عنه بالسند المتصل إلى سيدنا رسول الله (بيني وبين البخاري أربع عشرة واسطة) قال : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن) : (سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) .

الفطرة هي دين الاسلام ..

الآية القرآنية تبين ذلك بوضوح قال تعالى: **{ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها }** والآية معناها : سدد وجهك واستمر واثبت على هذا الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية السمحة ملة سيدنا إبراهيم التي هداك الله لها وكملها غاية الإكمال، حنيفا يعني مائلا عن الأديان إلى الإسلام.

فكل مولود يولد على فطرة التوحيد ومعرفة الله وأنه لا إله غيره .
(لا تبديل لخلق الله) أي لا تبدلوا خلق الله ولا تحرفوا الناس عن فطرتهم.
والدليل آيتين في كتاب الله: الأولى **{ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين }** (البقرة ٢١٣) والآية الثانية: **{ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا }** (يونس ١٩) فهاتان الآيتان تدلان على أن الدين الحنيف هو الفطرة التي فطر الناس عليها.

قال العلماء: كان الناس أمة واحدة أي بقوا عشرة قرون على الدين الحق قبل حدوث التغيير وظهور الشرك ، لم يطرأ شرك إلا بعد ألف سنة من وجود البشرية في هذه الأرض ثم طرأ الشرك بعد ذلك.

ومما يزيد هذا المعنى وضوحا حديث شريف صحيح عند البخاري ومسلم **(ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)** ثم قال راوي الحديث سيدنا أبي هريرة اقرؤوا إن شئتم **(فطرة الله التي فطر الناس عليها) (الروم ٣٠)**

وحديث آخر يوضح هذه الفكرة أكثر: (خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا).

فمعنى الفطرة هنا : *أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق

أراء أهل السنة والجماعة في السلفية الوهابية منذ انشاء الحركة الوهابية على يد المخابرات البريطانية في القرن الثامن عشر تصدى عشرات العلماء في العالم الاسلامي وخصوصا من الإخوة السنة وألفوا مئات الكتب والمقالات لدحض الوهابية وتبرئة الإسلام منها.

إن الإجماع بين أهل السنة والجماعة على أن محمد بن عبد الوهاب هو ضال ومبتدع وأن أتباعه خوارج مارقين من الدين أمر لا لبس فيه كما سوف ترى (وان تسربلوا بلبوس الدين وإمامة الصلوات! شأنهم في ذلك شأن الخوارج).

على أية حال إن الأخ السني مطالب بإدانة الوهابية أكثر من الأخ الشيعي لأن القادم أعظم. وعليهما أن يقفا سوياً وينتبهما للسرطان الوهابي الفتاك الذي فتك بالجسم العراقي وأنسجته الجميلة. وعلى الله التكلان.

رأي المذهب الشافعي: قال الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية في تاريخه تحت فصل فتنة الوهابية: كان - أي محمد بن عبد الوهاب - في ابتداء أمره من طلبة العلم في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزغاته في كثير من المسائل، وكانوا يوبخونه

ويحذرون الناس منه، فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين وخالف فيه أئمة الدين، وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين فزعم أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به وبالأنبياء والأولياء والصالحين وزيارة قبورهم للتبرك شرك، وأن نداء النبي (صلى الله عليه وسلم) عند التوسل به شرك، وكذا نداء غيره من الأنبياء والأولياء والصالحين عند التوسل بهم شرك، وأن من أسند شيئاً لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً نحو: نفعتني هذا الدواء، وهذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء، وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مراده، وأتى بعبارات مزورة زخرفها ولبس بها على العوام حتى تبعوه، وألف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد" أ.هـ. إلى أن قال: "وكان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون: سيضل هذا أو يضل الله به من أبعد وأشقاه، فكان الأمر كذلك. وزعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد والتبري من الشرك، وأن الناس كانوا على الشرك منذ ستمائة سنة، وأنه جدد للناس دينهم، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى: { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }، (سورة الأحقاف/٥). وكقوله تعالى: { وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ } (سورة يونس/١٠٦)، وكقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ } (سورة الرعد/١٤). وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، فقال محمد بن عبد الوهاب: من استغاث بالنبي (صلى الله عليه وسلم) أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين ويدخل في عموم

هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين مثل ذلك- يعني للتبرك- وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في عبادة الأصنام: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } (سورة الزمر) إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون: { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } (سورة الزمر/٣) اهـ. ثم قال: " روى البخاري عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين، وفي رواية عن ابن عمر أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال: " أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه " فهو وما قبله صادق على هذه الطائفة " اهـ.

ثم قال: " وممن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بأفضل، فقال من جملة كلامه: " يابن عبد الوهاب إنني أنصحك أن تكف لسانك عن المسلمين " اهـ.

ثم قال الشيخ أحمد زيني دحلان: " ويمنعون من الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على المنائر بعد الأذان حتى إن رجلاً صالحاً كان أعمى وكان مؤذناً وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم، فأتوا به إلى محمد بن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل! ولو تتبععت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك لمألت الدفاتر والأوراق وفي هذا القدر كفاية " .

أقول لاحظ وحشية الإرهاب الوهابي! ويشهد لما ذكره من تكفيرهم من يصلي على النبي أي جهراً على المآذن عقب الأذان ما حصل في دمشق الشام من أن مؤذن جامع الدقاق قال عقب الأذان كعادة البلد: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله

جهرًا، فكان وهابي في صحن المسجد فقال بصوت عال: هذا حرام هذا مثل الذي ينكح أمه، فحصل شجار بين الوهابية وبين أهل السنة وضرب، فرفع الأمر إلى مفتي دمشق ذلك الوقت وهو أبو اليسر عابدين فاستدعى المفتي زعيمهم ناصر الدين الألباني فألزمه أن لا يدرّس وتوعده إن خالف ما ألزمه بالنفي من البلاد.

وقال أيضا ما نصه: " كان محمد بن عبد الوهاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبه: " ومن توسل بالنبي فقد كفر"، وكان أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم، فكان ينكر عليه إنكارا شديدا في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه، وقال له أخوه سليمان يوما:

كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب؟. فقال: خمسة، فقال: أنت جعلتها ستة، السادس: من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للإسلام.

وقال رجل آخر يوما لمحمد بن عبد الوهاب: كم يعتق الله كل ليلة في رمضان؟ فقال له: يعتق في كل ليلة مئة ألف،

سيدنا أبو بكر الصديق

سيدنا عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي (٥٠ ق هـ - ١٣ هـ / ٥٧٣ م - ٦٣٤ م) هو أول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو وزير نبي الإسلام سيدنا محمد وصاحبه، ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة.

يَعُدُّه أهل السنة والجماعة خيرَ الناس بعد الأنبياء والرسل، وأكثرَ الصحابة إيماناً وزهداً، وأحبَّ الناس إلى سيدنا النبي محمد بعد زوجته عائشة.

دير الراهب بحيرى في بصرى في الشام. وقد كان أبو بكر تاجراً، قال ابن كثير:

« وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُقٍ ومعروف، وكان رجالٌ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته». وقد ارتحل سيدنا أبو بكر للتجارة بين البلدان حتى وصل بصرى من أرض الشام، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم، وكان ينفق من ماله بسخاء وكرم عُرف به في الجاهلية. ويروى أن أبا بكر قد رأى رؤيا عندما كان في الشام، فقصها على بحيرى الراهب، فقال له: «من أين أنت؟» قال: «من مكة»، قال: «من أيها؟» قال: «من قريش»، قال: «فأي شيء أنت؟» قال: «تاجر»، قال: «إن صدق الله رؤياك، فإنه يبعث نبي من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته»، فأسرَّ أبو بكر ذلك في نفسه. ويقال: إن سيدنا أبا بكر لم يكن يشرب الخمر في الجاهلية، فقد حرمها على نفسه قبل الإسلام، وكان من أعف الناس في الجاهلية، قالت السيدة عائشة: «حرم أبو بكر الخمر على نفسه، فلم يشربها في جاهلية ولا في إسلام، وذلك أنه مر برجل سكران يضع يده في العذرة، ويدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صرفها عنه، فقال أبو بكر: إن هذا لا يدري ما يصنع، وهو يجد ريحها فحماها».

وقد سأل أحدُ الناس سيدنا أبا بكر: « هل شربت الخمر في الجاهلية؟»، فقال: «أعوذ بالله»، فقيل: «ولم؟» قال: «كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعاً ل عرضه ومروءته».

كما رُوي أن أبا بكر لم يسجد لصنم قط، فقد قال أبو بكر في مجمع من الصحابة: « ما سجدت لصنم قط، وذلك أني لما ناهزت اللحم أخذني أبو قحافة بيدي، فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام، فقال لي: « هذه آلهتُك الشُّمُّ العوالي »، وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: «إني جائع فأطعمني» فلم يجبني، فقلت: «إني عار فاكسني» فلم يجبني، فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه». كان سيدنا أبو بكر يَعرف سيدنا محمداً معرفة عميقة في الجاهلية، وكانت الصلة بينهما قوية، وقد ذكر ابن إسحاق وغيره أنه كان صاحب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الناس. قال ابن إسحاق: « ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله فقال: «أحق ما تقول قريش يا محمد؟ من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آبائنا؟»، فقال رسول الله : « بلى، إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاتة على طاعته »، وقرأ عليه القرآن، فلم يقر ولم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام، وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق». وقد روي عن النبي محمد أنه قال: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عكم عنه حين ذكرته، ولا تردد

فيه». كما روي عن النبي أنه قال: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟» مرتين.

فكان سيدنا أبو بكر أول من أسلم من الرجال الأحرار، وبذلك قال إبراهيم النخعي وحسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر ومحمد بن سيرين، وهو المشهور عن جمهور أهل السنة. وروى الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود أنه قال: «أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس». وقد جمع الإمام أبو حنيفة بين الأقوال المختلفة في ذكر أول من أسلم بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن النساء خديجة بنت خويلد، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن الغلمان علي بن أبي طالب.

ويقال أن سيدنا أبا بكر أول من صلى مع سيدنا النبي، فعن زيد بن أرقم أنه قال: «أول من صلى مع النبي أبو بكر الصديق».

وعندما أسلم سيدنا أبو بكر سرَّ سيدنا النبي سروراً كبيراً، فعن السيدة عائشة أنها قالت: «خرج أبو بكر يريد رسول الله ، وكان له صديقاً في الجاهلية، فلقيه فقال: «يا أبا القاسم فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهااتها»، فقال رسول الله : «إني رسول الله أدعوك إلى الله»، فلما فرغ كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله وما بين الأخشين أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر».

تضاعف أذى المشركين للرسول محمد وأصحابه مع انتشار الدعوة الإسلامية في مكة، وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين، وقد تعرض سيدنا بلال بن

رباح لعذاب عظيم، ولم يكن له ظهرٌ يسنده، ولا عشيرةٌ تحميه، ولا سيوفٌ تذود عنه، فعندما علم سيده أمية بن خلف بأنه أسلم، راح يهدده تارة ويغريه أطواراً، فأبى سيدنا بلال أن يترك الإسلام، فحنق عليه أمية وقرر أن يعذبه عذاباً شديداً، فأخرجه إلى شمس الظهيرة في الصحراء بعد أن منع عنه الطعام والشراب يوماً وليلة، ثم ألقاه على ظهره فوق الرمال المحرقة الملتهبة، ثم أمر غلمانه فحملوا صخرة عظيمة وضعوها فوق صدر سيدنا بلال وهو مقيد اليدين، ثم قال له: «لا تزال هكذا حتى تموتَ أو تكفرَ بمحمد وتعبَدَ اللاتوالعزى»، وأجاب بلال: «أحدُّ أحدٌ»، وبقي أمية بن خلف مدة وهو يعذب سيدنا بلالاً بتلك الطريقة البشعة، فقصد سيدنا أبو بكر موقع التعذيب، وفاوض أمية بن خلف وقال له: «ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟» قال: «أنت أفسدته فأنقذه مما ترى»، فقال أبو بكر: «أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك، أعطيكه به»، قال: «قد قبلت»، فقال: «هو لك»، فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذه فأعتقه. [٤٣] وفي رواية أخرى: اشتراه بسبع أواق أو بأربعين

إغاثة الملهوف

كثيرة هي الطاعات والأعمال الصالحة التي يستطيع المسلم أن يتقرب بها الى الله سبحانه و تعالى ، فالصدقة و تفريج كربات المسلمين و إعانتهم هي من الطاعات، وإنّ كل عمل يبتغي فيه المسلم وجه الله تعالى هو من الطاعات والعمل الصالح حتى اللقمة يضعها في في امرأته يثاب عليها، وكما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: **" في كل كبد رطبة أجر "**، وما نحن بصدد الحديث عنه هنا هو إغاثة الملهوف، فمن منا لم يتعرض في وقت من الأوقات لضيق أو كرب فيحتاج الى من يغيّثه وينجده، فالإغاثة من الغوث وهي النجدة والعون فأحياناً ترى إنساناً كان غنياً عنده من المال الكثير وإذا به تحل به مصيبة فتفقره فيتبارى أهل الخير ويتنافسون على عونه وسد حاجته، وترى آخر قد أصابته الأوجاع والأسقام فأصبح عاجزاً لا يستطيع أن يأتي بقوت يومه فيأتيه أهل الخير ويدفعون له الصدقات وزكاة مالهم ليسدوا رمقه و حاجته.

ومما نرى في وقتنا الحاضر الكثير من المشاهد التي ترى فيها إغاثة للملهوفين فحينما خرج اللاجئين من فلسطين أسست وكالة لهم سميت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين إنبرت في تقديم خدماتها لمن شردوا وهجّروا من ديارهم، ومما لا يخفى على أحد أنه وعلى الرغم من أنّ أصحاب فكرة هذه الوكالة هي الأمم المتحدة إلا إنّ من يباشر العمل فيها هم أغلبهم مسلمون وكذلك من يدعمها مادياً هم الدول العربية والإسلامية فكل ذلك من أشكال الإغاثة والنجدة والعون للمحتاج والملهوف، والمسلم وهو يقف الى جانب أخيه يجب أن يدرك أنّه ممكن أن يقع يوماً ما و يحتاج الى من يقف معه فأحوال الدنيا متغيرة متقلّبة ولا يدوم

حال لأحد، فرب غنيّ ظنّ نفسه ملك الدنيا بماله إذا أمر يحلّ به ومصيبة تغافله فيفقد ماله ويفتقر، ورجل قد أعطاه الله صحة في بدنه وقوة إذا به يطرق بابه المرض، ومما لا شك فيه أنّ عمل الطاعات ومنها إغاثة الملهوف تقرب العبد إلى ربه فينال رضاه سبحانه، وكلّما تقرب العبد إلى ربه بالطاعات والنوافل أحبّه الله وفي الحديث القدسي " ما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولأن سألني لأعطيّه ولأن استعاذني لأعيذنه "، جعلنا الله ممن يرضى الله عنهم."

أيها الكرام: إن إغاثة الملهوف وإنعاش المكروب وإعانة أهل الحاجات سلوك إسلامي أصيل، وخلق نبوي قويم، تقتضيه الأخوة الصادقة، وتدفع إليه المروءة ومكارم الأخلاق.

وقد كانت حياة نبينا سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - خير مثال يحتذى به في كل شيء، ولاسيما إغاثة الملهوف، وتقديم العون لكل من يحتاج إليه، حتى لقد عرف بذلك قبل بعثته - صلى الله عليه وسلم -، فعند نزول الوحي عليه أول مرة رجع إلى خديجة فأخبرها الخبر ثم قال: " لقد خشيت على نفسي ". عندئذ أجابته أم المؤمنين السيدة خديجة - رضي الله عنها -: كلا والله! ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

فكم حرماً أنفسنا من أبواب الخير العظيمة يوم انكفأنا على ذواتنا، ولم نلتفت إلى المنكوبين والمحتاجين والمعسرين، أنك لا تكاد تجد حياً من أحيائنا يخلو من معسر

بنار الديون يتلفع، أو مكروب بسيط المدلهفات يتوجع، أو من مصاب بلهيب الأسقام يتروع.

ومع هذا قليل هم أولئك الذين أسعدهم الله -تعالى- بقضاء حاجات العباد، وإغاثة ملهوفهم، والإحسان إلى ضعيفهم.

فما أغلاها من فرصة، وما أعلاها من درجة، وما أسعده من اصطفاة الله لمنفعة الناس ببشارة نبيه سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -: يوم قال ((من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..)).

وما أنأهم من بين أهل المواقف، وما أربح سعيهم في ذلك اليوم ! قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " من سره أن يظله الله في ظل يوم لا ظل إلا ظله، فلييسر على معسر، أو ليضع عنه " .

وما أروع الحسن البصري رحمه الله، يوم أن قال: " لأن أقضي حاجة لأخي أحب إلي من عبادة سنة " .

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلوا واما وجهه فجميل

وقال سيدنا جعفر الصادق - رحمه الله -: " إن الله خلق خلقاً من رحمته برحمته، وهم الذين يقضون حوائج الناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن " .

أخي المسلم: لقد كان الصالحون من هذه الأمة، إذا وجدوا فرصة لنفع الخلق، وإغاثة ملهوفهم، فرحوا لذلك فرحاً شديداً، وعدوا ذلك من أفضل أيامهم فله درهم! كم شيدوا من المكارم؟ وكم بذلوا من معروف؟.

كان سيدنا سفيان الثوري - رحمه الله - ينشرح إذا رأى سائلاً على بابه! ويقول: "مرحباً بمن جاء يغسل ذنوبي". وكان الفضيل بن عياض - رحمه الله - يقول: "نعم السائلون، يحملون أزوادنا إلى الآخرة، بغير أجره حتى يضعوها في الميزان"

وكم في مجتمعنا من أولئك المحتاجين الذين لا يسألون الناس، ولا يمدون أيديهم عفة وحياءً؟.

فحري بأمثال هؤلاء أن يتفقدتهم الناس ويكفونهم ذاك السؤال، وما أحسن ما قاله معمر - رحمه الله -: "من أقبح المعروف أن تحوج السائل إلى أن يسأل وهو خجل منك، فلا يجئ معروفك قدر ما قاسى من الحياء، وكان الأولى أن تتفقد حال أخيك وترسل إليه ما يحتاج، ولا تحوجه إلى السؤال".

فما أجدر سكان الحي الواحد، أن يعملوا بمبدأ التكافل والتعاطف بينهم، فيجعلوا للمعسر والمحتاجين في حيهم حيزاً من تفكيرهم، ومكاناً في اهتماماتهم.

بحيث يكون هناك سعي حثيث، وتفكير جاد مصحوباً بخطوات عملية، من أرباب ذلك الحي وكبار الوجهاء والعقلاء فيه، بالتنسيق مع إمام المسجد؛ للخروج بحلول كفيلة بأن تعيد البسمة إلى شفاه هؤلاء المحرومين، وترفف البهجة في نفوس أولئك المكولمين.

أخي المسلم: إن للمكارم أبواب لا يلجها إلا أولئك الموفقون.. الذين فعل المحاسن عندهم أذى من الماء البارد! وعكس هؤلاء، أولئك الذين فعل المكارم عندهم، كنقل جبل من مكانه!

فهنيئاً لأولئك الذين ارتفعت همهم.. حتى غدا فعل الجميل عندهم من أكبر الأشغال! فاكثبوا بذلك رضا الله تعالى، وحسن الخلق.

أخي المسلم: ما إن يطلع فجر اليوم الجديد حتى تجتمع تلك الأفكار: كيف سيكون رزق هذا اليوم؟

لاشك أن الناس يتفاوتون في تحصيل أرزاقهم.. فبينما تجد هذا يكدح، ويكد يومه كله، فتجده لا يحصل إلا ما يسد رمقه!

وتجد آخر: قليل الكد، ومع هذا يفيض ما يجده عن حاجته بقليل.. وتجد آخر: ساكناً.. لا يكد، ولا يسيل له عرق، ومع هذا تجده غارقاً في الرزق الوفير! فسبحان الله مقسم الأرزاق!

فكم له من حكمة في ذلك، لا يدرك حقيقتها هذا الإنسان.. الضعيف.. العجول..

أخي المسلم: تصور نفسك محتاجاً.. ضعيفاً.. مهموماً.. فأنتك من سد حاجاتك، وأذهب ضعفك، وأدخل السرور في قلبك، فقل لي: كيف ستكون منزلته عندك؟!

جواب يعرفه كل عاقل!

أخي المسلم: أولئك هم الذين أسعدهم الله تعالى بقضاء حاجات العباد.. وإغاثة ملهوفهم.. والإحسان إلى ضعيفهم..

فما أغلاها من فرصة.. وما أعلاها من درجة.. وما أسعدهم ببشارة نبيهم صلى الله عليه وسلم: «أحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعاً، أو تقضي عنه ديناً» [رواه أبو الشيخ في الثواب] وقال سيدنا جعفر الصادق رحمه الله: "إن الله خلق خلقاً من رحمته برحمته لرحمته، وهم الذين يقضون حوائج الناس، فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن"

أخي المسلم: كيف تجد قلبك إذا سألك سائل.. أو قرع بابك ملهوف؟!

ثم أخي هل فكرت يوماً وأنت تتناول غداءك.. أو تشرب ماءً بارداً.. أو تتقلب في وثير فراشك.. هل فكرت أصلحك الله في جوعى لا يجدون غداء مثل غداك؟! أو ظمأ لا يجدون ماءً بارداً مثل مائك؟! أو مشردين لا يجدون فراشاً وثيراً مثل فراشك؟!

فكم من عبد بسط الله له في رزقه.. ولكن المسكين نسى جوع الجاعين.. وآلام المشردين.. وجزع الثكالى المحرومين.. وأنين الضعفاء المضرورين.. وبكاء اليتامى الخائفين..

اقضِ الحوائج ما استطعت وكُنْ لهم أخيك فارح

فلخير أيام الفتى يومٌ قضى فيه الحوائج

إلى من أراد الأمن غداً!!

أخي المسلم: هل تدري منزلة أولئك الذين يعينون الضعفاء غداً؟! هل تدري ما وعدهم الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فلنستمع إلى هذه البشارة!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه..» [رواه مسلم]

أخي المسلم: رأيت إلى تلك البشارات المتتالية؟!

فما أحوجك غداً إلى تفريج الكربات!

وما أحوجك غداً إلى الأمن من الفرع الأكبر!

يومٌ لا ظل فيه إلا ما قدمته في دنياك من صالح الأعمال!

يومٌ لا أمن فيه، إلا لمن آمنه الله تعالى!

يومٌ يفر المرء فيه من أهله وعشيرته!

يومٌ لا ينفع فيه مال ولا جاه!

في ذلك اليوم ترى أهل البر والإحسان، في ظل ظليل.. وأمن.. وحبور..

فما أسعدهم من بين أهل الموقف.. ما أريح سعيهم في ذلك اليوم!

وقال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»

فأين أنت أخي المسلم غداً من ذلك الثواب العظيم؟!

فهل يعجزك يا طالب الحسنات، أن تعين محتاجاً.. أو تغيث ملهوفاً؟!

هل يعجزك أن تمسح دمعة محزون بلقمة أو ثوب تقدمها له؟!

أخي: أما سمعت بقصة ذلك الرجل، الذي كان يخفف ويتجاوز عمّن اقترض منه؟!

أنتدري كيف كانت نهاية قصته؟! فلتسمع القصة من أصدق صادق!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله، فتجاوز عنه» [رواه البخاري ومسلم]

وفي رواية للبخاري: «فأدخله الله الجنة»

فتأمل هداني الله وإياك كيف نال هذا الرجل، ذاك الثواب العظيم، مع قلة عمله!

أخي: أتذكر كم من المرات تجاوزت فيها عن معسر؟!

أو كم من المرات أدخلت فيها السرور على قلب مدين لك، قائلاً: لقد عفوت لك ديني!

أخي المسلم: هذا باب من الخير من أعانه الله عليه، فقد أراد به كل خير، فاسع أن تكون من أهله.. وما ذلك بصعب على راغب في الخير! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينجيه الله من كُرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر، أو يضع عنه» [رواه مسلم]

وأخرى أيضاً بشر بها النبي صلى الله عليه وسلم أولئك الذين يتسامحون في أخذ ديونهم..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن غريمه، أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة»

دور المسلمات في خدمة الدين

المرأة الصالحة هي التي تحاول أن تأخذ بحظ وافر من العلم الشرعي انطلاقاً من قوله تعالى: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } [طه: ١١٤]، وقوله تعالى أيضاً: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [الزمر: ٩]. وروى البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين). وروى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

وهذه نماذج بسيطة تبرز لنا مكانة المرأة في تحصيلها للعلم الشرعي، الذي به تخشى الله تعالى.

- فهذه أم الدرداء تقول عن نفسها: لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما أصبت لنفسي شيئاً أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم.
- وهذه أم الخير الحجازية تصدرت حلقات وعظ وإرشاد المسلمات بجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه في القرن الرابع الهجري.

- وهذه فاطمة بنت السمرقندي كانت عالمة بالفقه والحديث، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء، وأخذ عنها كثيرون، وكان لها حلقة للتدريس، وألفت مؤلفات عديدة في الفقه والحديث.
- وهذه زوجة الحافظ الهيثمي كانت تساعد زوجها في مراجعة كتب الحديث.
- وهذه أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية كانت تصعد المنبر، وتعظ النساء، وانتفع بتربيتها والتخرج عليها خلق كثير، وكانت عالمة موفورة العلم في الفقه والأصول.

تنبيه لا بد منه: يتعجب المرء عجباً شديداً ومخيفاً في نفس الوقت، عندما يرى بنات المدارس والجامعات ومدى إقبالهن على العلم الديني والحرص عليه، وبذل الوقت والجهد في تحصيله من أجل قروش زهيدة، أو مكانة اجتماعية زائلة، ثم لا يرى منهن ولو النزر اليسير في السؤال عن دينهن، والحرص على طلب العلم فيه!

ينقسم النساء إزاء طلب العلم الشرعي إلى ثلاثة أقسام:

- ❖ قسم يطلبه بجد وإخلاص واجتهاد.
- ❖ وقسم أهمله بالكلية وأعرض عنه تماماً.
- ❖ وقسم يأخذ منه تارة ويعرض عنه تارة أخرى.

لذا كان من الجدير بالذكر هنا ذكر أهم الوسائل المعينة والمحمسة لطلب العلم، حتى تتدارك المهمله نفسها، وتنتبه المقصرة إلى تقصيرها. لذا فإني أوصي النساء بدراسة هذه الوسائل جيداً، ومراجعتها بين الحين والآخر كلما فترت همتهن، وضعفت عزيمتهن، وهذه الوسائل:

١ - معرفة فضل العلم: قال تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } [الزمر: ٩].

٢ - معرفة شرف العلماء: فهم الذين أوجب الله الرجوع إليهم في المسائل والنوازل والحوادث، وأنهم هم الذين يخشون الله حق خشيته، وهم الذين قرن شهادتهم وشهادة الملائكة على أعظم شيء وهو التوحيد، وهم الذين ألزمهم الله تعالى دراسة الشريعة والفقه في الدين، وهم الذين يأتون القيامة مكرمين بين يدي ربهم؛ لأنهم هم الذين درسوا وحياه، وأوصلوه إلى الناس. قال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [الأنبياء: ٧].

وقال أيضاً: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر: ٢٨].

وقال أيضاً: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران: ١٨].

وقال أيضاً: { كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ } [آل عمران: ٧٩].

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: (إذا حضر العلماء ربهم يوم القيامة، كان معاذ بن جبل بين

أيديهم بقذفة حجر) [٤].

٣ - معرفة فضل العلم وطالب العلم: عن أبي عتبة الخولاني عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يزال يغرس في هذا الدين غرسا

يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة). وروى مسلم عن أبي هريرة

رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من دعا إلى هدى

كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً،

ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)).

٤ - معرفة فضل طلب العلم ومعرفة أجر طلبه: عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة).

٥ - معرفة حكم طلب العلم: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

٦ - معرفة المنزلة التي يضع فيها العلم صاحبه: روي مسلم عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين }.

الأحمدية القاديانية أفكارها وعقائدها

كثيرة هي الأشياء التي تستدعي الانتباه في ظاهرة القاديانية، لكن ما نراه جديرا بالملاحظة وحريرا بالاهتمام هو البحث في جذور نشأة تلك الحركات، وكيف وجدت في البيئة الإسلامية تربة خصبة لنشر أفكارها.

أطلق عليها كذلك اسم الأحمدية نسبة إلى مؤسسها ميرزا غلام أحمد

وهي مشهورة بهذا الاسم في أوروبا

التعريف :

القاديانية أو القديانية أو الأحمدية دين مُخْتَرَعٌ جديد، ظهر أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بقاديان، إحدى قرى البنجاب الهندية، وحظي بمباركة ورعاية الاحتلال الإنجليزي.

المؤسس :

ميرزا غلام أحمد القادياني المولود سنة ١٢٦٥ هـ بقاديان.

وقد بدأ ميرزا نشاطه كداعية إسلامي، ثم ادعى أنه مجدد ومُلْهِم من الله، ثم تدرج درجة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، يقول في ذلك: " إن المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح ابن مريم قد رفع إلى السماء بجسده العنصري، وأنه سينزل من السماء في عصر من العصور، وقد أثبت في كتابي أنها عقيدة خاطئة، وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام عن طريق الاستعارة بقدم مثيل المسيح، وأن هذا العاجز - يعني نفسه - هو مصداق هذا الخبر حسب الإعلام والإلهام!!!".

ثم انتقل من دعوى المثيل والشبيه بالمسيح عليه السلام إلى دعوى أنه المسيح نفسه، فقال: " وهذا هو عيسى المرتقب، وليس المراد بمريم وعيسى في العبارات الإلهامية إلا أنا " ، ولما كان المسيح نبيا يوحى إليه، فقد ادعى ميرزا أنه يوحى إليه، وكتب قراءا لنفسه سماه " الكتاب المبين " يقول : " أنا على بصيرة من رب

وهّاب، بعثني الله على رأس المائة، لأجدد الدين وأنور وجه الملة وأكسر الصليب وأطفئ نار النصرانية، وأقيم سنة خير البرية، وأصلح ما فسد، وأروج ما كسد، وأنا المسيح الموعود والمهدي المعهود، منّ الله علي بالوحي والإلهام، وكلمني كما كلم الرسل الكرام".

ويبدو أن دعوى أنه المسيح لم تلق القبول المرجو، ولم تحقق الغرض المؤمل منها، فانتقل من دعوى أنه المسيح النبي إلى دعوى أنه محمد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الحقيقة المحمدية قد تجسدت فيه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بُعث مرة أخرى في شخص ميرزا غلام، يقول ميرزا : " إن الله أنزل محمداً صلى الله عليه وسلم مرة أخرى في قاديان لينجز وعده "، وقال : " المسيح الموعود هو محمد رسول الله وقد جاء إلى الدنيا مرة أخرى لنشر الإسلام " ثم ادعى أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فاتبعه من اتبعه من الدهماء والغوغاء وأهل الجهل والمصالح الدنيوية.

نماذج من تخليطه :

رغم تلك الدعاوى العريضة التي ادعاها ميرزا لنفسه إلا أنه كان ساذجا فاحشا بذئ اللسان، يكيل لخصومه أقذع الشتم والسب !!

أما وحيه الذي ادعاه لنفسه فقد كان خليطا من الآيات المتناثرة التي جمعها في مقاطع غير متجانسة تدل على قلة فقهه وفهمه للقرآن، وإليك نماذج من وحيه المزعوم، قال: " لقد ألهمت ءانفا وأنا أعلق على هذه الحاشية، وذلك في شهر مارس ١٨٨٢م ما نصه حرفيا : " يا أحمد بارك الله فيك، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى . الرحمن علم القراءان، لتتذر قوما ما أنذر آبؤهم، ولتستبين سبيل المجرمين، قل إنني أمرت وأنا أول المؤمنين ، قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .. إلخ " ويقول أيضا : " والله إنه ظل فصاحة القراءان ليكون آية لقوم يتدبرون. أنقولون سارق فأتوا بصفحات مسروقة كمثلها في التزام الحق والحكمة إن كنتم تصدقون " !!

وأما نبوءاته فما أكثرها وما أسرع تحققها لكن بخلاف ما أنبأ وأخبر، فمن ذلك أنه ناظر نصرانيا فأفحمه النصراني، ولما لم يستطع ميرزا إجابته غضب على النصراني، وأراد أن يمحو عار هزيمته، فادعى أن النصراني يموت - إن لم يتب - بعد خمسة عشر شهرا حسب ما أوحى الله إليه، وجاء الموعد المضروب ولم يمت النصراني، فادعى القاديانيون أن النصراني تاب وأناب إلا أن النصراني عندما سمع تلك الدعوى كتب يكذبهم ويفتخر بمسيحيته!!

ومن ذلك زعمه: أن الطاعون لا يدخل بلده قاديان ما دام فيها، ولو دام الطاعون سبعين سنة، فكذبه الله فدخل الطاعون قاديان وقتك بأهلها وكانت وفاته به، وهو الذي قال " وآية له أن الله بشره بأن الطاعون لا يدخل داره، وأن الزلازل لا تهلكه وأنصاره، ويدفع الله عن بيته شرهما".

عقائد القاديانية :

١. يعتقد القاديانية بتناسخ الأرواح: حيث زعم ميرزا أن إبراهيم عليه السلام ولد بعد ألفين وخمسين سنة في بيت عبدالله بن عبدالمطلب متجسدا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم بُعث النبي صلى الله عليه وسلم مرتين آخرين أحدهما عندما حلت الحقيقة المحمدية في المتبع الكامل يعني نفسه.

٢. يعتقدون أن الله يصوم ويصلي وينام ويخطيء، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، يقول ميرزا: " قال لي الله : إني أصلي وأصوم وأصحو وأنام " وقال : " قال الله : إني مع الرسول أجيب، أخطيء وأصيب إني مع الرسول محيط ".

٣. يعتقدون أن النبوة لم تختتم بمحمد صلى الله عليه وسلم بل هي جارية، وأن الله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً!! وأن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد بالوحي، وأن إلهاماته كالقرآن .

٤. يقولون: لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة "غلام أحمد"، ويعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين، وهو غير القرآن الكريم !!

٥. يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل، وشريعة مستقلة، وأن رفاق الغلام كالصحابة، كما جاء في صحيفتهم "الفضل، عدد ٩٢ " : " لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذ الميرزا غلام أحمد، إن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية " .

٦. يعتقدون أن الحج الأكبر هو الحج إلى قاديان وزيارة قبر القادياني، ونصوا على أن الأماكن المقدسة ثلاثة مكة والمدينة وقاديان ، فقد جاء في صحيفتهم: " أن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب، لأن الحج إلى مكة لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه " .

٧. يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات ولحم الخنزير !!

٨. كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية: كما أن من تزوج أو زوّج لغير القاديانيين فهو كافر !!.

٩. ينادون بإلغاء الجهاد، ووجوب الطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية التي كانت تحتل الهند آنذاك، لأنها - وفق زعمهم - ولي أمر المسلمين!!

١٠. يعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية !!

١١. لهم ترجمات عديدة للقرآن الكريم بلغات مختلفة، لكن بتفسير يدعو إلى ضلالهم.

بعض زعماء القاديانية :

• الحكيم نور الدين البهري : وهو أبرز شخصية بعد (الغلام) والخليفة من بعده، ولد سنة ١٢٥٨ هـ تعلم الفارسية ومبادئ العربية .

• محمود أحمد بن غلام أحمد: الخليفة الثاني للقاديانيين، تولى الزعامة بعد وفاة الحكيم نور الدين، وأعلن أنه خليفة لجميع أهل الأرض، حيث قال: " أنا لست فقط خليفة القاديانية، ولا خليفة الهند، بل أنا خليفة المسيح الموعود، فإذا أنا خليفة لأفغانستان والعالم العربي وإيران والصين واليابان وأوروبا وأمريكا وأفريقيا

وسماترا وجاوا، وحتى أنا خليفة لبريطانيا أيضا وسلطاني محيط جميع قارات العالم".

• الخواجة كمال الدين: كان يدّعي أنه مثل غلام أحمد في التجديد والإصلاح، وقد جمع كثيراً من الأموال، وذهب إلى إنجلترا للدعوة إلى القاديانية، ولكنه مال للذات والشهوات وبناء البيوت الفاخرة.

موقف علماء الإسلام من القاديانية :

لقد تصدى علماء الإسلام لهذه الحركة، وممن تصدى لهم الشيخ أبو الوفاء ثناء الله أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، حيث ناظر "ميرزا غلام" وأفحمه بالحجة، وكشف خبث طويته، وكُفر وانحراف نحلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشه باهله الشيخ أبو الوفاء على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك "الميرزا غلام أحمد القادياني" في عام ١٩٠٨م، مخلفاً أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاتاً كلها تدعو إلى ضلالاته وانحرافات.

وقام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة أحد زعماء هذه الطائفة "ميرزا ناصر أحمد" والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود رحمه الله . وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها "ناصر أحمد" عن الجواب وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قراراً باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

وفي شهر ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ الموافق إبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها وعدم التعامل معها، وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين .

وقد صدرت فتاوى متعددة من عدد من المجامع والهيئات الشرعية في العالم الإسلامي، تقضي بكفر القاديانية، منها المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم

الإسلامي، ومجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، هذا عدا ما صدر من فتاوى علماء مصر والشام والمغرب والهند وغيرها .

وقفة مع القاديانية:

كثيرة هي الأشياء التي تستدعي الانتباه في ظاهرة القاديانية، لكن ما نراه جديراً بالملاحظة وحرياً بالاهتمام هو البحث في جذور نشأة تلك الحركات، وكيف وجدت في البيئة الإسلامية تربة خصبة لنشر أفكارها، مع أنها حركة في لبّها وحقيقتها وفي ظاهرها وعلاقتها مناقضة لثوابت الدين، مصادمة لحقيقته، فالأمة مجمعة إجماعاً قطعياً يقينياً على أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وكل دعوى النبوة بعده فهي ضلال وهوى، هذا غير بدعهم الكفرية الأخرى .

والسؤال الذي يرد هنا، هو كيف أصبح لهؤلاء أتباعاً من المسلمين ؟ ولعل الجواب على هذا السؤال - رغم أهميته - لا يحتاج إلى كبير عناء، فالجهل هو السبب الرئيس وراء اتباع مثل هذه الحركات، ووراءه كذلك تقصير مرير من علماء الأمة وطلبة العلم فيها عن واجب البلاغ، حفظاً للدين وقمعاً لدعوات البدع والضلال والردة .

وعليه فالعلاج - كما هو واضح - يتركز في نشر العلم وتبليغ الدين، وعدم إهمال أي بقعة من بقاع العالم الإسلامي، ولو كانت في أطراف الدنيا، حفظاً للدين وحتى تسلم الأمة من أمثال هذه البدع المهلكة .

الإرهاب

الإرهاب لغةً : من مصدر أَرهَب، أي أخاف، ومرادفاتها أفزع وروع ونحو ذلك. قال تعالى: { **واضمم إليك جناحك من الرهب** } (١)، أي الفرع، وقال الأصفهاني: الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب.

وما زالت أيادي الغدر والإرهاب العابثة تعيثُ فساداً من قتل وتدمير والتي لا تراعي حرمة الدماء ولا حرمة النفس البشرية في هذا الشهر الفضيل وسائر شهور العام. ماذا نريد أكثر مما حدث لكي نقنع، شعوباً ومجتمعات وحكومات، أن هناك خطراً حقيقياً بات يهدد ويستهدف حياة الأبرياء ويدمر البنى التحتية للدول، ويزعزع الأمن والاستقرار بل وأساس الوجود.

إن الإرهاب لا دين له ولا وطن له ولا حضارة ولا يصح نسبة أي عمل إرهابي للإسلام، وترفضها الأديان وحتى الإنسانية. فتحاول الجماعات الضالة صبغ الإرهاب والتطرف بصبغة إسلامية وهو تعدُّ سافر وصريح على الشريعة الإسلامية ظلماً وعدواناً باسم الإسلام؛ فالإسلام منهم براء. وهو فعل جماعات وأحزاب لا تمثل المذاهب والأديان..

وإنما تمثل أنفسها وأتباعها بأعمالها الوحشية الهادفة من ورائها للسلطة والسيطرة والنفوذ، فالأحزاب والجماعات المتطرفة لا تختزل شعوبها ومذاهبها وأديانها.

وعليه يجب أن ندرك جميعاً كوسائل إعلام وأسر ومجتمعات وأفراد وعلماء ومشايخ وأصحاب أقلام هذا الخطر الهالك ونعد العدة لمواجهة هذا العمل الشنيع والفكر الإرهابي وترسيخ مفهوم التسامح الديني فهو مسؤولية الجميع.

لأن الإرهاب له هوية واحدة فقط لا غير وهي استخدام قتل المدنيين الأبرياء كوسيلة لإرهاب الشعوب ونشر الفوضى وتدمير البنى التحتية وهو عمل إجرامي، لا مسيحي ولا إسلامي، لا شيعي ولا سني وقد شرح الإسلام للعالم وجهة نظره حول هذا المفهوم.

البيت هو الأساس والموجه الأول، وهو المدرسة المهمة في تنشئة الأجيال، فمنه تستخرج ثمرات أي مجتمع ليستفيد منها القاصي والداني، حري بنا غرس المعتقد الحق في نفوس الناشئة فالمعتقد الحق هو الذي يوجه أفعال الناس وتصرفاتهم.

كذلك من هذه الطرق لمواجهة هذا الفكر وجوب وحدة الكلمة بين المجتمعات، والبعد عن الخلافات، والقضاء على الفرقة بين العلماء وطلبة العلم، وأن يكون الجميع يداً واحدة في جمع الصف، ولم الشمل، وتكاتف الجهود، والوقوف صفاً واحداً ضد كل التيارات والأفكار المنحرفة الدخيلة على شريعة الإسلام.

وكذلك توعية أفراد المجتمع بأهمية الأمن في حياة الناس، وأن المحافظة عليه مطلب شرعي كبير، وضرورة هامة للمجتمع، وأن ضياعه ضياع للدين، والعلم، والأنفس، والأعراض، والأرزاق.

الإرهاب لا دين له ولا هوية ولا وطن.

إن الإرهاب لا دين له ولا وطن له ولا يصح نسبة أي جريمة إرهابية للمسيحية أو الإسلام أو اليهودية، وأن التطرف الديني والتعصب القومي المصحوب بالتفكير الإجرامي هما المسؤولان عن ارتكاب الجرائم الإرهابية ضد المدنيين الأبرياء بغض النظر عن دينهم، ومن المؤكد أيضاً أن هزيمة التفكير الإرهابي وترسيخ مفهوم التسامح الديني هو مسؤولية كل الحكومات والشعوب لأن الإرهاب له هوية واحدة فقط لا غير وهي استخدام قتل المدنيين الأبرياء كوسيلة لإرهاب الشعوب والحكومات لتغيير سياساتها ومفاهيمها التي تدعو للتعايش السلمي العرقي والديني، وهو مسلك مرفوض قانونياً وأخلاقياً، فالرأي الآخر المخالف يجب أن يواجه بالمنطق والحجة ولا يجوز مطلقاً قتل صاحب الرأي الآخر بطرق انتهازية جبانة تتعارض حتى مع قواعد الحرب الشريفة أو قواعد الفروسية التي تتطلب تكافؤ الفرص ولا تبرر هجوم المسلحين المتربصين على العزل الغافلين بأي حال من الأحوال!

لأن بعض من الدول العربية صارت أضعف من أي وقت مضى، وأصحاب القرار لم يعد لهم وجود، فأضاعت السلطة قوتها وتماسكها، فضعفت أمام المصالح التي تكبر باضطراد، وضعفت أمام المصالح الخارجية وحساباتها، فصرنا نعتمد تصورات وحلولاً عفا عنها الزمن، فكل أطراف السلطة الأساسية، أكدوا توجهها مخيفاً نحو الاستحواذ على كل شيء، إما بالتحالف مع السلطة أو مع عصب سلطوية، بشراء الذمم بالمال كل المال وخاصة الفاسد منه، فكانوا يستخدمون عملية الإرهاب، كفراعة ضد الأمريكيين والدول الغربية بغرض الارتزاق وكسب المال الحرام على حساب أمن اليمن واليمنيين، واليوم نراهم مشغولين في توجيه التهم ضد بعضهم البعض في عملية مساندة الإرهاب والإرهابيين، ولم يجلبوا لليمن واليمنيين غير الولايات والحروب والفقر والإرهاب، وصاروا يتحنيون اللحظة التي يسقط فيها هذا الوطن في حرب مستعرة لا تبقي ولا تذر، غير مدركين أن تأجيج الأزمة السياسية وتوسيع نطاق حرائقها ليس في مصلحة أحد، وإذا كان هناك مستفيد من وراء هذه الأزمة أو تفاقمها. فهو الغرب الكافر بأساليب غير إنسانية، وتعديات بشرية وتعميات إعلامية، يحاول كثير منها صبغ الإرهاب والتطرف بصبغة إسلامية وهو تعدُّ سافر وصريح على الهوية الإسلامية؛ وإن مارسه من يمارسه ظلماً وعدواناً باسم الإسلام؛ فالإسلام منه براء. فالإرهاب لا دين له ولا وطن ولا حضارة.

والإسلام محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. وإذا كان تسليط الضوء على أخطاء بعض المسلمين التي تقع منهم، فليس معناه التخلص من الخطأ بخطأ أكبر منه وهو: التساهل والتفريط والانسلاخ من الدين القويم. إن السيارة تسير بانسيابية وهي في أقصى اليمين فلو انحرفت مباشرة إلى أقصى اليسار فما من شك في ما قد ينجم عن ذلك من الأخطاء والأخطار الفادحة! لا يتوقف أثرها على من قام بالفعل وحسب بل إن ذلك قد يمتد إلى عدة أشخاص وأرقام أخرى مهولة من التلفيات!! بل قد تؤدي إلى أكثر من ذلك حينما يكون هذا الأمر من أسباب نهاية الإنسان وفقد حياته بالموت!! أو التفريط في حياة أشخاص آخرين ليس لهم في الموقف ناقة ولا جمل.

إن المسار الأوسط هو الذي به تتحقق الموازنة بين اليمين والشمال! هو نهج هذه الأمة القويم وصراتها المستقيم **(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً...)** إن أي خطأ يصدر عن طبيب أو غيره من مزاولي المهن الصحية-مثلاً-؛ لا يُعقل أن يتهم أحدهم الطب بانعدام أثره وإمكانية الاستغناء عن ممارسته، ويطالب بإغلاق الكليات والمعاهد التي تعتنى بالطب خاصة والتخصصات الصحية الأخرى.

إننا نرفض مثل هذه التسميات التي تزيد من نار العداوات بين الشعوب وأتباع الديانات، فما يجري في أفريقيا الوسطى من قتل للأبرياء ليس إرهاباً مسيحياً ضدّ المسلمين، لأن المرجعية الروحية للمسيحية لا تجيز تلك الأعمال وتستنكرها وتدين الفاعلين لها، وما جرى في العراق من تهجير للمسيحيين والإيزديين ومن قتل للأبرياء ليس إرهاباً إسلامياً ضدّ المسيحيين وغيرهم، لأن المرجعية الدينية للمسلمين المجتمعة اليوم في رحاب الأزهر الشريف تحرم كل أشكال العنف والإجرام التي تسيء إلى الإنسان وتعمل على تشويه الأديان، كما لا نقول بأن ما يجري للمسلمين في بورما من أعمال الإبادة والتهجير هو إرهاب بوذي، إن الإرهاب هو فعل جماعات وأحزاب لا تمثل المذاهب والأديان، وإنما تمثل أنفسها وأتباعها بأعمالها الوحشية الهادفة من وراءها للسلطة والسيطرة والنفوذ، فالأحزاب والجماعات المتطرّفة لا تختزل شعوبها ومذاهبها وأديانها،

وخلاصة القول في هذه الأفعال الشنيعة:

إن الإرهاب هو عمل إجرامي، لا مسيحي ولا إسلامي، والإرهاب هو جنّي، لا شيعي ولا سنّي من هنا شرح الإسلام المعتدل للعالم وجهة نظره حول هذا المفهوم للإرهاب والتميز بين مصطلح الجهاد والإرهاب فكل من يدافع عن وطن محتل بحمل السلاح ومواجه الأعداء بكافة أشكال المعارك دون استهداف الأبرياء يسمى جهاداً، غير ذلك من استهداف المدنيين العزل الأبرياء الذين لا ذنب لهم يسمى إرهاباً.

الإرهاب لا دين له ولا يوجد أي دين بالعالم يسمح له بعمل ما يعمل أو يبرر أعماله البشعة مهما أعلن عن نوايا صالحة كههدف اسمي فلا تبرير لإعماله. ورغم اشتراك المقاومة والإرهاب في العنف فإن الأولى عمل مشروع والإرهاب فعل غير مشروع، وهناك إجماع على أن المقاومة قد تكون فردية أو جماعية، أي يمارسها الأفراد والجماعات والدول، وكذلك الإرهاب. وهناك إجماع عالمي أيضاً على حق الدول والجماعات والأفراد في المقاومة بكل أشكالها المادية والفكرية بما في ذلك الكفاح المسلح.

أما الإشكالية والخلط فيقع في مفهوم (الوطنية)، وهو مفهوم حديث ظهر بعد سقوط الخلافة، وتفتت العالم الإسلامي وانشطاره إلى دويلات صغيرة، وهو مصطلح قد يعمل على إثارة النزعات والعصبية بين أفراد الأمة الواحدة، بعيداً عن رابط الدين والعقيدة، ويعني الانتماء إلى الأرض والناس، والعادات والتقاليد، والفخر بالتاريخ، والتفاني في خدمة الوطن، بعيداً عن لمة الدين، وبذلك تفتت الهوية الإسلامية العامة إلى هويات خاصة، فظهرت هوية مصرية، وأخرى جزائرية، وثالثة عراقية، وأربعة باكستانية، وصارت العصبية هي المحرك الأساسي لهذه القوميات والهويات، وربما نشبت بينهم الحروب لأتفه الأسباب.

ولذلك نقول: إن أحب الأوطان لنا هي مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، ثم بيت المقدس، وأما عدا ذلك من بلاد الإسلام فلا نفاضل بينها عصبية، مع احتفاظنا بالحب الفطري والجبلي لأماكننا وبلادنا التي تربينا فيها، ورتعنا وشربنا من مائها. يجب الاعتراف بأن موضوع الهوية يتحرك ضمن حقل ألغام شديد الحساسية لأنه صعب المعالجة داخل كل ادعاء نظري كيفما كان تخصصه، فداخله تلتقي السوسيولوجيا بالسيكولوجيا والانتروبولوجيا والإيديولوجيا والسياسة. يضاف إلى ذلك، التقاطع الموجود بين الذاتي والجماعي بين الفردي والاجتماعي بين الواحد والمتعدد بين الثبات ..

السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله

الميلاد ٢٠ جمادى الآخرة ١٨ ق.هـ الموافق ٢٧ يوليو ٦٠٤ م
مكة

الوفاة ٣ جمادى الآخرة ١١ هـ الموافق ٢٨ أغسطس ٦٣٢ م (٢٨ سنة)
المدينة المنورة

مكان الدفن البقيع

أخوة وأخوات لها:

أم كلثوم بنت سيدنا محمد، ورقية بنت سيدنا محمد، وزينب بنت سيدنا محمد،
وإبراهيم بن سيدنا محمد، والقاسم بن سيدنا محمد، وعبد الله بن سيدنا محمد صلى
الله عليهم أجمعين.

السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله. أمها السيدة
خديجة بنت خويلد.

ولدت يوم الجمعة ٢٠ جمادى الآخرة في السنة الخامسة بعد البعثة النبوية بعد
حادثة الإسراء والمعراج بثلاث سنوات، أو في السنة الخامسة قبل البعثة النبوية
في مكة المكرمة، وسيدنا النبي له من العمر خمسة وثلاثين عاماً (حسب
روايات أهل السنة والجماعة). زوجها هو الإمام علي بن أبي طالب رضي الله
عنه.

فضائل السيدة فاطمة الزهراء:

تعد السيدة فاطمة الزهراء من ضمن النساء العربيات اللاتي عرفن بالبلاغة والفصاحة حتى إن ابن طيفور (المتوفى ٢٨٠ هجرية) أورد خطبها في كتابه بلاغات النساء ناقلاً عن أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين قوله: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم ويعلمونه أبناءهم...

عائلتها

هي : السيدة فاطمة بنت سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

أمها : السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

مولدها:

تختلف الروايات في تحديد ولادة السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فيبلغ أحياناً الفارق في عمرها (على اعتبار الفرق بين الروايات) عشر سنين أو أكثر بقليل. وعند استعراض تلك الروايات نجد أن بعضهم يقول **بولادتها قبل البعثة النبوية بخمس سنين**، وهو الرأي الثابت عند أهل السنة حيث يقولون أنها ولدت وقريش تبني البيت يوم حكم رسول الإسلام محمد بن عبد الله في نزاع حول من وضع الحجر الأسود في مكانه؛ وممن يقول بهذا الرأي الدولابي في كتاب الذرية الطاهرة ، بينما ذهب ابن عبد البر في الاستيعاب والحاكم في المستدرک إلى أنها ولدت وعمر سيدنا النبي إحدى وأربعون عاماً أي بعد سنة من البعثة النبوية.

غير أن هناك اتفاقاً على أن السيدة فاطمة كانت أصغر بنات رسول الإسلام سيدنا محمد بن عبد الله.

نشأتها

شهدت السيدة فاطمة منذ طفولتها أحداثاً جساماً كثيرةً، فقد كان سيدنا النبي يعاني من اضطهاد قريش وكانت السيدة فاطمة تعينه على ذلك الاضطهاد وتسانده وتؤازره، كما كان يعاني من أذى عمه أبي لهب وامراته أم جميل من إلقاء القاذورات أمام بيته فكانت السيدة فاطمة تتولى أمور التنظيف والتطهير.

وكان من أشد ما قاسته من آلام في بداية الدعوة ذلك الحصار الشديد الذي حوصر فيه المسلمون مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وأقاموا على ذلك ثلاث سنوات، فلم يكن المشركون يتركون طعاماً يدخل مكة ولا بيعاً إلا واشتروه، حتى أصاب التعب بني هاشم واضطروا إلى أكل الأوراق والجلود، وكان لا يصل إليهم شيئاً إلا مستخفياً، ومن كان يريد أن يصل قريباً له من قريش كان يصله سراً.

وقد أثر الحصار والجوع على صحة السيدة فاطمة، ولكنه زادها إيماناً ونضجاً. وما كادت السيدة فاطمة الصغيرة تخرج من محنة الحصار حتى فوجئت بوفاة أمها السيدة خديجة فامتألت نفسها حزناً وألماً، ووجدت نفسها أمام مسؤوليات ضخمة نحو أبيها النبي الكريم، وهو يمرّ بظروف قاسية خاصة بعد وفاة زوجته وعمّه أبي طالب. فما كان منها إلا أن ضاعفت الجهد وتحملت الأحداث بصبر، ووقفت إلى جانب أبيها الرسول الكريم لتقدم له العوض عن أمها وزوجته ولذلك: كانت تُكنى بـ أم أبيها. رضي الله عنها.

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني: «وكانت أول هاشمية تزوّجها هاشمي، وهي أم سائر ولد أبي طالب. وأم الحسين بن علي بن أبي طالب: فاطمة بنت رسول الله .

هجرتها:

حسب رواية أهل السنة هاجرت الزهراء إلى المدينة المنورة وهي في الثامنة عشرة من عمرها وكانت معها أختها السيدة أم كلثوم وأم المؤمنين السيدة سودة بنت زمعة بصحبة سيدنا زيد بن حارثة وهاجر معهم: أم المؤمنين السيدة عائشة وأمها أم رومان بصحبة عبد الله بن أبي بكر، وكان ذلك في السنة الأولى من الهجرة.

زواجها:

تزوجها سيدنا علي بن أبي طالب وأصدقها درعه الحُطمية. في ذي القعدة أو قُبَيْله من سنة اثنتين بعد معركة بدر (قاله الذهبي). وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد معركة أحد، فولدت له سيدنا الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب.

أبنائها

انحصر نسل سيدنا النبي بابنته السيدة فاطمة. فهي بنت سيدنا محمد الوحيدة من بين أولاده التي كانت لها ذرية. فهم:

أولادها:

سيدنا الحسن: سبط رسول الله وحفيده وريحانته وسيد شباب أهل الجنة، كنيته أبو محمد، والإمام الثاني، ورابع أصحاب الكساء.

سيدنا الحسين: سبط النبي وحفيده ويلقب بسيد شباب أهل الجنة، كنيته أبو عبد الله، والإمام الثالث وخامس أصحاب الكساء.

سيدنا المحسن بن علي مات مبكراً.

بناتها:

السيدة زينب بنت علي.

السيدة أم كلثوم بنت علي.

مكانتها:

فاطمة بنت محمد مكانة عظيمة عند المسلمين بشتى طوائفهم؛ فتجمع على أن لها شأن عند الله يفوق كل نساء العالم، وأنها سيدة نساء العالمين وفقاً للمنظور الإسلامي ولا يشاركها تلك المكانة سوى القليل من النساء مثل مريم بنت عمران على سبيل المثال مع أنهم يؤمنون أيضاً أن مريم من أفضل نساء العالمين وأتقاهن.

من المنظور السني: السيدة فاطمة بنت نبينا وسيدة نساء العالمين، وترجع أفضليتها لأنها من أكثر من عانى وقاسى مع أبيها؛ وكانت هي الراعية له على الرغم من صغر سنها وقسوة الظروف المحيطة بها. ولكنهم لا يعتقدون بعصمتها أو إمامة زوجها وذريتها وإن كانوا جميعاً ذوي مكانة عظيمة وفقاً لمعتقد أهل السنة والجماعة.

فضائلها:

قال سيدنا رسول الله: (حَسْبُكَ مِنْ نَسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَع: مَرْيَمُ وَآسِيَةُ وَخَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ).

قال سيدنا رسول الله: (خَيْرُ نَسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَع: مَرْيَمُ وَآسِيَةُ وَخَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ) وقال سيدنا رسول الله: (أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ فَاطِمَةُ) وقال رسول الله: (سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَاطِمَةُ) وقال رسول الله: (فَاطِمَةُ إِنْ اللَّهُ يَغْضِبُ لِيَغْضَبَكَ) وقال رسول الله: (الْمَهْدِي مِنْ عِثْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ) وقال رسول الله: (فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، يُرِيْبُنِي مَا رَابَهَا، وَيُوْذِنِي مَا آذَاهَا) وقال رسول الله: (أَنْزَلْتُ آيَةَ التَّطْهِيرِ فِي خَمْسَةِ فَيٍّ، وَفِي عَلِيٍّ وَحَسَنِ وَحُسَيْنٍ وَفَاطِمَةَ) وقال رسول الله: (فَاطِمَةُ بَهْجَةُ قَلْبِي وَابْنَاهَا ثَمَرَةُ فُؤَادِي) وقال رسول الله: (فَاطِمَةُ أَنْتِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحُوقًا بِي) وقال سيدنا رسول الله: (فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَعْضَبَهَا أَعْضَبَنِي) وقال سيدنا رسول الله: (كُلُّ بَنِي أُمِّ يَنْتَمُونَ إِلَى عَصْبَةٍ، إِلَّا وَلَدَ فَاطِمَةَ) وقال رسول الله: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَمْعِ غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ فَاطِمَةُ) وقال رسول الله: (أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَاطِمَةُ) وقال رسول الله: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَطَمَ ابْنَتِي فَاطِمَةَ وَوَلَدَهَا وَمَنْ أَحَبَّهُمْ مِنَ النَّارِ فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ

فاطمة) وقال رسول الله: **(فاطمة أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي)** وقال رسول الله: **(فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمئث)** وقال رسول الله: **(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة)** وقال رسول الله: **(فاطمة سيدة نساء أمتي).**

يرى أهل السنة والجماعة أن حديث قول النبي : **"لا نورث ما تركنا فهو صدقة"** لم ينفرد به سيدنا أبو بكر وإنما رواه سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وغيرهم، وأن المال الذي خلفه النبي لم يجعله سيدنا أبو بكر الصديق لنفسه ولا لأهل بيته وإنما هذا المال هو صدقة لمستحقيها، كما يرى أهل السنة والجماعة أن حكمة الله في هذا الحكم - في أن لا يورث الرسول المال لآله من بعده - هو حتى لا يكون ذلك شبهة لمن يقدر في نبوة النبي بأنه طلب الدنيا وقاتل في الغزوات ليخلف الثروات والأموال لورثته، كما صان الله رسول الله عن معرفة القراءة والكتابة وعن قول الشعر وذلك صيانة لنبوته عن الشبهة.

بعد القضية

يعتقد أهل السنة أنه ثبت عن السيدة فاطمة أنها رضيت عن سيدنا أبي بكر بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه.

وفاتها

يعتقد أهل السنة أنّ السيدة فاطمة صالحت سيدنا أبا بكر ورضيت به كخليفة بعد رسول الله قبل وفاتها، في حين يعتقد الشيعة أنّ غضبها عليه ظلّ قائماً حتى وفاتها.

تذكر مصادر السنة التاريخية أنّ فاطمة توفيت نتيجة وفاة والدها الحبيب. يكتب الباحث الصوفي مظفر أوزاك: لم تذق فاطمة بعد وفاة أبيها الطعام، بل و قد نسيت الفرح والضحك، وبقيت في بيتها تبكي أباهاً ليلاً و نهاراً حتي أن فارقت الحياة.

الغلو والتشدد والتطرف وحكم كل منها في الإسلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فهذه المحاضرة جاءت تعقيباً على محاضرة الدكتور بسام، لأن الإسلام دين منهجية الوسط في كل المناحي في التصور والاعتقاد والمعاملات والتشريع والأخلاق والتعبّد، هذا المنهج سمّاه القرآن —(الصرّاط المستقيم) منهج متميز عن جميع الطرق والديانات والفلسفات السابقة من الذين وصفهم مولانا في سورة الفاتحة — (المغضوب عليهم والضالين) ممن لا تخلو مناهجهم من غلو أو تفريط أو تشدد.

الوسطية كما علمتم إحدى الخصائص التي تميز الإسلام، وهي مَعْلَمٌ رئيسي فيه، وفيه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى

عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّكُمْ إِنَّا بِنُورِ اللَّهِ بِالْكَاسِ

لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿البقرة: ١٤٣﴾.

فهذه الأمة أمة الوسط، أمة الاعتدال (العدل) التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل الأمم السابقة، كل النصوص جاءت تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف الذي يعبر عنه بالفاظ الشرع —(الغلو والتشدد والتنطع).

والواقع أن الذي ينظر في هذه النصوص يتبين بوضوح أن الإسلام ينفر أشدّ النفور ويحذر أشدّ التحذير من هذا الغلو. وحسبي في هذه المحاضرة أن أقرأ عليكم بعضاً من الأحاديث التي تعلمتها منذ أن نشأت إسلامياً فالمتحدث إليكم اليوم ابن الخطيب من أسرة الخطيب الحسني من خطباء جامع بني أمية وشيخ جامع الدرويشية بدمشق وأسرتي معروفة كلها شيوخ مني أنا الفقير إليه تعالى إلى سيدنا

النبي ﷺ فهذه الأسرة تنتمي إلى آل البيت، وقد سعدت كثيراً أنني وضعت من ضمن المحاضرين في هذا المكان الذي أرجو من الله أن يكون لكم منه فرجاً ومخرجاً.

هذه الأحاديث التي تعلمناها منذ الصغر، منها حديث رواه (حم- ن- جه- حا) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: (إياكم والغلو في الدين) احذروا المبالغة الشديدة في الدين (فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) إذا كان الغلو في الدين منهيين عنه وهو أشرف شيء في الوجود يعتز به الإنسان فكيف بباقي مناحي الحياة.

وكلمة (إنما هلك من كان قبلكم) المقصود بها الأديان السابقة وخاصة أهل الكتاب الذين خاطبهم مولانا عز وجل ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧).

فنهنا نحن أمة الإسلام- أن نغلوا كما غلوا، وكفى بهذا زاجراً، وكما قيل في الأمثال (السعيد من اتعظ بغيره) حمق كبير أن لا تتعظ بغيرك وتقول: أريد أن أدوق السم الذي تذوقوه وأرى النتيجة بنفسي هذا رجل تعيس وليس سعيداً ومشكلة كبيرة عليه، السعيد من رأى غيره منحرفاً فحمد الله أنه غير منحرف.

هناك سبب ورود للحديث (كما أن هناك سبب نزول للآيات القرآنية فهناك سبب ورود للأحاديث) وهو ينبهنا على أمر مهم على أن الغلو قد يبدأ صغيراً : أولاً يعجبني واحد متشدد، أول درجة يفكر أن يكون من أتباعه ثم تتسع معه دائرة التشدد وتتفاقم حتى يصل إلى أن يكفر كل من يخالف قول شيخه، وكأنه معصوم عن الخطأ، سيدنا النبي ﷺ نبهنا أن الأمر يكون صغيراً ثم يكبر.

ما سبب ورود هذا الحديث؟ أن النبي ﷺ نبه لا تقولوا مستقبلاً أن الرمي بالحصى الكبيرة أفضل، لا، الرجم عملية معنوية صورت بشكل حسي، أنت ترمي بالحصى على مثال إبليس كما فعل الخليل قبلك (رجم إبليس) أراد الله أن تكون هذه العملية لإخراج خط الشيطان من قلبك، فليس كل ما كُبر كان أجدى، أنت لن تجرح إبليس، لا، أنت ترمي على حجر وتقول بسم الله طاعة للرحمن ورجماً للشيطان، عملية معنوية صورت بشكل حسي، (نعم بأمثال هؤلاء ارموا، وإياكم والغلو في الدين) هذا معنى الحديث.

فالغلو تعريفه في اللغة: مجاوزة الحد، مطلوب أن أصلي (١١) ركعة وتر ليس لك أن تقول أنا أحب الله سأصليها (١٥) ركعة، هذا مرفوض، العلماء نصوا إذا زاد عن (١١ ركعة) لم يتعد الزائد هذا غلو وتنتطع في الدين، واحد آخر قال يحب الله كثيراً سيصلي كل وقت أربع ركعات الفجر والظهر والمغرب... الإسلام لا يسمح لك بذلك، ليس لك أن تبتدع منهجاً تسير عليه، مطلوب منك أن تسير على منهج النبوة.

فالنبي ﷺ نبهنا وقال: أهل الكتاب كانوا يغلون في دينهم فلا تتشبهوا بهم. الحديث الثاني: رواه (م) عن ابن مسعود قال فيه ﷺ (هلك المتنطعون) ردها ثلاثاً.

هناك هلك المغالون، وهنا هلك المتنطعون الإمام النووي قال: هم المتعمقون، المجاوزون للحدود في أقوالهم وأفعالهم. والملاحظ أن هذا الحديث جعل عاقبة الغلو الهلاك، فالمغالي أول شيء يحجر عليه، يوضع بين أربع حيطان: أنت تصرف غلط، وإذا أصر وقال: لا، أنا صح، الإسلام يحجر عليه: (هلك المتنطعون).

الحديث الثالث: رواه أبو يعلى عن سيدنا أنس [أنا أذكر لكم المخرجين للأحاديث حتى لا تقولوا هذا حديث ضعيف وهذا حديث موضوع وتلعب بكم الأهواء؟!] كان ﷺ يقول: (لا تشددوا على أنفسكم).

يا شباب: الله عز وجل " ما جعل عليكم في الدين من حرج ".
يا شباب: الله عز وجل يقول " يريد الله أن يخفف عنكم " وأنت تشدد على نفسك لماذا؟!

النبي ﷺ يقول: (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع - "رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم").

أهل الكتاب قالوا لا نريد الدنيا بل نريد التفرغ للعبادة فقط فبنوا الصوامع في رؤوس الجبال وتعبدوا واعتزلوا الناس، ابتدعوا الرهبانية، شددوا على أنفسهم فشدد عليهم.

من أجل ذلك قاوم رسول الله ﷺ كل اتجاه ينزع إلى الغلو في التدين، بل أنكر على بعض أصحابه الكرام في التعبد والتقشف أنهم شددوا على أنفسهم مبالغة تخرج عن حد الاعتدال.

الإسلام لا يعتني بالروحانيات فقط، ولا بالماديات فقط بل يوازن بينهما، بين خط النفس في الحياة وحق الرب في العبادة. فمثلاً شرع من العبادات ما يزكي به

نفس العبد ويرقى به روحياً ومادياً، دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الكون والمجتمع، فمثلاً الصلاة والصيام والزكاة والحج عبادات فردية واجتماعية كفرد أن تنفكها واجتماعية تقدمها للفقراء مثلاً. فما دامت العبادات فيها خط للجماعة لماذا تنفرد عنها، إن رسول الله ﷺ يقول: (يد الله مع الجماعة) ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُسَوْنَةٌ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ١٠)، لماذا ننفرد ونستقل ونشذ عن الناس والنبي ﷺ يقول: (إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) بعيدة عن مثيلاتها وأخواتها، أليس وقد قال مولانا عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، مطلوب منك أن تكون اجتماعياً وأصدق تعريف للإنسان أنه (حيوان متدين اجتماعي) هذا أصدق تعريف للإنسان.

من هنا لم يشرع الإسلام الرهبانية التي تفرض العزلة عن المجتمع، وتفرض العزلة عن العمل، إن الإسلام يعتبر الأرض كلها محراباً للمؤمن، ويعتبر فيها العمل عبادة وجهاداً.

اسمعوا يا شباب (من أمسى كالأل من عمل يده أمسى مغفوراً له ذنبه) العمل عبادة كما أن الصلاة عبادة، الإسلام لا يقر بإهمال الحياة المادية، ولا يقر أن تلتفت إلى الروحانيات فحسب بل يجمع بينهما، وأنت تقرأ في الكتاب المقدس القرآن: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١) ، هذا توازن، بل اسمع دعاء حبيبك وهو يوازن بين ثلاث مناح: الدنيا والآخرة والدين يقول (م) (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي) أترون ما أحلى هذا الدعاء، لا تترك شيئاً على حساب شيء.

إن القرآن أنكر على أولئك الذين يحرمون الطيبات على أنفسهم بل اسمعوا هذا الأمر الإلهي ﴿يَبْنَىْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ كُلُّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)، وقال لنا من وراء حبيبته المصطفى ﷺ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ !!!؟ (الأعراف: ٣٢) ، من هو هذا الذي

يشرع مع تشريع الله ويحرم ما أحل الله، لا يجوز أن تحرم وتحلل على مزاجك
!!!؟ إن هذا الشيء عجاب .

وفي القرآن المدني يخاطب الجماعة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا
أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة: ٨٧)، يا أهل الإيمان
ربطها بالإيمان يعني من لا يتبع هذا المنهج ليس بمؤمن ولا تتجاوزوا حدودكم
قف عند حدك، رحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده، هاتان الآيتان الكريمتان تبيينان
للجماعة المؤمنة منهج الإسلام المعتدل في التمتع بالطيبات ومقاومة الغلو الذي
وجد في بعض الأديان.

روي في سبب نزول هذه الآية أن رهطاً من الصحب الكرام أحبوا أن يتقربوا
إلى الله تعالى قالوا (نقطع مذاكيرنا ونتبتل) ونترك شهوات الدنيا ونسيح في
الأرض كالرهبان ، هم صحابة لكن هذا لم
يرض رب العزة والجلال وأنزل هذه الآية.

وفي (ق) عن أمنا عائشة أن أناساً سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمل النبي ﷺ
حتى يقلدوه فقالت أمهات المؤمنين : (يصوم ويفطر، يصلي وينام. ويتزوج النساء
(فقالوا: هذه كلنا نفعلها (يعني كأنهم تقالوها) فقال أحدكم وهو يريد أن يغالي
قال: لا أكل اللحم. وقال الآخر: لا أتزوج النساء، وقال الثالث: أقوم الليل ولا أنام.
فوصل الخبر إلى حبيبك النبي ﷺ فوقف خطيباً في الصحابة وقال ﷺ : (ما
بال أقوام يقولون كذا وكذا ولكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وأكل اللحم، وأتزوج
النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

وسنته – عليه الصلاة والسلام – تعني منهجه في فهم الدين وتطبيقه، وكيف
يعامل ربه عز وجل، ويعامل نفسه وأهله والناس من حوله – معطياً كل ذي حق
حقه، في توازن واعتدال.

فما هي العيوب والآفات الملازمة لغلو في الدين ؟

أريد أن نخرج بنتيجة ترك التشدد في الدين، وما كان هذا التحذير من التطرف
والغلو إلا فيه عيوباً وآفات أساسية تصاحبه وتلازمه. منها:

أول عيب : أنه منفر لا تحتمله طبيعة البشر العادية، و لا تصبر عليه، و لو
صبر عليه قليل منهم لم يصبر عليه جمهورهم، و الشرائع إنما تخاطب الناس
كافة، لا فئة ذات مستوى خاص، ولهذا غضب النبي ﷺ فقال له : أفتان أنت يا
معاذ؟! وكررها ثلاثاً (رواه البخاري).

وفي واقعة ماثلة قال للإمام في غضب شديد لم يغضب مثله: ((أن منكم منفريين من أمّ بالناس فليتجاوز، فإن خلفه الكبير و الضعيف وذا الحاجة)) (رواه البخاري).

ولهذا بعث النبي ﷺ معاذاً وأبا موسى إلى اليمن أوصاهما بقوله: ((يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلعا....)) (متفق عليه). وقال عمر رضي الله عنه : لا تبغضوا الله إلى عباده، فيكون أحدكم إماماً فيطول على القوم الصلاة حتى يبيغض إليهم ما هم فيه.

والعيب الثاني : أنه قصير العمر، والاستمرار عليه في العادة غير متيسر، فالإنسان ملول، وطاقته محدودة، فإن صبر يوماً على التشدد والتعسير، فسرعان ما تكل دابته أو تحرن عليه مطيته في السير.. وأعني بهما جهده البدني والنفسي، فيسأم ويدع العمل حتى القليل منه، أو يأخذ طريقاً آخر، على عكس الطريق الذي كان عليه.. أي ينتقل من الإفراط إلى التفريط، ومن التشدد إلى التسبب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكثيراً ما رأيت أناساً عرفوا بالتشدد و التطرف حيناً، ثم غبت عنهم أو غابوا عني زمناً فسألت عنهم بعد، فإما ساروا في خط آخر، وانقلبوا على أعقابهم، والعياذ بالله... وإما قد فتروا وانقطعوا كالمئبّت الذي جاء ذكره في الحديث ((فلا أرضاً قطع و لا ظهراً أبقى)) (رواه البزار عن جابر بإسناد ضعيف) يريد بالمنبت الذي انقطع عنه رفقة بعد أن أجهد دابته.

ومن هنا كان التوجيه النبوي بقوله : ((اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا ... وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)) (رواه الشيخان وأبو داود والنسائي عن عائشة رضي الله عنها).

وعن ابن عباس قال: كانت مولاة للنبي تصوم النهار وتقوم الليل ف قيل له: إنها تصوم النهار وتقوم الليل ! فقال : ((إن لكل عمل شرة (حدة ونشاطا) ولكل شرة فترة (استرخاء و فتوراً) فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل)) . (رواه البزار و رجاله رجال الصحيح).

وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو قال: ذكر لرسول الله رجال ينصبون في العبادة من أصحابه نصباً شديداً، فقال: رسول الله: ((تلك ضراوة الإسلام وشيرته، ولكل ضراوة شرة، ولكل شرة فترة..فمن كانت فترته إلى الكتاب والسنة فلا م ما

هو.. ومن كانت فترته إلى معاصي الله فذلك الهالك)) (قال شاكر: إسناده صحيح)، ومعنى ((لَأَمَّ ما هو)) : أَمَّ: من القصد .. أي قصد الطريق المستقيم. (وفي رواية الطبراني لهذا الحديث: .. فمن كانت فترته إلى اقتصاد، فنعم ما هو.. ومن كانت فترته إلى المعاصي فأولئك هم الهالكون).

وما أجمل الوصية النبوية العامة لكل المكلفين: الوصية بالقصد والاعتدال، وأن لا يحاول أن يغالبوا الدين، فيغلبهم، وأن يقاوموه بشدة، فيقهرهم، فقال : ((إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا...)) (رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة).

وقال العلامة المناوي في شرحه: يعني لا يتعمق أحد في العبادة و يترك الرفق كالرهبان، إلا عَجَزَ، فَيُغْلَبُ.... ((فسدُّوا)) أي: الزموا السداد، وهو الصواب بلا إفراط ولا تفريط... ((وقاربوا)) أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه ((وأبشروا)) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل. أهُـ .

والعيب الثالث: أنه لا يخلو من جور على حقوق أخرى يجب أن تُراعى، وواجبات يجب أن تؤدي.. وما أصدق ما قاله أحد الحكماء: ما رأيت إسرافاً إلا وبجانبه حق مضيع ... وقال لعبد الله بن عمرو حين بلغه انهماكه في العبادة انهماكاً أنساه حق أهليه عليه: ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟

قال عبد الله: فقلت بلى يا رسول الله .. فقال : لا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم.. فإن لجسدك عليك حقاً.. وإن لعينيك عليك حقاً .. وإن لزورك عليك حقاً، وإن لزورك (زوّارك) عليك حقاً.. (رواه البخاري في كتاب الصوم).

يعني: فأعط كل ذي حق حقه، ولا تغلّ في ناحية على حساب أخرى. وكذلك قال الصحابي الفقيه سلمان الفارسي لأخيه العابد الزاهد أبي الدرداء، وقد كان رسول الله أخى بينهما، فزادت بينهما الألفة، وسقطت الكلفة، فزار سلمان أبا الدرداء، فوجد أم الدرداء - زوجته - متبذلة (يعني: لابة ثياب البذلة والمهنة لا ثياب الزينة والتجمل كما تفعل المرأة المتزوجة) فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا!

فجاء أبو الدرداء فرحب بسلمان، وقرب إليه طعاماً فقال: كل فإنني صائم! فقال سلمان: ما أنا بأكل حتى تأكل..

وفي رواية البزار: أقسمت عليك لتفطرن، قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال سلمان: نم .. فنام.

ثم ذهب ليقوم، فقال سلمان له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن... فصلباً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه... فأتى أبو الدرداء النبي، فذكر ذلك له، فقال النبي: صدق سلمان. (رواه البخاري والترمذي) وفي رواية ابن سعد أنه قال: ((لقد أشبع سلمان علماً...)).

ولكن ما معنى التشدد أو التطرف الديني؟ وما المقصود به الآن؟ وما معالمة؟ ومتى يعتبر المرء متطرفاً دينياً؟!

تحديد مفهوم التطرف الديني، وعلى أي أساس يقوم؟

إن بيان هذا التطرف وتحديد المراد به بعلم وبصيرة، هو الخطوة الأولى في طريق العلاج، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

ولا قيمة لأي بيان أو حكم هنا ما لم يكن مستنداً إلى المفاهيم الإسلامية الأصلية، وإلى النصوص والقواعد الشرعية الثابتة، لا إلى الآراء المجردة، وقول فلان أو علان من الناس، فلا حجة في قول أحد دون الله ورسوله، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩)، وقد اتفقت الأمة، سلفها وخلفها، على أن الرد إلى الله تعالى يعني الرد إلى كتابته، والرد إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يعني: سنته عليه الصلاة والسلام.

وبدون هذا التوثيق الشرعي لن يعبر الشباب المتهم بالتطرف التقافاً إلى فتوى هذا أو مقال

ذاك، وسيضربون عرض الحائط بهذا الاتهام الذي ينكرونه، ويتهمون موجهيه بالتزيف، وتسمية الأشياء بغير أسمائها.

وقديماً قيل: إن الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وهو من هو في أهل السنة، نسبت إليه تهمة ((الرفض)) فضاق بهذا الاتهام الرخيص، وقال متحدياً: إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضي

وحديثاً قال أحد الدعاة: اللهم إن كان المتمسك بالكتاب والسنة رجعيّاً، فأحييني اللهم رجعيّاً، وأمتني رجعيّاً، واحشرنني في زمرة الرجعيين!

والواقع أن تحديد مفاهيم مثل هذه الكلمات الشائعة ((الرجعية)) ((الجمود)) ((التطرف)) ((التعصب)) ونحوها، أمر في غاية الأهمية، حتى لا تترك مادة هلامية رجراجة، يستخدمها كل فريق كما يحلو له، وتتناولها القوى الفكرية

والاجتماعية المختلفة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، فيفسرها كل بما شاء وكيف شاء..

وهنا نجد أننا لو تركنا تحديد مفهوم ((التطرف الديني)) لآراء الناس و أهوائهم لتفرقت بنا السبل، تبعاً للأهواء التي لا تنتهى قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿ (المؤمنون: ٧١).

❖ مظاهر التطرف....

■ فما التطرف إذن، وما دلائله ومظاهره؟

١. التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر:

إن أولى دلائل التطرف: هي التعصب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهاناً، وأرجح ميزاناً.

ونحن هنا ننكر على صاحب هذا الاتجاه ما أنكرناه على خصومه ومتهميه، وهو محاولة الحجر على آراء المخالفين وإلغائها.

أجل، إنما ننكر عليه حقاً، إذا أنكر الآراء المخالفة ووجهات النظر الأخرى، ورغم أنه وحده على الحق، ومن عداه على الضلال، واتهم من خالفه في الرأي بالجهل وإتباع الهوى، ومن خالفه في السلوك بالفسوق والعصيان، كأنه جعل من نفسه نبياً معصوماً، ومن قوله حياً يوحى! مع أن سلف الأمة وخلفها قد أجمعوا على أن يؤخذ من كلامه ويترك، إلا النبي ﷺ.

والعجيب أن من هؤلاء من يجيز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل، وأغمض القضايا، ويفتي فيها بما يلوح له من رأي، وافق فيه أو خالف، ولكنه لا يجيز لعلماء العصر المتخصصين، منفردين أو مجتمعين، أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه.

ومنهم من يخرج بآراء وتفسيرات لدين الله، هي غاية في العجب، لا يبالي أن يشذ فيها عن كافة السابقين واللاحقين، والمحدثين والمعاصرين، لأن رأسه برأس أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن عباس رضي الله عنهم، فهو رجل وهم رجال! وليته

يعدي هذه الرجولة والفحولة إلى غيره من معاصريه، ممن لا يرى رأيه، ولا يتبع نهجه من أهل العلم، بيد أنه لا يتعدى نفسه، وكل الصيد في جوف الفرا !
فهذا التعصب المقيت الذي يثبت المرء فيه نفسه، وينفي كل من عداه، هو الذي نراه من دلائل التطرف حقاً، فالمتطرف كأنما يقول لك: من حقي أن أتكلم.. ومن واجبك أن تسمع... ومن حقي أن أقود.. ومن واجبك أن تتبع.. رأيي صواب لا يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب.. وبهذا لا يمكن أن يلتقي بغيره أبداً، لأن اللقاء يمكن ويسهل في منصف الطريق ووسطه، وهو لا يعرف الوسط ولا يعترف به. فهو مع الناس كالمشرق والمغرب، لا تقترب من أحدهما إلا بمقدار ما تبتعد من الآخر.

ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأي على الآخرين بالعصا الغليظة، والعصا الغليظة هنا قد لا تكون من حديد أو خشب، فهناك الاتهام بالابتداع أو بالاستهتار بالدين، أو بالكفر والمروق- والعياذ بالله- فهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفاً وتهديداً من الإرهاب الحسي.

٢. إلزام جمهور الناس، بما لم يلزمهم الله به ...

ومن مظاهر التطرف الديني: التزام التشديد دائماً، مع قيام موجبات التيسير، وإلزام الآخرين به، حيث لم يلزمهم الله به، إذ لا مانع أن يأخذ المرء لنفسه بالأشد في بعض المسائل، وبالأثقل في بعض الأحوال، تورعاً واحتياطاً، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا ديدنه دائماً وفي كل حال، بحيث يحتاج إلى التيسير فيأباه، وتأثيه الرخصة فيرفضها، مع قوله ﷺ : ((يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)) وقوله: ((إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته)) .

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِلْمَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، و((ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً)) .

وقد يقبل من المسلم أن يشدد على نفسه، ويعمل بالعزائم، ويدع الرخص والتيسيرات في الدين، ولكن الذي يلزم بذلك جمهور الناس، وأن يجب عليهم الحرج في دينهم، والعنت في دنياهم، مع أبرز أوصاف الرسول الكريم ﷺ في كتب الأقدمين، أنه قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمُحَرَّمٌ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتُ وَيَضَعُ

عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ، أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ (الأعراف: ١٥٧) .

ولهذا كان النبي ﷺ أطول الناس صلاة إذا صلى على نفسه، حتى إنه كان يقوم بالليل فيطيل القيام حتى تنفطر أو تتورم قدماه عليه الصلاة والسلام، ولكنه كان أخف الناس صلاة إذا صلى بالناس، مراعيًا ظروفهم وتفاوتهم في الاحتمال، وقال: ((إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما يشاء)) (رواه البخاري).

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله، إنني لأتأخر عن الصلاة في الفجر مما يطيل بنا فلان فيها، فغضب رسول الله ﷺ، ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضباً منه يومئذ ثم قال: ((يا أيها الناس أن منك منفريين، فمن أم بالناس فليتجاوز، فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة)).

وقال أنس أن النبي ﷺ قال: ((إنني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجاوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه)) (رواه البخاري).

ومن التشديد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، وعلى المكروهات كأنها محرمات، والمفروض ألا نلزم الناس بما ألزمهم الله تعالى به جزماً، وما زاد على ذلك فهم مخيرون فيه، إن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا تركوا. وحسبنا هنا حديث طلحة بن عبيد الله في الصحيح، في قصة ذلك الأعرابي الذي سأل النبي ﷺ عما عليه من فرائض، فأخبره بالصلوات الخمس وبالزكاة، وبصوم رمضان، فقال: هل عليّ غيرها؟ فقال لا، إلا أن تطوع، فلما أدبر الرجل قال: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: (أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق).

ولطالما قلت: إن بحسبنا من المسلم في هذا العصر أن يؤدي الفرائض، ويجتنب الكبائر، لنعتبره في صف الإسلام وأنصاره، ما دام ولاؤه لله ولرسوله ﷺ وإن ألم ببعض الصغائر من المحرمات، فعنده من الحسنات مثل: الصلوات الخمس، صلاة الجمعة، وصيام رمضان وغيرها، ما يكفر عنه هذه الصغائر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْتَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١).

فكيف نسقط اعتبار المسلم بمجرد الوقوع فيما اختلف فيه من الأمور: أهو حرام أم حلال؟ ولم يعلم تحريماً يقيناً من دين الله؟ أو ترك ما اختلف فيه: أهو واجب أم سنة؟ ولم نعلم فرضيته جزماً في شرع الله؟ ومن هنا أنكرت على بعض المتدينين تبنيهم بصفة دائمة ومطلقة لخط التشدد والتزمت، والتزام أشد الآراء تضيقاً، وأقربها إلى التعسير، وأبعدها عن السعة والتيسير، ولم يكفهم أن يلتزموا ذلك في أنفسهم، وإن أعنتهم وأخرجهم، بل أرادوا أن يلزموا بذلك سائر الناس، وأي عالم خرج عن هذا الخط، داعياً إلى التيسير، أو مفتياً بما هو أرفق لهم وبما يرفع الحرج عنهم، في ضوء مقاصد الشريعة وأحكامها، ووضع عندهم في قفص الاتهام!

٣. التشديد في غير محله

ومما ينكر من التشديد أن يكون في غير مكانه وزمانه، كأن يكون في غير دار الإسلام وبلاده الأصلية، أو مع قوم حديثي عهد بإسلام، أو حديثي عهد بتوبة. فهو لاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية، والأمور الأخلاقية، والتركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات، والأصول قبل الفروع، وتصحيح عقائدهم أولاً، فإذا اطمأن إليها دعاهم إلى أركان الإسلام، ثم إلى شعب الإيمان، ثم إلى مقامات الإحسان.

ولما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل

يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم... (الحديث متفق عليه).

فانظر كيف أمره أن يتدرج في دعوتهم، فيبدأ بالأساس، وهو الشهادتان: الشهادة لله بالوحدانية وسيدنا محمد ﷺ بالرسالة، ثم إذا استجابوا دعاهم إلى الركن الثاني، وهو الصلاة، فإن أطاعوا انتقل إلى الركن الثالث، وهو الزكاة.... وهكذا. ولقد راعني أن وجدت بعض الشباب المخلصين من بعض الجماعات الإسلامية في أمريكا، قد أثاروا جدلاً عنيفاً في أحد المراكز الإسلامية، لأن المسلمين يجلسون على الكراسي في محاضرات السبت والأحد، ولا يجلسون على الحصير أو السجاد كما يجلس أهل المساجد، ولأنهم لا يتجهون في جلوسهم إلى القبلة، كما هو أدب المسلم، وأنهم يلبسون البنطلونات لا الجلابيب البيض، ويأكلون على المناضد لا على الأرض... الخ.

وقد غاظني هذا النوع من التفكير والسلوك في قلب أمريكا الشمالية، وقلت لهم: أولى بكم في هذا المجتمع اللاهث وراء المادة، أن تجعلوا أكبر همكم الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعبادته، والتذكير بالدار الآخرة، وبالقيم الدينية العليا، وتحذروا من الموبقات التي غرقت فيها المجتمعات المتقدمة مادياً في عصرنا، أما الآداب والمكملات التحسينية في الدين، فمكانها وزمانها يعد تمكين الضروريات والأساسيات وتثبيتها.

وفي مركز إسلامي آخر، وجدتهم أقاموا الدنيا وأقعدوها من أجل عرض فيلم تاريخي أو تعليمي في المسجد، وقالوا: قد حوّلوا المسجد إلى سينما! ونسي هؤلاء أن المسجد وضع لمصلحة المسلمين الدينية والدنيوية، وقد كان في عهد النبوة دار الدعوة ومركز الدولة، ومحور النشاط في المجتمع، ولا يجهل أحد ما رواه البخاري وغيره من إذن النبي للحبشة أن يلعبوا بحراهم في قلب مسجده الشريف، وسماحه لعائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم وهم يلعبون.

حدثني أحد أقاربي يتداوى في لندن كل حين أن العرب كانوا محترمين قبل أن تبدأ التفجيرات في لندن ولكن وجد اختلافاً كثيراً في تعاملهم هناك بعدها فانظروا ماذا جر التشدد على الأمة أمام أعدائهم. في بلد ليس له علاقة بالإسلام. هذا تشدد وتطرف غير مقبول لأنه في غير دار الإسلام وبلاده الأصلية.

٤. الغلظة والخشونة . . .

ومن مظاهر التطرف: الغلظة في التعامل، والخشونة في الأسلوب، والفظاظة في الدعوة، خلافاً لهداية الله تعالى، وهدى رسوله ﷺ .

فإنه تعالى يأمرنا أن ندعو إلى الله بالحكمة لا بالحماسة، وبالموعظة الحسنة، لا بالعبرة الخسنة، وأن نجادل بالتي هي أحسن قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

ووصف رسوله ﷺ قوله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨) وخاطب رسوله مبيناً علاقته بأصحابه قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمْتُمْ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَطَا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

ولم يذكر القرآن الغلظة والشدّة إلا في موضعين:
١- في قلب المعركة ومواجهة الأعداء، حيث توجب العسكرية الناجحة، الصلابة عند اللقاء، وعزل مشاعر اللين حتى تضع الحرب أوزارها، وفي هذا يقول تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ١٢٣).

٢- والثاني في تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقها، حيث لا مجال لعواطف الرحمة في إقامة حدود الله في أرضه: قَالَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢).

أما في مجال الدعوة، فلا مكان للعنف والخسونة، وفي الحديث الصحيح: ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله))، وفي الأثر: ((من أمر بمعروف، فليكن أمره بمعروف))، وقال ﷺ: ((ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا دخل العنف في شيء إلا شانه)).

ولا شيء يشينه العنف إذا دخله، مثل الدعوة إلى الله، فإنها تحاول أن تدخل أعماق الإنسان، لتجعل منه شخصاً ربانياً في مفاهيمه ومشاعره وسلوكه، وتبدل كيانه كله وتنشئ منه خلقاً آخر، فكراً وشعوراً وإرادة، كما أنها تهز كيان الجماعة

هزأً، لتغير عقائدها المتوارثة، وتقاليدها الراسخة، وأخلاقها المتعارفة، وأنظمتها السائدة..

وهذا كله لا يمكن أن يتم إلا بالحكمة وحسن التأني للأمور، والمعرفة بطبيعة الإنسان وعناده، وجموده على القديم، وأنه أكثر شيء جدلاً، فلا بد من الترفق في الدخول إلى عقله، والتسلل إلى قلبه، حتى نلين من شدته، ونكفكف من جموده، ونطامن من كبريائه.

وهذا ما قصه علينا القرآن من مسالك الأنبياء والدعاة إلى الله من المؤمنين الصادقين، كما نرى في دعوة إبراهيم لأبيه وقومه، ودعوة شعيب لقومه، ودعوة موسى لفرعون، ودعوة مؤمن آل فرعون، ومؤمن سورة «يس» وغيرهم من دعاة الحق والخير.

انظر إلى مؤمن آل فرعون كيف وقف يخاطب فرعون ومن معه، إنه يشعرهم بأنهم قومه، وأنه واحد منهم، يهمله أمرهم، ويعنيه أن يبقى لهم ملكهم، ويدوم لهم

مجدهم، فهو يخاطبهم بهذه الروح **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ**

فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ غافر: ٢٩). ثم يخوفهم مما أصاب الأمم من قبلهم حين أعرضوا عن دعوة الله

تعالى وطاعة رسوله: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ**

الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ غافر: ٣١: ٣٠).

ويستمر هذا المؤمن المخلص في دعوته لقومه بهذا الأسلوب الذي يفيض رقة

وحنواً، مرهباً حيناً، ومرغباً حيناً آخر: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ**

أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ

الْفَرَارِ ﴿٣٩﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي

لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ ﴿٤٢﴾

(غافر: ٣٨: ٤٢)، إلى أن يقول لهم في ختام وصيته: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ**

لَكُمْ وَأَفَوتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٢﴾ (غافر: ٤٢).

هذا هو الأسلوب الذي ينبغي لأصحاب الدعوات أن يتبعوه في دعوتهم للمعاندین، ومخاطبتهم للمخالفين، وحسبنا وصية الله تعالى للرسولين الكريمين موسى وهارون: **قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤٣) فَقُولَا لَهُ: قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (طه ٤٤: ٤٣).**

ولهذا لما واجه موسى فرعون عرض عليه الدعوة في هذه الصورة الرقيقة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبُنَا إِلَىٰ رَيْكِ فَنَنخِسُ﴾ (النازعات ١٩: ١٨).

ولا غرو أن أنكر الدعاة الوعاة على بعض الشباب المخلصين الطريقة التي يتعاملون بها مع الناس في السلوك، أو يتحاورون بها مع المخالفين في الفكر، فقد غلب عليها المخاطبة بالخشونة والشدة، والمواجهة بالغلظة والحدة، ولم يفرقوا في ذلك بين الكبير والصغير... ولم يميزوا بين من له حرمة خاصة كالأب والأم، ومن ليس كذلك.. ولا بين من له حق التوقير والتكريم كالعالم الفقيه، والمعلم المربي، ومن ليس كذلك... ولا بين من له سابقة في الدعوة والجهاد، ومن لا سابقة له.. ولم يفصلوا بين من له عذره إلى حد ما - كالعوام والأميين والمخدوعين - من الجماهير المشغولة بمعاشرتها ومتاعبها اليومية، ومن لا عذر له، ممن يقاوم الإسلام عن حقد، أو عمالة وخيانة، ويقتحم النار على بصيرة، وقديماً فرّق أئمة الحديث رضي الله عنهم بين عوام المبتدعين ممن لا يدعو إلى بدعته، وبين من نصب نفسه داعية للبدعة مروّجاً لها، مناضلاً عنها، فقبلوا رواية الأول، وردوا رواية الآخر.

٥. سوء الظن بالناس . . .

ومن مظاهر التطرف ولوازمه: سوء الظن بالآخرين، والنظر إليهم من خلال منظار أسود، يخفي حسناتهم، على حين يضخم سيئاتهم. الأصل عند المتطرف هو الاتهام، والأصل في الاتهام الإدانة، خلافاً لما تقرره الشرائع والقوانين: إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته. تجد الغلاة دائماً يسارعون إلى سوء الظن والاتهام لأدنى سبب، فلا يلتمسون المعاذير للآخرين، بل يفتشون عن العيوب، ويتقلمون الأخطاء، ليضربوا بها الطبل، ويجعلوا من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفراً!!

وإذا كان هناك قول أو فعل يحتمل وجهين: وجه خير وهداية، ووجه شر وغواية، رجحوا احتمال الشر على احتمال الخير، خلافاً لما أثر عن علماء الأمة من أن الأصل حمل المسلم على الصلاح، والعمل على تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان.

وقد كان بعض السلف يقول: إني لألتمس لأخي المعاذير من عذر إلى سبعين ثم أقول: لعل له عذراً آخر لا أعرفه!

من خالف هؤلاء في رأي أو سلوك - تبعاً لوجهة نظر عنده - اتهم في دينه بالمعصية أو الابتداع أو احتقار السنة، أو ما شاء لهم سوء الظن، فإذا خالفتهم في سنية حمل العصا، أو الأكل على الأرض مثلاً، اتهموك بأنك لا تحترم السنة، أو لا تحب رسول الله ﷺ، بأبي هو وأمي!

ولا يقتصر سوء الظن عند هؤلاء على العامة، بل يتعدى إلى الخاصة، وخاصة الخاصة، فلا يكاد ينجو فقيه أو داعية أو مفكر إلا مسّه شواظ من اتهام هؤلاء. فإذا أفتى فقيه بفتوى فيها تيسير على خلق الله، ورفع الحرج عنهم، فهو في نظرهم متهاون بالدين.

وإذا عرض داعية الإسلام عرضاً يلائم ذوق العصر، متكلماً بلسان أهل زمانه ليبيين

لهم، فهو متهم بالهزيمة النفسية أمام الغرب وحضارة الغرب . . وهكذا. ولم يقف الاتهام عند الأحياء، بل انتقل إلى الأموات الذين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، فلم يدعوا شخصية من الشخصيات المرموقة إلا صوبوا إليها سهام الاتهام، فهذا ماسوني، وذلك جهمي، وآخر معتزلي. حتى أئمة المذاهب المتبوعة - على ما لهم من فضل ومكانة لدى الأمة في كافة عصورها - لم يسلموا من ألسنتهم ومن سوء ظنهم.

بل إن تاريخ الأمة كله - بما فيه من علم وثقافة وحضارة - قد أصابه من هؤلاء ما أصاب الحاضر وأكثر، فهو عند جماعة تاريخ فتن وصراع على السلطة، وعند آخرين تاريخ جاهلية وكفر، حتى زعم

بعضهم أن الأمة كلها قد كفرت بعد القرن الرابع الهجري! وقديماً قال أحد أسلاف هؤلاء لسيد البشر ﷺ بعد قسمة قسمها: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله! اعدل يا محمد فإنك لم تعدل!

إن ولع هؤلاء بالهدم لا بالبناء ولع قديم، وغرامهم بانتقاد غيرهم وتركية أنفسهم شنشنة معروفة، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: ٣٢).

إن آفة هؤلاء هي: سوء الظن المتغلغل في نفس أعماق نفوسهم ولو رجعوا إلى القرآن والسنة لوجدوا فيهما ما يغرس في المسلم حسن الظن بعباد الله، فإذا وجد عيباً ستره ليستره الله في الدنيا والآخرة، وإذا وجد حسنة أظهرها وأذاعها، ولا تنسيه سيئة رآها في مسلم حسناته الأخرى، ما يعلم منها وما لا يعلم.

أجل، إن التعاليم الإسلامية تحذر أشد التحذير من خصلتين:

سوء الظن بالله، وسوء الظن بالناس، والله تعالى يقول: **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾** (الحجرات: ١٢)، والنبي يقول: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)) (متفق عليه).

وأصل هذا كله الغرور بالنفس، والازدراء للغير، ومن هنا كانت أول معصية لله في العالم: معصية إبليس، وأساسها: الغرور والكبر ﴿أنا خيرُ منه﴾.

وحسبنا في هذا التحذير من هذا الاتجاه، الحديث النبوي الصحيح: إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكهم. (رواه مسلم).

جاءت الرواية بفتح الكاف ((فهو أهلكهم)) على أنه فعل ماض، أي كان سبباً في هلاكهم باستعلانه عليهم وسوء ظنه بهم، وتئيسهم من روح الله تعالى.

وجاءت بضم الكاف أيضاً؟ ((فهو أهلكهم)) أي أشدهم وأسرعهم هلاكاً، بغروره وإعجابه بنفسه، واتهامه لهم.

والإعجاب بالنفس أحد المهلكات الأخلاقية التي سماها علماءنا: ((معاصي القلوب)) التي حذر منها الحديث النبوي بقوله: (ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه).

هذا مع أن المسلم لا يغتر بعلمه أبداً، ويخشى أن يكون فيه من الدخل والخلل ما يحول دون قبوله، وهو لا يدري، والقرآن يصف المؤمنين السابقين بالخيرات، فيقول في أوصافهم **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاً وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾** (المؤمنون: ٦٠)، وقد ورد في الحديث، أن هذه الآية فيمن عمل الصالحات ويخاف ألا يقبل الله منه.

ومن حكم ابن عطاء: ربما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وربما قدر عليك المعصية، فكانت سبباً في الوصول، معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عُجباً واستكباراً!

وأصل هذا من حكمة للإمام علي رضي الله عنه قال: سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك.

وقال ابن مسعود: الهلاك في اثنتين: العُجب والقنوط، وذلك أن السعادة لا تدرك إلا بالسعي والطلب، والمعجب بنفسه لا يسعى لأنه قد وصل، والقانط لا يسعى لأنه لا فائدة للسعي في نظره.

٦. السقوط في هاوية التكفير . . .

ويبلغ هذا التطرف غايته، حين يسقط عصمة الآخرين، ويستبيح دماءهم وأموالهم، ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة، وذلك إنما يكون حين يخوض لجة التكفير، واتهام جمهور الناس بالخروج من الإسلام، أو عدم الدخول فيه أصلاً، كما هي دعوى بعضهم، هذا يمثل قمة التطرف الذي يجعل صاحبه في واد، وسائر الأمة في واد آخر.

وهذا ما وقع فيه الخوارج في فجر الإسلام، والذين كانوا أشد الناس تمسكاً بالشعائر التعبدية، صياماً وقياماً وتلاوة قرآن، ولكنهم أتوا من فساد الفكر، لا من فساد الضمير.

زين لهم سوء عملهم فأروه حسناً، وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، واسمعوا بماذا وصفهم النبي ﷺ بقوله: ((يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم)) ومع هذا قال عنهم: ((يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)) ووصف صلتهم بالقرآن فقال: ((يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)) وذكر علامتهم المميزة بأنهم ((يقتلون أهل الإسلام، وَيَدْعُونَ أَهْل الْأَوْثَانِ)) . وهذه العلامة الأخيرة التي جعلت أحد العلماء، حين وقع مرة في يد بعض الخوارج، فسألوه عن هويته، فقال: مشرك مستجير، يريد أن يسمع كلام الله.

وهنا قالوا له: حق علينا أن نجيرك، ونبلك مأمنا، وتلوا قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ

أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبَعَهُ مَائِمَةً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة: ٦)، بهذه الكلمات نجا (مشرك مستجير)، ولو قال لهم:

مسلم: لقطعوا رأسه!، وما وقع لطائفة الخوارج قديماً، وقع لأخلافهم حديثاً، وأعني بهم من سموهم ((جماعة التكفير والهجرة)) .

فهم يكفرون كل من ارتكب معصية وأصر عليها، ولم يتب منها. وهم يكفرون الحكام، لأنهم رضوا بهم، وتابعوهم على الحكم بغير ما أنزل الله.

وهم يكفرون علماء الدين وغيرهم، لأنهم لو يكفروا الحكام والمحكومين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر.

وهم يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم، فلم يقبله، ولم يدخل فيما دخلوا فيه.

وهم يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم، فلم يقبله، ولم يدخل فيما دخلوا فيه.

ويكفرون كل من قبل فكرهم، ولم يدخل في جماعتهم ويباع إمامهم.

ومن بايع إمامهم ودخل في جماعتهم، ثم تراءى له- لسبب أو لآخر- أن يتركها، فهو مرتد حلال الدم.

وكل الجماعات الإسلامية الأخرى إذا بلغتها دعوتهم ولم تحلّ نفسها لتبائع إمامهم فهي كافرة مارقة.

وكل من أخذ بأقوال الأئمة، أو بالإجماع أو القياس أو المصلحة المرسلة أو الاستحسان ونحوها، فهو مشرك كافر.

والعصور الإسلامية بعد القرن الرابع الهجري، كلها عصور كفر وجاهلية، لتقديسها لصنم التقليد المعبود من دون الله!

وهكذا أسرف هؤلاء في التكفير، فكفروا الناس أحياءً وأمواتاً بالجملة، هذا مع أن تكفير المسلم أمر خطير يترتب عليه حل دمه وماله والتفريق بينه وبين زوجته وولده وقطع ما بينه وبين المسلمين، فلا يرث ولا يورث ولا يوالى، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

ولهذا حذر النبي من الاتهام بالكفر، فشدد التحذير، ففي الحديث الصحيح: ((من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)) فما لم يكن الآخر كافراً بيقين، فسترد التهمة على من قالها، ويبوء بها، وفي هذا خطر جسيم.

وفي لفظ الصحيحين: (من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا صار عليه) أي رجع. ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن الإسراف في التكفير وقد قال الله عز وجل: ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ فلا بد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب وسكون النفس إليه. فلا اعتبار بلفظ إلى يتلفظ به المسلم يدل على الكفر ولا يعتقد معناه وإن كان عليه أن ينطق بالشهادتين مجدداً.

وقد صح من حديث أسامة بن زيد: أن من قال ((لا إله إلا الله)) فقد دخل في الإسلام وعصمت دمه وماله، وإن قالها خوفاً أو تعوداً من السيف، فحسابه على الله، ولنا الظاهر، ولهذا أنكر النبي غاية الإنكار على أسامة حين قتل الرجل في المعركة بعد أن نطق بالشهادة، وقال قتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟ قال: إنما قالها تعوداً من السيف؟ قال: هلاً شقق قلبه؟ ما تصنع بـ ((لا إله إلا الله))؟! قال أسامة: فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ فقط)).

ومن دخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلا بيقين مثله، فاليقين لا يزول بالشك، والمعاصي لا تخرج المسلم من الإسلام، حتى الكبائر منها. كالقتل، والزنى، وشرب الخمر. ما لم يستخف بحكم الله فيها، أو يرده ويرفضه. ولهذا أثبت

القرآن الأخوة الدينية بين القاتل المتعمد وولي المقتول المسلم، بقوله: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَّهُ

مِنْ أَحَبِّ شَيْءٍ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ﴿١٧٨﴾، وقال النبي ﷺ لمن لعن الشارب الذي عوقب في الخمر أكثر من مرة: ((لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله)).

وفاوتت الشريعة بين عقوبة القتل والزنى والسكر، ولو كانت كلها كفراً، لعوقب الجميع عقوبة المرتد.

وكل الشبهات التي استند إليها الغلاة في التكفير، مردودة بالمحكمات البينات من كتاب الله وسنة رسوله، وهو فكر فرغت منه الأمة منذ قرون، فجاء هؤلاء، يجددونه، وهيئات....

■ موقف محمد بن عبد الوهاب:

أنكر محمد بن عبد الوهاب كل ما نسب إليه من هذه التفاهات و الافتراءات فيقول ضمن عقيدته في رسالة الموجهة لأهل القصيم قال: ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل أفترى علي أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي.

فمنها قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأني أقول: إن الناس من ستمائة سنة لبسوا على شيء، وأني أدعي الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد، وأني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وأني أكفر من توسل بالصالحين وأني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق. وأني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وأني أحرم زيارة قبر النبي وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما وأني أكفر من حلف بغير الله وأني أكفر ابن عربي وابن الفارض وأني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين جوابي عن هذه المسائل أن أقول: (سبحانك هذا بهتان عظيم).

■ ميزان الإيمان:

يخطئ كثير من الناس- أصلحهم الله تعالى- في فهم حقيقة الأسباب التي تخرج صاحبها عن دائرة الإسلام وتوجب عليه الحكم بالكفر فما هو ميزان الإيمان والكفر؟

أولاً: انعقد الإجماع على منع تكفير أحد من أهل القبلة إلا بما فيه:

نفي الصائغ جل جلاله، أو شرك جلي لا يحتمل التأويل، أو إنكار النبوة، أو إنكار ما علم من الدين بالضرورة أو إنكار متواتر أو مجمع عليه ضرورة من الدين.

والمعلوم من الدين ضرورة: كالتوحيد، والنبوات، وختم الرسالة بسيدنا محمد والبعث في اليوم الآخر والحساب والجزاء والجنة والنار، يكفر جاحده، ولا يعذر أحد من المسلمين بالجهل به، إلا من كان حديث عهد بالإسلام فإنه يعذر إلى أن يتعلمه.

والمتواتر: الخبر الذي يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم، أما من

حيث الإسناد كحديث: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وأما من حيث الطبقة كتواتر القرآن، فإنه تواتر على البسيطة شرقاً وغرباً وتلقاه الكافة عن الكافة طبقة عن طبقة فلا تحتاج إلى إسناد. وقد يكون تواتر عمل متوارث: كتواتر العمل على شيء من عصر النبوة إلى الآن.

أو تواتر علم كتواتر المعجزات فإن مفرداتها وإن كان بعضها آحاداً لكن القدر المشترك منها متواتراً قطعاً في علم كل إنسان مسلم.

وإن الحكم على المسلم بالكفر في غير هذه المواطن التي بينها أمر خطير. فلا يجوز لأي إنسان الركض في هذا الميدان والتكفير بالأوهام والمظان دون تثبت ويقين وعلم راسخ متين وإلا اختلط سيلها بالأبطح ولم يبق مسلم على وجه الأرض إلا القليل.

كما لا يجوز التكفير بارتكاب المعاصي مع الإيمان والإقرار بالشهادتين وفي الحديث عن أنس (ثلاث من أصل الإيمان: الكف عن قال لا إله إلا الله لا نكفره بذنوب ولا نخرجه عن الإسلام بالعمل)

وكان إمام الحرمين يقول: لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير من العبارات مما لا يقتضي لقلنا: هذا طمع في غير مطمع فإن هذا بعيد المدرك وعر المسلك يُستمد من أصول التوحيد، ومن لم يحظ بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق.

لذلك أخطر كل التحذير من المجازفة بالتكفير في غير المواطن السابق بيانها لأنه جد خطير.

■ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر:

تحت هذا العنوان من الحديث النبوي الشريف أذكر القصة التالية في سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة يعوهم إلى الإسلام، فقد انتهى خالد إلى القوم فنلقوه بأسلحتهم فقال لهم: ما أنتم أمسلمون أم كفار؟ قالوا: مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحتنا وأذننا فيها.

وفي رواية: لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فقالوا: صباناً صباناً. قال: فما بال السلاح عليكم ، قالوا: أن بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخشنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا. فقال استأسروا فأمر بعضهم فكثف بعضاً وفرقهم في أصحابه. فلما كان السحر نادى منادي خالد:

من كان معه أسير فقتل بنو سليم من كان معهم أو امتنع المهاجرون والأنصار وأرسلوا أسراهم فلما بلغ النبي ما فعل خالد قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد (قال ذلك مرتين).

فلم يفهم سيدنا خالد معنى كلمة صباناً صباناً أو أنهم قالوا ذلك على سبيل الأنفة وعدم الانقياد إلى الإسلام وأنكر عليه النبي حركة العجلة وعدم التثبت في أمرهم. وقد سئل سيدنا علي عن المخالفين له من الفرق أكفارهم؟ قال: لا، إنهم من الكفر فروا، فقل: أمناقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، فقل أي شيء هم؟ قال: أصابتهم الفتنة فعموا وصموا وروى أبو يعلى والطبراني في الكبير أن رجلاً سأل جابراً رضي الله عنه كنتم تدعون أحداً من أهل القبلة مشركاً قال: معاذ الله. ففزع لذلك. قال: هل كنتم تدعون أحداً منهم كافراً، قال: لا.

وروى أبو يعلى عن يزيد الرقاشي أنه قال لأنس بن مالك: يا أبا حمزة إن أناساً يشهدون علينا بالكفر والشرك قال: أولئك شر الخلق والخليقة. (مجمع الزوائد ١٠٧/١).

وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه: والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه: الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً فإن استباحة الدماء والأموال من الصالحين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم.

وعلاج هذا الأمر أن يترك الإنسان الإعجاب برأيه الخاطيء، وقد أخبرنا سيدنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم أن آخر هذه الأمة تعجب برأيها، فقال ﷺ : (إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك

واعتزل الفرقَ كُلَّها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك). لا يختلط بأحد، ويتهم رأيه ولا يغتر به ولا يعجب بنفسه. وأن يعلم أن أهل التوحيد في الجنة، أن تعلم أن من قال لا إله إلا الله فهو في الجنة. وفي الحديث الصحيح (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل).

وفي صحيح (م): (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار).

وقد جاء رجل إلى سيدنا النبي ﷺ فسأله: ما الموجبان؟! فقال ﷺ: (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار). وإليك هذا المشهد العظيم الذي يقضي على كل خلاف بين الفرق الإسلامية، مشهد بطله سيدنا رسول الله وسيدنا معاذ قال له: (يا معاذ ما من عبد يشهد أن لا إله إلا رسول الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرَّمه الله على النار. قال: يا رسول الله أفلا أخبرك الناس ليستبشروا قال: أذاً يتكلوا) يتكلوا على عقيدة التوحيد فلا يصلون ولا يؤدون واجباً آخر. انظروا يا شباب دخول الجنة بفضل الله، لكن إذا لم تصلوا ولم تصوموا لن تجدوا لكم ولا قصرأ في الجنة، البناء في الجنة بعملك الصالح، لكن دخول الجنة بالشهادتين، معك مفتاح الدخول لكن بيتك خاوٍ من الرفاهية والهور العين...

حتى أنه قال لأبي هريرة: ((اذهب فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها فبشره بالجنة) فهل يجوز بعد ذلك تكفير من قال: (رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخواناً) هل يجوز تكفير واحد من هؤلاء؟ إن هذا لشيء عجاب. والحمد لله رب العالمين.

القدس لنا

ولا قيصر بعد اليوم

عندما خرج دونالد ترمب وأعلن القدس عاصمة لإسرائيل، قلت في نفسي وهل هناك دولة لإسرائيل حتى تكون لهم عاصمة، فما هم إلا طغمة من اليهود الصهاينة المجرمين اغتصبوا أرض فلسطين وسيزولون إن عاجلاً أم آجلاً، وتذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتُنْفَقن كنوزهما في سبيل الله".

وقد حصل ما وعد به رسول الله فهلك كسرى ملك الفرس، وهلك قيصر ملك الروم وأصبحت كنوزهما في سبيل الله، فو الذي بعث سيدنا محمداً بالحق رسولاً كما صدق الوعد الأول بهلاكهما ليصدقن الوعد الثاني بأنه لا كسرى ولا قيصر بعد اليوم، فكيف يخرج هذا الأحمق الأخرق ظاناً نفسه قيصر على العالم بأسره، ويعلن القدس المحمدية عاصمةً لأبناء القردة والخنازير، هل سنصدق رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى أم نصدق عبد الهوى وخادم اليهود الذين غضب الله عليهم.

إنها حرب صهيو صليبية مستعرة على الإسلام والمسلمين أعلنها الرئيس الأمريكي كما أعلنها من قبله، وليست المسألة مسألة أرض ومال وسلطان إنما هي قضية كفر وإيمان، وصدق الله إذ قال "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولنن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير"

لكن مع الأسف الشديد تجاهل بعض القادة والساسة من المسلمين هذه الآية، وساروا خلف سراب الأكاذيب الأميركية واليهودية، وتملقوا على أعتاب البيت الأبيض وتل أبيب ظناً منهم بأنه سيكون لهم حظوة عندهم، ولم يعلموا بأنهم أذلوا أنفسهم وشعوبهم وسلموا رقابهم لعدوهم، وأعطوهم أرضهم التي يحكمون وتنزلوا عن عروشهم ومقدسات أمتهم من حيث لا يعلمون، بل ربما البعض يعلمون ويريدون، ولا توجد بينهم عداوة أصلاً إنما هم شركاء بوصف العبودية.

القدس لنا وإن تأمر الكون علينا، ونور الإسلام سيظهر وإن أظلمت واشتد سوادها وظلمها وظلامها، وسيجعل الله بعد عسر يسراً وسيكون النصر لنا.

لقد فكك أعداؤنا الدول العربية والإسلامية بكل ما أوتوا من طرق ووسائل، ومزقوا جسد هذه الأمة وجعلوا أبناءها أداة بأيديهم لقتل أنفسهم، وأعانوا الضعيف ليحكم ويكون طاغيةً يتجبر على شعبه ويقتلهم، وبعد هذا لن يستطيع أحد أن يقف بوجههم أو يتجراً أن يخالف قراراً من قراراتهم، لكنهم نسوا بأن أمة سيدنا محمد أمة ولادة وستلد خالداً وابن الخطاب من جديد، ونسوا كيف خرج صلاح الدين من رحم المحن وأذاقهم الويلات والحسرات، وحرر الأقصى بظروف أشد وأمر من ظروفنا وأعاد العز للإسلام والمسلمين، ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً إلا أن يقفوا أمام قبره بعد موته منادين قم يا صلاح الدين ها نحن قد عدنا.

وربّ الكعبة لقد صدقوا بهذا النداء فهم لا ينادون جسد صلاح الدين، إنما ينادون شباب هذه الأمة وسيلبون النداء، وسيخرج من بيت صلاح الدين بإذن الله. نعم قم يا صلاح الدين واسمع.

قم يا ابن الخطاب وانظر.

فلقد أظلمت سماء الإسلام واكفهرت أرضه وأهينت مقدساته وحرماته وتناول الأراذل على الحمى الممنوع، هيا يا صلاح الدين قم فالأقصى يناديك والأمة بانتظارك، يا أعداء الإسلام هذا النداء في أذن كل طفل يولد من جديد، وسيكون لنا في كل زمان خالد وصلاح الدين وهارون وهذا ما نعدكم به.

القدس لنا وإن تأمر الكون علينا، ونور الإسلام سيظهر وإن أظلمت واشتد سوادها وظلمها وظلامها، وسيجعل الله بعد عسر يسراً وسيكون النصر لنا وهذا ما وعدنا به رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم عندما قال "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود"

وسيحدث ما أخبرنا به رسول الله كما وصف ولاشك عند مسلم بهذا واليهود أنفسهم يعلمون ذلك، ولعل ما يحصل الآن هو سبب لاجتماع المسلمين على كلمة واحدة، وتمحيص لهم ليعودوا إلى دينهم ورشدهم وينبذوا الخلافات التي بينهم وراء ظهورهم، وبعدها سيتحقق النصر الذي وُعدوا به وستكون لهم السيادة والريادة كما كانوا.

القدس لنا

- ييوس اسم القدس قبل ٣٠٠٠ عام
- القدس - أورسالم اسم عربي قديم لقائد عربي كنعاني سماه اليبوسيون.
- بيت المقدس - إيلياء اسم روماني ويعني مدينة السلام .
- أرض كنعان سميت بهذا الاسم في التوراة .
- مساحتها ١٢٥ كم^٢
- ذكرت بالقرآن الكريم والسنة المطهرة .
- ٤٠٠٠ ق.م سكنها قوم من العرب الكنعانيين في الكهوف وبيوت الشعر .
- ٣٠٠٠ ق.م بنى اليبوسيون البيوت واستوطنوها وأطلق عليها اسم ييوس .
- ١٩٠٠ ق.م مرّ عليها سيدنا إبراهيم وهي مدينة متكاملة ومركزاً مقدساً .
- عشرة قرون كانت على الإسلام بين سيدنا آدم وسيدنا نوح عليهما السلام .
- ١٥٠٠ ق.م دخلها سيدنا يوشع بن نون وكانت ييوس مدينة مزدهرة .
- ثم دخلها سيدنا داود عنوة وأطلق عليها اسم مدينة داود ، وازدهرت في عهد
- سيدنا سليمان الذي شيد الهيكل .
- ومرت ١٨٠٠ سنة من الزمان وحتى عام ١٣٥ م لم يكن في القدس يهودي واحد.
- ١٨ مرة دمرت القدس وأعيد بناؤها منذ عهد بختنصر ثم الفرس ثم الرومان وحكمها الرومان حتى عام ٦٣٧ م .
- ٦٣٨ م سيطر عليها المسلمون دون سفك قطرة دم واحدة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ١٠٩٩ م سيطر عليها الصليبيون .
- ١١٨٧ م استرجعها المسلمون بقيادة سيدنا صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين.
- من القرن ١٥ إلى القرن ٢٠ خضعت القدس لسيطرة العثمانيين .
- ١٩٢٢ م صدر صك انتداب من عصبة الأمم بتفويض بريطانيا لإبادة شعبها وطرده وفتح الطريق أمام الهجرة اليهودية .

- ١٩٤٨ م إعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨ م وتم دعم اليهود من قبل أوروبا وروسيا .
- ١٩٦٧ م كانت غالبية سكان القدس من العرب وبدأ مرحلة تهويد القدس .
- ١٩٨٠ م إصدار قرار إدانة لإسرائيل بقرار مجلس الأمن ٤٧٨ .
- ٢٠٠٢ م بناء جدار الفصل العنصري لفصل القدس .

القدس عربية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد فأشكركم لدعوتي لإلقاء هذه المحاضرة عن مدينة القدس، وأسأل الله تعالى أن ينفعني وإياكم بها .

أيها الأخوة :

القدس أو اورشالم اسم عربي قديم لقائد عربي كنعاني سماه العرب اليبوسيون قبل خمسة آلاف عام .

أو بيت المقدس كما هو في القرون الوسطى وتسمى مدينة إيلياء أطلق عليها سنة ١٣١ م زمن الرومان.

أو أورشليم بالعبرية مدينة السلام فقد كان ملكها محباً للسلام حتى أطلق عليه ملك السلام وسميت مدينة السلام.

تبلغ مساحة القدس ١٢٥ كم ٢ .

والقدس من اسم القدوس أي الطاهر فهي المطهرة .

وللقدس أهمية بالنسبة للديانات الثلاث:

أما الإسلام فلأنها تحوي المسجد الأقصى ثالث أقدس مسجد عند المسلمين وأولى القبلتين، معراج الرسول العرب سيدنا محمد إلى السماء، ومهبط الوحي على الأنبياء الكرام وفيها حائط البراق .

وأما بالنسبة للنصارى فلأنها مكان كنيسة القيامة .

وأما بالنسبة لليهود فيزعمون أن فيها هيكل سليمان .

وقد ذكرت القدس في القرآن الكريم في قصة سيدنا إبراهيم ولوط قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٧١) وفي قصة سيدنا سليمان : قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَسُلَيْمَنَّ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨١) والأرض المباركة هي فلسطين، أي ما حول المسجد الأقصى باتفاق.

وقوله تعالى : ﴿ وَالزَّيْتُونِ وَالزَّيْتُونِ ۝ ١ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ ٢ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين: ١-٣)، التين بلاد الشام، والزيتون بلاد فلسطين، وطور سنين : الجبل الذي كلم الله عليه موسى .

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠) ، قال ابن عباس هي بيت المقدس .

فمكانة القدس والأرض المباركة في القرآن الكريم لا تقل أهمية عن مكانة المسجد الحرام.

(وقد سألت ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبي أفتنا في بيت المقدس. فقال (أحمد ٦ / ٤٦٣ جه ١ / ٤٢٩) : أرض المنشر والمحشر، انتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كآلف صلاة في ما سواه) قالت : رأيت إن لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه ؟ قال: (فليهد إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى له كمن صلى فيه)، وفي الحديث (أحمد ٢ / ١٧٦) (من أتى بيت المقدس لا ينهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه).

وقال (د): (من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه أو وجبت له الجنة) .

وعند (جـ): (من أهلَّ بعمره من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب) وقد أحرم منه سيدنا عمر بن الخطاب وولده عبد الله.

وروى (بز - طب) (الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسة صلاة) .

وقال (خ): (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى) .

وعن جابر (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ص ١١٨) أن رجلاً قال : يا رسول الله أي الخلق أول دخولاً إلى الجنة؟ قال : الأنبياء، قال ثم من؟ قال : الشهداء، قال ثم من ؟ قال: مؤذنو المسجد الحرام، قال ثم من؟ قال: مؤذنو بيت المقدس، قال :ثم من؟ قال: مؤذنو مسجدي قال ثم من؟ قال : سائر المؤذنين على قدر أعمالهم) .

وقد بدأت علاقتنا بهذه المدينة المقدسة وارتبطنا عقدياً بالمسجد الأقصى بمعجزة الإسراء والمعراج وصلى إليها المسلمون قبل فتحها:

(خ) عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان أول من قدم المدينة نزل على أجداده أو أخواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً.

(أحمد ٤ / ٢١٠) (ونهى رسول الله أن تستقبل القبلتين ببول أو غائط) والقبلتان هما المسجد الأقصى والكعبة .

وإذا كانت مكة مأوى أفئدة البشر فالقدس توأمها، وما كونها قبلة للمسلمين الأولى ومسرى الرسول ﷺ، إلا تأكيداً ربانياً على هذه الصلة والتوأمة والقدر الرفيع.

فقد كان من الممكن أن تكون مكة قبلة المسلمين الوحيدة منذ بداية الرسالة وكان يمكن أن يسرى بالرسول من أي مكان على وجه البسيطة، وإذا كانت الرحلة من

القدس إلى السماوات العلى وإلى سدرة المنتهى حيث كانت إمامة المصطفى ﷺ بالرسول جميعاً إلا لترسيخ هذه الأهمية وإعلان وراثة الرسول الأخيرة، فوراثة القدس كانت ومازالت للمؤمنين، وقد أعطاه الله لبني إسرائيل عندما كانوا أهل الإيمان في الأرض (و يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم)، وكلما عصوا وأفسدوا يُحرّمون منها، وتدمّر مقدساتهم في أيدي أعدائهم حتى كان إخراجهم جميعاً في السبي البابلي .

ونستطيع أن نقول إن التوجه نحو تحرير بيت المقدس زمن رسول الله ﷺ بدأ حينما بعث رسول الله ﷺ بكتابه إلى هرقل ملك الروم، وكان آنذاك يحتفل بالنصر على الفرس

عام ٦٢٨ م الذي كان يوافق تماماً أواخر السنة السادسة الهجرية أو أوائل السنة السابعة.

وحين سأل هرقل أبا سفيان عن هذا النبي وأخبره أبو سفيان عن خبره قال هرقل: إن كان ما تقول فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم.

ولذلك قال ﷺ لواحد من صحابته (خ): اعدد ستاً يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس^١ .

ثم فتحها سيدنا عمر رضي الله عنه:

لقد علق الإسلام قلوبنا بالقدس، وعلم رسول الله ﷺ أنه سيأتي عليها وعلى المسلمين فترات ضعف وخذلان فأمر أن تبقى صلتنا الوجدانية ولو في اقل صورها بعمارتها وعمارة مسجدتها فقال: انتوه وصلوا فيه فإن لم تطيقوا له محملاً فابعثوا بزيت يسرج في قناديله .

وقال لذي الأصابع حين سأله (يا رسول الله إن ابتلينا بالبقاء بعدك فأين تأمرنا) قال (عليك ببيت المقدس فلعله أن ينشأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون) .

وفي صحيح (م) عن أنس بن مالك: أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عند المسجد ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء فيه خمر وأنا فيه لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة . (خ) .

ثم صلاته صلى الله عليه وسلم إماماً للأنبياء تعني أن ديانة التوحيد سيقودها هذا النبي وأن المسجد الأقصى الذي هو مقدس أولى بسيدنا محمد وبمن آمن معه من المسلمين.

فهذه الأحاديث تدل على مكانة المسجد الأقصى في قلوب المسلمين ومكانة ما حوله من البلاد.

إن أي جهد في إحياء قضية القدس في نفس الأمة محمود ولو كان بسيطاً أو رمزياً، وهو أفضل من السكوت والنسيان الذي يعول عليه أعداءنا، غير أن الجهد حتى يثمر يجب أن يستمر ويمتد.

أيها الأخوة:

تمتد جذور تاريخ القدس إلى أعماق التاريخ الإنساني، فقد سكنها قوم من الكنعانيين العرب منذ ٤٠٠٠ ق . م بعد أن نزحوا من الجزيرة العربية، وهم فرع اليبوسيين، استوطنوا القدس واتخذوا بيوتاً من الشعر والكهوف مأوى لهم، ثم وفي سنة ٣٠٠٠ ق . م بنوا البيوت وشيدوها، وأنشأوا حصناً حصناً على تل الظهور بالقدس وأطلق على تلك القطعة اسم ييوس، وحين مرَّ إبراهيم ببيوس حوالي سنة ١٩٠٠ ق . م كانت مدينة متكاملة وهياكل دينية ومركزاً مقدساً.

إن المصادر اليهودية التي تعرض لتاريخ اليهود على أرض فلسطين والتي زورها كتاب التوراة والإنجيل وعاون على تزويرها المستشرقون ومن سارع

على نهجهم تصمت عن تاريخ بيت المقدس منذ عهد آدم عليه السلام وتبدأ تاريخ فلسطين منذ عهد إبراهيم عليه السلام وهذه مغالطة على جانب كبير من الأهمية لأن السؤال الذي يطرح نفسه: فلسطين منذ عهد آدم عليه السلام كانت في كنف من؟ ولمن كانت الإمامة على أرض فلسطين؟

طيلة عهد آدم وطيلة عشرة قرون على الإسلام بين آدم ونوح عليهما السلام، كانت القدس في كنف المسلمين تقام عليها شرائع وشعائر الإسلام ونوح عليه السلام الذي يقول عنه رب العالمين في سورة يونس (فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين) (٧٢).

وحين دخل سيدنا يوشع بن نون فلسطين حوالي ١٥٠٠ ق . م كانت ييوس (القدس) مدينة مزدهرة .

وتذكر التوراة عن رجل من بني إسرائيل كان برفقة زوجته وخادمه في سفر وأدركهم الليل فتقول التوراة / سفر القضاة / الإصحاح (١٩ / ١١-١٣) : وفيما هم عند ييوس والنهار قد انحدر جداً ، قال الغلام لسيدة: نميل إلى مدينة اليبوسين هذه فنبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا.

وسميت بأرض كنعان وقد ورد الاسم في التوراة في سفر العدد (٣٤ - ٣٥) وباسم بلاد الكنعانيين في سفر الخروج (٧ - ٣) وفي الإصحاح (٤ - ١٧) وذهب دواود وكل إسرائيل إلى أورشليم (ييوس القدس) وهناك اليبوسيون سكان الأرض.

ثم دخلها سيدنا داود عنوة وأطلق عليها اسم مدينة داود، وقد ازدهرت في عهد سيدنا سليمان الذي شيد الهيكل.

لكن النفوذ السياسي لليهود على القدس لم يستمر أكثر من ثلاث وسبعين سنة، وانتهى اسم مدينة داود بانتهاء نفوذ اليهود ليعود إليها الاسم الكنعاني أورشليم أو القدس أو بيت المقدس في عهد الرومان ولتنقطع صلة اليهود بالقدس وفلسطين

مدة ثمانية عشر قرناً متواصلة ولم يكن في القدس بعد عام ١٣٥ م يهودي واحد.

أيها السادة : ومرت على القدس فترات دمار بدءاً من بختنصر ثم الفرس ثم الرومان، وتوالى النكبات عليها، وكلما دمرت أعيد بناؤها حتى بلغت ثماني عشرة مرة في التاريخ، وكانت تخرج من كل محنة أكبر وأعظم من كل أسلافها.

وقد اشترك اليهود في تدميرها مع الفرس وقتلوا ما يزيد عن ٩٠٠٠ من أهلها.

ثم حكمها الرومان حتى عام ٦٣٧ م حين فتحت على يد المسلمين، وسيطر عليها المسلمون عام ٦٣٨ م دون أن تسفك قطرة دم واحدة وذلك في عصر الخليفة سيدنا عمر حيث قام بطريق القدس صفرونيوس بتسليم مفاتيحها للخليفة طالباً منه حمايتها من عبث الفرس واليهود، وأسماها العرب القدس.

ثم سيطر عليها الصليبيون عام ١٠٩٩ واسترجعها المسلمون بقيادة سيدنا صلاح الدين الأيوبي بعد معركة حطين عام ١١٨٧ م (٥٨٣ هـ) وصارت جزءاً من الكيان

السياسي لدولة الخلافة العباسية في عهد الأيوبيين والمماليك.

ومن القرن ١٥ حتى بداية القرن ٢٠ خضعت القدس لسيطرة العثمانيين، وقاموا بترميم المدينة وإعادة أسوارها حتى سنة ١٩١٨ م .

إذن من خلال دراستنا لهذه الحقبة التاريخية لبيت المقدس تؤكد لنا حقيقة لا مرأى فيها وبما لا يدع مجالاً للشك أنه لم يكن ليهود كيان سياسي على أرض فلسطين حتى سنة ١٩٠٩، حيث بدأت بعدها مرحلة من تاريخ الصراع بين الشرق والغرب بين الحق والباطل.

فقد وقع الانقلاب العسكري سنة ١٩٠٩ الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني الذي شكل عقبة حقيقية أمام إقامة كيان صهيوني في أرض فلسطين .

فقد رفض أن يفرط بحبة تراب واحدة من أرضها، والذي كان يردد دائماً (إن هذه الأرض التي رواها آبائي وأجدادي بدمائهم لا يمكن التفريط فيها)، وعمد اليهود إلى إغرائه بالمال لتسديد مديونية الدولة العثمانية ولكنه رفض بإباء وشمم.

ودون بمذكراته أنه ليس من حقه التفريط بشبر واحد من أرض فلسطين، ولهذا أطاحوا به على أيدي الضباط من أبناء حزب الاتحاد والترقي، وهكذا انهارت عقبة من عقبات إقامة كيان صهيوني على أرض فلسطين، لأن الغرب قرروا في مؤتمر انعقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ضمن مؤتمر صهيوني قرروا إقامة كيان صهيوني على أرض فلسطين، ودبروا هذه المكيدة للخلاص من الخلافة الإسلامية .

ثم وقعت الحرب العالمية الأولى التي صدر أثناءها وعد بلفور وذلك باتفاق بين ألمانيا وانكلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وروسيا ليشارك الجميع في جريمة غرس هذا الكيان العنصري النازي على أرض فلسطين وبموجبه تم الاتفاق على تمزيق العرب وفق معاهدة سايكس بيكو.

إذاً لغاية ١٩١٨ لم يكن لليهود كيان سياسي في أراضي فلسطين، واستدرج العرب في الحرب العالمية الأولى لدخول هذه الحرب تحت قيادة فيصل بن الشريف الحسين، بعد أن أقنعوه بأنه يمكن أن يكون خليفة على دولة عربية مستقلة، بشرط أن يتعاون مع أبناء أوروبا من الإنجليز والفرنسيين الحلفاء في ضرب الجيوش الإسلامية العثمانية التي كانت تحمي فلسطين وبيت المقدس وأرض المسلمين، وقبل الشريف حسين أن يحارب تحت راية الصليبيين أبناء أوروبا. وهكذا دخلت الشعوب العربية التي ابتليت بهذه القيادة السياسية بستار الصليب، واضطر الأتراك أن يخوضوا هذه الحرب بجانب ألمانيا، وهكذا ضربت ثلاثة جيوش عربية إسلامية عثمانية كانت تحمي بيت المقدس، وعلى إثر ذلك دخل الجنرال اللنبي القدس في ديسمبر ١٩١٧ قائلاً: الآن انتهت الحروب الصليبية ، ودخل الجنرال غورو إلى دمشق ووضع قدمه على قبر صلاح الدين قائلاً: (ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين) وتعتبر هذه المرحلة من أخطر المراحل التي نعيش تبعاتها لغاية اليوم.

وفي سنة ١٩٢٢ م صدر صك الانتداب من عصبة الأمم بتفويض بريطانيا العظمى لإدارة فلسطين، بمعنى إبادة وتشريد شعبها وفتح الطريق أمام الهجرة اليهودية، وأصبحت عصبة الأمم وإيطاليا وفرنسا وانجلترا وكل الدول الأوروبية تدعم المشروع الصهيوني، وتولت بريطانيا تيسير هذا الأمر منذ عام ١٩١٨ وواصل الانجليز تهويد فلسطين وتسليمها لليهود...

ولقد أدرك الشعب الفلسطيني ما يدبر له كما أدرك العالم العربي هذه المخططات، ولكن لم يكن يملك من أمره شيئاً كون العالم العربي يرزح تحت نير الاحتلال الأجنبي، فكانت الأمة مكبلة بالأغلال :

فلسطين محاصرة، الخلافة غائبة، حكام باعوا أنفسهم للإنجليز أو لأعوانهم، والشعب الفلسطيني محاصر: من الجهة الشرقية كلوب الإنجليز الذي كان قائد جيش الأردن، ومن جهة سوريا وجود قوات الاحتلال الفرنسي، ومصر احتلال انكليزي ، واستغلالاً لهذه الأوضاع المزرية قام الانجليز منذ عام ١٩١٨ - ١٩٤٨ وبدعم من الدول الأوروبية بتشريد غالب الشعب الفلسطيني بعدما أتموا مرحلة التهويد، وعلى إثر ذلك اجتمع ممثلوا الكيان الصهيوني، وأعلنوا قيام دولة إسرائيل على التراب الفلسطيني ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ م .

والغريب أن أول من سارع للاعتراف بهذا الكيان المسخ هي روسيا وبعد ٦ دقائق اعترفت أمريكا بالدولة الصهيونية الغاصبة على أرض فلسطين، وبهذا أوفت بريطانيا بوعدها، وعد بلفور، ونقضت عهد الشريف حسين بدولة عربية مستقلة .

وبعد ١٤ / ٥ / ١٩٤٨ بدأ الكيان العنصري الدخيل يباشر نشاطه وبدعم من الدول الغربية الاستعمارية وبدعم من المنظمة الدولية، وبهذا أصبح الكيان الذي اقتلع شعباً من جذوره وانتهك المقدسات، وصادر أراضي الغير عضواً في المنظمات الدولية، ويدعم بالرجال والسلاح، فروسيا فتحت باب الهجرة إلى أرض فلسطين، وفرنسا هي التي نفذت المشروع النووي للكيان الصهيوني، وألمانيا هي التي زودتهم بغواصات نووية وزوارق التوربيد وتدعمهم بالمال

والخبرات لتصنيع الأسلحة الجرثومية والكيميائية، وأمريكا تدعمهم بالمال والسلاح، وللأسف فإن العالم العربي الإسلامي بنواقصه وقف مواقفه السلبية وهو يرى الكيان يعلو يوماً بعد يوم وهو لا يحرّك ساكناً... ونسي الجميع أن القدس وقف إسلامي وأن فلسطين بتاريخها جزء من عقيدة المسلمين وتحريرها فرض على المسلمين وهو واجب شرعي وضرورة حياتية لا يعذر منها أحد ونصرة أهلها من عقيدة المسلمين والأمة حكماً ومحكومين واقعة تحت تكليف تحرير بيت المقدس.

أما الحقائق العلمية، فإنها تؤكد أنه عندما سقط القسم الغربي من مدينة القدس بأيدي القوات الإسرائيلية في حرب ١٩٤٨، فقد كانت نسبة السكان العرب إلى السكان اليهود في القدس كلها، هي نسبة ثلاثة إلى واحد، أي أن نصف قرن من محاولات تهويد القدس، هي نسبة ثلاثة إلى واحد، أي أن نصف قرن من محاولات تهويد القدس، منذ بداية القرن العشرين حتى منتصفه، لم تنجح في أكثر من جعل ربع سكان القدس من اليهود (المهجرين إليها عنوة من شتى بقاع الأرض) بينما بقي ثلاثة أرباع سكان المدينة حتى بداية العام ١٩٤٨، من العرب، السكان الأصليين للبلاد، وكانت هذه النسبة في الغلبة العربية لسكان القدس (غربها وشرقها) هي الترجمة الحقيقية للملكية العقارية في تلك المدينة، بل إن السجلات العقارية في ذلك الزمن، يرجح أنها تثبت ملكية العرب العقارية في مدينة القدس، بما لا يقل عن تسعين في المائة.

أما في الفترة ما بين ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ، فإن الدراسات العلمية المبنية على إحصاءات رقمية وليس على أغراض الدعاية الإعلامية تثبت أنه رغم ما استولت عليه إسرائيل بما لا يتجاوز قرار التقسيم من غالبية مساحة مدينة القدس، فيما عرف بالقدس الغربية، ورغم كل ما بذلته الحركة الصهيونية من جهود مدروسة ومكثفة لتهويد ما أمكن من مدينة القدس، جغرافياً وسكانياً، فإن أقصى ما وصلت إليه هذه الجهود (في مقابل غياب كامل لأي خطة عربية عملية للحفاظ على عروبة ما تبقى في أيديهم من مدينة القدس) فإن أقصى ما وصلت إليه هذه الجهود الصهيونية عشية اندلاع حرب ١٩٦٧ هو قلب كفتي الميزان داخل مدينة القدس

ككل، حيث أصبح سكان القدس الغربية يمثلون ثلاثة أرباع العدد الإجمالي لسكان القدس كلها، بينما يمثل العرب ربع هذا العدد الإجمالي للسكان.

إن بوسع أي أخصائي جاد في التاريخ الحديث لهذه المنطقة من العالم، أن يرصد عملية تهويد ما سمي (القدس العربية) ابتداءً من اليوم الأول لسقوطها في حرب ١٩٦٧ وحتى يومنا هذا، ولعل أفزع ما يتم في هذا المجال خط استكمال الفصل الكامل للقدس العربية عن الضفة الغربية بالجدار الفاصل من جهة سنة ٢٠٠٢ م ، وبتطويقها بالمستوطنات اليهودية من كل حذب وصوب، وفي كل الاتجاهات، وخط استكمال التفتيت الداخلي لعروبة أحياء القدس العربية وذلك عن طريق بناء منازل لليهود قسراً في هذه الأحياء، بل طرد سكانها الأصليين علانية وأمام الرأي العام العالمي بكل صفاقة ووقاحة لكن الباحث المؤرخ في هذا الشأن، سيجد في نهاية بحثه ما هو أفزع من كل ما سبق، عندما يكتشف أنه وفي كل مراحل التهويد النشط هذه على مدى ثلاثين عاماً (منذ ١٩٦٧) من الاستيلاء العام على القدس العربية، إلى استكمال نزع عروبتها بالاستيلاء التفصيلي عليها من الداخل بيتاً بيتاً فهل من مغيث ؟

وأوضح أنه لا يوجد لليهود أماكن عبادة بالقدس، والدليل على ذلك أنه حينما جاء أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب إلى مدينة القدس سنة ٦٣٦ لم يجد أي كنيس لليهود في هذه المدينة، والذي يؤكد على ذلك أن سيدنا عمر رضي الله عنه حافظ على كنائس المسيحيين في القدس ولو كان لليهود كنس لحافظ سيدنا عمر عليها لأن ديننا الإسلامي العظيم يطالبنا بالحفاظ على أماكن العبادة لغير المسلمين، بل إن النصارى طلبوا من سيدنا عمر أن لا يساكنهم أحد من اليهود.

ومنذ عام ١٩٦٧، قامت إسرائيل ولازالت تقوم بانتهاج سياسية التغيير الديموغرافي لمدينة القدس، وكل ذلك يأتي ضمن خطة تهدف دولة الاحتلال من ورائها إلى خلق واقع جديد عن طريق تجميد الوجود الفلسطيني في المدينة والسعي للقضاء عليه بصورة تدريجية باستبداله بأغلبية يهودية تجهد في تشجيعها للانتقال إلى القدس والتجذر فيها .

وإضافة إلى هذه الممارسات الخائقة على الأرض، ليس أدل على حجم المخاطر التي تهدد مدينة القدس العربية من التصريحات العلنية لبعض كبار المسؤولين الإسرائيليين، وهي تصريحات تفضح نواياهم بكل وضوح، ففي الذكرى الثامنة والثلاثين لاحتلال القدس الشرقية في عام ١٩٦٧، صرح رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك أرئيل شارون " أن القدس ملك لإسرائيل" ، وإنها لنا للأبد و لن تكون أبداً بعد اليوم ملكاً للأجانب" وهو ما سبق أن قاله أمام المؤتمر السنوي لمنظمة إيباك (إحدى أهم منظمات اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية).

أما الرجل الثاني في وزارة شارون آنذاك (شمعون بيريز) فقد قال وهو " المعتدل الشهير " بضرورة التهجير الجماعي للفلسطينيين من مدينة القدس المحتلة بحجة بقاء القدس عاصمة لإسرائيل، حيث أنه قال " من الخطأ الاعتقاد بأنه يمكن ضمان بقاء القدس عاصمة الشعب اليهودي، وفي نفس الوقت تضم كل هذا العدد من الفلسطينيين " .

وهكذا تحاول إسرائيل باستماتة فرض الأمر الواقع على الأرض وإنهاء قضية القدس في هذه المرحلة الخطيرة رغم أنها أحد أخطر وأهم ملفات الخلاف في عملية السلام .

وفي سياق سياسي معاكس، تشكل الإجراءات الإسرائيلية انتهاكاً صارخاً للقرارات والقوانين الدولية، حيث ينص قرار مجلس الأمن (٢٤٢) على أن القدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزة هي ضمن الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧، مما يقتضي عودة إسرائيل إلى حدودها.

إن عملية توسيع المستوطنات في الضفة الغربية والقدس وضم الأراضي بالقوة، يعد مخالفة لكل الاتفاقات والمعاهدات والقرارات الدولية التي ترفض الاستيطان، وذلك وفقاً لاتفاقية لاهاي ١٩٧ التي تحظر المادة (٤٩) منها على سلطة الاحتلال مصادرة الأملاك الخاصة للمواطنين، وتقضي قرارات مجلس الأمن (٤٦)،(٤٦٥)،(٤٧١) بتفكيك المستوطنات وهو ما أشار إليه كذلك تقرير

لجنة (متشيل) التي أكدت على حكومة إسرائيل بتجميد جميع النشاطات الاستعمارية، بما في ذلك النمو الطبيعي للمستوطنات القائمة، وبدلاً من أن تتصاع إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، تجاهلت جميع هذه القرارات وضربت بها عرض الحائط واستمرت في سياسة وخطط التهويد، فصادرت آلاف الدونمات من الأراضي الفلسطينية بدءاً من اليوم الأول الذي تلا احتلال المدينة مباشرة في عام ١٩٦٧ .

لكن أعظم استيلاء في المرحلة الأخيرة على الأراضي الفلسطينية القدس كان بسبب الجدار لعنصري الذي يفصل الضفة الغربية بعضها عن بعض ويقطع أوصال الأراضي الفلسطينية ويقضي على حلم الفلسطينيين بإقامة دولة ويكون بمثابة ضم نهائي لتسعين بالمئة من القدس لإسرائيل .

هذا الجدار طوله ٣٥٠ كم من شمال القدس إلى جنوبها وسيصبح ٤٣٢ كم من الناحية الغربية فقط، وفي حال بناء الجدار الشرقي سيزيد طوله إلى ٦٠٠ كم، يتلوى

كالأفعى عبر الضفة الغربية، يتم من خلاله مصادرة :

١. ثلاثين بئراً إرتوازيّاً، يشكل فقدان ١٨ % من حصة الفلسطينيين المائية.
٢. مصادرة عشرين ألف دنم من أراضيها الخصبة.
٣. سيتم عزل خمس عشر قرية.
٤. يتضرر به ٦٨٠ ألف من المزارعين.
٥. قلع مليون شجرة من مختلف الأصناف.
٦. محاصرة الفلسطينيين من كل الجهات ولا يسمح لسكانها بالخروج إلا عن طريق مدخل واحد.

وهذا الجدار يكلف ٨.٥ مليار شيكل، وعرضه من ٦٠ إلى ١٥٠ متراً وبعده الأسلاك الشائكة ثم خندق عمقه أربعة أمتار وعرضه أربع أمتار، ثم سياج كهربائي طوله ٨ م، ثم أبراج مراقبة مزودة بكاميرات، وهذا يقتل عملية السلام التي تدعيها أوربا وإسرائيل .

وفكرة الجدار ليست جيدة فسور الصين من أشهر الجدران في العالم (عشرة آلاف كم) ومع ذلك اجتازه المغول .

وسور روما (٨٠٠ كم) بني سنة ٦٣ ق . م ، ومع ذلك اجتازته جيوش البرابرة.

وجدار كمبوديا (٨٠٠ كم) مع تايلاند ومع ذلك استمرت الخمرت الحمر .

وجدار استراليا لحماية المزارع من الكلاب بارتفاع مترين، وجدار برلين سنة ١٩٦١ لوقف تدفق الألمان الشرقيين ورغم ذلك اجتازه ٣٩٠٠٠ شخص .

وهكذا نجد أن إسرائيل تقضي تباعاً على عملية السلام بينها وبين الفلسطينيين .

ولقد تابعت إسرائيل تنفيذ استراتيجيتها رغم أن جميع ممارساتها التوسعية تعتبر مخالفة للقانون الدولي واتفاقية جنيف الرابعة، وتمت إدانتها بقرار مجلس الأمن رقم (٤٧٨) لعام ١٩٨٠ الذي أعلن أن جميع الإجراءات القانونية والإدارية التي اتخذتها إسرائيل والتي سعت من خلالها لتغيير طابع وواقع المدينة المقدسة تعتبر إجراءات غير معترف بها ويجب إلغاؤها.

ومع كل الحفريات التي استمرت أربعين عاماً لم يجدوا خلالها حجراً واحداً له علاقة بالتاريخ اليهودي القديم وقد اعترف بذلك عدد من خبراء الآثار اليهود أنفسهم.

وبناءً على ما تقدم فإن الدول الأوروبية غير جادة بإقامة دولة فلسطينية لا على أرض غزة، ولا على أرض الضفة الغربية، ولا على وقف العدوان الواقع على أرض فلسطين، وخريطة الطريق جاءت فقط لكون العدو الصهيوني في ورطة حقيقية، والهدف من خارطة الطريق إنقاذ العدو الصهيوني، واستقطاب مشاعر المسلمين لإخراجهم من ورطتهم في العراق وأفغانستان، وهم الذين وضعوا الجميع بقارب واحد وهم عازمون على إغراقهم .

وما صدر عن أوروبا في إيطاليا مؤخراً ، بوضع حركة حماس حتى جناحها السياسي على قائمة الإرهاب إلا دليل على عدم جدية الدول الأوروبية بإقامة دولة فلسطينية وأن هذا القرار خطط له بليل دامس وهو ليس وليد ١١ سبتمبر أو أحداث أفغانستان.

نريد من هذه الدراسة أن ندرك أن العالم الغربي وأوروبا غير جادين في وقف العدوان القائم على فلسطين وأن خارطة الطريق لتخدير مشاعر المسلمين ولكن فلسطين محتلة منذ عام ١٩١٨ فلماذا لم يتحركوا عند صرخة الشعب الفلسطيني في عام ١٩٢١ و ١٩٣٥ بقيادة الشيخ المجاهد عز الدين القسام، وعام ١٩٣٦ بقيادة الحسيني وحسن سلامة، وصرخة ٤٧ و ٤٨.

والدول الأوروبية هي التي مكّنت العدو من قيام هذا الكيان الصهيوني على أرض فلسطين وكبلوا العالم العربي حتى أصبح للكيان الصهيوني جذور في أرض فلسطين .

أين القانون الدولي؟ أين الحريات؟ فشعبٌ يدافع عن عرضه ومقدساته ووطنه إرهابي!! ولماذا إذاً حاربت القوات الأمريكية الموجودة في القارتين الجديدتين بقيادة جورج واشنطن الإنجليز، لماذا حارب الصينيون الإنجليز، ودول أوروبا في حرب الأفيون، ولماذا ديجول فرنسا قاوم الاحتلال الفرنسي؟ فالمقاومة مشروعة تاريخياً وقانوناً وشرعاً والعالم كله يدرك أن الحق مع الشعب الفلسطيني في مقاومته ضد الاحتلال الدخيل ولكن رغم هذا يصرون على موقفهم الداعم للكيان الصهيوني لتتقلب الموازين وعلى إثر ذلك جعلت المقاومة الفلسطينية إرهاباً وتم القضاء على الحريات والديمقراطية وغيب القانون على أيدي من يطلق على نفسه دول العالم المتحضّر لتقييم البشرية في العهد الرعوي رغم كل ما يمتلكه من وسائل تكنولوجيا وعلم ...

ومن هنا فإن تحرير بيت المقدس فريضة والجهاد فريضة والأمة طالت غفلتها إلا من رحم ربي، وعندما لا يستجيب الناس فإن أصحاب الدعوة لا يملكون إلا المفاصلة وإلا البراءة من الجيل الجبان أهله لأنهم يدركون أن النكوص عن تبعة

التكليف ستترب عليها عقوبة فيخشون العقوبة أن تنزل وهم يخالطون الجيل الجبان دون البراءة منه فكان لابد من البراءة، وجاء البيان الرباني فقال ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٦)، فعاقبهم الله بالتية

وهذه العقوبة هي التي أنزلها الله بأمثنا الآن فالأمة تائهة ولا تدرك كيف السبيل للخروج من مأزقها الراهن، والتية مرض لا يبرئ منه إلا الله عز وجل، والعلاج بالعقيدة الصحيحة والتربية على منهج الكتاب والسنة، وهنا يجدر بالمسلمين الوقوف أمام هذا النص القرآني لأنه مفتاح أزمثنا الراهنة وفيه معالم الطريق التي يجب أن يسلكها المسلمون لاسترجاع الأرض المباركة .

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي انتدب سيدنا موسى عليه السلام ليقود قومه لاستعادة الأرض المباركة، والله هو الذي أوقع عقوبة التية على الذين نكصوا عن حمل أمانة التكليف (الجيل الجبان) وهذا يعني أن الأمة معاقبة بالتية لنكوصها عن التكليف، ولن تخرج من هذا التية إلا إذا عادت لربها وحملت أمانة التكليف من جديد وهذا النص القرآني يشكل مجموعة دروس منها:

١. إن الجيل المؤهل لاسترجاع الأرض المقدسة هو الجيل المسلم المجاهد في سبيل الله وليس الجيل الجبان لأن الجهاد والاستشهاد شرف والتضحية شرف وهذه لا يستحقها الجيل الجبان الذي فرط في دينه ومقدساته وخذل إخوانه على أرض بيت المقدس ...

٢. إن الجيل الجبان الذي يقول: إنه لا طاقة له بقتال اليهود وأمريكا وروسيا لامتلاكهم أسلحة ضخمة هو صورة مكررة للجيل الجبان الذي عوقب بالتية أربعين عاماً، والأمة معاقبة بنفس العقوبة وكلما حاول الناصحون توجيهها إلى الطريق الصحيح لتحرير المقدسات وهو طريق حركة المقاومة الإسلامية والحركات المجاهدة على أرض فلسطين وعلى أرض العراق صمت أذانها ووصفتهم بالرجعية والتطرف والإرهاب وكان لابد أن تجري عليها السنن

الربانية، هذه السنن هي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ (المائدة: ٥٤).

إن الله سبحانه وتعالى علمنا أن الجيل الجبان غير مؤهل لتحرير بيت المقدس ولا بد أن يهلك ويخرج الجيل المجاهد من صلبه حتى يتم تحرير بيت المقدس ...

يقول الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عن القرية إنها بيت المقدس ويقول المفسرون: إن يوشع بن نون قد افتتح بيت المقدس في يوم الجمعة وحين همّ بافتتاحها ودنت الشمس من الغروب خشي أن دخلت ليلة السبت أن يُسَبِّتُوا فنَادَى للشمس قائلاً : (إني مأمور وإنك مأمورة) فوقفت الشمس حتى افتتحها المسلمون المجاهدون بقيادة يوشع بن نون النبي المسلم.

ونحن اليوم بانتظار هذا الجيل الذي سينفذ هذه الأمة من يهود وأذئابها، وريثما يأذن الله تعالى بميلاد فجر جديد ستبقى القدس عربية إسلامية تصدح على مآذنها كلمة الله أكبر .

برامج الإذاعة

ألقاها

الشيخ الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني

في برنامجي

{ الدين والحياة - من هدي الإسلام }

بتاريخ الجمعة الثالثة من رمضان ١٤٣١ هـ

العمل الصالح وأثره في بناء المجتمع الإسلامي

س ١ : ممكن نعطي تعريفا " مبدئيا" للأخوة المستمعين حول العمل الصالح ؟

ج - العمل الصالح كلمة تشمل كل ما هو خير للإنسان ،قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج: ٧٧) .

والصلاح ضد الفساد ، وهو جامع لكل خير وله مراتب غير متناهية ، ومرتبة الكمال فيه مرتبة عليا ، لذلك طلبها الأنبياء كما قال سيدنا سليمان: ﴿فَبَسَمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل: ١٩) .

وفي قوله تعالى ﴿يَبْنِيْٓءَ اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّوْرِى سَوْءَ تَكُوْمَ وَرِيْشًا ط لِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ ءَايٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴾ (الأعراف: ٣٦) .

قال أهل التفسير : لباس التقوى هو العمل الصالح .

أستاذنا العمل الصالح هو العمل الذي أريد به وجه الله تعالى لا غير.

وأركانها أربعة : العمل والنية والصبر والإخلاص .

يقول سيدنا عمر رضي الله عنه : العمل الصالح الذي لا تحب أن يحمداك عليه أحد.

أو تقول أخي العمل الصالح ، ما يصلح للقبول أي ما يؤدي على الوجه الذي أمر به صاحبه فهو صادق فيه.

س٢ : هل يمكن أن نتوسع في التعريف قليلا" لنرى مدى شمولية العمل الصالح؟

ج - أخي الكريم العمل الصالح لا يقتصر على عبادات معينة ومجالات محددة، بل هو ميدان واسع ومفهوم شامل، فمن بنى لله مسجدا" أو أنشأ مدرسة أو أقام مستشفى أو أنشأ مصنعا" لسد حاجة الأمة ، فإنه يكون بذلك قد عمل صالحا" ، ومن واسى فقيرا" وكفل يتيما" وعاد مريضا" وأنقذ غريقا" وساعد يائسا" وأنظر معسرا" وأرشد ضالا" فقد عمل صالحا" قال ﷺ : (كل معروف صدقة) (خ).

كل عمل ينتفع به الآخرون مأجور صاحبه عليه وهو من الصالحات ، غرس الأشجار ، رفع الأذى عن الطريق حتى إن رجلا" سقى كلبا" وشكر الله له سعيه فغفر له.

قال تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٧).

تصور (أن رجلا" مر بغصن شجرة على ظهر طريق فقال والله لأنحى هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم ، فأدخله الجنة) كما في الصحيحين .

كل من يؤدي رسالة لأمتة هو في عمل صالح ، الكاتب بقلمه الصالح المصلح ، والطبيب بأدويته النافعة ، والباحث في معمله ، والفلاح في أرضه ، والمعلم بين طلابه ، أنت الآن أخي الكريم في عمل صالح مع هذه الحلقات المباركة من الدين والحياة والبرامج الأخرى النافعة .

حتى مرة قال سيدنا رسول الله ﷺ (على كل مسلم صدقة، قالوا يا نبي الله فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا فإن لم يجد ، قال : يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا : فإن لم يجد، قال : فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة (م).).

حتى قال رسول الله ﷺ (لا تحقرن من المعروف شيئا" ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق).

س٣: سيدي الدكتور عبد العزيز الخطيب: هل نستطيع أن نقسم الأعمال الصالحة إلى أقسام ، وهل كلها مطلوبة على الإنسان؟

ج - صدقت أخي الكريم يمكن تقسيم الأعمال الصالحة إلى ثلاثة أقسام :

١. القسم الأول: منها ما هو فرض وواجب كالصلاة المفروضة والصوم والزكاة والحج والعمرة وطاعة الوالدين والجهاد في سبيل الله، والله تعالى يقول في الحديث القدسي (وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه) (خ).

٢. القسم الثاني : ما كان سنة مؤكدة كالصلاة المسنونة وصوم التطوع وحج التطوع وصلة الجوار والأقارب .

٣. القسم الثالث : من العمل الصالح ما كان مندوبا" كصلاة الليل والسنن غير المؤكدة ومكارم الأخلاق.

فهذا سيدنا بلال بن رباح كان لا يساوي عند أهل مكة شيئا"، لما صدق العهد مع الله سبق الرسول في الجنة، كيف؟ (دعا رسول الله سيدنا بلالا" بعد ليلة المعراج فسأله يا بلال بم سبقتني على الجنة؟ فما دخلت الجنة قط إلا وسمعت صوت نعليك أمامي، فقال بلال : يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن الله علي ركعتين، فقال رسول الله ﷺ : بهما) (أحمد - ت - ح) .

س٤ : سيدي كما يبدو أن الأعمال الصالحة لا ينال ثوابها إلا صاحبها، فهل هناك أعمال صالحة يصل ثوابها إلى الآخرين وينتفعون بها ؟

ج - أخى : فعل سيدنا بلال نال هو ثوابه، لكن الآن كل من يفعل مثل سيدنا بلال ينال مثل ثوابه ، وسؤالك عظيم، نعم هناك أعمال صالحة تصل إلى الآخرين، واسمح لي أن اضرب لك بمثال : سيدنا عثمان الذي لما جاء المهاجرون إلى المدينة لم يكن بها ماءٌ عذب إلا بئر رومة، وكان صاحبها يبيع ماءها، فقال رسول الله ﷺ (من يشتري بئر رومة وله الجنة) فاشتراها سيدنا عثمان ووهبها للمسلمين، هذا عمل صالح استفاد منه المجتمع كله، لقد ادخل السرور على جميع المسلمين، أتعرف أخى ماذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ ؟

يقول: (أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً" أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخى المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً).

تصور هذه الحاجة التي قضاها له أعظم من الاعتكاف في المسجد، لأن الاعتكاف في المسجد ثوابه لا يتعدى لغيره، بل هنا العمل الصالح تعدى لغيره لبناء المجتمع .

وأنا أسأل الأخوة المستمعين : متى كانت آخر مرة أدخلت فيها سرورا" على مسلم أو كشفت عنه كربة، أو طردت عنه جوعاً"، وكفى بنا عارا" وخزيا" أن نرى إخواننا يحاصرون ويجوعون في كل مكان بينما أبناءنا قد نخر السوس أسنانهم من كثرة الحلوى.

يا أخى المسلم : متى آخر مرة قضيت عن أخيك ديناً، وما أدراك ما الدين، فهو الذي قال فيه سيدنا النبي ﷺ (من اقترض ورقاً مرتين كان كعدل صدقة مرة) يعني إذا أقرضت مرة عشرة آلاف ليرة كان ذلك مساوياً للتصدق بخمسة آلاف ليرة، بل اسمعوا الحبيب الأعظم يقول : (من أنظر معسرا" فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثله صدقة) .

س ه : أستاذنا الكريم كيف نشجع الأخوة المستمعين على العمل الصالح، كي نبني مجتمعا" متعاوناً" متكافلاً" يحس بالآخرين ؟

ج - أخي الكريم على الأخوة أن يعلموا أن الأعمال الصالحة متنوعة وفي كل منها نعيم ولذة وسرور في الدنيا و أما في الآخرة فاسمع التقرير الإلهي يقول : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٧).

أستطيع أن أشجع الأخوة الكرام على العمل الصالح عندما يعلمون أن العمل الصالح إذا وقع صاحبه في مأزق أنقذه منه، والدليل الثلاثة الذين لجؤوا إلى الغار من المطر، فنزلت صخرة سدت باب الغار فسألوا الله تعالى بعملهم الصالح، أحدهم كان باراً بوالديه، والآخر صان فرجه من الزنى، والثالث كان يعطي الحقوق أصحابها، فدعوا الله تعالى بأعمالهم تلك ففرج الله عنهم و أزاح عنهم الصخرة فخرجوا .

أخي الكريم الأستاذ جمال : أنت تذكر سيدنا يونس أنه كان من المسيحيين قبل نزوله بطن الحوت، فلما التقمه الحوت ما كان له صلاة، ولكن لأنه كان من المسيحيين نجاه الله تعالى، يقول تعالى ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلْبُثِّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قدم عملاً في حال الرخاء فذكر الله به في حال البلاء .

ألا يصدق الأخوة المستمعون قول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ (العنكبوت: ٩) . ألا يصدقون قول مولانا عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٧)، هذه بعض الآيات التي تُعِدُّ أهل الإيمان والعمل الصالح بالثواب الجزيل

س٦ : حقيقة عطاء عظيم في الدنيا والآخرة، سؤالي هل هناك عمل صالح أفضل من عمل صالح آخر، هل هناك أفضليات للأعمال الصالحة ؟

ج - نعم، نرى صدق ذلك في مجموعة أحاديث وردت عنه ﷺ تدل على ذلك مثلاً حديث:

١. أفضل الأعمال إيمان بالله وجهاد في سبيل الله (حب)
٢. وحديث (أفضل الأعمال : الصلاة على وقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله).
٣. وحديث (وأحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله)
٤. وحديث (وأحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ثم صلة الرحم ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

لكن اسمح لي أن أنبه أنه لا يوجد اختلاف في هذه الأحاديث في أفضلية الأعمال إلى الله، لأن التفضيل يختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال فأحياناً يكون الجهاد أفضل الأعمال، وأحياناً تكون صلة الرحم أفضل الأعمال وهكذا بحسب حال السائل وزمنه ومكانه هذا أولاً .

وثانياً: دلت هذه الأحاديث على بعض أفضل الأعمال حتى يتجه إليها المسلمون ويقوموا بها :

فالإيمان بالله هو الأساس والركيزة، التوحيد وعدم الإشراك بالله لأن التوحيد إذا ضاع فلا أمان .

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينه
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينه

لابد للمسلم أن يبني أعماله على إيمان سليم حتى لا تضيع هذه الأعمال هباءً منثوراً.

ثم تأتي الصلاة على وقتها من أفضل الأعمال لأنه لها مواعيد محددة، ولولا الصلاة لما كانت صلة العبد بربه، لأن من ترك الصلاة قطع هذه الصلة، وحرّم من الحصول على رحمة الله لذلك ورد (ن) (أول ما يحاسب به العبد الصلاة) .

وهكذا تسلسل بعض الأعمال الصالحة كبر الوالدين، للحديث (طب) (رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما) وكم من مسلم أدرك والديه وضيع هذه الفرصة، ففي صحيح (م) (رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ) أي ذل وهان (من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة) . وهكذا بقية الأعمال كصلة الرحم والجوار...

حتى يصل الأمر إلى الإنسان إذا كان ذا مكانة وجاه في المجتمع فإن من عمله الصالح أن يستعمل جاهه ومكانته في العمل الصالح، جاء رجل إلى سيدنا الحسن بن سهل يستشفع في حاجة، فقضاها له، فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن : علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة .

س ٧ : تُرى بعد هذه الأعمال الصالحة في الدنيا، ماذا يفعل الله بصاحبها يوم القيامة، في أي مكانة هو؟

ج - أستاذنا اسألني عما قبل يوم القيامة، اسألني كيف يموت الرجل الصالح، وكيف حاله في قبره؟

سيدي الإنسان الصالح يموت على أحسن حال بعثه الله تعالى عليها، أو هو كيف

يحب أن يموت يميته الله تعالى عليها .

سيدنا مجاهد وهو شيخ المفسرين مات وهو ساجد لله تعالى، و آخر مات و هو يقرأ القرآن، و آخر مات وهو يقبل قدمي أمه ورابع مات وهو يذكر الله تعالى وخامس مات وهو يتوضأ...ميتة شريفة.

والصحابه ماتوا وهم يجاهدون في سبيل الله رضي الله عنهم .

أما في القبر ...فعندما يوضع المسلم الصالح في قبره تحتوشه أعماله الصالحة وتتشكل له بشكل ملك حسن الخلقة، القرآن، الصلاة، الصيام، قيام الليل، الصدقة، المعروف، الذكر، الدعاء، بشكل ملك جميل الهيئة تدافع عن صباحها .

تقول لمنكر ونكير إليكما عنه لقد شفعتني ربي فيه، فيقول الرجل الصالح فمن أنت جعلت فداك، فيقول : أما عرفتني أنا عمك الصالح اليوم أونس وحشتك وأقل غربتك وأشهد بك مشاهد القيامة وأدخلك الجنة .

لذلك سيدنا النبي ﷺ يقول (الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما حتى يدخله الجنة)، وإن في القرآن لسورة ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى أدخلته الجنة ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك: ١) .

س ٨ : سيدي فما معنى الآية الكريمة ﴿ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم: ٣٩) .

ج - أخي الكريم هذه الآية : نزلت في الكافر ، وأما المؤمن فله ما سعى و ما سعى له به غيره .

اسمع معي إلى الآية الكريمة تقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠) .

أخي من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، فهؤلاء أهل الإيمان ينتفعون بدعاء غيرهم، وهو انتفاع بعمل الغير .

وهذا النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف ولأهل الجنة في دخولها ولأهل الكبائر في خروجهم من النار ودخولهم الجنة، وهؤلاء الملائكة يدعون ويستغفرون لأهل الأرض .

وهؤلاء أولاد المؤمنين يموتون صغاراً فيدخلون الجنة بعمل آبائهم .

وهذان الغلامان اليتيمان في سورة الكهف انتفعا بعمل أبيهم ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ .

وهذا الميت ينتفع بالصدقة بنص أهل السنة .

وهذا المدين إذا مات يسقط عنه دينه بأداء الغير عنه، و أدلة أخرى كثيرة .

لذلك قال بعض العلماء : إن هذه الآية منسوخة أو هي في الكافر والله أعلم .

ولهذا أنا أدعو الأخوة المستمعين إذا عملوا عملاً صالحاً من خير أو بر أو صلاة أو صوم أن يجعلوا مثل ثوابه لوالديهم فإنه يصلهم بإذن الله .

س ٩ : سيدي هل هناك شيء ينقض العمل الصالح ويذهب ثوابه ؟

ج - أهنأك أخير الكريم على هذه الأسئلة ،نعم ، نعود إلى تعريف العمل الصالح هو

الذي يراد به وجه الله تعالى لا غير . فإذا أراد العبد به وجه الناس والرياء ضاع ثوابه، مثل الذي يبني مشفى أو مسجداً ويكتب عليه مسجد فلان الفلاني، والنبى ﷺ يقول : (من سَمِعَ سَمِعَ الله به، ومن راعى يرانى الله به) (ق) سَمِعَ أظهر عمله للناس رياءً ، سَمِعَ الله به فضحه يوم القيامة.

راعى : أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم، راعى الله به : أظهر سريرته على رؤوس الخلائق.

الرياء أحبط عمله، بل سماه رسول الله شركاً ففي الحديث (من صام يراني فقد أشرك، ومن تصدق يراني فقد أشرك) ، يسمونه الشرك الأصغر في صحيح (م) أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، ورجل تعلم العلم وعلمه، ورجل تصدق بأصناف المال، فيجاء بهم فيسأل الأول : ماذا فعلت فيقول قاتلت فيك ، فيقول كذبت قاتلت ليقال جريء وقد قيل خذوه إلى النار، الثاني : علّمت العلم فيك، فيقول : كذبت علّمت ليقال عالم وقد قيل خذوه ، والثالث : تصدّقت في سبيالك، فيقول :

كذبت فعلت ليقال جواد وقد قيل، فيسحب على وجهه حتى يلقي في النار .

س ١٠ : عياداً بالله تعالى !! سيدي هل ينقص أجر العبد الصالح إذا قصر عن أداء العمل الصالح بسبب المرض أو السفر .

ج - سؤال وجيه : أن الله تعالى من كرمه وجوده يجري للعبد عمله كما لو كان صحيحاً، هذا ورد فيه حديث عن النبي ﷺ يقول : (ما من عبد يمرض مرضاً إلا يأمر الله تعالى حافظه أن ما عمل من سيئة فلا يكتبها، وما عمل من حسنة أن يكتبها عشر حسنات، و أن يكتب له العمل الصالح كما كان يعمل و هو صحيح) (أبو يعلى وابن أبي الدنيا) وفي (خ) (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً) ، وفي الصحيحين (ما من امرئ تكون له صلاة بليل فغلبه عليه نوم إلا كتب الله أجرَ صلاته و كان نومه صدقة عليه) ، هذا عطاء الله و كرمه لعبده الصالح .

س ١١ : هل نعتبر هذا الدرس اليوم دعوة للإخوة المستمعين إلى الاجتهاد بالعمل الصالح ما استطاعوا جهدهم ؟

ج - أستاذنا الاعتدال في كل شيء مطلوب النبي ﷺ قال (فاتقوا الله ما استطعتم) وفي الصحيحين (خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا) نحن نعتبر هذا الدرس دعوة إلى العمل الصالح المقتصد الذي يبقى العبد مداوماً عليه، حتى لا تنقطع به السبل و يعجز عن العمل الصالح لذا ورد في الصحيحين هذا الحديث العظيم: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ) .

ومرة حاول سيدنا عبد الله بن عمرو أن يقرأ كل يوم وليلة ختمة فأمره رسول الله أن يقرأه في شهر فقال : إني أجد قوة ؟ قال : اقرأه في عشر ، اقرأه في سبع ، ثم قال اقرأه في ثلاث ، لما كبر سيدنا عبد الله بن عمر تمنى أن يكون قد أخذ برخصة رسول الله ﷺ والاعتدال مع المداومة هي النصيحة :

على المسلم أن يدّخر لغده، أخي الكريم الدنيا راحلة والآخرة مقبلة فمن الجهل أن يعمل العبد لندياه ويترك آخرته .

س ١٢ : أستاذنا الدكتور عبد العزيز الخطيب كيف يكرم الله تعالى صاحب العمل الصالح، ما هي الأشياء التي يكرمه الله بها، ما هي المكافآت التشجيعية التي قدمها الله تعالى لعباده؟

ج - : مهما قلت لك أخي من الثواب فلا أحصيه .

هو أولاً" : ينال محبة الله تعالى (ومازال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).

و ثانياً : يتصل قلبه بالله تعالى .

وثالثاً : يروض نفسه على طاعة الله لأنه كما قيل (نفسك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية) .

ورابعاً : ينجيّه الله من الشدائد يقول ﷺ (أحمد) (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) .

وخامساً: البراءة من النفاق ففي الحديث (من صلى أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبير الأولى كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق) .

سادساً : يكرمه الله بحسن الخاتمة، قَالَ قَعَالِي: ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (مريم: ٩٦).

سابعاً: يتجاوز عن سيئاته ففي الصحيحين : (لقي رجل ربه فقال ما عملت ؟ قال ما عملت من الخير إلا أنني كنت رجلاً ذا مال فكنت أداين الناس فكنت أقبل الميسور و أتجاوز عن المعسور فقال تعالى (تجاوزوا عن عبدي) .

وكرم الله تعالى بحور لا سواحل لها .

س ١٣ : أستاذنا كلمة أخيرة للأخوة المستمعين بما بقي من الوقت :

ج - إخواني الكرام : اقرؤوا القرآن فإن الله تعالى يقول لنا : ﴿ وَيَبَشِّرِ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ

رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْجَارٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥).

ويقول ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (طه ٧٥ : ٧٦).

بالعمل الصالح نبني مجتمعاً متكاملأ محباً ومتعاونأ لا عداوات ولا صراعات
سليماً من الآفات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالْوَاَسْتَقَمُّوْا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ (الجن: ١٦) .

فهلم إلى العمل الصالح في هذا الشهر العظيم .

- شكراً لأستاذنا الدكتور الشيخ عبد العزيز الخطيب الحسني أستاذ مادتي العقيدة والفقه الإسلامي خطيب جامع دنكر بدمشق وتحية لكم أيها الأخوة المستمعون و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإيثار و أثره في بناء المجتمع

س ١ : هل يمكن أن نعرف الإخوة المستمعين ما هو الإيثار ؟

ج : الإيثار التفضل على الغير ، أثرتك فضلتك .

وهذه الصفة تنشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَأَلَّوْا لَقَدْ

ءَاثَرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴾ (يوسف: ٩١) .

لما قحط أهل المدينة زمن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت له تجارة قادمة من الشام فلما شارفت على أطراف المدينة جاءه التجار يسأومونه عليها بكل ليرة ربح خمس ليرات وهو يقول جاءني أكثر قالوا من الذي دفع لك أكثر ؟ قال ربي عز وجل أعطاني بكل حسنة عشرة أمثالها، اشهدوا أن هذه القافلة لله تعالى صدقة على أهل المدينة .

شعور بالآخرين و أنه قادر على أن ينقذهم من ضائقهم فلماذا لا يفعل . قدم غيره على نفسه في الدنيا رغبة لما عند الله في الآخرة .

س ٢ : أستاذنا الدكتور كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى هذا الخلق النبيل و يتحلى به ؟

ج : أخي الكريم يستطيع الإنسان أن يتحلى بهذا الخلق النبيل إذا كان عنده قوة

يقين أن الله سيعوض عليه، لأنه مؤمن بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْتَطِيعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ

مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبا: ٣٩) .

السيدة عائشة طرق عليها الباب مسكين وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها أعطيه إياه، فقالت ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه، قال: ففعلت فلما أمست أهدى إليها أهل بيت شاة مشوية، فدعت السيدة عائشة مولاتها ، وقالت : كلي من هذا فهذا خير لك من قرصك (رغيفك) .

يحتاج الأمر إلى قوة يقين، يصدق أن الله تعالى سيعوض عليه .

أحي أنت تسمع بالشيخ يحيى الصباغ، هذا الرجل الولي كان عنده قوة يقين عجيبة، طبخت له زوجته في رمضان كوسا محشي، وبعد العصر دخل رجل يحلف لسيدنا الشيخ يحيى أنه ما عنده شيء يفطر عليه هو و أولاده، فحمل الطبخة و الطنجرة و أراد تقديمها للسائل، فمنعته زوجته قالت : يا شيخ ما عندنا ما نفطر عليه، فقال لها الله لا ينسانا، وقدم الطنجرة للسائل، وعند المغرب تماماً طرق الباب طارق، فتحوا الباب فإذا بصينية خاروف محشي وصينية حلو وسطل لبن و

ونعم من الله، فقال لها الشيخ كوسا محشي أفضل أو خاروف مشوي، كما قلت لك يحتاج هذا الخلق إلى قوة يقين أن الله سيخلف عليه ما أنفقه .

س ٣ : سيدي هل هناك أمور تعين صاحبها على الإيثار، بمعنى ما هي الأسباب التي تعين على الإيثار.

ج : سؤال وجيه وفي محله، أخي الكريم عندما أعظم حق الناس، وحق القيام بواجبهم، واستعظم ضياعها يقوى في قلبي أول سبب من الأسباب التي تعين على الإيثار.

عندما أمقت الشح أرى أنه لا خلاص لي إلا بالإيثار .
عندما أكون محباً لمكارم الأخلاق أحب منها الإيثار لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق، عندما أعلم أن الله يَعدُّ المؤثِّرَ بأفضل درجات الجنان أحب الإيثار. (كان سيدنا أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بئر حاء وكان مقابل المسجد النبوي، وكان الحبيب الأعظم ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، يقول سيدنا أنس فلما نزلت ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢)، قام أبو طلحة على رسول الله

ﷺ (وكان يحب مكارم الأخلاق) فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول ﴿لَنْ نَنَالُوا

الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بئر حاء و إنها صدقة لله أرجو

برها و ذخرها عند الله فضعتها يا رسول الله حيث أراك الله فقال ﷺ : بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت و إني أرى أن تجعلها في الأقربين (فوزعها سيدنا أبو طلحة بين أقاربه وبني عمه (خ / الفتح ٣ / ١٤٦١ - ٩٩٨ م)

سيدنا أبو طلحة كان يحب مكارم الأخلاق ومنها الإيثار .

س ٤ : أستاذنا الدكتور هل هناك ربط بين الأثرة و الإيثار، هل هناك صلة بينهما؟
ج : أخي العزيز الأثرة عكس الإيثار، لأن الأثرة تعني الاستئثار، استئثار المرء عن أخيه بما هو محتاج إليه.

وهذا موجود في الحديث النبوي الشريف الذي وجهه النبي ﷺ للأنصار الذين أثروا المهاجرين بكل شيء، قال لهم : (ستلقون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) .

هل رأيتم ما قدمتموه من إيثار سترون عكسه بعدي فلا يخيفكم ذلك عن استمرار الإيثار لديكم، سيحب الناس الأثرة ويتركون الإيثار.
س ٥ : سيدي ما قصة الأنصار مع المهاجرين التي ذكرتها، وما هو الإيثار الذي أثروه .

ج : أستاذ جمال أحدثك قصة من الخيال، ولا والله ما هي بالخيال، لقد ضرب الأنصار بالإيثار المثل الأعلى تتبع معي هذا الوصف العظيم في القرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينَ وَيَتِيمًا وَاسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩ ﴾ (الإنسان: ٨، ٩)، اسمع إلى وصفهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩) .
لماذا هذا المدح؟!

جاء المهاجرون إلى المدينة و تركوا في مكة أموالهم و دورهم و أراضيتهم في سبيل الله فأخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فجاء الأنصاري وقسم أمواله و أرضه و تجارته بينه وبين المهاجرين، بل وصل الأمر بمن كان عنده أكثر من زوجة أن يقول أنظر أي زوجتي تريد أطلقها لك فتنزوجها، إيثار عجيب، كانوا ما أخذ منهم أحب إليهم مما تركوه لأنفسهم .
لكن الأعجب من هذا الإيثار – أخي الأستاذ جمال – أن النبي الكريم لما غنم أموال بني النضير دعا الأنصار و شكرهم على ما صنعوا مع إخوانهم المهاجرين ثم قال لهم :

(إن شئتم كانت لكم دياركم و أموالكم وقسمت الغنيمة بين المهاجرين)، إذا كنتم تريدون أن أرد لكم ما أعطيتموه للمهاجرين أو أوزع عليهم الغنائم، فماذا كان موقف الأنصار انظر إلى منتهى الإيثار، قالوا : بل نقسم لإخوتنا من ديارنا و أموالنا و نوثرهم بالغنيمة، فقال رسول الله ﷺ (اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار) .

س ٦ : فعلاً موقف عظيم ، هل نقول إن الأنصار فقط فازوا بدرجة الإيثار؟

ج : لا ، كبار الصحابة اشتهروا بالإيثار لكن المدح القرآني نزل خاصاً بالأنصار، سيدنا عمر قدّم نصف ماله في سبيل الله، وجهز سيدنا عثمان جيشاً بكامله هو جيش العسرة، ودفع ابن عوف أوقيات من الذهب، وسيدنا أبو بكر الصديق دفع ماله كله في سبيل الله، ونزل سيدنا جبريل على الحبيب الأعظم وعنده الصديق ملتف بعباءته، لا جاه ولا ملابس مطرزة، وهو سيد من سادات قريش، نزل ليسأله لماذا أبو بكر يلتحف بعباءته ؟ أين ملابسه الفاخرة، فسأل النبي الصديق الأكبر لماذا هو بهذه الهيئة ؟

فقال : يا رسول الله أنفقت أموالي في سبيل الله، فقال سيدنا جبريل لأبي بكر إن الله أرسلني إليك ليسألك هل أنت راضٍ عني في فورك هذا أم ساخط ؟ فقال الصديق أسخط على ربي ؟ إني عن ربي راض، إني عن ربي راض، و أنزل مولانا عز و جل للصديق قوله **تَعَالَى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾** (الليل: ٢١) ، كبار الصحابة اشتهروا بالإيثار.

سيدنا عمر لما بعث لسيدنا أبو عبيدة بن الجراح بصرة فيها أربعمئة دينار وقال لغلّامه انظر ما الذي سيصنع بها، فلما أخذها سيدنا أبو عبيدة قال : وصلك الله يا عمر ورحمك، ثم قال : تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه السبعة إلى فلان حتى نفذت، وكذا فعل مثلها سيدنا معاذ بن جبل .

أنا أتعجب أشد العجب حين أسمع حديثاً رواه سيدنا عمر رضي الله عنه قال : أهدى رجلٌ إلى أحد الصحابة رأس شاة، فقال المهدى إليه : إن أخي فلاناً أحوج إليه مني، فبعث به إليه و ظل رأس الشاة ينتقل بين سبعة بيوت حتى رجع إلى الأول .

ما رأيك سيدي الأستاذ جمال ، بل إليك هذا المشهد الفذ الذي أوجب الجنة : السيدة عائشة تروي لنا أن مسكينة تحمل ابنتين لها جاءت إليها، فأطعمتها السيدة عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منها ثمرة، ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت للنبي ﷺ (إن الله قد أوجب لها الجنة) (م . ٢٦٣) .

س ٧ : دكتور عبد العزيز الخطيب الحسني، من أين تعلم هؤلاء الإيثار؟ من هو معظمهم الأول ؟

ج : قولاً واحداً، لقد تعلموه من سيدنا محمد ﷺ ، النبي الكريم يقول عنه أصحابه ما سئل عن شيء فقال : لا .

— ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم
- هو البحر من أي الجهات أتيته فلقبته المعروف و الجود ساحله

حتى قال أحمد شوقي مشيداً بهذا السخاء :
و إذا سخوت بلغت في الجود وفعلت ما لا تفعل الأنواء
المدى

رأت إحدى الصحابيات إزاراً رثاً على النبي ﷺ فصنعت له قماشة خصباً له
وجاءت بها إليه وقالت يا رسول الله هذه هدية، فأخذها النبي ﷺ و سرّ بها سروراً
عظيماً حتى إنه دخل حجرته الشريفة و أنتظر بها وخرج بها إلى الصحابة فرأها
عليه صحابي فقال : والله ما أجملها، اكسنيها يا رسول الله، انتبه أستاذ جمال ما
عنده غير إزار بال، فقال رسول الله ﷺ : نعم فدخل حجرته و خلعها و خرج
فأعطاهما للصحابي، فقال الصحابة للرجل: ماذا فعلت؟! لقد أخذت إزاراً يحتاجه
رسول الله، فقال الصحابي، والله ما أخذتها ألا لتكون كفني، قال : فكانت كفنه .
س ٨ : أستاذنا هل يمكن أن نقول إن الإيثار له مراتب، وهل له درجات بعضها
أعلى من بعض؟

ج : نعم : أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك
طريقاً ولا يفسد عليك وقتاً ، هذه درجة، أن تطعم الناس و تجوع ، وتكسوهم
وتعري، وتسقيهم وتظمأ هذه مرتبة في الإيثار.
و أعلى مراتب الإيثار : مرتبة أولي العزم من الرسل، فإنهم قاوموا العالم كله،
و تفرغوا للدعوة إلى الله و احتملوا عداوة القريب و البعيد في الله تعالى ليبلغوا
رسالات الله، حتى ظهر دين الله على كل دين و عبدوا الله حتى أتاهم اليقين .
وهناك مرتبة أعلى أن تنسب إيثارك إلى الله دون نفسك و أنه هو الذي تفرد
بالإيثار لا أنت، فهو المؤثر على الحقيقة إذ هو المعطي حقيقة، كل شيء من الله،
ولولا الله ما آثرت أحداً،

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

نحن الأولي جاؤوك مسلمينا

س ٩ : دكتور حديث ممتع ومشوق بعد هذا الإيثار العظيم و مكارم الأخلاق، ماذا يستفيد المؤثر من هذا الخلق الكريم ؟

ج : لا شك و لا ريب، أن الإيثار دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام و هو طريق الوصول إلى محبة الله ورضوانه و طريق لحصول الألفة و المحبة بين الناس .

أستطيع أن أقول أن الإيثار علامة على حسن الخاتمة، لأنه من علامات الرحمة التي توجب لصاحبها الجنة الإيثار، لأنه يوصل إلى محبة الناس .
من جميل ما ذكر أنه اجتمع عند ولي من الأولياء نيف وثلاثون رجلاً و معهم أرغفة معدودة لا تشبعهم جميعهم فقطعوا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رفعوا وأشعلوا السراج إذا الطعام بحاله لم يأكل أحد منهم شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه .

كم من المحبة أثمرت هذه الجلسة بين الأحاب و الأصحاب :
قال سيدنا موسى: يا رب أرني بعض درجات محمد وأمته، قال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي، فكشف له ملكوت السموات فنظر منزلة كادت نفسه تتلف من أنوارها و قربها من الله تعالى، فقال يا رب: بماذا بلغت هذه الكرامة؟ قال : بخلق اختصاصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى : لا يأتين أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته و بوأته من جنتي حيث يشاء .

س ١٠ : هل من نصيحة أخيرة نوجهها إلى الأخوة المستمعين ؟

ج : يقول ﷺ (م) (يا بن آدم أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف و ابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى) .

الإيثار أخي الكريم نبعه الإيمان، لا يدعي الإسلام أحد وهو لا يهتم بالآخرين، النبي الكريم أعطى قاعدة قال : ليس منا من لم يهتم لأمر المسلمين،

يجود علينا الخيرون بمالهم ونحن بمال الخيرين نجود

الناس بعضهم لبعض أليس هذا ما نقوله، والشاعر يقول :
الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض و إن لم يشعروا خدم

و أنصح الناس نصيحة رسول الله ﷺ حيث يقول : (اغتتم خمساً قبل خمس
شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك و
حياتك قبل موتك).

- شكراً للأستاذ الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني أستاذ مادتي العقيدة والفقه
الإسلامي وخطيب جامع دنكز بدمشق والشكر موصول لكم أعزائي المستمعين
كان معكم جمال بكري في برنامج من هدي. . .

القرآن الكريم

الجمعة بتاريخ ٢٧/٠٨ / ٢٠١٠ الموافق رمضان ١٤٣١

س : حدثنا عن القرآن الكريم، ما هو هذا السفر العظيم، ماذا يمكن أن نقول عنه في التعريف به؟

ج - القرآن دستور هذه الأمة. قراءته عبادة، والتفكير فيه قرينة على الله تعالى ، وكلما اقترب الإنسان من تحقيق الأخلاق التي رسمها كان أقرب إلى الله ورسوله و أحب إلى الله و رسوله .

القرآن دستور تعبدنا الله بتلاوته والتحاكم إليه ، و أخذ منه حاجاً في حياتنا ، دستور وصفه الله تعالى بأوصاف لو تدبرها العالم اليوم لترك الأنظمة التي شرعت لاستعباد الإنسان لأخيه الإنسان .

إنه القرآن الكريم شرف المؤمن وعزته ، بل سبيله إلى حياة خالدة سعيدة .
(من قال به صدق ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم) .

س : دكتور قلتم إن الله تعالى وصف كتابه بأوصاف لو تدبرناها لبلغنا العلياء ، هل يمكن أن نستمتع إلى بعض هذه الأوصاف.

ج - نعم حباً وكرامة .
الصفة الأولى : بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، مجيد متصف بالمجد والشرف، محفوظ بحفظ الله من التغيير و التبديل .

٢ - كتاب مبارك : كثير الخيرات .
٣ - كتاب مبين: آياته بينات فيه تبيان لكل شيء من أمور الدين والدنيا والآخرة

٤ - حكيم: يضع الأمور في مواقعها .
٥ - كتاب عزيز: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .
٦ - كتاب مفصل: فصلت آياته ميزت ووضحت .
٧ - كتاب عربي: بلسان عربي مبين .
٨ - غير ذي عوج: أي لا ينحرف عن الحق .

٩ - هدى ورحمة لقوم يؤمنون، هدى للمتقين، من اهتدى بهديه انتفع به وصار من الأتقياء، وهكذا صفات عظيمة لكتاب عظيم .

س : هل هناك سر في أن رسول الله ﷺ قرنه مع الصيام في أكثر من حديث نحو حديث (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ؟

ج - الحكمة والسر أن قراءة القرآن في شهر رمضان من أوكد السنن، كل الأئمة كانوا يتركون دروسهم في رمضان و يقولون هذا شهر القرآن، حتى نقل عن مولانا الإمام الشافعي و أبي حنيفة النعمان رضي الله عنهما أنهما في رمضان يختمون ختمة بالليل و ختمة بالنهار من شدة تعادهم لهذا الكتاب العظيم .

أنت تعرف أنه ﷺ كان يتدارس القرآن مع سيدنا جبريل في شهر رمضان يعرض عليه ما نزل من آيات الله و القرآن نزل في رمضان، نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، ثم نزل بعد ذلك آيات آيات خلال ٢٣ سنة حسب المناسبات و الحوادث .

س : هل لنا أن نتعرف على فضل تلاوة هذا الكتاب الكريم الذي أمرنا أن نتلوه ونتدبره ؟

ج : اسمح لي أولاً " أقرأ لكم آية من كتاب الله قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ

اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝١٩﴾

لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝٢٠﴾ (فاطر ٢٩ : ٣٠).

وينظر رسول الله إلى الجيل المحمدي الذي سيحمل الراية من بعده فيحضهم على تلاوته وحفظه والعمل به فيقول لهم :

- اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .
- و خيركم من تعلم القرآن وعلمه .
- الماهر في القرآن مع السفارة الكرام البررة .
- من حفظ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه .
- ويقول : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة و غشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) .

أستاذنا : سورة واحدة في القرآن يحفظها العبد شفعت لصاحبها حتى أدخلته الجنة أو غفر له (تبارك الذي بيده الملك) أو كما قال ﷺ ، بل اسمع معي إلى ما

يفعل الله تعالى بوالدي حافظ القرآن يقول: (من حفظ القرآن ألبس والداه يوم القيامة تاجاً أشد ضوءاً من ضوء الشمس) .

س : عندما نزل القرآن على نبينا الكريم وبلغه لأصحابه، ماذا فعلوا؟ أية مكانة كانت لهذا القرآن عند الصحابة ؟

ج : أستاذنا ليتك رأيتهم لرأيت الصحابة ومن بعدهم يتمسكون بهذا القرآن يعملون به ويتلونه أثناء الليل و أطراف النهار لأن الله تعالى وعد من فعل ذلك أن يعطيه حتى يرضيه فمن عامل الله ربح .

كانت المرأة تودع زوجها صباحاً وتقول له لا تأكل حراماً" فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار، ثم أثناء عودتك من العمل مرّ على رسول الله ﷺ فانظر ماذا نزل من القرآن عليه، كانوا يتابعون القرآن الكريم.

من هؤلاء الماهرين بالقرآن الكريم سيدنا عبد الله بن مسعود (م) (قال له سيدنا رسول الله ﷺ : اقرأ علي القرآن – فقال سيدنا ابن مسعود : اقرأ عليك القرآن وعليك

نزل؟ قال: نعم إني أحب أن أسمع القرآن من غيري ويقرأ ابن مسعود من سورة

النساء ويقرأ ويقرأ ، ﴿ وَمَاذَاعَلَيْهِمْ لَوْءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ (٣٩) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ (النساء: ٣٩: ٤٠) (حتى وصل قوله تعالى) ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ

وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١) .

وهنا قال رسول الله ﷺ : كفى ، نظر ابن مسعود إلى رسول الله فإذا عيناه تذرفان ، بكى رسول الله لهذا الفضل العظيم الذي أولاه الله إياه ﷺ .

لقد تسارع الصحابة يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، على رأس هؤلاء سيدنا الصديق لما اشتد عليه أذى قريش خرج يريد الهجرة، فقابلته أحد زعماء قريش اسمه ابن الدغنة فقال: أين تريد؟ فمثلك لا يُخْرَج، وأرجعه إلى مكة في جواره ، واتفق مع قريش أن يبقى في بيته يصلي ويقرأ القرآن ، فاتخذ مكاناً من بيته يصلي و يقرأ القرآن في الليل عندما ينام الناس ، ولكن بعض فتيان قريش ونسائهم كانوا يأتون إليه في جنح الليل مستخفين يقبعون في الزوايا يسمعون القرآن بصوت الصديق وهو يبكي ويخشع عند قراءته، وكثر الفتيان من حول البيت حتى عرفت قريش وجاءت ترجو ابن الدغنة ليمنعه من تلاوة القرآن .

وكان الفاروق إذا قام يصلي سُمع ل صدره أزيز كأزيز المرجل (كغلي الماء في الإناء) من شدة بكائه وخشوعه .

وكان سيدنا عثمان قد كتب بيده ثلاث مصاحف و فتحت له الكعبة يوماً فصلى فيها ركعة ختم فيها القرآن الكريم كله، و استشهد على القرآن وسال دمه على القرآن ، كانوا يحبون القرآن كسيدنا محمد ﷺ .

س : دكتور هل صحيح أن الملائكة تنزل من السماء على قارئ القرآن لتسمع تلاوته ؟

ج - أستاذنا الملائكة الهابطة من السماء أول ما تنزل ، تنزل على أهل القرآن يرون بيوتهم من السماء كما يرى الكوكب الدري في الليل .

اسمح لي أن أحدثك عن سيدنا أسيد بن حضير، سيدنا أسيد ولع بالقرآن ولع المحب بحبيبه ، و أقبل عليه إقبال الظامئ على المورد العذب في اليوم القانط، وجعله شغله الشاغل، فكان لا يرى إلا مجاهداً غازياً في سبيل الله أو عاكفاً يتلو كتاب الله، وكان رخم الصوت مبين النطق مشرق الأداء، تطيب له قراءة القرآن أكثر ما تطيب إذا سكن الليل ونامت العيون وصفت النفوس ، وكان الصحابة الكرام يتحينون أوقات قراءته ويتسابقون إلى سماع تلاوته، فيا سعد من يتاح له أن يسمع القرآن رطباً طرياً كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ .

وقد استعذب أهل السماء تلاوته كما استعذبها أهل الأرض، ففي جوف ليلة من الليالي كان سيدنا أسيد بن الحضير جالساً في مريد للتمر وراء بيته، وقف على عادته يقرأ القرآن يرتله بصوته الرخم الحنون ، فإذا بالأنوار راحت تتلأل في سماء البيت ويزداد بهاء الليل بنور أحلى من نور القمر، فإذا به يسمع فرسه وقد جالت جولة كادت تنقطع بسببها رباطها فسكت فسكنت الفرس وقرّت، فعاد يقرأ فجالت الفرس جولة أشد من تلك وأقوى فسكت فسكنت، فخاف على ابنه يحيى أن تطأه الفرس، فخف إليه ليوقظه فكانت منه التفاتة إلى السماء فرأى غمامة كالمظلة لم تر العين أروع ولا أبهى منها قط ، وقد علق بها أمثال المصابيح وملأت آفاق البيت ضياء وسناء ثم صعدت الغمامة إلى السماء وغابت عن ناظره، وما إن أصبح حتى مضى إلى رسول الله ﷺ وقص عليه ما رأى فقال له : (اقرأ أبا عتيك تلك الملائكة كانت تسمع لك ولو أنك مضيت في قراءتك لرآها الناس) (ق) .

س : طلب الله تعالى منا تدبر القرآن، هل لكم أن تنقلوا لنا بعض مشاهد التدبر من السلف الصالح حتى نعطي أمثلة للإخوة المستمعين حول هذا المعنى؟

ج - أستاذنا أضرب لكم مثلاً بسيدنا عمر رضي الله عنه كان يقوم الليل بجولات حرسه وهو أول من أنشأ نظام الحرس الليلي، فسمع امرأة بالليل تردد من

القرآن الكريم، ما هي؟ ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ (الغاشية: ١)، ترددها ولا تتجاوزها وهي تبكي وهي خائفة أن تصيبها الغاشية التي هي يوم القيامة .

من أين أخذت هذه المرأة هذا المنهج الفريد في التدبر للقرآن، أخذته من سيدنا رسول الله، الحبيب الأعظم قام ليلة كاملة وهو يقرأ آية واحدة يرددها وهو يبكي ويتفكر فيها، هل الآية عن الجنة، لا، عن النار، لا، عن أهوال القيامة، لا، فما الذي أبكى نبينا ﷺ؟ الآية التي أبكت الحبيب الأعظم تتحدث عن هذه الأمة، ويبكي من أجلها، قرأ قوله تعالى ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨)، يردد هذه الآية وهو يبكي ثم يختر ساجداً لله وهو يقول: اللهم أمتي أمتي، فأنزل الله جبريل الأمين على الحبيب العظيم وقال: قل (لحبيبي) محمد إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

وهذا عمر الخير دخل الصلاة فقرأ من سورة يوسف حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٨٦)، فصار يبكي حتى سمع صوته من آخر صفوف.

س: سيدي هل هناك أنواع للتدبر يعني هل هناك تدبر على الصعيد الاجتماعي أو العلمي أو الأدبي؟

ج - نعم يوجد تدبر، كل شخص من العلماء أياً كان يستطيع أن يجد في القرآن لذة للتدبر حسب اختصاصه، العلماء اليوم يكتشفون المكتشفات فإذا هي في القرآن.

رأى علماء الغرب أن البذرة تنفلق عن النبات، واكتشفوا أن البذرة لا تنبت حتى يحدث لها شيء، ما هو: تهتز البذرة اهتزازاً فإذا اهتزت انفلقت وخرج منها النبات، قال لهم علماء المسلمين: هذا ذكره القرآن من زمن النبي، قالوا: هذا موجود عندهم، أين؟ قالوا: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ

كُلِّ نَوْعٍ بِهَيْجٍ﴾ (الحج: ٥).

أنا أريد أن أسأل ما الذي أدري نبينا الأعظم أن البحر المالح إذا اجتمع مع البحر الحلو يطفو عليه، فما أدراه ولم ير بحراً ولا محيطاً، ولم يكتشفوا ذلك حتى اليوم، الله الذي أعلم نبيه الكريم ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (الرحمن: ٢٠: ١٩).

إذا أعطيتني ثلاث دقائق أحدثك عن تدبر قل نظيره. (تفضل).

أحدثك عن غلام يحفظ القرآن أراد أن يعبر النهر فما وجد أحداً يقله، ومر قارب لرجل ثري وعنده خمر ونساء فرأى هذا الغني الغلام ينتظر فأركبه معه، وطول الطريق الغني يعزف ويطرب، والغلام أخذ بالذكر، نظر إليه الغني فقال تعال وشاركنا : قال : لا عندي ما هو أحسن من هذا، فأتار كلامه الرجل الثري، فقال لمن حوله : اسكتوا، ثم قال للغلام : اسمعنا و أمتعنا، وظن الثري أن الغلام سينشد لمطرب أو مطربة وسكت الجميع وأنصتوا للغلام فقرأ الغلام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٨﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ ۚ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿النساء: ٧٧: ٧٨﴾، وراح الغلام يقرأ والغني الغافل بدأت تنجلي ظلمة قلبه ويتأثر فإذا عيناه تذرفان، تأثر كالظلمة التي يأتيتها النور، وتوقف الغلام، وسأل الغني هل عندك غيره ؟ قال نعم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

وهنا قام الرجل ومن حوله قومة رجل واحد و أخذوا زجاجات الخمر والمعارف فألقوها في النهر، وتاب الغني وتابت المغنية وتاب من كان معهم فلم يكونوا من المغرقين.

أستاذنا آية واحدة إذا تدبرناها تفتح القلوب المغلقة .

س : دكتور ما حكم تدبر القرآن هل هو واجب أم سنة، يعني إذا قرأ العبد القرآن ولم يتدبره هل ينال ثواب القرآن الكريم ؟

ج- تدبر القرآن سنة مؤكدة تصل إلى السنة الواجبة ولقد قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِّدَبْرُؤٍ ؕ ءَاتَيْنَاهُ وَلِسْتَذَكْرٍ ؕ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)، وقال من معرض الإنكار والتوبيخ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤) . يقول سيدنا علي رضي الله عنه : لا خير في قراءة لا تدبر فيها .

ويقول بعض السلف الصالح : لأن أقرأ (إذا زلزلت والقارة أتدبرهما و أتفهمهما أحب إلي من أن أقرأ القرآن كلاً) ويقول الحسن البصري : إن من كان من قبلكم رأوا هذا القرآن رسائل إليهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار .

أستاذ جمال أريد الآن أنا أن أسألك هذا السؤال سأبادل الأدوار معك : لو أن قائداً من القواد أرسل على بعض جنوده كتاباً يأمره فيه باتخاذ خطوة معينة و إجراء عملية حربية عسكرية فتلقى الجندي الكتاب بكل احترام وتقدير وقبله و وضعه على رأسه ثم احتفظ به في أكرم مكان عنده، غير أنه اكتفى بذلك ولم يعمل بمحتوياته ولم ينفذ الأوامر التي تضمنها الكتاب ، فهل يكون هذا الجندي ممثلاً طائعاً قائماً بواجبه يستحق المكافأة والتقدير ، أم يكون عاصياً مهملاً مفرطاً يستحق العقاب و التنكيل . (يستحق العقاب) .

وهكذا أوامر القرآن واجبة وكفى بقول الله تعالى ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِينَ هُمْ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٩) .

إلهي للهدى أنزلت فينا	كتاباً فيه عز العالمينا
جمعت الخير كل الخير فيه	و يبقى جامعاً دنيا وديننا
تلاوته تزيل الهم عنا	وتملأ قلب سامعها يقينا

س : مادام الحديث عن التهاون وعدم العمل بالقرآن ما هو حكم المتهاون بأوامر الله ونواهيه :

ج - اسمح لي أن يعطيك الجواب سيدنا رسول الله ﷺ صورة واحدة يقول ﷺ : (يؤتى برجل يوم القيامة ويمثل له القرآن قد كان يضيع فرائضه و يتعدى حدوده و يخالف طاعته ويركب معاصيه، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: فشأنك به فيأخذه بيده فما يفارقه حتى يكبه على منخره في النار) و كم عمق جهنم ؟ إن ضجة وقعت زمن الحبيب الأعظم وهو يجلس بين أصحابه فقام الصحابة فرعين ما هذا ؟ (فقال رسول الله الصادق المصدوق : هذا حجر ألقي في نار جهنم منذ سبعين سنة لو يصل القاع إلا الآن) .

قال : ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده (حدوده القرآن) ويعمل بفرائضه ويعمل بطاعته ويتجنب معاصيه فيصير خصماً دونه فيقول : أي رب حملت آياتي خير حامل ، اتقى حدودي وعمل بفرائضي واتبع طاعتي واجتنب معصيتي فلا

يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له : فشأنك به فيأخذ بيده فما يزال به حتى يكسوه حلة الإستبرق ويضع عليه تاج الملك ويسقيه بكأس الملك (بز، ابن أبي شيبة)
س : أستاذنا هل يمكن قراءة القرآن بدون تدبر أو فهم .

ج - نعم جائز - شرط :

أن لا يلحن فيه ، الفاعل فاعل، والمفعول به مفعول به، لا يغير في الإعراب، ومن جميل ما ذكر في هذا المقام أن الإمام أحمد رضي الله عنه رأى الله تعالى في المنام تسعاً وتسعين مرة فقال لأن رأيته تمام المئة لأسأله بم يتقرب إليك المتقربون، يعني أحب شيء إليك من الأعمال فقال : ما تقرب إلي المتقربون بشيء أحب إلي من تلاوة كلامي ، قال: يا رب بفهم وبغير فهم؟ ، قال وبفهم وبغير فهم ، لذلك يوجد حديث حلو في هذه القضية يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (من شغله القرآن وذكرني عن مسألتني أعطيته أفضل ما أعطي السائلين).

س : كم آية يقرأ العبد في القرآن الكريم يومياً، هل هناك شيء مطلوب منه أو واجب عليه ؟

ج - الناس في هذا الشأن قسمان : قسم يحب أن يقرأ كل يوم جزءاً من القرآن فيختم كل شهر، وأناس آخرون يقرؤون منه السور التي حضنا عليها السيد الأعظم.

مثلاً في يوم الجمعة سورة الكهف ، وفي كل يوم سورة يس، وفي كل ليلة سورة تبارك، وبين المغرب والعشاء سورة الواقعة . المهم أن يتصل العبد بكتاب الله ولا يهجره .

أنا أتعجب كيف أن الناس يتهاونون بكتاب الله، الأمة لم تنتصر على أعدائها إلا حينما اتصلت بالقرآن، هل أذاك أخي الكريم نبأ منصور بن زازان يقوم الليل في مسجد واسط فيختم القرآن مرتين، وكان عليه عمامة كورها اثني عشر ذراعاً إذا صلى وقرأ القرآن بلها بدموعه حتى يضعها أمامه، يقوم وقد سدل عمامته على عاتقه يصلي ويبكي ويمسح بعمامته دموعه فلا يزال يبيلها كلها بدموعه ثم يلفها ويضعها بين يديه. هؤلاء هم الذين حملوا الراية و أوصلوها إلينا .

أستاذنا! هل سمعت بسيدنا ثابت البناني سيدنا ثابت كان يصلي الفجر بوضوء العشاء يقوم الليل بالقرآن، بالقرآن أستاذ جمال، فلما مات حملوه على لحدده، فلما ألحدوه سقطت لبنة من اللحد فرأى اللاحد سيدنا ثابت البناني قائماً يصلي يقرأ القرآن في قبره، فرد اللبنة وذهب إلى بيت سيدنا ثابت وطرق الباب فخرجت ابنته فسألها عن عمل والدها فقالت وَلِمَ، أخبرني، قال فأخبرها فقالت: صدقت، صدقت

؟ كيف، قالت : كان أبي يقرأ في القرآن أربعين سنة فإذا أذن الفجر دعا: (اللهم إن كنت أعطيت أحداً يقرأ القرآن في قبره فأكرمني بها)، فما كان الله ليخيب دعاءه، يقول من كان يمر بجوار قبره في الليل : كنا إذا مررنا بالأسفار بجوار قبر ثابت البناني سمعنا صوت ثابت بقراءة القرآن.

س : دكتور هل نقدم آخر نصيحة للإخوة المستمعين حول القرآن الكريم وخصوصاً في شهر رمضان المبارك

ج - أستاذنا اسمح لي أن يقدم النصيحة لنا سيدنا رسول الله /يقول لسيدنا معاذ : يا معاذ ادرس القرآن، إن أردت عيش السعداء وميتة الشهداء والنجاة يوم الحشر ، يا معاذ إن القرآن يعطيك الأمن يوم الخوف، والهداية يوم الضلالة .

أستاذنا إن أحدنا إذا سافر إلى انكلترا جهز الجنيه الإسترليني، و إذا ذهب على السعودية جهز الريال، و إلى ألمانيا جهز المارك، و إلى اليابان جهز الين، و إلى روسيا جهز الروبل، وأما حين يذهب إلى الله تعالى فليس من عملة يتعامل بها لأن المسافرين إلى الله لا ينفعه إلا القرآن وإلا العمل به .

القرآن يدخل معه القبر ويتصور له بصورة ملك حسن الخلقة بهي الطلعة جميل الصورة يقول له حين يفزع من رؤية منكر ونكير وقد سألاه: من ربك وما دينك ... يقول الملك لقارئ القرآن : لا عليك فقد سألت ربي لك الشفاعة فشفعني فيك .
أخي الكريم : أنت قلت الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، اللهم أكرمنا بالقرآن و احفظنا بالقرآن .

س : أخيراً هل تذكرون لنا كيف كان رسول الله يشجع على حفظ القرآن؟

ج : من جميل ما ذكرنا للأحاديث الشريفة في فضل تلاوة القرآن وحفظه، أن رسول الله كان إذا بعث بعثاً (وفداً)

ينادي من معه ماجستير ومن معه دكتوراه ومن معه إجازة ؟ لا، أتدري ماذا كان ينادي كان يقول للوفد: **من أكثركم حفظاً للقرآن، لماذا ؟ لكي يكون أميراً و قاضياً و إماماً وخطيباً، ومرة جاءه صبي عمره حوالي عشر سنوات أو ثمان : و قال : أنا رسول الله ، قال: وما تحفظ؟ قال سورة كذا وكذا وماذا أيضاً، قال: وأحفظ سورة البقرة - قال: **حفظت سورة البقرة؟! اذهب فأنت أميرهم .****

هذا تشجيع من النبي على حفظ القرآن فكان هذا الفتى يصلي فيهم ويخطب فيهم ولل قصة تنمة أتركها للإخوة المستمعين ليطلعوا عليها.

المذيع- وهكذا معشر الأخوة المستمعين قضيت مع حضراتكم في رحاب النبوة مع الصحب الكرام وهم يشمخون به عالياً، فمن شمخ بالقرآن رفعه الله وجعله في مصاف الملائكة.

صور عن التوبة

سأحدثكم عن صور مشرقة عن حياة تائب من الصحب المكرمين، إن أعجبتكم أحدثكم بصورة أخرى:

الصحابي ثعلبة نظر إلى امرأة جميلة بشهوة فشعر هذا الصحابي بالندم والتوبة والخوف من الله تعالى: فترك المجيء إلى مسجد رسول الله، تركه حياءً وخوفاً من الله أن ينزل به قرآناً يخبر فيه نبي الله ﷺ عما فعل الصحابي ثعلبة، ويغيب ثعلبة فيسأل عنه رسول الله ﷺ، يسأل عنه كما كان يسأل عن أصحابه جميعاً: أين ثعلبة لماذا لا يصلي معنا؟ ويسرع الصحابة يبحثون عن ثعلبة ومنهم سيدنا سلمان فوجده وهو يبكي بكاءً مرأً من ذنبه، ثم أخذ بيده وقال له: رسول الله يسأل عنك. فعاد الصحابي الجليلان أدراجهما نحو الحبيب الأعظم ﷺ حتى دخلا المدينة، إلى المسجد النبوي وكانت الصلاة مقامة، وما أن انتهى الحبيب الأعظم من صلاته حتى التفت وقال: هل جاء ثعلبة، هل فيكم ثعلبة؟

وما أن سمع ثعلبة اسمه حتى وقع مغشياً عليه ثم مات بالحمى خوفاً وندماً واستحياءً من الله ورسوله، (فغسله رسول الله بيديه وحمل ثعلبة ومشى رسول الله في جنازته، أتدري أخي الأستاذ جمال كيف مشى في جنازته، مشى رسول الله على رؤوس أصابعه فعجب الصحابة وسألوه لماذا تفعل ذلك يا رسول الله ، فقال ﷺ : من كثرة الملائكة التي تمشي في جنازته) .

هل أعجبتكم هذه الصورة أستاذ جمال (نعم) إذن سأحدثكم عن صورة أخرى تعزز هذه الصورة المشرقة، إن الله يغرينا بالإقبال عليه ليغفر لنا ذنوبنا . تذكر إن وحشي بن حرب قتل سيدنا حمزة يوم أحد، وحين دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام بعد ذلك أرسل إليه يقول: يا محمد كيف تدعوني للإسلام وأنت تزعم أن من قتل نفساً أو أشرك أو زنا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، وإني فعلت ذلك كله فهل تجد لي رخصة؟ فأنزل مولانا عز وجل على حبيبه المصطفى (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) فبعث بها إلى وحشي وأصحابه .

فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه (ثلاث شروط تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً) فأنزل الله تعالى على نبينا (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فبعث بها إلى وحشي وقال وحشي: أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا، فهل غير ذلك، فأرسل الله أمين وحي السماء لينزل على أمين وحي الأرض بآية فيها البشارة وفيها المغفرة وفيها العفو العام (قل يا

عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) فأقبل وحشي مسلماً فقال الصحابة يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال ﷺ: (للمسلمين عامة).

صورة عن التوبة، زدنا سيدي من أحاديث التوبة ومشاهدها لعل الله تعالى يتوب علينا في هذا الشهر المبارك:

يروى لنا التاريخ أنه كان رجل ببلدة مسرفاً على نفسه وكان له أم صالحة، كان كلما عمل معصية سجلها في دفتر فبينما هو ذات ليلة إذا بالباب يطرق فخرج فوجد امرأة جميلة، فقال ما حاجتك: قالت أيتام عندي ما أكلوا طعاماً منذ ثلاثة أيام، فقال : ادخلي، فعرفت منه الفساد، فقالت: معاذ الله، فجذبها كرهاً: فنادت يا كاشف كل شدة اعصمني منه، ثم قالت اسمع ما أقول لك ثم أنشدت:

أراك عن الموت المغرق لاهياً	ألا أيها الناسي ليوم رحيله
وتركهم الدنيا جميعاً كما هيا	ألم تعتبر بالظاعنين إلى البلاء
وما عمروا من منزل ظل خالياً	ولم يخرجوا إلا بقطن وخرقة
وحيداً فريداً في المقابر ثاوياً	وأنت غداً أو بعده في جوارهم

ثم إنها راحت تبكي وتقول: يا رب اغثني من هذا الرجل، فلما سمع كلامها أخذته رعدة ورعشة وراح يبكي على إثرها كالطفل الصغير فقالت: بالله عليك إذا حصل لك الصلح بينك وبين الله فأعطني أطعم أولادي فأعطاهما وقال أطعمي أولادك واسألهم لي الدعاء بمحو ما في الدفتر.

قالت نعم: فلما صنعت الطعام لأولادها سألتهم الدعاء له فقالوا: والله لا نأكل حتى ندعو له، فإن الأجير لا يستحق الأجر حتى يعمل.

ثم إن الرجل دخل غرفته ونظر إلى الدفتر فوجده أبيض ليس فيه ذنب فعرف الرجل أن الصلح قد جرى بينه وبين الله فقام وتوضأ، وقال اللهم كما محوت عني المكتوب ألحقني بك حتى لا أعصيك ثم سجد فحركته أمه فإذا هو قد مات .

■ س : ما هو هديهم في الصدقة؟

سأل رجل سيدنا ابن المبارك عن قرحة في ركبته وقد أعيت الأطباء فأمره بحفر بئر في محل يحتاج فيه الناس إلى ماء فشفاه الله تعالى.

وذكر ابن حجر في كتابه الزواجر أنه وجد الإمام أبو عبد الله الحاكم صاحب المستدرک في الحديث تقرّح وجهه تقريباً من سنة، فسأل أهل الخير الدعاء له، ثم تصدق على المسلمين بوضع سبيل ماء بني على باب داره فشرب منه الناس، فما

مرّ عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء وزالته تلك القروح وعاد وجهه أحسن ما كان عليه ببركة الصدقة.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ ذبح شاة ثم سأل: كم بقي منها؟ قالت ما بقي إلا كتفها، فقال الحبيب: **بقي كلها غير كتفها** (ت) بقيت لنا في الآخرة كلها، أما الذي وزعناه فادخره الله لنا في الآخرة إلا كتفها لأننا أبقيناه.

وبينما رجل يمشي بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان (بستان فلان) فتتحي ذلك السحاب فأفرغ ماءه في موضع ساقية ماء تسقي بستاناً، ما نزلت إلا في ذلك الموضع، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال يا عبد الله ما اسمك قال: (فلان للاسم الذي سمعه في السحابة) فقال له : إني سمعت صوتاً من السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع بها؟، فقال: أما إنك إذ قلت فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلته وآكل أنا وعيالي ثلثه وأضع فيها ثلثه (م) .

■ س : فما هو هديهم في الصلاة؟

مدح الله أوليائه بأنهم يخشعون في صلاتهم، والخشوع هو انكسار القلب وإخباته وتواضعه وذلته وكف الجوارح، والخشوع في الصلاة هو روح الصلاة، فهي أن أفهم وأعقل معنى كل حركة وسكنة، وكل قول أو فعل أمر به مولانا في الصلاة، (أستاذنا!) الصلاة التعبير العملي لعبوديتنا لله وحده مقابل هذا التكريم الذي كرمنا الله به على جميع المخلوقات .

وقوفك بين يديه شعور بأن الله كرمك عن جميع الأمم فجعلك أهلاً لمخاطبته، أنا لي الشرف أن أقف بين يديه، كفاني فخراً أن تكون لي رباً وكفاني عزاً أن أكون لك عبداً .

ومما زادني تيهاً وفخراً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

سئل التابعي الجليل الربيع بن خثيم عن سر خشوعه في الصلاة.
فقال: إذا قمت إلى الصلاة جعلت الجنة عن يميني والنار عن شمالي وأنا أقف على الصراط وملك الموت خلفي أظنها آخر صلاتي.

هكذا كان الصاحب والسلف الصالح حاضري القلب مع الله، فسّر الأئمة الأعلام قوله

(والذين هم في صلاتهم خاشعون) أن لا تعرف من على يمينك ومن على شمالك لشدة خشوعك بين يدي الله تعالى .

يقول سيدنا سعيد بن جبير: ما عرفت من على يميني ومن على شمالي في الصلاة منذ

أربعين سنة، سمعت ابن عباس يقول: الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وعن شماله.

كان سيدنا عبد الله بن الزبير إذا قام في صلاته لم يتحرك فكأن الطيور تقع على رأسه تظنه خشبة من خشبات الحرم .

■ س: سيدي هذا هديهم في الصدقة والصلاة فهل تخبرنا عن

هديهم في كتابة الحديث النبوي ؟

دعني أحدثك عن شيخ المحدثين الإمام البخاري لأنه سبق الجميع في العناية بحديث رسول الله ﷺ ووقف عمره عليه وترك للمسلمين من بعده أصح كتاب بعد القرآن الكريم، حتى قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : ما أخرجت خراصات مثله .

ولد سنة ١٩٤ ببلدة بخارى، يقول من ترجم له إنه كان آية من آيات الله في الأرض شافعي المذهب، أيد فهمه بالحديث، كان يحفظ الصفحة من أول مرة يقرأها.

جلس في حلقة درسه رفاقه يكتبون وهو يستمع فقط وبعد مضي ستة عشر يوماً، قالوا له لماذا لا تكتب الحديث ولاموه، فقال لهم إنكم أكثرتم علي فاعرضوا علي ما كتبتم، فإذا قد كتبوا خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى صاروا يصححون ما كتبوا من حفظه .

وكان همه أن يجمع أصح الأسانيد في الحديث، فراح يسافر في البلاد ويلقى الثقات، ثم كتب صحيح البخاري وألقاه على سبعين رجلاً من كبار المحدثين: مسلم - الترمذي - النسائي، يقول الإمام البخاري: أحفظ مئة ألف حديث صحيح .

بقي في تأليفه ١٦ سنة، كنت تراه قواماً يتلو كتاب الله حتى يطلع السحر، وكان إذا كانت أول ليلة من رمضان يجمع إليه أصحابه فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية وهكذا إلى أن يختم القرآن، وكان يقرأ في التهجد بعد نصف الليل ثلث القرآن كل ليلة، فيختم القرآن ختمة كاملة عند أذان المغرب، ويقول عند كل ختمة دعوة مستجابة .

اجتمع عليه علماء الحديث وعمدوا إلى مئة حديث فقبلوا إسنادها ومتونها وألقوها

عليه، فقال لا أعرف هذه الأحاديث لهذه المتون ولكن أعرض كذا وكذا ، أعطى سند كل حديث لمتنه فقام العلماء يكبرون ويهللون .

يقول تلاميذه لما مات البخاري وضعناه في القبر ففاح من القبر رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً، ويقول آخر: رأيت النبي ﷺ في النوم مع جماعة من الصحابة وهو واقف في موضع فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت ما وقوفك هنا يا رسول الله، قال : انتظر محمد بن إسماعيل، فلما كان بعد أيام بلغه موته فنظر فإذا هو قد مات في الساعة التي رأى فيها النبي ﷺ في المنام .

■ س : أخبرنا عن هديهم في قيام الليل :

الصالحون كانوا يطوون فراشهم قائمين متعبدين باكين خوفاً من جلال الله، مجتهدين بالذكر وأنواع العبادات .

يذكر أن السيد رابعة كانت تصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة وتقول : والله ما أريد بها ثواباً، ولكن ليسر ذلك رسول الله ﷺ ، ويقول للأنبياء انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم واللييلة .

وأوحى الله تعالى إلى سيدنا دواد: يا دواد كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه .

أستاذ أنت تسمع عن سيدنا أويس القرني سيد التابعين كان في عصر النبوة منعه القدوم على سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان يخدم أمه في اليمن، لكن سيدنا رسول الله قال للصحابة الكرام يقدم عليكم أويس القرني في وفد من اليمن فإذا لقيتموه فاطلبوا منه الدعاء، كان دعاؤه مستجاباً أتعرفون لماذا؟ لأن سيدنا أويس كان قواماً في الليل عابداً زاهداً، كان أويس يقول : هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، فإذا أمسى من اللييلة التالية يقول هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح، كان لا ينام وكان يقول: ما بال بالملائكة لا يفثرون ونحن نفثر .

كانوا يحيون الليل قياماً حتى كأنهم جذوع أشجار ثابتة يقوم الواحد منهم كأنه خشبة منصوبة حتى يصبح، من هؤلاء العابد الزاهد منصور بن المعتمر، سألوا أمه عن عمله فقال : كان ثلث الليل يقرأ، وثلثه ييكي ، وثلثه يدعو، وكان يصلي على سطح داره فلما مات قال غلام لأمه: يا أماه الجذع الذي كان على سطح دار جارنا لست أراه، قالت يا بني ليس جذعاً ذلك جارنا منصور قد مات.

■ س : أستاذنا ما هي الأسباب التي تساعد العبد على القيام

بالليل؟

أستاذ لا يحرم أحد قيام الليل إلا بذنب عمله في النهار، قال رجل لبعض الصالحين إني عاجز عن قيام الليل، فقال يا أخي لا تعص الله بالنهار.

من لطيف ما ذكر أن رجلاً من فقهاء السلف هو الحسن بن صالح باع جارية كانت عنده فلما كان الثلث الأخير من الليل قامت تنادي الصلاة، الصلاة، فقالوا

لها : أأذن الفجر، قالت لهم: ما تصلون إلا الفجر، قالوا بل ما نصلي إلا الصلاة المكتوبة، فرجعت إلى سيدها وقالت له بعثني لقوم ليس لهم حظ من الليل ، بالله عليك إلا رددتني .

هكذا كانوا رجالاً ونساءً وعبيداً وأحراراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ ﴾ (السجدة: ١٦) ، كان الإمام أحمد يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما ضعف صار يصلي نصفها. نسّمع عن هدي سيدنا علي بن الحسين، ويلقب بزين العابدين ما قصته وما هديه ؟

زين العابدين التقي العابد شديد الخشوع، كان يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة بتمام الخشوع والركوع، حتى إنه وقع حريق في بيته وهو ساجد فجعلوا ينادون عليه: يا بن رسول الله النار، النار، فما رفع رأسه حتى طفئت، ف قيل له فيما ذلك، قال: ألّهتني عنها النار الأخرى .

هذا التابعي كان لدعائه في السجود لذة ومناجاة اسمعه يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتي، وتقبح في خفيات العيون سريرتي، اللهم كما أسأت وأحسنّت إليّ فإذا عدت فعد عليّ، اللهم لا تكني إلى نفسي فأعجز عنها، ولا تكني إلى المخلوقين فيضيعوني: عُبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، يقول طاووس: فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلا كشف عني .

أترى اخي الأستاذ جمال هذا الذل بين يدي البارئ عز وجل أورثه عزاً وجاهاً بين الناس كانت أمواله كلّها يتصدق بها في السر، فلما مات وغسلوه رأوا آثار حمل الخبز على ظهره إلى منازل الأرامل وكانت الناس تجد أمام أبوابها أكياس المعيشة لا يدرون من أين .

لما مات فقدوا ذلك الذي كان يأتيهم بالليل فحسبوا من يعولهم فوجدوها مئة بيت.

هل تعرف من هذا السيد إنه سيدنا علي بن الحسين زين لعابدين سيد البطحاء

...

لما حج هشام بنت عبد الملك قبيل توليه الخلافة، أراد استلام الحجر الأسود فزوح عليه من قبل الناس وإذا سيدنا علي بن الحسين يدنو من الحجر الأسود فيتفرق عنه الناس إجلالاً له ليقبل الحجر الأسود براحتة فوجم لها هشام وقال من هذا؟ فسمعه الشاعر الفرزدق فقال له على البديهة :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
هذا ابن خير عباد الله كلهم
إذا رآته قریش قال قائلها
يغضي حياء ويغضي من مهابته
هذا ابن فاطمة إن كنت تجهله
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
فما يكلم إلا حين يبتسم
بجده أنبياء الله قد ختموا

عاش خمساً وسبعين ومات سنة ٩٤ هـ ودفن في البقيع .

■ اسمح لي أريد أن أذكر لك نهجهم في الإصلاح :

تسمع بسيدنا معروف الكرخي ت ٢٠٠ هـ الذاكر من الطراز الأول كان مؤذناً إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله وقف شعر لحيته ورأسه كأنه زرع لشدة حضوره مع الله تعالى.

أتعرف ماذا كان ورده أخي الكريم، كان ورده عشرة آلاف مرة يقول (واغوثاه يا الله) ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (الأنفال: ٩) كان مستجاب الدعوة.

وفد مع طلابه على شط نهر دجلة وإذا بشباب يمرون به في زورق يضربون الملاهي ويشربون الخمر، فقال له أصحابه أما ترى أن هؤلاء في الماء يعصون الله أدع عليه، فرفع يديه إلى السماء وقال : إلهي وسيدي أسألك أن تفرحهم بالجنة كما فرحتهم بالدنيا، فقال له أصحابه: إنما قلنا لك ادع عليهم ولم نقل ادع الله لهم فقال : (إذا فرّحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضرهم شيء).

هذا هو منهج الإصلاح الذي اتبعه السلف الصالح، (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

تذكر سيدنا الفضل بن عياض (ت ١٨٦ هـ) يقول عن تلاميذه ما رأينا أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به الخوف والحزن وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من بحضرته قالوا فيه: أطاع الله فأطاعه كل شيء .

لما حج سيدنا هارون الرشيد : أتى بجلالة قدره ليقف على باب الفضيل، أتدري كيف استقبله، أدخله إلى داره بعد أن أطفأ السراج وكأنه يدخل إلى قبر، فصار

الرشيد يتلمس العتمة بيده حتى وقعت على يد الفضيل، فقال له : يا لها من كف ما ألينها إن نجت من عذاب الله عز وجل .

بهذا الاستقبال الرهيب شعر الخليفة أنه أمام إنسان رباني، وقف شعر الخليفة من الكلمة، قال له سيدنا هارون الرشيد: عظمي أيها الإمام قال الفضيل وهو يعظه: إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك على الموت، إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن في قلبك كبير المسلمين عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك، إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحبه لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك، إني أخاف عليك أشد الخوف يوماً تزل فيه الأقدام .

وهنا أخذت الخلفية هارون الرشيد قشعريرة ونوبة من البكاء حتى غشي عليه : فقال له وزيره الفضل بن الربيع: أرفق بأمرير المؤمنين ، فقال يا فضل تقتله أنت وأصحابك وأرفق أنا به .

لما أفاق قال زدني رحمك الله، فقال له : يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وتهطل دموع الخليفة ويقول زدني رحمك الله: فقال إن رسول الله ﷺ قال: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، والخليفة يبكي ولا يرفأ له دمع .

والفضيل يقول : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإذا استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لأحد رعيته، فإن النبي ﷺ قال: (من أصبح لهم غاشاً لم رائحة الجنة) (خ) .

أخي الكريم لم يخرج الخليفة من بيت الإمام الفضيل حتى قالت الجارية لقد آذيتم الشيخ منذ الليلة فانصرفوا، فانصرف الخليفة من الدار المتواضعة وهو يقول لوزيره هذا سيد المسلمين

هذا هو منهجهم في الإصلاح (ولأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حمر النعم).

تاريخ الخوارج

تعلمون -رحمني الله وإياكم- أن الإسلام جماعة واحدة لا جماعات؟ جماعة واحدة؛ قال الله -جل وعلا-: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}. [الأنعام ١٥٣]

وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم -عندما ذكر الفرقة الناجية، وعند ذكر افتراق الأمم-: ((وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة)) [رواه ابن ماجة]، وفي رواية: ((من كان مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي))، قال صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بالجماعة) (فإن يد الله مع الجماعة)) [رواه الترمذي].

فالمسلمون جماعة واحدة لا جماعات، وفرقة لا فرق، وطائفة لا طوائف، وحزب الله لا أحزاب، هذا هو شأن المؤمنين الخُلص، المتقين، يعيشون في ظل جماعة واحدة، ينتمون إليها، حتى وإن تباعدت أقطارهم، أو تفرقت بهم الأماكن، أو ذهبوا إلى أي مكان آخر، فهم يشعرون أنهم جماعة واحدة مسلمة لا فرق بين من هم في الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب، فالمسلمون جماعة واحدة لا جماعات متعددة.

وقد كانوا على هذا في عهد سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وصدر الخلافة الراشدة.

ثم إنه حصلت فتن ظهرت فيها بعض الطوائف الذين انشقوا عن جماعة المسلمين، وأول فرقة ظهرت في الإسلام هي فرقة الخوارج؛ قد يقول قائل: طيب والمنافقون؟ أقول: المنافقون ليست من فرق المسلمين أصلاً؛ بل هم كفار ابتداءً؛ ولكن أول بذرة خرجت على المسلمين هي الخوارج، وكان خروجهم باللسان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عندما ظهر ذو الخويصرة التميمي، واعترض على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قسّم غنائم حنين في أناس حديثي عهد بالإسلام؛ بل ربما أعطى بعض غير المسلمين، كما أعطى صفوان وغيره، وهذا جائز؛ إما لترغيبهم في الإسلام، أو لتقوية إيمانهم

إن كانوا مؤمنين، عندها اعترض ذلكم الشقي على قسمة النبي صلى الله عليه وسلم وقال : إنها قسمة ما أريدَ بها وجه الله! اعدل يا محمد فإنك لم تعدل! قال: ((ويحك ومن يعدل إن لم أعدل؟! ألا تأمنوني وأنا أمين من السماء؟)) فهمَّ عمر أو خالد بقتله؛ لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوافق على قتله، وكما تعلمون أنه كثيراً ما يؤخّر بعض الأمور لمصلحة راجحة؛ فيقول: ((مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يُقَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ)) مع أنه يعرفهم؛ بل ترك من هم شر منهم وهم المنافقون، فقال: ((دعوه فإنه يخرج من ضئضئه؛ -أي: من صلبه أو من أمثاله على الفهمين للسلف- يخرج من ضئضئ هذا قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وعبادتكم إلى عبادتهم يقرئون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون إليه حتى يعود السهم إلى فوقه)) [خ]؛ أي: إلى قوسه والمكان الذي أطلق منه.

وذكر من أوصافهم في أحاديث أخرى: أنهم قوم سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، سيماهم التحليق، وأنهم يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، وأنهم يخرجون في كل زمان كلما ظهر منهم قرن قُطع؛ حتى يظهر في عِراضهم الدجال، وأن في قتلهم أجراً عظيماً؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((فإن لمن قتلهم أجراً)) وقال: عليه الصلاة والسلام: ((خير قتيل من قتلوه)) وهم شر قتيل تحت أديم السماء، وهم شر الخلق والخلقة ويبشر أن من قتلوه فهو على خير؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم: ((قال خير قتيل من قتلوه)) [الترمذي وابن ماجه].

هذه الفرقة الضالة المبتدعة التي بعض الناس يتردد في هذا الزمان في تسميتهم خوارج، على الرغم من قتلهم الأنفس البريئة المعصومة، وجراتهم على عباد الله، وهم يقرؤون القرآن ويتكلمون بالقرآن ويتشدقون بالقرآن؛ ولكنه لا يجاوز حناجرهم وتراقبيهم؛ لأنهم- والعياذ بالله- لا يتحركون إلا وفق أهوائهم، فلا يفهمون القرآن، ولا يؤمنون بالسنة، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة.

وقد خمدوا في عهد أول الخلافة الراشدة، والنبي صلى الله عليه وسلم وصف ذلكم الرجل بأنه هذه أوصافه؛ ولذلك بحث عنه علي -رضي الله عنه- فوجده بين القتلى يوم النهروان. بعد وفاة أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- وبعد أن انكسر باب

الفتنة؛ حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يُكسر بموته باب الفتنة فتفتح الفتنة على مصراعيها، عندها بدأ الخوارج يدبون في جسم الأمة، وثاروا على الخليفة الراشد ذي النورين، مُجهز جيش العسرة، ولَفَّقُوا أقاويل لا حقيقة لها، أو أمورًا هو معذور فيها، وأثاروا ما أثاروا ضد هذا الخليفة الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يضره شيء بعد اليوم، وأنه مبشرٌ بالجنة على فتنة تصيبه - رضي الله عنه وأرضاه، وأخزى الله من أبغضه وقلاه.

سيدنا عثمان بن عفان من السابقين الأولين إلى الإسلام، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحد العشرة المبشرين بالجنة، زوّجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه، فخرجت عليه الخوارج، ومن المألّبين عليه بعد عبد الله بن سبأ اليهودي، عبد الرحمن بن مُلجم الذي قتل بعد ذلك سيدنا عليًا - رضي الله عنه-، وكان قد أرسله سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- إلى مصر ليُقرئ الناس القرآن؛ لكنه لم يتفقه في القرآن ولم يفقه القرآن بل سار يتشدق بهواه، فاستحل الدماء المعصومة، وسار في هذا النفق المظلم، فألبوا على سيدنا عثمان - رضي الله عنه- فقتلوه بعد أن منع - رضي الله عنه- الصحابة أن يدافعوا عنه، وعلى رأسهم سيدنا علي والحسن والحسين - رضي الله عنهم وأرضاهم-، وفاوضهم وحاول أن يبين لهم الحق غير أنهم مُقَدِّمون على باطلهم، وفي يوم الخميس هجموا عليه وأحاطوا به وأخافوا أهل المدينة ومن أخاف أهل المدينة أذابه الله كما يُذاب الملح في الماء ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

واقترحوا عليه بيته وكان في ذلك اليوم صائماً، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ((أفطر عندنا يا عثمان))، ثم تقدم هؤلاء الأوغاد وأحاطوا به، وقتلوه ومثّلوا به وكان أحدهم يركل جمجمته الطاهرة برجله، ويقول: والله ما وجدت يوماً من أيام الله ولا يوماً من أيام الجهاد في سبيل الله أعظم من هذا اليوم!! **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾**.

وبعد أن أقدموا على هذه الفتنة الشنعاء انقلبوا على سيدنا علي - رضي الله عنه، وزعموا أنه تستر على قَتْلَة عثمان، وأخذوا يثيرون ضد سيدنا علي - رضي الله

عنه-؛ حتى انتهى الأمر بقتالهم، وظهرت الفتن وظهرت فرق أخرى؛ لكن الخوارج ظهروا أكثر على سيدنا علي - رضي الله عنه -، وأرسل إليهم ابن عباس - رضي الله عنهما- وفاوضهم؛ فرجع منهم الكثير بعد أن بين لهم الحق بدليله، وبقي الكثير فتجهّز لهم سيدنا علي - رضي الله عنه - فأبادهم وقتلهم يوم النهروان. وإن كان لم يتبع فارّهم ولم يُجهز على جريحهم، وعندها ذهب الخوارج وانتهى أمرهم.

لكن عبد الرحمن ابن مُلجِم اتفق مع اثنين آخرين على أن يقتلوا سيدنا عليًا ومعاوية وعمر بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين-، فأما الذي عزم على قتل سيدنا عمرو فقد تخلف سيدنا عمرو عن الصلاة في ذلك اليوم لمرض أصابه وصلى بدلاً منه رجل يُقال له: خارجة؛ فقتلوه؛ فقيل: (أردتُ عمرًا وأراد الله خارجة). وأما الذي عزم على قتل سيدنا معاوية -رضي الله عنه- فإنه طعنه؛ لكنه لم يصب مقتلاً.

وأما أشقاهم، وهو قاتل سيدنا علي - رضي الله عنه - عبد الرحمن بن ملجم كان قد سمّم حربة لمدة شهر كان لهذه الحربة تسعة رؤوس؛ يقول: أما ثلاثة فله ولرسوله، وأما الستة فلْبغضه لعلي - رضي الله عنه -؛ فقتله، ولما أرادوا أن يقتلوه ويقتصوا منه قال: (لا تقتلوني دفعة واحدة؛ بل قطعوني إرباً إرباً وابدؤوا بأصابعي، وآخر ما تقطعوا لساني حتى أستمِر على الذكر) ذكر على ضلال **{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا}** فكان هو من شر البرية - نسأل الله العافية والسلامة.

قاتل علي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من أسلم من الصبيان، وزوج السيدة فاطمة الزهراء - رضي الله عنهم أجمعين -، فكان هذا هو أشقى القوم في ذلك الوقت.

هذه خلاصة لظهورهم؛ ثم إنهم ما زالوا يظهرن إلى يومنا هذا، وعقيدتهم تكفير المسلمين بالذنوب أو بالمعاصي؛ حتى ولو كان من وجهة نظرهم في أنها ذنوب؛ وإلاّ فقد أثاروا على سيدنا على قضايا ليست ذنوباً فضلاً عن أن تكون كفرًا؛ يعنى

ليست ذنباً أصلاً؛ وإنما هي من المسائل الاجتهادية؛ بل وتقولوا أشياء ووقعوا في أمور يرون أنها سهلة وهم -والعياذ بالله- يفعلون شراً منها.

من ذلك أنهم لما قتلوا عبد الله ابن خباب بن الارت -رضي الله عنهما- وبقروا بطن امرأته قتلوها وقتلوا جنينها، بعد قليل مروا بنخل لنصراني فأرادوا أن يأخذوا منه رطباً بالثمن؛ فقال: أنا أهدي إليكم؛ فقالوا: لا، نحن لا نقبل الهدية، ولا نأخذه إلا بثمنه؛ قال: "عجباً لكم أيها القوم، قبل قليل فعلتم ما فعلتم بهذا الرجل وزوجته وجنينه، والآن لا تأخذون هذا التمر إلا بثمن؟! إن أمركم لعجيب".

ثم هم بعد ذلك يتساءلون عن حكم قتل البعوض أهو حلال أم حرام؟ قتل سيدنا علي حلال! وسيدنا معاوية وسيدنا عمر - رضي الله عنهم أجمعين-! وقتل البعوض اختلفوا فيه! يتناقشون أهو حلال أم حرام! وهكذا كل من لجأ إلى غير الكتاب والسنة يقع في هذه التناقضات { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [٨] { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [٩].

عقيدتهم التكفير بالمعصية، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وكفروا جملة من الصحابة ومنهم سيدنا علي وسيدنا عمر وسيدنا معاوية، وكل من ينتمي إلى بني أمية، كل أولاء عندهم كفر، وكل من خالفهم في عدم تكفير صاحب الكبيرة يعتبرونه كافراً حلال الدم والمال....

استباحوا دماء المسلمين وأموالهم، استباحوا الدماء المعصومة والله -عز وجل- يقول: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [١٠] ويقول الله -عز وجل-: {مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [١١].

وما أشبه الليلة بالبارحة! سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال، وفعلاً ظهرُوا في عهد جميع الدول الإسلامية المتعاقبة، وقد ظهرُوا في هذا الزمان منذ أن قرر لهم بعض زعماء الأحزاب هذا الفكر وهو

تكفير المسلمين، فأفتوهم بأن الناس كلهم قد ارتدوا عن الإسلام، وأنه لم يبقَ على الإسلام إلا هؤلاء الخوارج، وأخذوا يفتون الشباب، وأنه ليس بينهم وبين الجنة إلا أن يقتلوا فلاناً وعلاناً من أهل السنة! وأن يقتلوا رجال الأمن في بلاد أهل السنة! وأن يقتلوا كل من خالفهم!.

أفتاهم صاحب الظلال وغير صاحب الظلال، أفتاهم زعماء يقبعون في الدهاليز وفي الكهوف، يفتونهم وهم كالنعام الذي يدس رأسه في التراب؛ حتى أفسدوا شريحة من شباب الأمة، وكتاب الظلال وغيره مليء بالضلال والبدع والخرافات وتكفير المسلمين، وبعضهم يزعم أنه ما بقي على الإسلام إلا هو وحده! أحدهم وقف في بلد ما من إحدى البلاد العربية وهو يقول: أشهدكم أنه لم يبقَ على الإسلام إلا أنا وزوجتي ورجل يذكر في الهند!!

وهكذا يصنفون المسلمين ويكفرونهم كما يحلو لهم، ومعلوم أن من قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهم. في الحديث الآخر أنه من قال لأخيه يا كافر حارت عليه؛ أي رجعت عليه؛ يقول بعض السلف: لأن أخطئ في عدم تكفير كافر أحب إلي من أن أخطئ في تكفير مسلم، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لزوال الدنيا وما عليها أهون على الله من إراقة دم امرئ مسلم)) [رواه الترمذي والنسائي].

إن ما يفعله هؤلاء الأوغاد من خوارج هذا العصر الذين ضموا إلى خارجيتهم المارقة تقيّة الرافضة، فأصبحوا منافقين؛ يعني جمعوا بين سوأتيْن! بين النفاق وبين مذهب الخوارج؛ لذلك هم أعظم وأخطر من الخوارج القدامى، فمن يتردد من الأئمة والخطباء في تسميتهم خوارج؛ فهو جاهل بمذهب السلف، لا يعرف منهج السلف واقرأ يا عبد الله! الشريعة للأجري، واقرأ السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد، واقرأ السنة لابن أبي عاصم، واقرأ السنة للخلال، واقرأ شرح السنة للبغوي، واقرأ شرح السنة للربهماري، واقرأ الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان لأبي عبيد القاسم ابن سلام، والإيمان لابن أبي شيبة، واقرأ واقرأ ما تشاء، واقرأ الإبانة لابن بطة، واقرأ الواسطية لابن تيمية، تجد خطورة مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم من أخطر الناس على الأمة، هم أخطر من اليهود والنصارى، ليش؟ انتبهوا أنا ما قلت أكفر، أنا قلت: أخطر من اليهود والنصارى،

لماذا؟ لأن كل مسلم يعرف أن اليهودي والنصراني أعداء، والشيعي وغيرهم أن الكفار أعداء؛ لكن هؤلاء يتسترون بالإسلام، ويقرئون القرآن، وهو لا يُجاوز حناجرهم، فاحذروا منهم، يجدون مفتين من الداخل والخارج، البعض مُفتون من وراء الكواليس، من وراء الكهوف، من تحت الكهوف، وهم مندسّون كالنعام وتجدهم يحرضون ضد حتى من يطبق شرع الله كما هو الحال في هذه البلاد نعم، نحن لا ندّعي الكمال عندنا قصور؛ لكن مهما كان أروني وأعطوني دولة تنفذ حدود الله وترفع شعار العقيدة، وتُدرس عقيدة التوحيد منذ الصفوف الأولى إلى آخر المراحل الجامعية، وكل الدول الإسلامية على خير؛ لكن ينقصها الكثير من هذا الأمر، فمن يُكفّرون هؤلاء الناس ويكفرون جميع المسلمين ويركز بعضهم على الحكام خاصة، هؤلاء مجرمون خدموا أعداء الإسلام، والله ما خدموا إلا اليهود والنصارى، والله ما خدم الظواهري ومن معه إلا إسرائيل وقروا لها الجوى:

خلا لك الجوى فبيضي واصفري ونفري ما شئت أن تنفري

فتنوا المسلمين ببعضهم، شغلوهم بأنفسهم، استحلوا دماء المسلمين في أقدس بقاع الأرض؛ في مكة والمدينة بفتاوى من هؤلاء الأوغاد تلاميذ إبليس.

فانتبهوا! انتبهوا لهذا المذهب الخطير، واعرفوا منهج السلف، واعرفوا خطورة التكفير؛ فإنه من أخطر الأمور في هذا الزمان.

الآن علّموا شباب، أعمارهم لا تتجاوز سبعة عشر وثمانية عشر، علّموهم أنهم لا يعرفون من الدين إلا فلان كافر وفلان كافر وفلان كافر هذا هو دينهم؛ حتى العلماء الأجلاء لم يسلّموا من شرهم، والأحكام عليهم من قبل هؤلاء الأوغاد، وأخشى أن يكون بعضهم دسيّسة يهودية أو ماسونية والبعض مغرّر به ينفذ خطط أعداء الإسلام وهو لا يشعر -والعياذ بالله-، لست بالخبّ ولا الخبّ يخدعني.

انتبه لهذا يا عبد الله! واحذر هؤلاء الأئمة المضلين فقد حدّر منهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ((إنما أخشى على أمتي الأئمة المضلين)) [رواه أبو داود والترمذي] وقال: ((إن الله لا ينتزع العلم انتزاعاً وإنما يقبضه

بقبض العلماء حتى إذا لم يبقَ عالم، اتخذ الناس رؤوسًا جهَّالًا فسُئِلوا فأفتوا بغير علم فضلًا وأضلُّوا)).

انتبهوا واعرفوا عن تأخذوا دينكم، اسألوا العلماء الربانيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، أصحاب المذاهب الأربعة والذين يفتون في وضوح النهار ليس عندهم فتاوى مخبأة في الكهوف! ليس عندهم فتاوى مخبأة في زبالات الإنترنت! ليس عندهم فتاوى يخفونها عن الناس! خذوا عنهم وابتعدوا عن أدعياء العلم الذين هم أجهل من حُمُرِ أهلهم.

وانتبه -يا عبد الله!- أن تقع في هذا الفكر الخطير جدًا الذي يدخلك في نفق مظلم لا تستطع الخلاص منه، هم الآن ضمُّوا إلى خارجيتهم: التقية، فأصبحوا يحلقون لحاهم ويلبسون الثياب الضيقة؛ بل ويلبسون ملابس النساء ويتسترون ويلبسون ملابس الخفافس؛ لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة؛ كما صرَّح أحد زعمائهم، الموجودون عندنا، قال في شريط له إنه يضطر إلى تطبيق نظرية ميكافيلي وهي: إن الغاية تبرر الوسيلة، اقتل من شئت من أجل أن تصل إلى هدفك.

فانتبهوا واسألوا العلماء وانظروا إلى بيانات المشايخ في الرد على تفجير هؤلاء سواء في المملكة أو في مصر أو في الجزائر أو في لبنان أو في الأردن أو في أي مكان مما يفعل أولئك المجرمون كلاب النار، من الذي سماهم كلاب النار؟ رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء عبد الله بن أبي أوفى الصحابي الجليل المعروف، جاء -رضي الله عنه- وقد نُصبت بعض رؤوس الخوارج على سور جامع دمشق، وهي سبعون رأسًا من رؤوس الخوارج المارقين، فوقف أمام تلك الرؤوس وبكى كثيرًا، بكى بكى كثيرًا، ثم في النهاية نظر إليهم وقال: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار؛ فسأله أحد التابعين بقوله: يا صاحب رسول الله! عندما رأيتهم بكيت وفعلت ما فعلت ثم ختمت بهذه المقولة، الله! أسمعك ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال لو سمعتها مرة أو مرتين أو ثلاثًا أو سبعا وفي رواية عشرين لما حدَّثت بها. ثم ذكر أوصافهم التي ذكرت لكم بعضها في ضوء الأحاديث النبوية.

انتبهوا يا إخواني! إلى من يسرح بأبنائكم في الفلوات والخلوات والاستراحات الخالية، لا تتركوهم فريسة لهؤلاء، لهم ولأهل الشهوات، راقبوا حركاتهم وسكناتهم، تنبّهوا إلى ما يجري من هؤلاء واحفظوا أولادكم، ربّوهم على طاعة الله، ربّوهم على منهج السلف، ربّوهم على ما يحفظهم الله به من العلم والتعلم والفقّه في دين الله، اقرؤوا فتاوى الأئمة المجموعة في كتاب اسمه: (فتاوى الأئمة في النوازل المدلّمة)، اقرؤوا كتب الفرق عقيدة أهل السنة والجماعة لا تكفر أحداً من أهل القبلة.

حب النبي من الإيمان

إن محبة الرسول من أوثق عرى الإيمان، ومن أعظم درجات الدين، وهي دالة على صدق إيمان الإنسان.. ولما كانت هذه المحبة أهم الحقوق الواجبة للنبي صلى الله عليه وسلم على أمته، جعلها الله فوق محبة الإنسان لنفسه وأهله وماله والناس أجمعين، كما قال الله تعالى: **{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}** [التوبة: ٢٤].

فهذه الآية دليل واضح على وجوب تقديم حب النبي وحقه على كل حب وحق .. وليت شعري أين نحن من هذه الآية!!

قال القاضي عياض: "كفى بهذه الآية حُضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على لزوم محبته، ووجوب فرضها، واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، إذ قرع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله تعالى: **{فتربصوا حتى يأتي الله بأمره}** ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله" [الشفاء ٥٦٣/٢].

إن هذه الآية لم تجعل الواجب على الناس حب النبي صلى الله عليه وسلم فقط! بل ذهبت إلى ما هو أعلى من ذلك ألا وهو أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من الأموال والأولاد والإخوان والأزواج!!

ويتطلب ذلك أن يقتدي الإنسان بالرسول في جميع شؤون حياته، وهو متابعتة وعدم مخالفة سنته.. كما قال تعالى: **{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [آل عمران: ٣١].

ومما يدل على أن محبة الرسول من الإيمان قوله صلى الله عليه وسلم: **((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..)). (ق)**

ومما يدل على وجوب حب النبي صلى الله عليه وسلم وأن ذلك من الإيمان ما جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي: **((لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك))** فقال عمر: فإنه الآن -والله- لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **((الآن يا عمر)).**

ولا يحصل الإيمان الذي تبرأ به الذمة ويستحق الإنسان دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون الرسول أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين، بل حتى يكون أحب إليه من نفسه؛ كما جاء في حديث أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)).**

ومعنى ذلك أن يقدم حق الرسول صلى الله عليه وسلم الواجب عليه القيام به على حقوق من ذكر.. فإذا تعارضت طاعة الوالد مع طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم الواجبة فهنا المحك، وهنا يظهر الامتحان ليعلم الله الصادق في الدعوى من الكاذب، فإذا قدم الإنسان طاعة الوالدين على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم دل على ضعف الإيمان أو عدمه، وكذا تعرف الحقائق إذا تعارضت شهوة النفس والكسل عن الطاعة مع ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن قامت النفس بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي تحبه حقاً، وإن اتبعت هواها وتركت الطاعة أو الواجب فدعوى حب الرسول كاذبة، ولهذا يقول الله تعالى: **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}** [النازعات: ٤٠-٤١].

والحقيقة أن المقام صعب إلا لمن يسره الله عليه.. ولهذا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم طاعته وحبّه من أوثق عرى الإيمان وقال -كما تقدم: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان...))، وتقديم طاعة الرسول على طاعة غيره وحبّه أكثر من حب غيره يتمثل في اتباع سنته وتطبيقها، ولهذا قال الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: "جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ((وما أعددت للساعة؟)) قال: حب الله ورسوله، قال: ((فإنك مع من أحببت)) قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((فإنك مع من أحببت))، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم".

وأنس رضي الله عنه يدري ما يقول ويعي ما يتكلم به.. فليست القضية حب باللسان، ودعوى فارغة، ولكن القضية حب وانقياد وطاعة وحفاظ على سنته.. وقد نفذ الصحابة ذلك الأمر.. يقول سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه: (وما كان أحد أحب إلي من رسول الله، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطق؛ لأنني لم أكن أملأ عيني منه).

وقد سئل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف كان حبكم لرسول الله؟ قال: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ).

وكلام الصحابة الكرام في هذا كثير.. وكان ذلك الحب منهم عملاً ثابتاً على أرض الواقع ..

اليوم.. من يدعي أنه يحب الله ورسوله وتراه مضيئاً للواجبات منتهكاً للمحرمات.. يدعي المحبة وهو قاطع للصلاة.. يدعي حب الرسول صلى

الله عليه وسلم وهو يعصيه في ترك الصلاة أو التهاون بها، ولا يدفع
زكاة ماله، ويترك سنته، أو يسيء الأخلاق، وهذا من التناقض العجيب
الذي يجب أن يبتعد عنه المسلم.

نسأل الله أن يجعل رسوله أحب إلينا من كل شيء، وأن يوفقنا لطاعته..
والحمد لله رب العالمين،،،

حقوق الوالدين

لقد أولى الإسلام العظيم موضوع برّ الوالدين اهتماماً كبيراً واعتنى به عنايةً خاصة، فقد جعل الإسلام برّ الوالدين أعظم البر وأفضل الأعمال بعد الصلاة المكتوبة، كما أخبر بذلك الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- كذلك أبرز الإسلام ما للأُم من دورٍ مهمّ، بل وبالغ الأهميّة في تربية الأبناء وتنشئتهم وتعليمهم وتثقيفهم،

فالأم إما أن تكون أداة بناءٍ في هذا المجتمع من خلال التربية الصالحة للأبناء، أو أن تكون معول هدم وإفساد إن لم تقم تربيتها لأولادها على أسس متينة وتربية قويمة، أو إن أهملت تربية الأبناء وضيّعت مسؤولياتها،

وقد أثنى الإسلام على دور الأم العظيم في الأسرة ودعا الأبناء لبرّها واحترامها وطاعتها حبّاً ورحمة، بل وقَدّمها في حقّ البر على الأب الذي لم يغفل دوره ومكانته في الأسرة.

تعريف برّ الوالدين

يُطلق لفظ البر في اللغة على أكثر من معنى ومن هذه المعاني: الخير والفضل والصدق والطاعة والصلاح.

وفي الاصطلاح: يُطلق البر في الأغلب على الإحسان بالقول اللين اللطيف الدال على الرفق والمحبة، وتجنّب غليظ القول الموجب للنفرة، واقتران ذلك بالشفقة والعطف والتودّد والإحسان بالمال وغيره من الأفعال الصالحات.

برّ الوالدين في الإسلام:

نهى الإسلام عن عقوق الوالدين وشدّد في ذلك غاية التشديد، كما ورد في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)،

ففي هذه الآية الكريمة أمر الله سبحانه وتعالى عباده بعبادته وحده وتوحيده وتقديسه عن كل النقائق، وعدم الإشراك بعبادته سواه من البشر، ثم قرّن عبادته وتمايم طاعته ببر الوالدين، وجعل بر الوالدين مقروناً بذلك، مما يدل على عظم بر الوالدين لمن أراد أن يبلغ ذروة طاعة الله، والوصول إلى أعلى درجات رضاه. وقد قرن الله عزّ وجلّ أيضاً شكرهما بشكره سبحانه عزّ شأنه، ويظهر ذلك في قوله تعالى: { أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ }،

فالشكر لله يكون بشكره على نعمة الإيمان التي أنعم بها على عبده بأن هداه للإسلام، ويسّر له السبل والوسائل لذلك، ويكون الشكر للوالدين على نعمة التربية ودورهما في ذلك من عناية، وتنشئة، واهتمام، ورعاية، وإنفاق، وغير ذلك،

ومما جاء في الصحيح عن سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ما رواه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه- حيث قال: (سألتُ النبيّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاةُ على وقتها قال: ثم أيُّ؟ قال: ثم برُّ الوالدين قال: ثم أيُّ؟ قال: الجهادُ في سبيلِ الله قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزادني)،

وفي ذلك إشارة واضحة ظاهرة بنص الحديث الصحيح إلى أن برّ الوالدين هو من أحب الأعمال وأقدسها وأقربها إلى الله سبحانه وتعالى ورسوله المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حتى من الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، وقد ذكر الرسول -صلى الله عليه وسلم- برّ الوالدين بعد الصلاة على وقتها من حيث الأفضلية التي لا يقدمها شيء في الفضل والأجر من أعمال المسلم وعباداته، وفي هذا إشارة إلى عظمة مكانة الوالدين في الإسلام وعلو شأنهما، ودورهما الكبير في حياة الأبناء والبنات، وما ينبني عليهما من تنشئة المجتمعات، من خلال الرعاية والتوجيه والإرشاد.

كيفية برّ الوالدين

بر الوالدين يكون باتّباع عددٍ من الأمور والأعمال اليومية أو الدورية، والتي حتّ عليها الإسلام، ودعا لها، وأرشد إليها في الكثير من النصوص الصريحة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ومن هذه الأعمال ما يلي:

بر الوالدين يكون بطاعة الوالدين فيما يأمران به مهما كان، بشرط ألا يكون ذلك الأمر محظوراً منعت فعله الشريعة الإسلامية بأن يكون منهيّاً عنه صراحةً أو ضمناً في القرآن أو السنة أو الفقه الإسلامي،

كما يجب تقديم أمر الوالدين الذي يطلبان من الأبناء فعله على فعل النافلة من العبادات، ويجب اجتناب كل ما نهى عنه من أمور ما لم يكن الأمر المنهي عنه في تركه معصية ظاهرة لله عزّ وجلّ؛ كأن ينهيه عن صلاة الفريضة، أو عن صيام الفرض، أو مثل ذلك من الفرائض التي أمر الله سبحانه بها.

الإنفاق عليهما مالياً وتلبية احتياجاتهما وسد عوزهما، ولو لم يكونا فقيرين، فالأبوان يفرحان بإنفاق أبنائهما عليهما، إذ يشعران بأن جهدهما لم يضع سُدى.

خدمتهما ومساعدتهما على تأدية احتياجاتهما بكل السبل والوسائل المتوفرة والمتاحة لذلك، ما أمكن وتقديم المسلم راحتهما على راحة الأبناء أو حتى راحته نفسه وذلك من أعظم البر.

استعمال الأدب في الحديث معهما والهيبة عند الوقوف بين يديهما، فلا يرفع الابن صوته بحضور والديه، ولا يحدق النظر إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، بل من الأدب أن يمشي وراءهما، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما، ويخاطبهما بأحب الأسماء إليهما.

أما في حال موتهما فإن من برهما أن يدعو الابن لوالديه ويستغفر لهما، ويصل رحمهما كأخوات الوالدين وأخوالهم وأعمامهم وخالاتهم، ويتصدق عنهما ما أمكنه ذلك سواء كانت الصدقة صغيرة أم كبيرة، وأفضلها الصدقات الجارية؛ كتهئية الماء للمارّة، وحفر الآبار، وأن يلتزم الاستقامة على طريق الهداية، ووصل صديقهما، ومن يحبان من أهلهما.

فضائل أهل بيت النبوة

أهل السنة والجماعة يعرفون حق آل بيت النبوة رضي الله عنهم، ولا ينكرون فضلهم وشرفهم، ويتقربون إلى الله بمحبتهم؛ فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: ٣٣]، وقال سبحانه: { رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ } [هود: ٧٣].

وقد روى أئمة السنة في كتب الحديث أحاديث كثيرة في فضائل أهل البيت بالأسانيد المتصلة برواية الثقات الأثبات، وعامة الشيعة يجهلون هذا، ويظنون أن كتب السنة خالية من ذكر فضائل آل البيت، وربما رمّوهم بأنهم ناصبة وأعداء لآل البيت، ولو رجعوا إلى أمهات كتب الحديث لعلموا أنهم أساءوا الظن بأهل السنة، ولتيقنوا أن أهل السنة يحبون آل بيت النبوة، بدليل روايتهم فضائلهم ونشرها، وتدئينهم بمحبتهم وتشريفهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وهذه عشرة أحاديث صحيحة في فضائل أهل البيت، انتقيتها من كتب الحديث المشهورة، مع تخريجها باختصار:

١- عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء، يخطب، فسمعتة يقول: ((يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي))؛ رواه الترمذي (٣٧٨٦) في سننه في باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم،

قال العلماء في شرح هذا الحديث:

معنى الأخذ بالكتاب: العمل بما فيه، وهو الائتمار بأوامر الله، والانتهاز عن نواهيه.

ومعنى الأخذ بالعترية: التمسك بمحبتهم، ومحافظة حرمتهم، والعمل بروايتهم، والاعتماد على مقالاتهم، وهو لا ينافي أخذ السنة من غيرهم، والاهتداء بهديهم

وسيرتهم إذا لم يكن مخالفاً للدين؛ فإنه لا عصمة لأحد غير الأنبياء، وكلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً، بماء يدعى خُماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: ((أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به))، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: ((وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)). رواه مسلم في صحيحه (٢٤٠٨).

وهذا الحديث يدل بوضوح على أن المراد بالأخذ بالعترة هو محبتهم ومعرفته حقهم، وترك ظلمهم؛ حيث أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته بالاستمسك بكتاب الله، ثم ذكّرهم بحق أهل بيته، وكرر ذلك ثلاث مرات زيادة للتأكيد.

٣- عن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: جمع علي رضي الله عنه الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدیر خُماً ما سمع، لما قام، فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذه بيده، فقال للناس: ((أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟))، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: ((من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه))؛ رواه الإمام أحمد في مسنده (١٩٣٠٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٤٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٩٣١)، وهو حديث صحيح ورد عن عشرة من الصحابة،

قال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله في كتابه تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة ص ٥٥: "هذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعناه: من كان النبي صلى الله عليه وسلم مولاه، فعليّ والمؤمنون مواليه، دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [التوبة: ٧١]، وقال: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } [الأنفال: ٧٣]، والولي والمولى في كلام

العرب واحد، والدليل عليه قوله تبارك وتعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ } [محمد: ١١]؛ أي: لا ولي لهم، وقال: { فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ } [التحريم: ٤]، وقال الله: { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } [البقرة: ٢٥٧]، وقال: { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } [المائدة: ٥٦].

وقال البيهقي في كتابه الاعتقاد ص ٣٥٤: "وأما حديث الموالاته، فليس فيه نص على ولاية علي بعده، فمقصود النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك هو أنه لما بعثه إلى اليمن وكثرت الشكاة منه وأظهروا بُغضه - أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه، ويحثهم بذلك على محبته وموالاته، وترك معاداته، فقال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه))، والمراد به ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً، لا يعادي بعضهم بعضاً؛ انتهى مختصراً.

٤- عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ: ((أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق))؛ رواه مسلم في أوائل صحيحه في كتاب الإيمان رقم (٧٨)، ورواه الترمذي (٣٧٣٦)، والنسائي (٥٠١٨)، وابن ماجه في أوائل سننه (١١٤)، ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (٦٤٢)، ورواه أحمد أيضاً في كتابه فضائل الصحابة في موضعين (٩٤٨) (٩٦١)، ورواه ابن حبان في صحيحه (٦٩٢٤) في باب ذكر الخبر الدال على أن محبة المرء علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الإيمان، ورواه البزار (٥٦٠)، وأبو يعلى (٢٩١)، وغيرهم.

قال العلماء: لا يُبغض علياً لدينه إلا منافق، وكذلك لا يُبغض الأنصار لدينهم إلا منافق؛ ففي صحيح مسلم (٧٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((آية المنافق بغير الأنصار، وآية المؤمن حب الأنصار)).

قال النووي - رحمه الله - في شرح صحيح مسلم (٢ / ٦٤): "ومعنى هذه الأحاديث: أن من عرف مرتبة الأنصار وما كان منهم في نصرة دين الإسلام، والسعي في إظهاره، وإيواء المسلمين، وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي صلى الله عليه وسلم، وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إثارة للإسلام، وعرف من سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قربه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحب النبي صلى الله عليه وسلم له، وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثم أحب الأنصار وعلياً لهذا - كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه؛ لسروره بظهور الإسلام، والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أبغضهم كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته"،

أما ما يحصل من بغي بعض المسلمين على بعض، وكراهة بعضهم بعضاً لأجل دنيا، أو لتأويل قد يعذر صاحبه وقد لا يعذر - فليس هذا نفاقاً، بل هذا بغي وظلم قد يحصل من بعض المسلمين؛ فقد أخبر الله عن المؤمنين أنه يدخلهم الجنة، وينزع ما كان في صدورهم من غلٍّ وأحقاد وضغائن، فقال سبحانه: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

٥- عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: ((لا يُبغضُك مؤمن، ولا يحبك منافق))؛ رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٥٠٧)، ورواه أيضاً في فضائل الصحابة (١٠٥٩)، ورواه الترمذي (٣٧١٧) في باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبو يعلى في مسنده (٦٩٠٤)

٦- عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده، لا يُبغضنا - أهل البيت - رجل إلا أدخله الله النار))؛ رواه ابن حبان في صحيحه (٦٩٧٨) في باب ذكر إيجاب الخلود في النار لمبغض أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم،

٧- عن أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، عن فاطمة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: **((يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة))**؛ رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠)، وأحمد بن حنبل (٢٦٤١٣)، وابن ماجه (١٦٢١)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٣١٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠٣٢)، والحاكم في المستدرک (٤٧٤٠)، وغيرهم.

٨- عن ابن شهاب الزهري، عن عروة قال: قالت عائشة لفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أبشرك؟! إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **((سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخديجة بنت خويلد، وآسية))**؛ رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٤٨٥٣)، وصححه الذهبي على شرط البخاري ومسلم، في صحيح الجامع الصغير (٣٦٧٨).

٩- عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))**؛ رواه أحمد في مسنده (١٠٩٩٩)، والترمذي في سننه (٣٧٦٨) في باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، والحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وصححه الترمذي،

"ورد من حديث أبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، والبراء بن عازب، وأبي هريرة، وجابر بن عبدالله، وقرة بن إياس"، "فالحديث صحيح بلا ريب، بل هو متواتر، كما نقله المناوي".

١٠- عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة، وهذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله، إنك تحبهما، فقال: **((من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني))**؛ رواه أحمد في مسنده

(٩٦٧٣)، والحاكم في المستدرک (٤٧٧٧) في باب مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي،

وقد ذكر الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الأجرّي - رحمه الله - في كتابه الشريعة أبوابًا كثيرة في فضائل أهل البيت، وروى كثيرًا من الأحاديث في فضائلهم، ثم قال (٢٢٠٠ / ٥): كتاب جامع فضائل أهل البيت رضي الله عنهم، قال محمد بن الحسين رحمه الله: قد ذكرت من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن والحسين رضي الله عنهم ما حضرني ذكره، وفضلهم كثير عظيم، وأنا أذكر فضل أهل البيت جملة، الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه في غير موضع، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يباهل بهم، فقال جل ذكره: { فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ } [آل عمران: ٦١]، وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم،

وممن قال الله عز وجل: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: ٣٣]، وهم الذين غشاهم النبي صلى الله عليه وسلم بمرط له مرحل، وقال لهم: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا } [الأحزاب: ٣٣]، وهم: علي، وفاطمة، والحسن والحسين رضي الله عنهم،

ومما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كل سبب ونسب وصهر منقطع يوم القيامة، إلا سببي ونسبي وصهري))،

فهم سيدنا علي، وسيدتنا فاطمة، وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، وسيدنا جعفر الطيار، وجميع أولاد سيدنا علي، وجميع أولاد السيدة فاطمة، وجميع أولاد الحسن والحسين، وأولاد أولادهم، وذريتهم الطيبة المباركة، وأولاد سيدتنا خديجة أبدأ، رضوان الله عليهم أجمعين؛ انتهى مختصرًا.

وكتاب الشريعة للأجري المتوفى سنة ٣٦٠ هـ من أشهر كتب العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

أهل العلم بالحديث كانوا يحرصون على جمع فضائل سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن ينظر في صحيح البخاري يعجب من كثرة تبويبات الإمام البخاري - رحمه الله - في فضائل آل البيت؛ فقد ذكر في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، روى فيه سبعة أحاديث من رقم (٣٧٠١ - ٣٧٠٧)،

وذكر باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه، روى فيه حديثين (٣٧٠٨ و ٣٧٠٩)،

وذكر باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم،

وذكر البخاري في هذا الباب قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي)،

وروى عن ابن عمر، عن أبي بكر رضي الله عنهم قال: (ارقبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته)،

وذكر البخاري باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما، روى فيه ثمانية أحاديث (٣٧٤٦ - ٣٧٥٣)، ثم قال البخاري رحمه الله: باب مناقب فاطمة عليها السلام، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فاطمة سيدة نساء أهل الجنة))،

حدثنا أبو الوليد، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني)).

وفي صحيح مسلم ذكر الإمام مسلم - رحمه الله - في كتاب فضائل الصحابة: ١ - ستة أحاديث في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٢٤٠٤ - ٢٤٠٩)،

٢- وروى ثلاثة أحاديث في فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما (٢٤٢١ - ٢٤٢٣)،

٣- وروى حديثين في فضائل فاطمة رضي الله عنها (٢٤٤٩ - ٢٤٥٠).

ورواية أئمة أهل السنة لهذه الأحاديث الصحيحة في كتب الحديث تثبت - بوضوح - محبة أهل السنة لآل بيت النبوة عليهم السلام، وتبرئهم مما يفتريه عليهم المفترون، ويتبين لكل عاقل منصف أن أهل السنة هم الذين عملوا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم بالأخذ بالعترة، والتذكير بأهل بيته، فعرفوا قدرهم وشرفهم، وأحبوهم ونشروا فضائلهم، فلم يجفوا عنهم، ولم يغلو فيهم برفعهم فوق منزلتهم، ولم يدعوا لهم ما لم يدعوه هم لأنفسهم من العصمة أو صرف العبادة لهم؛ كالدعاء الذي هو مخ العبادة، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: **((ياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين))**؛ رواه أحمد (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) من حديث ابن عباس،

مكانة الشيخ في الطرق الصوفية

إن السادة الصوفية هم أحرص الناس على حياة تعبدية خالصة، تقوم أسسها على السمع والطاعة، والإذعان لنصيحة ناصح، أو توجيه مرشد، فنشأت بينهم تلك المدارس الروحية التي قامت على أعظم أساليب التربية والتقويم، وأقوى صلات الروح بين الشيخ والمريد.

ولذا يوصي العارفون بالله تعالى كل من أراد سلوك طريق الحق الموصل إلى معرفة الله تعالى ورضاه: بالصُّحبة، وروحها الاعتقاد والتصديق بهؤلاء المرشدين الدالين على الله تعالى، الموصلين إلى حضرته القدوسية.

من هو الشيخ ؟

سُئِلَ سيّدنا ومولانا الشَّيْخ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الشَّاعُورِي قَدَّسَ اللهُ سرّه ونفعنا به في الدَّارين من هُوَ الشَّيْخ ، فقال :

الشَّيْخُ من شهدت له ذاتك بالتَّقديم وسرُّك بالتَّعظيم ،

الشَّيْخُ من هَدَّيك بأخلاقه وأدَبِك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه .

الشَّيْخُ من نهض بك حاله ، وأخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى ، نهض بك إلى الله فنهضت إليه ، وسار بك حتى وصلت إليه ، ولا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه ، فزَجَّ بك في نور الحضرة وقال : ها أنت وربُّك ، هناك محلُّ الولاية من الله ومواطنُ الإمداد من الله وبساطُ التَّلَقِّي عن الله .

قال سيدي الإمام أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره ونفعنا بذكره :

"كلُّ شَيْخٍ لم تصل إِلَيْكَ الفوائدُ منه من وراء حجاب فليس بشيخ "

وقال مولانا العارف بالله ابن عجيبة في تعليقه:

" قلتُ : ولعله يشير إلى أن الشيخ الكامل يُمدُّ تلميذه ولو كان بعيداً عنه في الحس " انتهى

لذا إن لم يكن التلميذ أرضاً خصبة تتشرب الخيرات والنفائس بشغف وحب لن يستفيد، ولا يشترط القرب الجسدي في هذا قط، بل على العكس قد يستفيد من البعد أكثر من القرب شرط اللقاء الجسدي ولو مرة واحدة، إلا أن القرب والملازمة أتم وأفضل وأعلى..

وكم ممن سحب المشايخ دهرأ وحاله لم يتغير، وكم ممن حظي بنظرة عناية بلقاء واحد كان من خاصة الخاصة.

* الإمام أبو حامد الغزالي:

قال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى:

(الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام). ["شرح الحكم" لابن عجيبة ج ١/ص ٧].

وقال رحمه الله تعالى :

(كنت في مبدأ أمري منكراً لأحوال الصالحين، ومقامات العارفين، حتى صحبت شيخي (يوسف النساج) فلم يزل يصقلني بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات، فرأيت الله تعالى في المنام، فقال لي: يا أبا حامد، دع شواغلِكَ، واصحب أقواماً جعلتهم في أرضي محل نظري، وهم الذين باعوا الدارين بحبي، قلت: بعزتك إلا أذقتني بَرْدِ حُسْنِ الظن بهم، قال: قد فعلتُ، والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا، فأخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغراً، فقد أفضتُ عليك أنواراً من جوار قدسي.

فاستيقظتُ فرحاً مسروراً وجئتُ إلى شيخي (يوسف النساج) فقصصت عليه المنام، فتبسم وقال: يا أبا حامد هذه ألواحنا في البداية، بل إن صحبتني ستكحل بصيرتك بإثمد التأييد... الخ).

["شخصيات صوفية" لطفه عبد الباقي سرور ص ١٥٤ . توفي سنة ١٣٨٢ هـ بمصر].

وقال رحمه الله تعالى أيضاً:

(مما يجب في حق سالك طريق الحق أن يكون له مرشدٌ ومربٌّ ليدله على الطريق، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمودة، ومعنى التربية أن يكون المربي كالزارع الذي يربي الزرع، فكلما رأى حجراً أو نباتاً مضرّاً بالزرع قلعه وطرحه خارجاً، ويسقي الزرع مراراً إلى أن ينمو ويتربى، ليكون أحسن من غيره ؛ وإذا علمت أن الزرع محتاج للمربي، علمت أنه لا بد للسالك من مرشد البتة، لأن الله تعالى أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام للخلق ليكونوا دليلاً لهم، ويرشدوهم إلى الطريق المستقيم ؛ وقبل انتقال المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى الدار الآخرة قد جعل الخلفاء الراشدين نواباً عنه ليدلوا الخلق إلى طريق الله تعالى ؛ وهكذا إلى يوم القيامة، فالسالك لا يستغني عن المرشد البتة).

["خلاصة التصانيف في التصوف" لحجة الإسلام الغزالي ص ١٨ . توفي سنة ٥٠٥ هـ في طوس].

ومنه قوله رحمه الله تعالى : (يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة فمن لم يكن له شيخ يهديه، قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة. فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر، فمعتصم المريد شيخه، فليتمسك به) .

["الإحياء" ج ٣/ص ٦٥].

ويقول الإمام الغزالي أيضا:

(إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً بَصَّرَهُ بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تَخَفَ عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج. ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه، فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق (منها) :

أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات، ويحكمه في نفسه، ويتبع إشاراته في مجاهداته، وهذا شأن المريد مع شيخه، والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه، ويعرفه طريق علاجها... الخ) ["الإحياء" ج ٣/ص ٥٥].

* الأمير عبد القادر الجزائري:

قال الأمير العارف بالله عبد القادر الجزائري في كتابه "المواقف": (الموقف المئة والواحد والخمسون:

قال الله تعالى حاكياً قول موسى للخضر عليهما السلام: { هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رَشِداً } [الكهف: ٦٦]:

اعلم أن المريد لا ينتفع بعلوم الشيخ وأحواله إلا إذا انقاد له الانقياد التام، ووقف عند أمره ونهيه، مع اعتقاده الأفضلية والأكمالية، ولا يغني أحدهما عن الآخر، كحال بعض الناس يعتقد في الشيخ غاية الكمال ويظن أن ذلك يكفيه في نيل غرضه، وحصول مطلبه، وهو غير ممثّل ولا فاعل لما يأمره الشيخ به، أو ينهاه عنه. فهذا موسى عليه السلام، مع جلالة قدره وفخامة أمره، طلب لقاء الخضر عليه السلام وسأل السبيل إلى لُفْيهِ، وتجشم مشاق ومتاعب في سفره، كما قال: { لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً } [الكهف: ٦٢]

ومع هذا كله لمّا لم يمتثل نهياً واحداً، وهو قوله: { فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً } [الكهف: ٧٠] ما انتفع بعلوم الخضر عليه السلام، مع يقين موسى عليه السلام الجازم أن الخضر أعلمُ منه بشهادة الله تعالى، لقوله تعالى

عندما قال موسى عليه السلام: لا أعلم أحداً أعلم مني: [بلى، عبدنا خُصِر] وما خصَّ علماً دون علم، بل عمّم.

وكان (سيدنا) موسى عليه السلام أولاً ما علم أن استعداده لا يقبل شيئاً من علوم الخضر عليه السلام. وأما (سيدنا) الخضر عليه السلام، فإنه علم ذلك أول وهلة فقال: { إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا } [الكهف: ٦٧].

وهذا من شواهد علمية الخضر عليه الصلاة والسلام، فلينظر العاقل إلى أدب هذين السيدين.

قال سيدنا موسى عليه السلام: { هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّا عِلْمَ رَشَدًا } [الكهف: ٦٦] أي: هل تأذن في اتباعك، لأتعلّم منك ؟ ففي هذه الكلمات من حلاوة الأدب ما يذوقها كل سليم الذوق.

وقال الخضر عليه الصلاة والسلام: { فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا } [الكهف: ٧٠] وما قال: فلا تسألني، وسكت، فيبقى سيدنا موسى عليه السلام حيران متعطشاً، بل وعده أنه يُحدث له ذكراً، أي: علماً بالحكمة فيما فعل، أو ذكراً: بمعنى: تذكراً.

فأكملية الشيخ في العلم المطلوب منه المقصود لأجله لا تغني عن المريد شيئاً، إذا لم يكن ممتثلًا لأوامر الشيخ، مجتنباً لنواهيه وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهلة وإنما تنفع أكملية الشيخ من حيث الدلالة الموصلة إلى المقصود، وإلا فالشيخ لا يعطي المريد إلا ما أعطاه له استعداد، واستعداده مُنطَوٍ فيه وفي أعماله، كالطبيب الماهر إذا حضر المريض وأمره بأدوية فلم يستعملها المريض، فما عسى أن تغني عنه مهارة الطبيب ؟ وعدم امتثال المريض دليل على أن الله تعالى ما أراد شفاءه من علته، فإن الله إذا أراد أمراً هياً له أسبابه.

وإنما وجب على المريد طلب الأكمل الأفضل من المشايخ خشية أن يلقي قيادته بيد جاهل بالطريق الموصول إلى المقصود، فيكون ذلك عوناً على هلاكه).

["المواقف" ج ١/ص ٣٠٥]

والأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الكبير الذي جاهد الإفرنسيين الطغاة، ووقف سداً منيعاً أمام الاستعمار الفرنسي سبعة عشر عاماً مجاهداً ومناضلاً أشهر من أن يعرف. وإنه لغريب على الأسماع قولنا بتصوف الأمير عبد القادر الجزائري، مع أنه من صفوتهم، وكتابه "المواقف" يشهد له بذلك، وله ديوان متوسط الحجم أطول قصيدة فيه الرائية وعنوانها (أستاذي الصوفي) اخترنا للقارئ بعض أبياتها:

وولّت جيوش النحس ليس لها ذكرُ	أمسعودُ جاء السعد والخير واليسر
يحدثني عنكم، فينعشني الخبرُ	أسائل كل الخلق، هل من مُخبرٍ ؟
بعيد، ألا فادُّنْ فعندي لك الذخر	إلى أن دعّنتي همّةُ الشيخ من مدى
جناح اشتياق، ليس يُخشى له كسر	فشمّرتُ عن ذيلي الأُطارَ وطار بي
وحطت بها رحلي، وتمّ لها البشر	إلى أن أنخنا بالبطاح ركابنا
ولا عجبٌ، فالشأن أضحى له أمر .	أتاني مُرَبّي العارفين بنفسه
لمنتظر لقياك، يا أيها البدر	وقال: فإني منذ أعداد حجة
وذا الوقت حقّاً ضمه اللوح والسطر.	فأنت بُنيي، مذ "ألسْتُ بربكم"
ذخيرتكم فينا، ويا حبذا الذخر	وجَدُّكَ قد أعطاك من قَدَمِ لنا
وقال لك البشري، بذا قُضِيَ الأمر .	فقبَلْتُ من أقدامه وبساطه
فقل له: هذا هو الذهب التبر	وألقي على صُفري بإكسير سرّه

[الصفر هو النحاس]

صَفِيّ الإله، الحال والشيم الغر	محمد الفاسي، له من محمد
أمسعودُ جاء السعدُ والخير واليسر.	عليه صلاة الله ما قال قائل

ولد الأمير سنة ١٢٢٢ هـ الموافق ١٨٠٧ م بقرية قيطنة في الجزائر. وتوفي في سنة ١٣٠٠ هـ الموافق ١٨٨٣ م ودفن بجوار الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي داخل القبة رحمة الله تعالى عليهما. ثم نقل رفاتهما إلى بلده الجزائر عام ١٣٨٦ هـ الموافق ١٩٦٦ م].

* ابن عطاء الله السكندري:

يقول سيدنا ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه: (وينبغي لمن عزم على الاسترشاد، وسلوك طريق الرشاد، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق، سالك للطريق، تارك لهواه، راسخ القدم في خدمة مولاه فإذا وجده فليمتثل ما أمر، ولينته عما نهى عنه وزجر) [مفتاح الفلاح" ص ٣٠].

وقال أيضاً: (ليس شيخك مَنْ سمعت منه، وإنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته، وإنما شيخك الذي سَرَتْ فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب، وإنما شيخك الذي رَفَعَ بينك وبينه الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله، إنما شيخك الذي نهض بك حاله. شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى).

شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك، حتى تَجَلَّتْ فيها أنوار ربك، أنهضك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فزَجَّ بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك). ["لطائف المنن" ص ١٦٧].

وقال أيضاً: (لا تصحب من لا يُنْهَضُك حاله، ولا يدلك على الله مقاله).

["إيقاظ الهمم" في شرح حكم ابن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ لأحمد بن عجيبة الحسني ج ١/ص ٧٤].

* الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره:

ويقول صاحب العينية سيدي الامام عبد القادر الجيلاني قدس الله سره:

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا
إلى شيخ حق، في الحقيقة بارغ
فقم في رضاه، وأتبع لمراده
ودع كل ما من قبل كنت تسارع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره
عليه، فإن الاعتراض تنازع
ففي قصة الخضر الكريم كفاية
فلما أضاء الصبح عن ليل سره
وسلّ حساماً للغياهب قاطع
أقام له العذر الكليّم وإنه
كذلك علم القوم فيه بدائع.

[**"فتوح الغيب" للجيلاني، من قصيدة تسمى "النوادر العينية في البوادر الغيبية" في ٥٣٤ بيتاً ص ٢٠١، وتوفي رضي الله عنه سنة ٥٦١ هـ في بغداد**].

الشيخ عبد الوهاب الشعراني:

قال العالم الرباني سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه "العهود المحمدية": (أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على الركعتين بعد كل وضوء، بشرط ألاّ نحدّث فيهما أنفسنا بشيء من أمور الدنيا، أو بشيء لم يُشرع لنا في الصلاة. ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى شيخ يسلك به، حتى يقطع عنه الخواطر المشغلة عن خطاب الله تعالى).

ثم قال: فاسلك يا أخي على يد شيخ ناصح، يشغلك بالله تعالى، حتى يقطع عنك حديث النفس في الصلاة كقولك: أروح لكذا، أفعلُ لكذا، أقولُ لكذا، أو نحو ذلك، وإلاّ فيمنّ لازمك حديث النفس في الصلاة، ولا يكاد يسلمُ لك منه صلاة واحدة، لا فرض ولا نفل، فاعلم ذلك، وإياك أن تريد الوصول إلى ذلك بغير شيخ، كما عليه طائفة المجادلين بغير علم، فإن ذلك لا يصح لك أبداً).

["لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية" للعارف بالله عبد الوهاب الشعراني ج ١/ص ٥١ توفي رضي الله عنه سنة ٩٧٣ هـ في مصر].

وقال الشيخ الشعراني أيضاً: (وكانت صور مجاهداتي لنفسي من غير شيخ أنني كنت أطالع كتب القوم كـ "رسالة القشيري"، و"عوارف المعارف" و"القوت" لأبي طالب المكي و"الإحياء" للغزالي، ونحو ذلك، وأعمل بما ينقذ لي من طريق الفهم، ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك فأترك الأمر الأول وأعمل بالثاني... وهكذا، فكنت كالذي يدخل درباً لا يدري هل ينفذ أم لا ؟ فإن رآه نافذاً خرج منه، وإلا رجع، ولو أنه اجتمع بمن يُعرّفه أمر الدرب قبل دخوله لكان بيّن له أمره وأراحه من التعب، فهذا مثال من لا شيخ له.

فإن فائدة الشيخ إنما هي اختصار الطريق للمريد، ومن سلك من غير شيخ تاه، وقطع عمره ولم يصل إلى مقصوده، لأن مثال الشيخ مثال دليل الحجاج إلى مكة في الليالي المظلمة).

["لطائف المنن والأخلاق" للإمام الشعراني ج ١/ص ٤٨ - ٤٩].

وقال أيضاً: (ولو أن طريق القوم يوصل إليها بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أخذ أدبهما عن شيخ مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم: كل من قال: إن تمّ طريقاً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله عز وجل. فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان: قد ضيعنا عمرنا في البطالة والحجاب. وأثبتنا طريق القوم ومدحاهما).

["لطائف المنن والأخلاق" للإمام الشعراني ج ١/ص ٢٥].

ثم قال: (وكفى شرفاً لأهل الطريق قول سيدنا موسى عليه السلام لسيدنا الخضر: { هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا } [الكهف: ٦٦].

واعتراف الإمام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه وأرضاه لأبي حمزة البغدادي بالفضل عليه، واعتراف الإمام أحمد بن سريج رحمه الله لأبي القاسم

الجنيد، وطلب الإمام الغزالي له شيخاً يدلّه على الطريق مع كونه كان حجة الإسلام، وكذلك طلب الشيخ عز الدين بن عبد السلام له شيخاً مع أنه لُقّبَ بسلطان العلماء... وكان رضي الله عنه يقول: ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وأرضاه.

فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى). ["لطائف المنن والأخلاق" للإمام الشعراني ج ١/ص ٥٠].

أبو علي الثقفي:

قال أبو علي الثقفي: (لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ مؤدب ناصح. ومن لم يأخذ أدبه عن أمرٍ له ونائه، يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات) .

["طبقات الصوفية" للسلمي ص ٣٦٥].

قالوا عن بصيرة :

هناك شيخ تربية وهناك شيخ ترقية.... ومجموع الفروقات هي عشرة بين الشيخين . وقد يجتمعان في شيخ واحد

شيخ التربية يهيئك لتلقي الأنوار وشيخ الترقية يقلبك في بحار الأنوار والأسرار.

شيخ التربية يزيل الصدا عن مرآة القلب وشيخ الترقية يوصلها ويوجهها.

شيخ التربية يخلصك من الأقدار والأكدار وشيخ الترقية ينفي عنك الأغيار.

شيخ التربية يبعد عنك العوائق وشيخ الترقية يخلصك من العلائق.

شيخ التربية يعدك للفناء وشيخ الترقية يفتيك ويخرجك إلى البقاء.

شيخ التربية يبصرك بعيوب نفسك وشيخ الترقية يعرفك بنفسك.

شيخ التربية يوقفك على طريق السلوك وشيخ الترقية يرقيك في معرفة ملك الملوك.

شيخ التربية يدلك على الطريق وشيخ الترقية يأخذ بيدك لتحقيق.

شيخ التربية يوصلك إلى البداية وشيخ الترقية لا يوقفك على نهاية.

شيخ التربية يربيك بالحال والعبرة وشيخ الترقية يرقيك بالنظرة والإشارة.

اللهم ارحم أسيادنا

ووفقنا للورثة التي ذكرت في القرآن الكريم : ((وعلمناه من لدنا علماً))
وذكرها صلى الله عليه وسلم : (العلماء ورثة الأنبياء).

.... إنه فضل الله يؤتيه من يشاء.

مواقف من عزة الرسول

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عزيزاً في حياته قبل الإسلام وبعده، فقد كانت عزة نفسه تأبى عليه أن يسجد لحجر لا يضر ولا ينفع، كما كانت تمنعه من يأتي ما اعتاده قومه من الفواحش كالكذب والغش والخيانة والزنا وشرب الخمر.

اعتزاز الرسول بالإسلام

وبعد الإسلام كانت كل مواقفه صلى الله عليه وسلم تنطق بالعزة المنزهة عن الكبر والفخر والخيلاء، فقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله - عز وجل - بعثه من خير قرون بني آدم؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع».

عزة الرسول في حمل الرسالة

فقد جاء وفد من كفار قريش لعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي طالب يستنكرون على رسول الله، وقالوا له: "وَأِنَّا وَاللَّهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكْفَهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلُهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ". فبعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق عليّ، وعلى نفسك، ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق. فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا عَمَّ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ». ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَكَى ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتُ، فَوَاللَّهِ لَا أَسْلَمُكَ لشيء أبداً.

عزة الرسول بعبادته لربه

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحمل الأذى من المشركين، ولكنه كان يوقفهم عند حدودهم، ولا يسمح لهم بتجاوزها، فهو وإن كان مأمورًا بالصبر عليهم والإعراض عنهم، فإنه -أيضًا- عزيز لا يرضى الله له المهانة، وعندما تجرأ كفار قريش عليه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم عند الكعبة، فوجموا وخافوا دعوته، وكان دعاؤه صلى الله عليه وسلم من نصيبهم، فقتلوا جميعًا يوم بدر؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم، فجاء به، فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وسلم ووضع على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئًا لو كان لي منعة. قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة، فطرحته عن ظهره.. فرفع رأسه ثم قال: " **اللهم عليك بقريش**" ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم.

قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سَمَّى "اللهم عليك بأبي جهل، **وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأميمة بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**". وعَدَّ السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر.

محبة النبي صلى الله عليه وسلم

« أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة ، و أحبوني لحب الله ، و أحبوا أهل بيتي لحبي »

و يروي لنا (م) : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده و والده و الناس أجمعين » هل رأيتم كيف جمع رسول الله أصناف المحبة في محبته :

١- يجب أن تجلّه و تعظمه كمحبة الوالد ، بل أشدّ .

٢- يجب أن تشفق عليه و ترحمه كمحبة الولد ، بل أشدّ .

٣- يجب أن تحسن إليه كإحسانك للناس ، بل أشدّ .

و النبي يقول ز من لم يعتقد هذا و أعتقد سواه فليس بمؤمن .

و من محبته نصره سنته و الدب عن شريعته .

فهل نحن نحب رسول الله ؟ هل نحن ندخل تحت ذاك الحديث الذي حدّثنا به رسول الله حين قال : « من أشدّ أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رأياني بأهله و ماله » (م) ، و رواية أحمد : « أنه ؟ أعطي أهله و ماله و أنه رأياني » .

هل نحن نحب رسول الله حقاً ، هل نحن من هؤلاء الذين قال عنهم رسول الله : « وددت أنا قد رأينا إخواننا (رواية مالك : واشوقاه إلى أخواني قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله قال : أنتم أصحابي ، و إخواننا الذين لم يأتوا بعد سوف أكون فرطاً لهم على الحوض . قالوا : و كيف تعرف إخوانك و أنت لم ترهم . قال : رأيتم لو أن رجلاً له خيل غرّ محجلة بين

ظهري خيل دهم بُهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : فإنني أعرّفهم غرّاً محجلين من آثار الوضوء (م - خ - مالك) .

هذان حديثان صحيحان من أقوال النبي يثبتان أنّ محبة رسول الله راسخة في قلوب أمّته ، و أنّ أحدهم يتلهّف شوقاً و حناناً لرؤيته و أن يفديه بكلّ ما يملك و بأعزّ أهله عليه ، و يثبت لهم مزية الاخوة .

١- يجب أن نحب رسول الله لرأفته و رحمته بأمّته : فهو الذي ينادي : (م) اللهم أمّتي أمّتي . و يبكي ، فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى محمد فسّله ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فسّله فأخبره بما قال : فقال الله يا جبريل اذهب فقل له (إنا سنرضيك في أمّتك و لا نسؤوك) .

٢- يجب أن نحب رسول الله لعطفه و شفقتة : و من عطفه أنّه ادخر دعوته إلى يوم القيامة لتكون شفاعته لأُمّته في أهم الأوقات و أخرجها (م) كما قال ((لكلّ نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كلّ نبي دعوته ، و إنني اختبأت دعوتي شفاعته لأُمّتي يوم القيامة فهي لمن مات من أمّتي لا يشرك بالله شيئاً)) .

٣- يجب أن نحب النبي لعطفه على أمّته : فقد كان دائم الاستغفار لنا يدعو لنا الله لننال رضاه (بز) عن السيدة عائشة قالت : لما رأيت من النبي طيب نفس قلت : يا رسول الله ادع الله لي . فقال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها و ما تأخر و ما أسرّت و ما أعلنت . فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك فقال رسول الله : أيسرك دعائي ؟ قال : و مالي لا يسرنّي دعاؤك : فقال : (و الله إنّها لدعوتي لأُمّتي في كلّ صلاتي) .

- فهل تحب رسول الله كما أحبه الصحابة الكرام ؟ لقد سطر هؤلاء ملاحم بطولية في حبّ النبي ، فهل أحبيناه كما أحبه الصديق الأكبر :

هذا الصديق لما بدأت الهجرة إلى المدينة كان يجهز عدّة الهجرة و ينتظر رسول الله و إذا بالنبي يعلمه بالهجرة فيطلب من النبي الصحبة ، فقال رسول الله : نعم . فسرّ بذلك الصديق سروراً بالغاً أدى به إلى البكاء ، تقول السيدة عائشة : فو الله ما شعرت قط قبل اليوم أنّ أحداً يبكي من شدة الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي .

و حين انتهيا إلى غار جبل ثور قال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار و دخل الغار فتأكد من خلّوه من كل ما يؤذي رسول الله .

و حين أقبلت قريش بدأت المخاوف تشتدّ على الصديق و رسول الله يطمئنه و يهدئ من روعه فيقول أبو بكر : - أما و الله ما على نفس أخاف يا رسول الله ، و لكن أخاف أن أرى فيك ما أكره ، و يطمئنه رسول الله : لا تحزن إن الله معنا ، يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما . فيقول الصديق : أنا إن قتلت فإنما يقتل رجل ، و لكن إن أصبت بمكروه إنما يذهب دين و تنمحي شريعة .

يقول الليث بن سعد : « ما صحب الأنبياء عليهم السلام مثل أبي بكر الصديق » .

لقد أثبت الصديق أنّ حبّه لرسول الله فاق التصور ، كان يفهم على النبي بالإشارة ، يروي ابن عباس أنّ المشركين عذبوا بلالاً ، و بلال يقول : أحد أحد . فمر عليه النبي و قال : أحد ينجيك (الله ينجيك) ثم قال لأبي بكر : يا أبا بكر إن بلالاً يعذب في الله . فعرف الصديق ما يريد رسول

الله، فأنصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من الذهب و مضى به إلى أمية بن خلف فقال : أتبيعي بلالاً ؟ قال : نعم . فاشتراه فأعتقه : فقال المشركون ما فعل أبو بكر هذا إلا ليد كانت لبلال عنده ، فنزل قوله تعالى : { و ما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى و لسوف يرضى } .

و كان السيّد الأعظم يقول : « رحم الله أبا بكر : زوجني ابنته ، و حملني إلى دار الهجرة و أعتق بلالاً من ماله » .

لعلكم تقولون : سيدنا أبو بكر صديق النبي و حبيبُهُ منذ ما قبل البعثة ، فتعالوا لنرَ شاباً يافعاً يدعى طلحة بن البراء ، فتى من فتيان الإسلام ، أحبّ النبي حباً فاق حبّ أقرانه (طب) لقي النبي فجعل يلصق برسول الله و يقبّل قدميه . قال : يا رسول الله مرني بما أحببت و لا أعصي لك أمراً . فعجب رسول الله لذلك ، غلام فيه مثل هذه المحبة فقال له : اذهب فاقتل أباك . فخرج مولياً ليفعل فدعاه النبي صلى الله عليه و سلم و قال له : أقبل، فإنني لم أبعث بقطيعة الرحم .

فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي يعوده في الشتاء في برد و غيم ، فلما انصرف قال لأهله : لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فأذنوني به حتى أشهده و أصلي عليه و عجلوه ، فلم يبلغ النبي بني سالم بن عوف حتى توفي و جنّ عليه الليل فكان فيما قال طلحة : ادفنوني و الحقوني بربي و لا تدعوا رسول الله فإنني أخاف عليه اليهود أن يصاب بسببي . فأخبر النبي حين أصبح ، فجاء ووقف على قبره و صفّ الناس معه ثم رفع يده فقال : اللهم الق طلحة تضحك إليه و يضحك إليك (الإصابة ج ٢/ ٢٢٧) .

حبّ ترجمه الصحابة بشتی أصناف التقرّب من رسول الله صلى الله عليه
و سلم يصفهم عروة ابن مسعود فيقول : فو الله ما تنحتم رسول الله إلا
وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجه و جلده ، و إذا أمرهم ابتدروا
أمره ، و إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، و إذا تكلم خفضوا
أصواتهم عنده ، و ما يحدثون النظر إليه تعظيماً له . ثم قال : و الله لقد
وفدت على الملوك . وفدت على قيصر و كسرى و النجاشي ، و الله ما
رأيت ملكاً قط بعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً .

هل عرفتكم لماذا قرئ النبي كان خير القرون ؟ هل عرفتكم كيف أختار الله
لنبينا أصحاباً بررة ؟ و هل أتاكم نبأ عبد الله ، إليكم هذا النبأ على موجات
أوتار القلوب التي تحبّ النبي الأعظم ، كان عبد الله بن عبد الله بن أبي بن
سلول ابناً لزعيم المنافقين بالمدينة ، و كان ابنه عبد الله يسمع ما نزل من
القرآن في شأن أبيه المنافق حيث قال : لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعزّ منها الأذل .. كما أخبر سبحانه عنه ، فيأتي أباه و يسلّ سيفه مصلاً
فوق رأسه و يقول لأبيه : لا أرفعه عنك حتى تقول محمد الأعزّ و أنا
الأذل .

فقال أبوه : ويلك محمد الأعزّ و أنا الأذلّ .

إنني أؤكد جازماً أن التاريخ لم يسمع عن مثل الحب الذي كان يحمله بين
حناياه صحابة النبي الأعظم ، يقول ابن عباس (م) :

« رأى رسول الله خاتماً من ذهب بيد رجل فنزعه فطرحة و قال : يعمد
أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » . فقبل للرجل بعدما ذهب
رسول الله :

- خذ خاتمك فانتفع به . قال : لا والله لا أخذه أبداً بعد أن طرحه رسول الله

الله درّ شباب سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، الله درّ الصحابيّات
الجليّات اللواتي ضربن أيضاً المثل الأكبر في حبّ النبي صلى الله عليه و
سلم : (ابن سعد) هذه السيدة أم حبيبة يقدم عليها والدها أبو سفيان ليزيد
في هدنة الحديبية ، فلم يقبل رسول الله ، فدخل على ابنته ليتوسط لديها ،
فلما ذهب ليجلس على فراش النبي طوته دونه ، فقال يا بنية : أرغبت بهذا
الفراش عني أم بي عنه ؟ فقالت قولة حق ذهبت مثلاً و أصبح الجيل بعد
الجيل يرويه :

هذا فراش رسول الله و أنت امرؤ نجس مشرك .

إنّ محبتها للنبي تقضي أن تحترم كلّ ما يتصل به ، و لا سيما ان أباه لا
يزال على شركه .

و أما المرأة الدينارية فهي شأن آخر لم يسجل لامرأة في الدنيا مثلاً سجل
لها تسمع إشاعة أن سيدنا محمداً قتل ، فيؤلمها النبأ و تخرج لتستجلي
الحقيقة .

و تمرّ على أرض المعركة في أحد و تجد في الشهداء أباه و ابنها و
زوجها و أخاها فلا تأبه بهم و لا تقف عندهم ، بل تندفع باحثة عن رسول
الله تسأل عنه كل من لقيت قائلة : ما فعل رسول الله ؟ فيقولون : هو أمامك
. حتى وصلت إلى سول الله و أخذت بطرف ثوبه و قالت : فداك أبي و
أمي يا رسول الله أنت حي لا أبالي إذا سلمت من قتل (طب - بز) .

نحن فداك يا رسول الله . هذا غيض من فيض ، فأين الذين يحبون سيدنا
محمداً ، أين أنتم يا أصحاب رسول الله ، أنتم اليوم مطالبون بالأدلة الدامغة
على حب النبي باتباع سنته و العمل بشريعته و الدفاع عن الإسلام .
علينا أن نقدم للنبي اليوم هدية و هي سُنَّة و سبحة ، أما السنة فأن نواظب
على سنة الوتر مثلاً و لو ركعة فلا ينام أحدنا حتى يؤدي سنة الوتر .

كَمالاته صلى الله عليه وسلم

و تفاخرت بجهادك الأعلام

فاحت بعاطر ذكرك الأيام

فاهناً فأنت السيد المقدام

أثنى عليك الله في قرآنه

و الحق الذي يجب أن نعتقده أن نبينا الاعظم قد آتاه الله تعالى من الكمالات ما لا يعد و لا يحصى ، و من أعظم هذه الكمالات أن الله تعالى أكمل هذا الدين على يديه فقال : { اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً . }

و من أعظم الكمالات التي أوتيها إنزاله عليه الكتاب الخاتم ، ألا و هو القرآن العظيم الذي نسخ جميع الشرائع قبله فقال تعالى : { و أنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب و مهيمناً عليه } .

و من أعظم الكمالات التي أوتيها هذا النبي الحبيب أن جعل زمانه أفضل و أكمل و خير الأزمنة فقال صلى الله عليه و سلم (خير القرون قرني) ، و جعل مكانه أفضل الأمكنة ، فعلى مقربة من مقام إبراهيم و حجر إسماعيل و مهبط جبريل الأمين و مقابل البيت الحرام ولد سيدنا رسول الله، و جعله الله تعالى يتردد بين العينين مكة و المدينة .

و من أعظم الكمالات التي أوتيها السيد الأعظم أن جعل بيته و أهل بيته خير بيت وضع في الأرض ، فقال عزّ من قائل { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً } .

كما أجمع العلماء أن أظهر بقعة على وجه الأرض هي البقعة التي ضمت جسد سيدنا محمد ﷺ :

يا خير من دفنت في القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع و الأكم

روحي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف و فيه الجود و الكرم

و من الكمالات التي أوتيها هذا النبي العربي أن اختار الله له صحباً هم خيرة أهل الأرض في عصره ، و هم الأولياء المتقون و الأئمة المجتهدون العدول فقال ﷺ : (خير القرون قرني) فهم صفوة العالمين و قال ﷺ : الله الله في أصحابي من أحبهم فبحبي أحبهم .

و من أعظم الكمالات التي أوتيها رسول الله ﷺ أن جعله الله قدوة العالمين بالإطلاق فقال تعالى : { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر و ذكر الله كثيراً } .

و من الكمالات العظيمة التي أوتيها سيد الخلق و حبيب الحق ان جعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، فقال تعالى { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله } فما أعذب هذا الكلام . يقول ﷺ : (أنتم تكملون سبعين أمة أنتم خيرها } .

و من أعظم الكمالات التي أوتيها سيد ولد آدم ات خصه بهذا الذكر الخاص ألا و هو الصلاة و السلام عليه ، هذه الصلاة العظيمة التي تشتمل على جميع أنواع الذكر ، و التي ابتدأها الله بنفسه و ثنى بملائكة قدسه فقال :

{ إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً } هذه الصلاة هي الذكر الكامل لأن فيها ذكر الله تعالى

(اللهم - يا الله) و فيها ذكر سيدنا محمد ﷺ ، و فيها الدعاء : يا الله صل على حبيبك محمد ﷺ ، و فيها الاعتراف بجميل الله تعالى و التقرب إليه .

و من أعظم كمالاته ﷺ أن الله تعالى ربط قبول توبتنا باستغفار النبي لنا ، فقال تعالى { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله و استغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً } .

و من أعظم كمالاته ﷺ أن الله تعالى جعله أماناً لأهل الأرض من العذاب ، فهو لهم حصن حصين من العذاب لأهل الأرض ، فقال تعالى { و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذبهم و هم يستغفرون } .

و من أعظم كمالاته ﷺ ان جعله الله تعالى أولى بكل مؤمن من نفسه لذا قال : { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم } .

و من أعظم كمالاته ﷺ أنه لا يسمع به أحد من أهل الكتاب أو كافر من الكفار ثم لا يؤمن به إلا كان من أهل النار فقال ﷺ (لا يسمع بي يهودي و لا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار) .

و لقد خاطب الله النبيين و المرسلين من قبله بأسمائهم ، فقال تعالى :

{ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا } و قال { يا نوح اهبط بسلام منا و بركات عليك } { يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي و بكلامي } { يا عيسى أنت قلت للناس إتخذنوني و أمي إلهين ... } يا يحيى ... يا داود .. يا آدم .. إلا سيدنا رسول الله خاطبه مولانا عز و جل بقوله : { يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، يا أيها المزمّل ، يا أيها المدثر } .

و كان كل نبي و رسول يبعث إلى قومه خاصة و بعث سيدنا محمد ﷺ إلى الناس كافة بشيراً و نذيراً .

و أعظم كمالاته ﷺ ان خصه مولانا عز و جل بالشفاعة العظمى و المقام
المحمود و أعطاه لواء الحمد و وصفه بالنور و السراج المنير فقال : { قد
جاءكم من الله نور و كتاب مبين } .

و رفع الله تعالى ذكره ، و شرح صدره ، و وضع عنه وزره ، و أسرى
به إلى الملاء الأعلى و صلى بالأنبياء إماماً ، و أعطاه الكوثر ، و جعل
شأنه هو الأبتى ، و قال له ربه : { و لسوف يعطيك ربك فترضى }
أتعرفون ماذا قال رسول الله عندما نزلت عليه هذه الآية قال (طب-ض) :
لا أَرْضَى و واحد من أمتي في النار هذا هو حبيبك و شفيعك يوم القيامة .

صَلُّوا عَلَى الْهَادِي الْبَشِيرِ الْمُنْذِرِ صَلُّوا عَلَى أَهْلِ الْكَمَالِ الْمُسْفَرِ

مكانته وفضله صلى الله عليه وسلم

على مقربة من مقام إبراهيم و حجر اسماعيل و زمزم و الحطيم و مقابل البيت الحرام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ألا فليعلم العالم أجمع أننا لا نرى لنا سيداً نستمسك به و لا نعرف لنا زعيماً نعتصم به و بشرعه إلا سيدنا محمداً ..

كيف لا و هو الوحيد الأوحد الذي ارتفع بقدره و قدرته على عرش الكمال المطلق و الجمال المحقق .. فلا جاه يعلو جاهه و لا مقام يعلو مقامه .. و كل الخلائق علوية و سفلية تحت ظلال نعله اللهم صلّ عليه .. فهذا هو سيدنا موسى ينادي على طور سيناء : يا موسى اخلع نعليك و لا تجيء إلا ماشياً .. و يا محمد اركب البراق و لا تجيء إلا راكباً .. و هذا ما دعا الإمام النبهاني لأن يقول :

على رأس هذا الكون نعل محمد علت
فجميع الكون تحت ظلاله
لدى الطور موسى نودي اخلع
و أحمد لم يؤمر بخلع نعاله
بشر برسالته الإنس و الجن و الملك و الحيوان .. كلهم استبشروا بولادته
حتى الأرض لما ولد اهتزت و ربت و أنبتت من كل زوج بهيج .

و اهتزت الأرض إجلالاً لمولده
شبيهة بعصفور هزه الطرب
الماذ فاض زلالاً من أصابعه
أروى الجيوش و جوف الجيش يلتهب
مكلم الذئب

فكر رعاك الله ذكر محمد ففي ذكره العيش المهنأ و الأنس

فكل له عرس بذكر حبيبته و نحن بذكر الهاشمي لنا عرس

فمن أراد تكفير الخطايا و الزلات و بذل العطايا و الهبات و الحلول في
أعلى الدرجات فليكثر على سيدنا النبي من الصلوات فهو دليل محبته و
عنوان أتباعه .

أيها الأخوة

كل العبادات و الأذكار ينال ثوابها العبد مرة واحدة إلا الصلاة على النبي
فثوابها مستمر لا ينقطع .

ففي الحديث : (ما من عبد صلى علي صلاة إلا عرج بها ملك حتى يجيء
بها وجه الرحمن عز و جل فيقول ربنا اذهبوا بها إلى قبر عبيد تستغفر
لصاحبها و تقر بها عينه) . فتبقى تستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة .

فجدير بك أخي المسلم أن تعمل وثيقة تأمين على حياتك بالصلاة على
النبي ..

يقول سيدنا حذيفة : (الصلاة على النبي تدرك الرجل وولد ولده) .

فنحن اليوم نرفع هدية للنبي الكريم هدية ثمينة تليق بمقام أمير الأنبياء و
هي ٥٠٠ صلاة أن النبي على كل منكم .

ففي الحديث : من صلى علي لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي .

(أحمد . جه)

أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) ت

هل عرفتم يا سادة لماذا قال الله لكم (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و
سلموا تسليماً ..) لم يقل

يا أيها المسلمون .. يا أيها الناس

بل قال يا أيها الذين آمنوا

معناها يا أفضل الخلق صلوا على خير الخلق .

صلى الله
عليه وسلم

فضله صلى الله عليه وسلم

و ملائكته على النبي ، و تجددتها في كل وقت بلا انقطاع و لا نفاذ (تفسير الألوسي) .

فأنت – يا أخي المسلم – عندما تصلي على سيدنا محمد (اللهم صلّ على سيدنا محمد) :

يعني أنك تطلب من الله أن يعظم سيدنا محمداً أكثر ، و يرقّيه مدارج الكمالات التي لا نهاية لها ، هذا أولاً :

و ثانياً : المراد تعظيمه أيضاً في الدنيا بإعلاء ذكره و إظهار دينه و إبقاء الشريعة ، و في الآخرة بإجزال مثوبته و تشفيح في أمته . فليست صلاتنا على النبي ﷺ شفاعة له ، فإن مثلنا لا يشفع لمثله ، و لكنّ الله تعالى أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا ، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء ، فأرشدنا الله تعالى إلى الصلاة عليه .

و لتوضيح هذه القضية بالذات اسمحو لي – يا أحباب رسول الله – أن انتقل بكم إلى هناك ، إلى أشرف و أطهر بقعة على وجه الأرض ، إلى البقعة التي يزل في روضها سيد الأنبياء و الرسل الكرام سيدنا محمد ﷺ .

الله زاد محمداً تكريماً
و حباه فضلاً من لدنه عظيماً
واختاره في المرسلين كريماً
ذا رافة بالمؤمنين رحيماً

صلوا عليه و سلموا تسليماً

لما نزلت هذه الآية الكريمة ، تحير الصحابة في كيفية تنفيذها فقالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟

نظر رسول الله إلى تفاوت درجات الصحابة الكرام ، و رأى أنه كلاً منهم سيذكر صيغته من الصيغ ، و رأى أنهم مهما صاغوا من صيغ لن يوقوا مقام الرسالة و النبوة فالتفت إليهم و قالوا قولوا : اللهم صلّ على محمد ، و على آل محمد ، كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، ثم قال لهم : « من صلى علي ثم قال : اللهم أنزله المقعد الصدق المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » (بز - طب - طس) .

إخوتي في الله : أعجب الصحابة أيما إعجاب بهذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها على حبيبه و مصطفىه ، فأتوا مهنئين و مباركين و متباركين بسيدنا محمد ﷺ ثم قالوا : - يا رسول الله هذا لك فماذا لنا ؟

(ألسنا أتباعك و أصحابك ، ألسنا نفديك بأرواحنا ؟)

و سكت الحبيب الأعظم ، و إذا بالأوامر تصدر إلى سفير الأنبياء ، و كبير أمناء وحي السماء أن ينزل بآية على قلب حبيبه ، بآية فيها الشفاء لصدور و قلوب صحابة نبينا ﷺ و ظهر البشّر و الفرح على محيّا و هو يتلو قوله تعالى : { و أنزل أيضاً لنا { أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة . }

عليكم أن تحمدوا الله تعالى ، لقد آتاكم الله مثل ما آتى نبينا سيدنا محمداً ﷺ ، هل تعلمون لماذا ؟ لأنكم من أتباع هذا النبي الكريم ، و إنّ شرفكم و عزكم يزداد بازدياد أتباعكم و شدة اقترا بكم منه ، و لا يكون ذلك إلا بكثرة الصلاة عليه ، اسمعوا هذه القضية يصرح بها سيد البرية فيقول : « إنّ

صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم علي صلاة
كان أقربهم مني منزلة » (هب)

و في رواية (طب - جه) : « أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه أتاني
جبريل عليه السلام آنفاً عن ربي عز و جل فقال : ما على الأرض من
مسلم يصلي علي مرة واحدة إلا صليت أنا و ملائكتي عليه عشراً » ليس
هذا فقط بل قال لنا أيضاً (حم - جه) « ما من عبد يصلي علي إلا صلت
عليه الملائكة ما دام يصلي علي فليقل العبد من ذلك أو ليكثر » .

هل تلاحظون - أيها السادة - إن رسول الله ينتظر أن نصلي عليه يوم
الجمعة ، هل تلاحظون أن رسول الله ينتظرنا لنزوره بالصلاة عليه يوم
الجمعة .

إن يوم الجمعة يوم عيد الصلاة على النبي ، لذلك وجهنا حبيبنا إلى ذلك
فقال : (أحمد - د - ن - جه - حب) « إن من أفضل أيامكم يوم
الجمعة ، فيه خلق ، وفيه قبض ، وفيه النفخة - وفيه الصعقة » .

هذه مقدمة البيان النبوي ، فلماذا يرغبنا رسول الله في يوم الجمعة ؟ ليقول
لنا : « فأكثرُوا علي من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علي »
افتحوا خط الهاتف بينكم و بين سيدنا محمد ، دعوا الخط مفتوحاً و لا
تغلقوه ، فهو يسمعكم و أنتم تصلون عليه ، قالوا : يا رسول الله ! و كيف
تعرض صلاتنا عليك و قد أرمت (أي بليت عظامك) قال : « إن الله
حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

إذاً حبيبك في روضته حي طري ، لا تقولوا مات رسول الله ، إن رسول
الله حي في قبره يردد الصلاة على من يصلي عليه ، و لهذا قال ﷺ :

« ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام »
(أحمد - د) .

و لذلك قال العلماء : الصلاة على النبي لا يردها الله تعالى ، يقبلها بفضله
و كرمه ، و رحم الله من قال :

أدم الصلاة على النبي محمد فقبولها حتماً بغير تردد
أعمالنا بين القبول و ردها إلا الصلاة على النبي محمد

يقول سيدنا أبو سليمان الداراني رحمه الله :

« من أراد أن يسأل الله حاجته فليكثر من الصلاة على النبي ثم يسأل الله
حاجته و ليختم بالصلاة على النبي ، فإن الله يقبل الصلاتين و هو أكرم ان
يدع ما بينهما » .

فمن أراد من الله حاجة فليصل على النبي ، و من أراد من الله شفاء فليصل
على النبي و من أراد أن يكشف الله همه و غمه فليصل على النبي ، و من
أراد أن يغفر الله له ذنبه فليصل على النبي ﷺ .

قال سيدنا أبي بن كعب (أحمد - ت) : « يا رسول الله إنني أكثر الصلاة
فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال : ما شئت ، قال : الرابع ؟ قال ما شئت و
إن زدت فهو خير . قلت : النصف ؟ ، قال : ما شئت ، و إن زدت فهو
خير ، قال : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : إذن تكفى همك ، و يغفر لك
ذنبك » .

خطبة افتتاح المعهد الشرعي

مكانة المرأة في الإسلام لا تقل عن مكانة الرجل لذلك قال صلى الله عليه وسلم (النساء شقائق الرجال) وجاءت الآيات القرآنية تبين أنه لا فرق بين الرجل و المرأة في التكاليف الشرعية (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى و هو مؤمن)

(إن المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات و القانتين و القانتات و الصادقين و الصادقات و الصابرين و الصابرات و الخاشعين و الخاشعات و المتصدقين و المتصدقات و الصائمين و الصائمات و الحافظين فروجهم و الحافظات و الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات أعد الله لهم مغفرة و أجراً عظيماً ..)

فلا ينهض المجتمع و لا تقوم حضارة إلا بهما معاً إن نبينا الأعظم لم يبايع الرجال فقط بل بايع الرجال و النساء لذلك قال الله في القرآن ..

(إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً و لا يسرفن و لا يزنين و لا يقتلن أولادهن و لا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن و أرجلهن و لا يعصينك في معروف فبايعهن ..)

فهو بايع الرجال و النساء على الإسلام و كانت الصحابيات تتسابقن على التفقه بالإسلام كالسيدة أسماء بنت يزيد الأوسية و أمهات المؤمنين .

كانت السيدة أسماء تتبع أحاديث النبي الكريم و كلامه في حياتها و تطبقه.. و لم يمنعها حياؤها من التفقه حتى صارت نائبة عن النساء لرجاحة عقلها دخلت عليه يوماً فقالت : يا رسول الله إني رسول من ورائي من جماعة

نساء المسلمين كلهن يقتلن بقولي وهن على مثل رأيي إن الله بعثك للرجال
و النساء فآمننا بك و اتبعناك و نحن معاشر النساء مقصورات محبوسات
في البيوت .. و إن الرجال فضلوا بالجمعات و شهود الجنائز و الجهاد ..
و إذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم و ربينا أولادهم أفنشاركهم بالأجر
يا رسول الله ..

هل سمعتم مثل هذا العلم و هذه الفصاحة كل الصحابييات كن مثلها و كانت
أمهات المؤمنين سفيرات للعلم حتى نبغت منهن السيدة عائشة الفقهية
المحدثة التي روت أكثر من ألفي حديث يقول عنها سيدنا أبي موسى
الأشعري : ما سألناها سؤالاً إلا كان عندها منه علم و كان الناس يسألونها
من وراء حجاب .

و هل اتاكم نبأ أول ممرضة في الإسلام و هي الصحابية رفيدة الأسلمية
الأنصارية صاحبة أول مشفى متحرك في الإسلام .

أخواتي الكريمات :

ها هو علم رسول الله جاء إليكم .. ها هي مدرسة رسول الله جاهزة
أمامكم ..

ها هو القرآن

ها هو الفقه

ها هي السيرة

ها هي العقيدة

ليس لكم عذر في تعليم بناتكن العلوم الشرعية عليكم مسؤولية خطيرة تجاه أولادكم ليحملوا الراية .. راية اهل السنة و الجماعة .. كفانا تخبطاً و إرهاباً و انحرافاً عن الدين .. الأم تربي الأولاد في البيت أكثر من الرجل .. الأم مدرسة و معلم و عالم و قارئة للقرآن .

لقد كانت المرأة عندما يخرج زوجها من البيت توصيه بشيئين اثنين :

١- إياك و أكل الحرام فإننا نصبر على الجوع و لا نصبر على النار .. ثم تقول له :

٢- و إذا انتهيت من عملك مر على رسول الله في المسجد و خبرنا بالأحاديث التي حدث بها هذا اليوم ..

بل إن سيدنا عمر عين إحدى الصحابيات محتسبة في السوق تراقب من يغش فتنصحه و تردعه و ترفع أمره إلى أمير المؤمنين فكانت أول امرأة محتسبة في الإسلام .

أما ابنة سيدنا مالك إمام دار الهجرة فشأنها عظيم تعلمت الفقه و العقيدة و الحديث و بقية العلوم الشرعية على يد والدها الإمام .. و كانت أثناء درس أبيها في داره تقف خلف باب حجرتها فإذا أخطأ طالب يقرأ بين يدي أبيها طرقت الباب تنبه والدها أن الطالب أخطأ فيقول الإمام له اعد ما قرأت .. ثم يصحح له الخطأ ..

هكذا اريدكن أن تكن مثل هذه الفتاة الذكية العالمة .

و هل أتاكن نبأ ابنة سيدنا سعيد بن المسيب شيخ التابعين ؟

خطبها الخليفة لولده الوليد فأبى سيدنا سعيد أن يزوجه لها .. و زوجها لطالب عنده في الحلقة اسمه أبو وداعة ماتت زوجته و انقطع عن الدرس مدة أسبوع . فلما جاء سأل الإمام سيدنا سعيد فقال له ماتت زوجتي فقامت على شأنها .. فسأله : و هل تزوجت قال : لا . قال : هل تتزوج ؟ فقال : ما معي إلا أربعة دراهم فكيف سأتزوج ؟ قال أبو وداعة بحياء : نعم .. و ذلك أمام الشهود و هم الطلاب .. و انقضى الدرس ..

و ذهب أبو وداعة إلى بيته و عند المساء .. طرق الباب .. سأل : من بالباب ؟ قال : سعيد ..

ففتح الباب فوجد شيخه فقال سيدنا سعيد : كرهت ان تبني بلا زوجة .. ثم تراجع فإذا بابنة سيدنا سعيد خلفه .. فأدخلها و مضى ..

الفتاة من شدة حياها جلست خلف الباب .. فتركها و ذهب فأخبر أمه .. فجاءت سريعاً فأصلحت من شأنها ثم تركتهما و خرجت ..

الشاهد من القصة عندما أصبح الصباح قام ليذهب إلى المسجد لحضور الدرس فقالت له : إلى أين تذهب ؟ فقال إلى درس أبيك سعيد .. قالت : اجلس لأعلمك علم سعيد .. فإذا هي عالمة فقهية و محدثة .. أنتم سفراء لهؤلاء العالمات ..

فهنيئاً لكم مدرستكم و معهدكم و أرسلوا أولادكم على كل اسرة منكم اليوم أن ترسل بنتاً واحدة على الأقل من أولادها و بناتها ليتعلمن العلم الشرعي و ليكن نائبات عن السيدة عائشة و السيدة اسماء و السيدة حفصة و السيدة خديجة ..

بارك الله لكم في معهدكم و نفع بكم
و جزى الله القائمين عليه خير الجزاء

التوبة

التوبة ركن عظيم من أركان السائرين إلى الله عز وجل

فإنه قد فتح أبواب رحمته لكل طارق ، فيا أخي لا تقنط من رحمة الله ولا تيأس من عفوهِ وكرمه فمتى رأيت أن الله تعالى ردُّ أحدًا عن بابه:

إذا كثرت منك الذنوب فداوها بمد يدٍ في الليل والليل مظلم

ولا تقنطن من رحمة الله إنما قنوطك منها من خطاياك أعظم

وكان حبيبك رسول الله يسمع له في كل محب سبعين مرة استغفر الله

لو أراد الله سبحانه وتعالى أن يقنطك من المسامحة بين يديه لما أحالك في مغفرة الذنوب عليه، أليس هو القائل (ومن يغفر الذنوب إلا الله) ألم تسمع قوله وهو يقول : (إن الله يغفر الذنوب جميعاً)

ولا شك أن العبد حين يعلم أن له رباً عظيماً كريماً غفوراً رحيماً يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فيرجع إليه ويندم على ما فرط منه ، ويمد إليه يد الضراعة سائلاً العفو والصفح فلا شك أن الله يستجيب إليه ويلبي طلبه ويتكرم عليه بمزيد من الفضل والامتنان .

والإنسان الكيس الفطن لا يتهاون في الرجوع إلى ربه والندم على ذنبه فهو حذر يقظ من وساوس الشيطان .

واسمع معي إلى هذه القضية توضحها الآيات القرآنية :

{ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون }

(الأعراف ٢٠٠)

لعلّ قلبك الآن استشعر حال التوبة الندم توبة يا أخوة

ولهذا قال العلماء : التوبة النصوح : الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع عن الذنب والاطمئنان على ألا يعود العبد إليه .

الاستغفار أقصر طريق للوصول إلى الله .

يقول الله علم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب اشهدوا بملائكتي أنني قد غفرت له .
إخوتي في الله لم يكف مولانا عزّ وجل أن أكرمنا بالترغيب بالتوبة ووعدنا بقبولها بل زاد عليها إغراءً وترغيباً فأخبرنا بأنه تعالى يُقْبَلُ علينا أكثر من إقبالنا عليه ويسارع في الترحيب بنا أكثر من مسارعتنا في توبتنا فآلقوا إلي بأسماع قلوبكم إلى نداء الحق جلّ جلاله وهو يقول لنا في الحديث القدسي :
أنا عند ظن عبدي بي (إذا ظن وهو يستغفر في أنني أغفر له غفرت له ، إذا ظن أي تيقن أنه إذا دعاني أجبته أجبت دعاءه) أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً

{ إن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة {

{ إن أسرع إلي في طاعتي صببت عليه الرحمة وسبقته بها } .

أرايتم ترحاباً غامراً يغربنا بالإقبال على مولانا أكثر من هذه الدعوة إلى المغفرة الشاملة.

ولهذا لما بعث سيدنا رسول الله وحشياً (وقد قتل عمه سيدنا حمزة) يدعوه إلى الإسلام أرسل إليه يقول : يا محمد كيف تدعوني إلى الإسلام وأنت تزعم

أنه من قتل نفساً أو أشرك أو زنا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً ، وإنني فعلت ذلك كله فهل تجد لي رخصة.

فأنزل مولانا عزّ وجل على حبيبه المصطفى { إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات }.
فبعث بها إلى وحشي وأصحابه . فقال وحشي : هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه

ثلاثة شروط (تاب وآمن وعمل)

فأنزل الله تعالى على نبينا { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء }.

فبعث بها إلى وحشي ، فقال وحشي : أراني بعد في شبهة فلا أدري أيغفر لي أم لا.

فهل غير ذلك ، فأرسل الله أمين وحي السماء لينزل على أمين وحي الأرض بآية فيها البشارة وفيها المغفرة وفيها العفو العام { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً }.

فبعث بها إلى وحشي وأصحابه فأقبل وحشي على سيدنا محمد فأسلم بين يديه ، فإذا بالصحابه يقولون يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال : بل للمسلمين عامة .

فيا أخي المسلم لو أراد الله عقوبة المؤمن في جهنم وتخليده لما ألهمه معرفته وتوحيده .

فيا من أساء فيما مضى ثم اعترف كن محسناً فيما مضى ثم اعترف

وأبشر بقول الله في تنزيله إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصرخ ويقول :

وا ذنوباهواذنوباه

وهو كالمثوله .

فقربه رسول الله وهدأ من روعه وقال له : قل يا أخي اللهم مغفرتك أوسع من

ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي وراح يكررها

ثم قال له : قم فقد غفر الله ذنبك ، وأنا بشرتكم قوموا فقد غفر الله لكم .

سأل أعرابي سيدنا رسول الله : من يلي حساب الخلق ؟ فقال : الله تبارك

وتعالى.

قال : هو بنفسه قال : فتبسم الأعرابي . فقال رسول الله مما ضحكت يا أعرابي

؟ فقال : أن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح فقال رسول الله : ألا لا كريم

أكرم من الله هو أكرم الأكرمين .

يقول سيدنا عبد الله بن مسعود : أربع آيات من سورة النساء خير لهذه الأمة

من الدنيا وما فيها .

(ما هي ؟) قال عز وجل : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك

لمن يشاء } .

وقوله عز وجل : { ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله

واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً } .

وقوله تعالى : { ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً
رحيماً } .

قولوا يا إخوة :

استغفر الله ، استغفر الله

استغفر الله عدد قطرات المطر ... استغفر الله عدد أوراق الشجر

استغفر الله عدد الرمل والحجر أستغفر الله عدد الزهر والثمر استغفر

الله عدد أنفاس البشر

استغفر الله على ما كان من زللي

ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري

يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد

امسكت حبل الرجا يا خير غفار

أن الملوك إذا شابت عبيدهم

في رقهم أعتقوهم عتق أبرار

وأنت يا خالقي أولى بذا كرماً

قد شبت في الرق فأعتقتني من النار

أخي تذكر ساعة الوقوف بين يدي الحساب أمام الله تعالى

تذكر ذنوبك ... افتراءك على الله

التجئ إليه قوله مسكينك ببابك ... فقيرك ببابك

مذنب ببابك ... عبدك ببابك ... ضعيف ببابك مسيء ببابك

ارحمني ... اغفر لي تب علي .

فأقبلوا علي يا أخوتي على الله

أطرقوا باب ربكم ما دام قد وعدنا بالمغفرة وإياك يا أخي من الإعراض عن التوبة والإنابة عليك أن تُسمع مولاك دائماً يا رب يا رب فهو يحب هذه الكلمة منك ، فسببها غفر لكل من قالها وأعطاه سؤله ، وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر و أنت أرحم الراحمين فاستجبنا له .

وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وانت خير الوارثين فاستجبنا له .

وسيدنا موسى قال : رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له .

ولهذا كانت هي أول آية في القرآن { الحمد لله رب العالمين } .

قال سيدنا موسى في بعض مناجاته يا رب . فقال له مولانا لبيك يا موسى . فقال موسى : يا رب أنت أنت فمن أنا ، حتى أجاب بلبيك . فقال يا موسى : إنني آليت على نفسي (حلفت) أن لا يدعوني عبد من عبادي بالربوبية إلا أجبته بالتلبية .

فقال موسى : هذا لكل عبد طائع قال : ولكم مذنب ، فقال موسى : يا رب أما الطائع فبطاعته فما بال المذنب فقال الله تعالى : يا موسى إنني إذا جازيت المحسن بإحسانه ومنعت المسيء لإساءته فأين جودي وكرمي .

فيا أخي المسلم :

لا تقطن فإن الله منان
وعنده للورى عفو وغفران
إن كان عندك إهمال ومعصية
فعند ربك إفضال وإحسان

اليوم سينصرف كل منا إلى بيته وهو مقر بالتوبة فيصلّي ركعتين ويلتجئ
على الله أن يجعله من أهل التوبة النصوح ... يا حي يا قيوم يا أرحم الراحمين
فإلى كرم الله وعفوه إلى رحمته ومغفرته فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين
التوابون .

تعظيم النبي الكريم

أما بعد معشر الأخوة الكرام :

نحن نترك ضيوفاً على من ؟ على أي نبي كريم وسيد عظيم ، نحن نترك ضيوفاً على أول خلق الله ، وإمام النبيين طراً ، الطاهر المطهر ، الذي قال لنا (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأنا أول شافع وأول مشفع) (م) نحن اليوم في حضرة نبي قال عنه أصحابه : ما شممنا عنبراً ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من رسول الله .

إننا نقف اليوم إجلالاً واحتراماً وتوقيراً وتعظيماً لنبي خصه الله بثلاثين اسماً من أسمائه قال لنا عن ذاته ((إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي ، وأنا العاقب لا نبي بعدي) (م)

إخوة الإيمان :

إذا أردنا أن نعرف ، قدر هذا النبي الكريم فلننظر إلى تعظيم ربه له ، لقد كان من عظمته أن جعله الله تعالى يلد في أشرف بقاع الأرض الحرم المكي

فعلى مقربة من مقام ابراهيم وحجر اسماعيل ومهبط جبريل الأمين ، ومقابل البيت الحرام ولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الله طاعته من طاعة الله فقال ((ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)) ، وأقسم الله بعمره ولا يكون القسم إلا بمعظم ((لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون))

وجعل الله بيعته بيعة لله تعالى فقال :

((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله))

وقرن الله تعالى اسمه إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وشق له من اسمه ليحلّه ، فذو العرش محمود وهذا محمد ، وحين أراد الله تعالى أن يخاطبه خاطبه بكل تعظيم ، يا أيها النبي ، يا أيها الرسول ، يا أيها المدثر ، يا أيها المزمّل .

ونسخه لشرع غيره وقع ، حتماً أذل الله من له منع ، قال تعالى : ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)) .

ونصره بالرعب مسيرة شهر وأعطاه الشفاعة وقال صلى الله عليه وسلم : ((كل نبي تعجل دعوته وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً)) .

وأعطاه الكوثر وهو غير الحوض المورود ، وكان نبياً وآدم بين الروح والجسد ، فهو أول النبيين روحاً وآخرهم بعثاً .

يقول صلى الله عليه وسلم (ت ٣٦١٠) : (أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) فمن مثل سيدنا محمد ؟!

وأخذ العهد على جميع الأنبياء إن هو بعث فيهم أن يكونوا من أتباعه وخلفائه فهو سيدهم وخاتمهم .

تعرفه الدواب حين يركب تأتي إليه سرعة لا تهرب

علا جلوسه جلوس الجلوس صلى عليه الله صباحاً و مساء

يا أمة سيدنا محمد : تعظيم هذا النبي دون أن نصل به إلى مقام الربوبية واجب ، تعظيمه بما عظمه ربه جل جلاله واجب ، لأن احتقاره كفر وردة .

ولما قرب الله موسى إلى طور سيناء نجيا قال : أي رب هل أحد أكرم عليك مني ، فهل أمة محمد أكرم عليك من بني إسرائيل : فقلت لهم البحر ، وأنجيتهم من فرعون وعمله ، وأطعمتهم المن والسلوى ، قال : نعم ، أمة محمد أكرم علي من بني إسرائيل ، قال رب أرنيهم ، قال : إنك لن تراهم وإن شئت أسمعك صوتهم ، قال : بلى يا رب ، فناداهم يا أمة محمد أجيئوا ربكم ، فأجوا وهم يلبنون لبيك اللهم لبيك ، أنت ربنا حقاً ونحن عبيدك حقاً ، قال صدقتم أنا ربكم حقاً و أنتم عبيدي حقاً ونحن عبيدك حقاً ، قال صدقتم أنا ربكم حقاً وأنتم عبيدي حقاً وأنزل الله على نبيه ومصطفاه : ((وما كنت بجانب الطور إذ نادينا)) أي نادينا أمتك ليسمع موسى كلامهم فصلوا عليه وسلموا تسليماً .

يروى لنا الإمام البيهقي وغيره (لما أكل آدم من الشجرة) وأنزل إلى الأرض بقي مدة لا يرفع رأسه إلى السماء استحياءً من الله تعالى : ثم قال : اللهم بحق محمد إلا ما غفرت لي ، قال يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد : قال إنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحي ، رفعت رأسي فإذا مكتوب على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك ، قال صدقت يا آدم وإذ سألتني بحقه غفرت لك ولولا محمد لما خلقتك ، لذلك التوسل بالنبي من أعظم القربات إلى الله تعالى .

وأجزم بأن المصطفى التهامي أفضل مبعوث إلى الأنام

وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة فقال:

((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))

يقول صلى الله عليه وسلم : ((بينما أنا بين النائم واليقظان أتاني ملكان فقال أحدهما للآخر زنه بألف فوزناني فرجحت بهم ، فقال بألف فوزناني فرجحت بهم ، فقال الملك للآخر دعه فو الله لو وزننته بأهل الأرض والسماء لرجح بهم محمد)) .

وحين أراد ركوب البراق في المعراج شمس فقال لها سيدنا جبريل : أسكني يا براق فو الله ما ركبك عبد أكرم على من محمد صلى الله عليه وسلم ، فهل رأيتم عظمة هذا النبي .

يا شباب : هل ترون أعظم من قوله تعالى في الأمان لأهل الأرض ((وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم)) هذه خصوصية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأعطاه الله تعالى من الخصوصيات ما لم يعطها نبياً قبله منها : قول شاعر الإسلام :

لم يحتلم قط ولا له ظلال	خص نبينا بعشرة خصال
كذلك الذباب عنه ممتنع	الأرض ما يخرج منه تبتلع
يرى من خلفه كما يرى أمام	تنام عيناه وقلبه لا ينام

رحمته صلى الله عليه وسلم

الحكم وعلم السنة العرب يخاطب كل قبيلة بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، وكان الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على المكاره صفات أدبه الله تعالى بها ، ما خير بين أمرين إلا أختار أيسرهما ما لم يكن إثماً (خ ١/ ٥٣) وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً ، وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يُقدر قدره ، يعطي عطاء من لا يخاف فقراً ، يقول عنه سيدنا جابر رضي الله عنه : ((ما سئل شيئاً قط فقال : لا) (خ ١/ ٥٣) .

ما قال لا قط إلا في تشهده **لولا التشهد كانت لاؤه نَعَمْ**

نحن اليوم مع سيدنا محمد وأحمد والعاقب والهاشر و المقي و الأمين الصادق ونبى التوبة ونبى الرحمة (م ٢٣٥٥) الذي قال عن نفسه : { إنما أنا رحمة مهداة } وقال عنه عز وجل : { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } .

والرحمة يا إخوتي تعني الرقة والعطف والرأفة ، الرحيم رقيق القلب يريد إيصال الخير لكل الناس ، الرحمة صفة النبيين قال تعالى عن سيدنا الخضر { آتيناه رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علماً } وقال عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : { فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك } .

ووصفه بقوله : { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } . (التوبة)

الرحمة _ يا شباب : صفة أشرف الأمم وصفه أهل الجنة ودليل رقة القلب وسمو النفس ، ولذا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول : { لا تترع الرحمة إلا من شقي } (ت ١٩٢٣ - ٤٩٤٢) .

بل ربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان ، ربط الرحمة بالإيمان فقال : { لا يرحم الله من لا يرحم الناس } (خ - الفتح ٤٥٣/١٠) حتى قال صلى الله عليه وسلم الإسلام عمن لا يرحم فقال { ليس منا من لا يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا } (ت ١٩٢٠ - أحمد ٥٧/١) . ((ليس منا : ليس على طريقتنا وسننا) .

يا أحباب : الرحمة دليل محبة الله ومحبة الناس ، لأنه برحمة الله يوفق العبد لترك المعاصي ونيل الدرجات ، إنها دعوة لإشاعة الرحمة بين افراد المجتمع ترفع من مستواه وتجمع شمله .

وحبيبك رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان رحمة للعالمين حتى قال له أصحابه يوماً : ادعُ على المشركين يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : { إني لم أبعث لعناً وإنما بعثت رحمةً } (م ٢٥٩٩) .

ومن شدة رحمته التي كان يتمتع بها قال له ربه عز وجل { وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم } .

تتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم : في عدد كبير من المواقف ، في الحضر والسفر ، في البيت والشارع ، في المسجد وبين أهله وأصحابه ، ولتوضيح هذه الفكرة ، اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية ها هو يقول (صلوا عليه) { إني لأقوم في الصلاة وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي ، فأتجاوز في صلاتي كراهية أن أشق

على أمه { (خ - الفتح ٢ / ٧٠٧ - م ٤٧٠) رحمة بالصغار والنساء ، ومرة خرج وبنت ابنته أمامه على عاتقه ف صلى بالمسلمين إماماً وهي على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها (صلوا عليه ، ارفعوا شعار شهر ربيع) .
وبلغ من رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان على المنبر يوم الجمعة فرأى سيدنا الحسن وهو يدخل المسجد ويتعثر بين المصلين فنزل من على المنبر وحمل سيدنا الحسن وصعد به المنبر وقال صلى الله عليه وسلم : { إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظميتين من المسلمين } .

هل رأيتم مثل هذه الرحمة ، ألا يعلمنا ذلك أن نرحم أطفالنا ، ولقد أعجبني مشهد فذ لم تر الإنسانية له مثيلاً على مدى المصلحين والدعاة إلى الله تعالى مشهد بطلة سيدنا الحسين ، حيث أن الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم أطال السجود مرة بالصحابة الكرام ، وأطال وأطال حتى قال بعض الصحابة: إنه قبض ، ثم رفع رأسه الشريف ، وأنهى صلاته ثم قال : { إن ابني هذا ارتحلني وأنا ساجد } خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو رفع رأسه من السجود أن يتأذى سيدنا الحسين فصلوا على نبي الرحمة ، أروني ديناً فيه مثل هذه الرحمة ، أروني مصلحاً فيه هذه السجايا ، أروني مذهباً من المذاهب الأرضية تتحلى مبادئه بهذه القيم ، وهذا ليس مقتصراً على أولاده وأحفاده وقرابته صلى الله عليه وسلم بل شملت رحمته القريب والبعيد .

أيها الأخوة : ما زلت معكم عند الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم :

{ ارفعوا شعار شهر ربيع } ها هو سيدنا أسامة بن زيد يدخل مسرعاً على بيت النبي صلى الله عليه وسلم فيقع على الأرض فيشج وجهه ويسيل منه الدم ، فقال الرحمة المهداة للسيدة عائشة { أميطي عنه الدم ، تقول السيدة عائشة

فقذرتة ، فقام الرؤوف الرحيم بنفسه وأخذ يمسح عنه الدم ويداعب أسامة وهو يقول : لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته { .

يا شباب : الراحمون يرحمهم الله ، القُبلة رحمة هل عسير عليك أن تقبل ولدك ، وتشعره بمدى عطفك له ، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يفعل ومرة قبل سيدنا الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً { فقال الأقرع : أتقبلون صبيانكم ؟

قال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ثم قال : أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك ، من لا يرحم لا يُرحم { (خ - الفتح ٥٩٩٧/١ - م ٢٣١٨) معشر الأخوة : هذه هي سجايا وشمائل صفات سيدنا رسول الله إنما ذكرتها لتتأسى الأمة بهذا النبي ، تتأسى وتتصف وتتشبه وتتمسك بها امتثالاً لأمر الله تعالى المطلق { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة } وكلما أكثرنا أخي المسلم من الانصاف بشمائله الكريمة ، كلما كنت أقرب منه وإليه ، أليس قد وصفه ربه { وإنك لعلی خلقٍ عظیم } (القلم ٤) .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

يا رسولاً عزّت به الأكوان	حبك السعد و المنى والأمان
ونالت نعيمها الأزمان	بك تمت رسالة الله للكون
كيف تشقى وفي هداك الضمان	واطمأن الأنام لم تشق روح
الرحمة لما تنزل القرآن	جمع الله للأنام بك
وأزيلت قبل أن يجيء الأحزان	وشفانا من كل داء
لم تكن قبل أن يجيء تصان	أوما صان للبرايا حقوقاً
حبك السعد والمنى والأمان	فلك الحب يا محمد يا من

والحمد لله رب العالمين

الرحلة السادسة
إلى
كراتشي – باكستان
2018-1439

الشيخ الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني
الشافعي الدمشقي القادري

فضل الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إرثاً عظيماً يتمثل في شيئين اثنين : العلم والذكر .

وهي مهمة عظيمة وظفه الله إياها فقال : ((يتلو عليهم آياته و يعلنهم الكتاب والحكمة و يزكيهم)) .

هذه الآية فيها ثلاث مهام للحبيب الأعظم :

المهمة الأولى : علمية

المهمة الثانية : عملية

المهمة الثالثة : روحية

و هذه الروحية لا يبلغ مرتبتها و لا يقترب منها إلا نبي أو وارث نبي ، و لهذا شرعت الطرق الصوفية لتوصل العبد إلى هذا الجانب لأن الذكر عمادها و سنامها و هم الذين نشروا هذه الأذكار النبوية و اعتمدوها في مناهجهم .

الذكر إرث نبوي عظيم كان رسول الله لا يتركه ، حتى وصفه أصحابه أنه كان يذكر الله تعالى في جميع أحيانه .

الذكر يهذب النفس البشرية و يدعوها إلى التحلي بالفضائل ، لذا قرنها الله تعالى بالذكر فقال : (قد أفلح من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى)

إن الذاكر حي في قلبه حي في جوارحه و لمح بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : (مثل الذي يذكر ربه و الذي لا يذكر ربه مثل الحي و الميت) .

فليس ثمة إلا لسانان : لسان ذاكِر و لسان لاذِع

فإن ترك الذكر اشتغل بالباطل و بالغيبة و النسيمة .

و الأذكار عشرة : قراءة القرآن – الاستغفار – الدعاء – الصلاة على النبي

و سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله و إنا لله و إنا إليه راجعون

و كل هذه الأذكار من موروث النبي صلى الله عليه و سلم تعلمناه من منهجه و حياته و هديه .

و في الحديث عند الترمذي و الحاكم و غيرهما :

(هل أدلكم على خير أعمالكم و أزكاها عند مليكم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب و الورق ، و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى ، قال : ذكر الله .

أخي المسلم : إنك مهما بحثت في هديه صلى الله عليه و سلم في أي مكان و زمان هو فيه إلا وجدته ذاكراً لله بأحد الأذكار العشرة .

حتى إنه هدد مرة فقال صلى الله عليه و سلم : ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه و لم يصلوا على نبيه إلا كان عليهم ترة يوم القيامة .

و معنى ترة :

إخوتي : الذاكر ليس عليه ذنب و من لا ذنب عليه تتهذب روحه و نفسه و تشرق بالأخلاق الحسنة .

في البخاري : إن الله تعالى ملائكة يطوفون في الأرض يلتمسون حلق الذكر فإن وجدوا قوماً يذكرون الله فنادوا : هلمّوا إلى حاجتكم .. قال : فيخفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم - و هو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟

قال : يسبحونك و يكبرونك و يحمدونك و يمجدونك ... إلا أن قال :

- أشهدكم أنني قد غفرت لهم . (ق)

و في رواية صحيح مسلم : قوما قد غفرت لكم ذنوبكم و بدلت سيئاتكم حسنات .

إنها دعوة للقرب من الله تعالى و هو الذي دعانا لذكره فقال : فاذكروني أذكركم .

دعوة معزة من رب العزة - فهنئاً لكم ..

السؤال الأول : هل نستطيع أن نعلم ما هي أهم الصفات التي وصف الله بها نبيه الكريم ؟

السؤال الثاني : هل يمكن أن نعرف الأخوة المشاهدين ما هو الحلم ؟

السؤال الثالث : هل لنا تفصيل أكثر ليتوضح لنا هذا الخلق الرفيع من خلال موروثة النبوة ؟

السؤال الرابع : هلا حدثتنا عن حلمه (ص) مع أعدائه ؟

السؤال الخامس : ماذا يحمل الحليم من أخلاقه و صفاته ؟

السؤال السادس : هل شمل حلمه (ص) أصحابه كما شمل أعدائه ؟

السؤال السابع : هلاً أخبرتنا عن أعظم موقف له (ص) في حلمه على أعداءه

المنهج النبوي في الحلم عن الأذى

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وعترته وصحبه ومن والاه .

كان من أهم الصفات التي وصف الله تعالى بها حبيبه ونبيه أن قال له :
((وإنك لعلی خلقٍ عظیم)) .

وحدد رسول الله بعثته ومهمته في الوجود فقال : ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) .

فكانت حياته ومنهجه مثالا يحتذى لأصحابه وللدعاة من بعده .
ومن أهم صفات الداعية التي حملها رسول الإنسانية الأعظم : الحلم والعفو والصفح وخلق التسامح .
وعرفوا الحلم بأنه ضبط النفس والطباع عند ثورة الغضب وعدم الانفعال .
لقد بلغ سيدنا رسول الله غاية الحلم والعفو في تعامله مع أعدائه وأعراب البادية الجافة والقساة .

تعلم منه أصحابه ألا يقابلوا السيئة بالسيئة ، ونقلوا عنه أنه ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله .

لقد اتسع حلمه لجميع خلق الله تعالى ، وما هم أعداؤه في غزوة أحد كسروا سنه الرباعية ، وجرحوا شفته السفلى وشجوا جبهته حتى سال منه الدم ..
وحتى شق على أصحابه فقال : يا رسول الله ادع على المشركين .

فقال صلى الله عليه وسلم : لم أبعث لعاناً و إنما بعثت رحمة (خ) اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون .

صلى عليك الله يا علم الهدى صلى عليك ربي وسلم .

حلمه مع أعدائه كان عجباً في حياته كلها ، أرسل إليه مسيلمة الكذاب رسوله لينقلا عنه رسالته منه .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أنني رسول الله .

فقالا له : نشهد أن مسيلمة رسول الله .

فقال لهما : آمنت بالله ورسوله ، لو كنت قاتلاً رسولاً لقتلتكما

كان حقه أن يغضب ويثور على أعدائه إلا أنه كان خلقه القرآن ، ولقد خاطبه ربه عز وجل فقال :

((فاعف عنهم وأصفح لهم)) وقال له : ((فاعف عنهم واستغفر لهم))

الحليم مالك زمام نفسه يتخذ قراره بهدوء ، و يتصرف بروية ، و في الحديث " كاد الحليم أن يكون نبياً " .

و لقد قالت العرب : الحلم سيد الأخلاق .

ها هو صلى الله عليه وسلم يعلمنا بنفسه هذا الدرس ، ها هو يطوف بالكعبة المشرفة يوم فتح مكة المكرمة ، و كان فضالة بن عمير بن الملوح حديث عهد بالإسلام فقال : الآن أقتل محمداً .. وراح يطوف من خلفه يتحين الوصول إليه .. فلما دنا منه ، قال له سيدنا رسول الله : أفضالة . قال نعم فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ، قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ، فضحك سيدنا رسول الله ثم وضع يده على صدر فضالة

فسكن قلبه فكان فضالة يقول : والله ما وضع يده على صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه .

لقد حاولت مرةً يهودية أن تسمم النبي الكريم حين قدمت له شاة مسمومة ، فأخبرته الشاة وقالت لا تأكلني فإني مسمومة . فاستدعى اليهودية فاعترفت وأقرت بفعلها فماذا كان جواب سيد النبيين صلى الله عليه وسلم ، قال لها :
- ما كان الله ليسلطك على ذلك .

قالوا : ألا نقتلها ؟ فقال نبي الرحمة : لا . (خ ٢٦١٧ - م ٢١٩٠)

كان خلق الحلم أحد المبادئ التي تعامل بها رسول الله مع أعدائه وأصحابه على السواء .

لقد فرح مرة ثمامة بن أثال يحمل سيفاً ماضياً نحو المدينة يريد قتل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويلقاه سيدنا عمر فيسأله أين هو ذاهب ؟ فقال جئت أقتل محمداً فما كان من سيدنا عمر إلا أن لبس بثوبه ونزع منه السيف وقاده إلى المسجد فيربطه يسارية المسجد ويقدم تقريره لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلب منه إذن بقتله .. ولكن رسول الله قدم بنفسه إلى الأسير الذي جاء يقتله عامداً متعمداً فراه مربوطاً في السارية .. فسأل : هل أعددت له طعاماً ؟

رحيم وحليم بأعدائه كما أنه رحيم وحليم بأصحابه ...

وجعل الصحابة لحلم رسول الله ولكن رسول الله أعطى درساً في قيادة الأمم .

وأرى سيدنا عمر يتميز غيظاً من قاتل سيدنا النبي ، والتفت إلى أصحابه وقال : اذهبوا وانتوه بلبن من بيتي .

وأمر رسول الله بفك قيوده ويشرب الأسير القاتل الحليب ... ولما رأى ثمامة ما فعل رسول الله به أعلن إسلامه بين يدي النبي .

وأعظم موقف من مواقف حلمه صلى الله عليه وسلم ما حدث له يوم الطائف يوم ردوه بأبشع رد ، وأغروا به سفهاءهم فضربوه بالحجارة حتى أدموا قدميه الشريفتين ... وإذا هو بسحابة قد أظلمته وإذا بها سيدنا جبريل ومعه ملك الجبال نزل ليأتمر بأمر النبي قال ملك الجبال : لو شئت أطبق عليهم الأخشبين (جبلي مكة) فقال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً (خ ٣٢٣١ - م ١٧٩٥) .

لم ينتقم رسول الله لنفسه بل ارتفع عن غريزة الانتقام أملاً في إصلاح حال الناس حتى يؤمنوا ... وقد استجاب الله دعاءه ورجاءه .

كم نحن بحاجة إلى التخلق بمثل هذه الأخلاق الكريمة ولقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم)) .
((اصبر وما صبرك إلا بالله)) ..

والحمد لله رب العالمين

برنامج دروس الرحلة الثالثة إلى كراتشي

يوم الجمعة :

- ١- قبل الصلاة : فضل الشام و إغاثة أهل الشام .
- ٢- مساء درس في المسجد : الإسلام دين الفطرة .
- ٣- بعد درس المسجد : فضل سيدنا أبي بكر الصديق .

يوم السبت :

- ١- بعد العصر : درس في المعمل للعمال .
- ٢- مساء : في المسجد : فضل سيدنا أبو بكر .
- ٣- بعد درس المسجد : في مسجد نور : سيدنا أبو بكر .
- ٤- كلمة عزة الرسول و حكم إيدائه .

يوم الأحد :

- ١- مساء في المسجد : درس الشيخ و المريد .
- ٢- حفلة الزفاف لأخي راشد .

يوم الإثنين :

- ١- صباحاً مع الطلاب معهد الأمجدية : فضل العلم و العلماء .
- ٢- ليلاً : في المسجد : القاديانية .
- ٣- كلمة عم سيدنا الصديق .

يوم الثلاثاء :

- ١- صباحاً : مركز الدعوة : عن الحديث .
- ٢- ليلاً : في المسجد : عزة الرسول .
- ٣- كلمة في مسجد غوثية : التوسل .

يوم الأربعاء :

- ١- صباحاً : زيارة المشفى .
- ٢- في المسجد : القدس لنا .
- ٣- بعد الدرس : كلمة سيدنا أبي بكر .

يوم الخميس :

- ١- ليلاً : في المسجد : حقوق المرأة .
- ٢- بعد درس المسجد : جلسة كبيرة : من هم أهل السنة .

يوم الجمعة :

- ١- خطبة مسجد ميمن : فضل الشام و إغاثة الملهوف .
- ٢- درس المسجد : حب النبي من الإيمان .

يوم السبت :

- ١- في الصلاة للنساء بين العصر و المغرب .
- ٢- في المسد : الإرهاب لا دين له .
- ٣- عشاء : عقد نور محمد

يوم الأحد :

- ١- غداء عند المتوضى .
- ٢- حامد : كأس شاي .
- ٣- في المسجد : فضائل آل البيت .
- ٤- بعد الدرس : جلسة عن الصديق .

يوم الاثنين :

- ١- جلسة خارج المدينة كبيرة : التوسل و قيمة الشيخ .

يوم الثلاثاء :

- ١- د. عبد الرحيم : إغاثة الملهوف .
- ٢- حفلة محمد علي في بيته : إغاثة الملهوف .

الوهابية

هذه آراء أهل السنة و الجماعة في السلفية الوهابية منذ إنشاء الحركة الوهابية على يد المخابرات في القرن الثامن عشر تصدى عشرات العلماء في العالم الإسلامي و خصوصاً من الأخوة السنة و ألغوا مئات الكتب و المقالات لدحض الوهابية و تبرئة الإسلام منها .

إن الإجماع بين أهل السنة و الجماعة على أن محمد بن عبد الوهاب هو ضال و مبتدع وأن إتباعه خوارج مارقين من الدين أمر لا لبس فيه كما سوف ترى (وأن تسربلوا بلبوس الدين و إمامة الصلوات ! شأنهم في ذلك شأن الخوارج) على أية حال أن الأخ السني مطالب بإدانة الوهابية أكثر من الأخ الشيعي لأن القادم أعظم ، و عليهما أن يقفا سوية و ينتبها للسرطان الوهابي الفتاك الذي فتك بالجسم العراقي و أنسجته الجميلة ، و على الله التكلان .

* رأي المذهب الشافعي :

قال الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية في تاريخه تحت فصل فتنة الوهابية [١] : كان – أي محمد بن عبد الوهاب – في ابتداء أمره من طلبة العلم في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة و السلام ، و كان أبوه و أخوه و مشايخه يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ و ضلال لما يشاهدونه من أقواله و أفعاله و نزغاته في كثير من المسائل ، و كانوا يوبخونه و يحذرون الناس منه ، فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدع ما ابتدعه من الزيغ و الضلال الذي أغوى به الجاهلين و خالف فيه أئمة الدين ، و توصل بذلك إلى تكفير المؤمنين فزعم

١- أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه و سلم و التوسل به و بالأنبياء و الأولياء و الصالحين

٢- و زيارة قبورهم للتبرك شرك

٣- و أن نداء النبي (صلى الله عليه و سلم) عند التوسل به شرك ،

٤- و كذا نداء غيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين عند التوسل بهم شرك

٥- و أن من أسند شيئاً لغير الله و لو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً نحو : نفعني هذا الدواء ، و هذا الولي الفلاني عند التوسل به في شيء .

و تمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مراده ، و أتى بعبارات مزورة زخرفها و لبس بها على العوام حتى تبعوه ، و ألف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر كثر أهل التوحيد " ١.ه إلى أن قال : " و كان كثير من مشايخ ابن عبد الوهاب بالمدينة يقولون : سيضل هذا أو يضل الله به من أبعد و أشقاه ، فكان الأمر كذلك ، و زعم محمد بن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدعه إخلاص التوحيد و التبري من الشرك ، و ان الناس كانوا على الشرك منذ ستمائة سنة ، و أنه حدد للناس دينهم ، و حمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى : (و من أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة و هم عن دعائهم غافلون) ، (سورة الأحقاف/٥) ، و كقوله تعالى (و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك و لا يضرك فإن فعلت فإنك إذا لمن الظالمين) (سورة يونس/١٠٦) ، و كقوله تعالى (و الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) (سورة الرعد/١٤) ، و أمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة ، فقال محمد بن عبد الوهاب : من استغاث بالنبي (صلى الله عليه و سلم) أو بغيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فإنه مثل هؤلاء المشركين و يدخل في عموم هذه الآيات ، و جعل زيارة قبر النبي (صلى الله عليه و سلم) و غيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين مثل ذلك - يعني للتبرك - و قال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في عبادة الأصنام : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) (سورة الزمر) إن المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون : (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

(سورة الزمر/٣) "اه ثم قال: " روى البخاري عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين ، وفي رواية عن ابن عمر أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال : " أخوف ما أخاف على أمتي رجل يتأول القرآن يضعه في غير موضعه " فهو و ما قبله صادق على هذه الطائفة " اه ثم قال : " و ممن ألف في الرد على ابن عبد الوهاب أكبر مشايخه و هو الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح ابن حجر على متن بفضل ، فقال من جملة كلامه : " يا ابن عبد الوهاب إني أنصحك أن تكف لسانك عن المسلمين " اه.

ثم قال الشيخ أحمد زيني دحلان : " و يمنعون من الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) على المنابر بعد الأذان حتى إن رجلاً صالحاً كان أعمى و كان مؤذناً و صلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد الأذان بعد أن كان المنع منهم ، فأتوا به إلى محمد بن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل ! ، و لو تتبععت لك ما كانوا يفعلونه من أمثال ذلك ملأت الدفاتر و الأوراق و في هذا القدر كفاية " .

أقول لاحظ وحشية الإرهاب الوهابي ! و يشهد لما ذكره من تكفيرهم من يصلي على النبي أي جهراً على المآذن عقب الأذان ما حصل في دمشق الشام من أن مؤذن جامع الدقاق قال عقب الأذان كعادة البلد : الصلاة و السلام عليك يا رسول الله جهراً ، فكان وهابي في صحن المسجد فقال بصوت عال : هذا حرام هذا مثل الذي ينكح أمه ، فحصل شجار بين الوهابية وبين أهل السنة و ضرب ، فرفع الأمر إلى مفتي دمشق ذلك الوقت و هو أبو اليسر عابدين ، فاستدعى المفتي زعيمهم ناصر الدين الألباني فألزمه ألا يدرس و توعد إن خالف ما ألزمه بالنفي من البلاد

و قال أيضاً ما نصه : " كان محمد بن عبد الوهاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعية و يقول في كل خطبة : " و من توسل بالنبي فقد كفر " ، و كان أخوه

الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم ، فكان ينكر عليه إنكاراً شديداً في كل ما يفعله أو يأمر به و لم يتبعه في شيء مما ابتدعه ن و قال له أخوه سليمان يوماً : كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب ؟ فقال خمسة ، فقال : أنت جعلتها ستة ، السادس : من لم يتبعك فليس بمسلم هذا عندك ركن سادس للإسلام .

طريقة البريلوية

البريلوية هي فرقة صوفية ماتريدية في العقيدة ، و تنتسب لمذهب الإمام أبي حنيفة في المسائل الفقهية الفرعية .

نشأت في شبه القارة الهندية في مدينة بريلي بالهند أيام الاستعمار البريطاني ، و تنسب هذه الفرقة إلى الإمام أحمد رضا خان . (١٣٤٠-١٢٧٢) .

حياته :

ولد في بريلي بولاية اترابرايش و تتلمذ على أبيه الشيخ تقي علي خان و غيره كالشيخ الميرزا غلام قادر بيك ، زار مكة المكرمة و قرأ على بعض المشايخ فيها عام ١٢٩٥ هـ . و كان نحيلاً حاد المزاج ، مصاباً بالأمراض المزمنة ، دائم الشكوى من الصداع آلام الظهر ، شديد الغضب ، حاد اللسان ، مع فطنة و ذكاء ، و من أبرز كتبه :

أنباء المصطفى

و خالص الاعتقاد

و دوام العيش و الأمن ، لناعتي المصطفى

و مرجع الغيب

و الملفوظات

و له ديوان شعر حدائق بخش

أعلام المدينة .

و من أحفاده مفتي الهند و قاضي قضائها .

العلامة محمد اختر رضا خان .

ولد سنة ١٣١١ هجري

تخرج من جامعة الأزهر سنة ١٩٦٦ .

يتحدث العربية بطلاقة .

و هو حنفي ماتريدي قادري بريلوي .

يقوم بترجمة مؤلفات جده إلى العربية .

له ديوان شعر و قصائد و كتب في نقد الوهابية و تبين حقيقة الطريقة البريلوية .

له تآليف عدة في العقيدة و الفقه .

- ديدار علي : بريلوي ، ولد سنة ١٢٧٠هـ في نواب بور بولاية الور و توفي في أكتوبر

١٩٥٣م و من مؤلفاته تفسير ميزان الأديان و علامات الوهابية .

نعيم الدين المراد آبادي :

١٣٠٠-١٣٦٧هـ الموافق ١٨٨٣-١٩٤٨م و هو صاحب المدرسة التي سماها الجامعة

النعمية و يلقب بصدر الأفاضل ، و من كتبه الكلمة العليا في عقيدة علم الغيب .

- أمجد علي الأعظمي : ولد في كهوسي ، و تخرج في المدرسة الحنفية بجونبور سنة

١٣٢٠هـ ، و كانت وفاته سنة ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٨م و له كتاب بهار شريعت .

- حشمت علي خان : ولد في لكهنو ، و فرغ من دراسته سنة ١٣٤٠هـ ، و كان يسمى

نفسه كلب أحمد رضا خان معتزاً بهذه التسمية و له كتاب تجانب أهل السنة ، و يلقب بـ)

غيظ المنافقين (، و كان موته سنة ١٣٨٠هـ .

- أحمد يارخان ١٩٧١-١٩٠٦م : كان شديد التعصب للفرقة و من مؤلفاته جاء الحق و زهق الباطل ، سلطنت مصطفى .

* طقوس و عقائد دينية خاصة :

في معظم مساجد البريلويون يقرؤون السلام مثل سائر أهل السنة في مساجدهم لا يختص عندهم السلام على هذه الصيغة فقط و إنما يسلمون على رسول الله بأي صيغة سلام عملاً بقوله تعالى : (ي أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً) بعد صلاة الجمعة و في المناسبات الدينية .

هم يحتفلون بعيد ميلاد النبي صلى الله عليه و سلم كعيد (يعني كيوم فرح ، و ليس مثل العيدين الفطر و الأضحى) .

هم يؤدون حق محبة الأولياء الكرام و يعرفون لهم حقهم .

يجيزون نداء النبي بحرف النداء يا .

* الأفكار و المعتقدات :

يعتقد أبناء هذه الطائفة بأن الرسول لديه قدرة يتحكم بها في الكون ، يقول أمجد علي : " إن النبي نائب مطلق لله سبحانه و تعالى ، و إن العالم كله تحت تصرفاته ، فيفعل ما يشاء ، يعطي ما يشاء لمن يشاء ، و يأخذ ما يشاء ، و ليس هناك أحد مصرف لحكمه في العالمين ، سيد الآدميين و من لم يجعله مالكا له حرم من حلاوة السنة " .

و أن محمداً و الأولياء من بعده لديهم قدرة على التصرف في الكون .

مستشهدين بالحديث البخاري القدسي عنه: (فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به....)

يقول أحمد رضا خان : " يا غوث (أي عبد القادر الجيلاني) إن قدرة [كن] حاصلة لمحمد من ربه ، و من محمد حاصلة لك ، و كل ما يظهر منك يدل على قدرتك على التصرف ، و أنك أنت الفاعل الحقيقي وراء الحجاب " .

- بالغوا في إضفاء الصفات على النبي يقول أحمد رضا خان في كتابه خالص الاعتقاد ص ٣٣ : إن الله تبارك و تعالى أعطى صاحب القرآن ومولانا محمد جميع ما في اللوح المحفوظ .(...مستشهدين بحديث (فأورثني الله علم الأولين والآخرين...)

- لديهم عقيدة اسمها (عقيدة الشهود) حيث إن النبي في نظرهم حاضر و ناظر لأفعال الخلق الآن في كل زمان و مكان ، يقول أحمد يارخان في كتابه جاء الحق : " ١/١٦٠ المعنى الشرعي للحاضر و الناظر هو أن صاحب القوة القدسية يستطيع أن يرى العالم مثل كفه من مكان وجوده ، و يسمع الأصوات من قريب و من بعيد ، و يطوف حول العالم في لمحة واحدة و يعين المضطرين ، و يجيب الداعين " .

- النبي يجعلونه نوراً من نور الله ، يقول أحمد يارخان في كتابه مواظب نعيمية ص ١٤ . " إن الرسول نور من نور الله ، و كل الخلائق من نوره " ، و يقول أحمد رضا خان في أشعاره " ما قيمة هذا الطين و الماء إذا لم يكن النور الإلهي حل في صورة البشر " .

- يحتثون أتباعهم على الاستغاثة بالأنبياء و الأولياء ، و من يستكثر عليهم ذلك يرمونه بالإلحاد ، يقول أمجد علي في كتابه بهار شريعة : " ١/١٢٢ إن المنكرين للاستمداد بالأنبياء و الأولياء و بقبورهم ، ملحدون " .

- يشيدون القبور و يعمرونها و يجصصونها و ينثرون فيها الشموع و القناديل و ينذرون لها النذور ، و يتبركون بها و يقيمون الاحتفالات لأجلها ، و يضعون عليها الزهور و الورود و الأردية و الستائر ، تبركاً به .

- لديهم تقديس لشخصية الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، و يعظمون باقي الأولياء من أئمة المتصوفة و ينسبون إليهم أفعالاً خارقة للعادات و هي الكرامات عند عقيدة أهل السنة والجماعة .

- و يقولون بالإسقاط و هي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من الصلاة و الصيام و غيرها (كما هو عند الحنفية استحساناً) ، و مقدار الصدقة عن كل صلاة أو صيام تركه الميت هو مقدار صدقة الفطر المعروفة ، و قد يعمدون إلى حيلة عند الحنفية في ذلك إذ يوزعون مقداراً يغطي سنة واحدة ثم يستردون ذلك هبة و من ثم يعيدون توزيعه ، و يكررون ذلك بعدد السنين التي تركت فيها تلك الفريضة ، ولم يقل بها غير الحنفية .

- أعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي الشريف إذ ينفقون فيه الأموال الطائلة ، و هو يوم مقدس مشهور لديهم ، ينشدون فيه الأناشيد التي تمجد الرسول الكريم و يقرؤون فيه كتاب سرور القلوب في ذكر المولد المحبوب الذي ألفه أحمد رضا خان .

- الأعراس : و هي تعني زيارة القبور و الاجتماع عليها من مثل عرس الشيخ الشاه وارث في بلدة ديوه و عرس الخواجة معين الدين جشتي ، حيث يجتمع له الملايين و يختلط فيه الرجال بالنساء .

- إن من يترك الصوم و الصلاة يجد له خلاصاً ، أما الطامة الكبرى و المصيبة العظمى في نظرهم فإنما تقع على من يتخلف عن الاحتفال بالمولد أو الفاتحة أو العرس لأنه من باب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وهو فرض في الدين.

- و هم يكفرون المسلمين من غير البريلويين لأدنى سبب و لم يتركوا تجمعاً إسلامياً و لا شخصية إسلامية من وصف الكفر ، و قد شمل تكفيرهم الديوبنديين و زعماء التعليم و الإصلاح ، كما شمل الشيخ إسماعيل الدهلوي و هو من علماء الهند ممن حاربوا البدع و الخرافات ، و محمد إقبال .

- و هم يكفرون ابن تيمية و ينعتونه بانه مختل و فاسد العقل و يدرجون معه تلميذه ابن القيم . كما تفعل بعض المذاهب الإسلامية.

- يكرهون محمد بن عبد الوهاب و يرمونه بأشنع و أسوأ الألفاظ .

- يمتازون بتقبيل الإبهامين عند الأذان و مسح العينين بهما ، و اعتبار ذلك من الأمور الأساسية ، و أن من يفعل ذلك لا يرمد أبداً ، انظر مؤلفهم منير العينين في تقبيل الإبهامين .

الجزور الفكرية و العقائدية

تصنف هذه الفرقة من حيث الأصل ضمن جماعة أهل السنة الملتزمين بالمذهب الحنفي و العقيدة الماتريدية حيث يرى بعض الدارسين أن أسرة مؤسس الفرقة الإمام أحمد رضا خان حنفي المذهب ، سني العقيدة .

و بسبب عيشهم ضمن القارة الهندية ذات الديانات المتعددة فلقد حاربوا الأفكار الهندوسية و البوذية .

- اتهموا بالتشيع لأنهم أضفوا على النبي و على الأولياء صفات تماثل تلك الصفات التي يضيفها الشيعة على أئمتهم المعصومين في نظرهم .

انتقادات

ظهرت بعض الانتقادات لهذه الطائفة من معارضيهم أكثرها باطلة منهم :

إحسان إلهي ظهير

كتب كتاباً مفصلاً عن فرقة البريلوية اسمه " البريلوية : عقائد و تاريخ " لا أساس لها من الصحة .

سيدنا أبو بكر (ج ٢)

أرى سيدنا الصديق وحيدر (سيدنا علي) قد ذهباً إلى زيارة سيدنا النبي والتقى على باب الحجرة قال سيدنا أبو بكر : تقدم يا علي .

قال سيدنا علي : و كيف أتقدم عليك يا أبا بكر و قد قال فيك سيدنا رسول الله " ما طلعت الشمس و لا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر " .

قال سيدنا أبو بكر : كيف أتقدم عليك يا علي و قد قال فيك رسول الله : زوجت خير النساء لخير الرجال ، زوجت فاطمة لعلي " .

فقال سيدنا علي : كيف أتقدم عليك يا أبا بكر و قد قال فيك رسول الله :

" لو وزن إيمان الأمة بإيمان أبي بكر لربح إيمان أبي بكر " .

قال سيدنا أبو بكر : و كيف أتقدم عليك يا علي و قد قال فيك النبي : يحشر علي بن أبي طالب مع فاطمة و الحسن و الحسين راكبين يوم القيامة ، فيشير الناس إلى علي في الموقف فيقولون : من هذا النبي ؟ فيقال : ما هو بنبي و إنما هو علي بن أبي طالب .

قاتل سيدنا علي : و كيف أتقدم عليك يا أبا بكر و قد قال فيك رسول الله :

" لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً " .

قال سيدنا أبو بكر : و كيف أتقدم عليك يا علي و قد قال فيك رسول الله :

(أتى مع علي يوم القيامة فيقول الله لي : يا حبيبي لقد اخترت لك إبراهيم خير والد و اخترت لك علياً خير أخ و صديق) .

فقال سيدنا علي : و كيف أتقدم عليك يا أبا بكر و قد قال فيك مولانا :

آية موسى : (و الذي جاء بالصدق و صدق به أولئك هم المتقون) .

فقال سيدنا أبو بكر : و كيف أتقدم عليك يا علي و قد قال فيك الله تعالى :

و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله و الله رؤوف بالعباد .

و بينما هما بتجاذبان أطراف الحديث إذ بالأمين جبريل يهبط على الأمين سيدنا محمد و يقول : يا رسول الله إن أبا بكر و علياً واقفان ببابك فقم إليهما .

- ولد بعد سنين من عام الفيل .. و شب على الأخلاق الفاضلة حتى أحبته قريش .. كان يقرئ الضيف و يحمل الضعيف و يكسب المعدوم ..

- لم يشرب قط خمراً و لم يسجد لصنم .. اسلامه الشيخ الذي يتفقه في اليمن .. ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة في أبي بكر .

فقام رسول الله إليهما أبو بكر عن يمينه و علي عن يمينه من الجهة الأخرى ، و دخل بهما النبي بيته و قال لهما (صلوا عليه) : هكذا الحشر يوم القيامة .

معشر السادة الكرام :

سيدنا الصديق أبو بكر و اسمه عبد الله بن عثمان من بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر ، و أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن تيم بن مرة .

ولد بعد سنتين من عام الفيل ، و شب على الأخلاق الفاضلة ، يحمل الكل ، و يكسب المعدوم ، محبباً إلى قريش ، يعرف من أنسابهم رشي الله عنه مالا يعرفه غيره ، و كان ينزه نفسه عن شرب المسكرات و أفعال الجاهلية الجهلاء .

و كان صديقاً للحبيب الأعظم ، فلما شرف الله سيدنا محمداً برسالته كان سيدنا أبو بكر أول رجل أجابه ، و في ذلك يقول سيدنا رسول الله :

" ما دعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر " (ترضوا عنه) .

و حين اشتد أذى المشركين على المسلمين أراد سيدنا أبو بكر أن يهاجر إلى الحبشة ، فمنعه من ذلك ابن الدغنة سيد القارة ، و أجاره على قریش على شرط ألا يستعلن بصلاته ، لكن الصديق - بعد ذلك - رد جوار ابن الدغنة و أقام راضياً بما يصيبه مع إخوانه المسلمين .

إخوتي في الله :

كان للصديق خصائص لم يختص بها أحد غيره من الصحابة :

أولاهما : أنه أفضل الصحابة بعد أولاد سيدنا رسول الله

ثانيتهما : انه كان له شرف الصحبة في الهجرة إلى مدينة سيدنا رسول الله .

كان ثاني اثنين إذ هما في الغار . (صلوا على الهادي الأعظم) .

ثالثتهما : أنه صديق هذه الأمة ، و الصديقية مرتبة بعد الرسالة و النبوة ، فعندما رجع رسول الله ليلة أسري به و كان بذى طوى ، قال : يا جبريل إن قومي لا يصدقونني . قال : يصدقك أبو بكر ، و هو الصديق .

رابعتهما : أنه سماه سيدنا رسول الله ، عتيقاً : لأن الله أعتقه من النار .

خامستها : أنه أنفق ماله كله على سينا النبي و على إعتاق العبيد أمثال سيدنا بلال ، و على دعم الإسلام و تقوية المسلمين ، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنت عند النبي و عنده أبو بكر الصديق و عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال (جمع بين طرفيها و شكها بالخشب) . فنزل عليه جبريل فقال :

- يا محمد مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها بخلال في صدره ؟ فقال : يا جبريل أنفق ماله علي قبل الفتح ، قال : فإن الله عز و جل يقرأ عليك السلام . (صلوا عليه) و يقول لك :

- قل له أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط .

فقال رسول الله : " يا أبا بكر إن الله عز و جل يقرأ عليك السلام و يقول لك أراض أنت عني في ففرك هذا أم ساخط ؟ "

فقال أبو بكر رضي الله عنه : اسخط على ربي ؟ أنا عن ربي راض ، أنا عن ربي راض.

و أنزل رب العزة على نبيه الكريم قرآناً يتلى إلى يوم الدين :

(و سيجنبها الأتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى ، و ما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، و سوف يرضى) (ترضوا عنه) .

الخصوصية السادسة : أنه شهد بعد الهجرة جميع الغزوات لم يتخلف عن واحدة منها ن و كان صاحب الراية في غزوة تبوك .

الخصوصية السابعة : أنه كان أمير الحج في السنة التاسعة من الهجرة و النبي على قيد الحياة : (صلوا عليه) .

الخصوصية الثامنة : أنه كان يفتي الصحابة أثناء حياة النبي الكريم و بحضرته .

الخصوصية التاسعة : أنه كان يصلي هو إماماً في أثناء غياب النبي عن المدينة و مرة غاب عليه الصلاة و السلام ، و حضرت الصلاة ، فقدم بلاب سيدنا الصديق فلما دخل في الصلاة حضر رسول الله و رآه الصحابة فراحوا يصفقون و الناس يشقون الطريق لرسول الله إلى المحراب ، فرآه الصديق فترجع إلى الخلف ، فأوماً إليه سيدنا النبي بيده أن يعود ليصلي بالناس ، فأبى الصديق ، فصلى رسول الله بالناس ، فلما انتهى قال للصديق : يا أبا بكر ما منعك إذ اومأت إليك أن لا تكون مضيت .

فقال سيدنا أبو بكر : لم يكن لابن أبي قحافة (و هو لقب أبيه) أن يؤم رسول الله (ق)

الخصوصية العاشرة : أنه كان يصلي بالناس زمن مرض الوفاة الذي ألم بسيدنا رسول الله ، بل إنه صلى إماماً بسيدنا رسول الله و رسول الله إلى جنبه قاعد يصلي بصلاة أبي بكر (ترضوا عنه) .

و هذه الخصوصية بالذات كانت من أهم الأمور التي رجحت ميزان الصديق لتولي الخلافة بعد سيدنا رسول الله .

أيها المؤمنون : و لأن الأمر من الأهمية بمكان اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جوار المسجد إلى سقيفة بني ساعدة .

فقد اجتمع الصحابة من المهاجرين و الأنصار في سقيفة بني ساعدة و راحوا يتجادبون أطراف الشورى بينهم فيمن يكون خليفة للمسلمين ، فقام خطيب الأنصار فقال :

أما بعد : " فنحن انصار الله و كتيبة الإسلام ، و أنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، و قد دفت دافة من قومكم ، و إذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا و يغصبونا الأمر " .

ثم قام سيدنا أبو بكر الصديق و قال للأنصار :

" أيها الناس نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، و أكرمهم أحساباً ، و أوسطهم داراً و أحسنهم وجوهاً ، و أكثرهم ولادة من العرب ، و أمسهم رحماً برسول الله ، أسلمنا قبلكم و قدمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك و تعالى :

و السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار الذين اتبعوهم بإحسان .

فنحن المهاجرين و أنتم الأنصار إخواننا في الدين ، و شركاؤنا في الفیء ، و أنصارنا على العدو ، و أما ما ذكرتم من خير فأنتم به أهل ، و أنتم أجدر بالثناء من أهل الأرض جميعاً ، فأما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش . " الأنمة من قريش " هكذا قال . فمنا الأمراء و منكم الوزراء .

فقام أحد الأنصار فقال : منا أمير و منكم أمير يا معشر قريش .

فقال سيدنا أبو بكر : بل منا الأمراء و منكم الوزراء ، و قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم ، و أخذ بيد عمر بن الخطاب و بيد أبي عبيدة بن الجراح ، و هو جالس بينهما ، فقالا معاً : لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك فإنك أفضل المهاجرين و ثاني اثنين إذ هما في الغار ، و خليفة رسول الله على الصلاة ، و الصلاة أفضل دين المسلمين فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك او يتولى هذا عليك ، أبسط يدك يا أبا بكر ، فبايعه الفاروق و ابن الجراح أمين هذه الأمة .

أيها السادة : مست هذه الكلمات قلوب الحاضرين ، و قضت على ما بينهم من الخلاف ، و أقبلوا فبايع المهاجرون ثم بايع الأنصار . فلما كان الغد جلس الصديق على المنبر ، و دعا الفاروق لمبايعته الناس ، فبايعوه فكانت هذه البيعة تسمى البيعة العامة .
ثم قام الصديق فخطب في الناس خطبة الخلافة ، بعد أن حمد الله تعالى و أثنى عليه ثم قال :

أما بعد : >> أيها الناس : إني وليت عليكم و لست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، و إن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ن و الكذب خيانة ، و الضعيف فيكم قوي عندي حتى أربح عليه حقه إن شاء الله ، و القوي فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله تعالى .

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم بالذل ، و لا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله و رسوله ، فإن عصيت الله و رسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله << .

إخوة الإيمان :

ما إن ذاع نبأ وفاة سيدنا النبي حتى اشترأت اليهودية و النصرانية و نجم النفاق ، فارتدت بعض القبائل عن الاسلام ، و امتنع بعضهما عن دفع الزكاة ، و هم أهل مكة بالرجوع

عن الاسلام ، و خافهم والي مكة عتاب بن أسيد فتواری عنهم ، و قام سهيل بن عمرو في الناس خطيباً فقال :

" إن وفاة رسول الله لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه . ثم قال :

يا اهل مكة كنتم آخر من أسلم فلا تكونوا أول من ارتد ، و الله ليتمن الله عليكم هذا الأمر كما قال رسول الله ."

فتراجع الناس عن ترك الاسلام .

و أنفذ الصديق بعث أسامة بن زيد الذي جهزه رسول الله ، و سار يودع الجيش حتى ظاهر المدينة المنورة ، و استبقى عنده الفاروق ليستعين برأيه على أمور المسلمين .

و جهز الجيوش لقتال أهل الردة بعد عودة الجيش ظافراً منصوراً ، و خاصة لقتال الذين ادعوا النبوة أمثال مسيلمة الكذاب ، و أرسل معهم كتاباً نشره : ودعا فيه الناس إلى الإسلام و عدم الاعتراض بشياطين الإنس و الجن .

ووجه سيدنا خالداً لقتال أهل اليمامة و للقضاء على مسيلمة الكذاب و أتباعه الذين بلغوا الأربعين ألفاً ، و كان في جيش خالد سيدنا وحشي بن حرب الذي ساهم بقتل مسيلمة مع رجل من الأنصار فقال وحشي :

- قتلت خير الناس في الجاهلية ، و شر الناس في الإسلام .

و عمل الصديق في أمر الردة بعزيمة لم تعرف لغيره من الأبطال . و قال قولته المشهورة : " والله لو منعوني عناقاً (ابن الشاة) كانوا يؤدونه إلى رسول الله " لقاتلتهم عليه ، فانطفأت نار الردة التي اشتعلت في الجزيرة قبل أن ينقضي عام واحد على وفاته .

و في عهده فتح الله العراق حتى الحيرة ، بقيادة سيدنا خالد بن الوليد و جنده ، و أرسل إنذاراً لهرمز القائد الفارسي قائلاً : أسلم تسلم أو اعتقد لنفسك و قومك الذمة و إقراراً بالجزية ، و إلا فلا تلومن إلا نفسك ن فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما أنكم تحبون الحياة

(ترضوا عنهم) فخارت عزيمة كسرى ، و أرسل إلى ملك الصين يطلب منه مدداً و قوة ، فأرسل إليه ملك الصين كتاباً قال فيه : ((يا كسرى لا قبل لي بقوم لو أرادوا خلع الجبال لخلعوها)) .

و ما إن حاز النصر من عند الله عز و جل حتى وجهه الصديق لمساعدة سيدنا أبي عبيدة ابن الجراح في الشام و في اليرموك ، و قد بلغ عدد الروم ٢٤٥ ألفاً ، و راح المسلمون يتوجهون إلى الله بالدعاء ، و قال رجل لسيدنا خالد : ما أكثر الروم و ما أقل المسلمين . فقال سيدنا خالد :

- بل قل ما أقل الروم و ما أكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر ، و تقل بالخذلان لا بعدد الرجال .

و بهذا الإيمان العظيم الذي ملأ قلوب الصحابة الأبرار نصرهم مولانا عز و جل في اليرموك ، و انهزم الروم شر هزيمة ، و استشهد من المسلمين نحو ثلاثة آلاف ، و ودع هرقل بلاد الشام و هو يوجه الحرب من حمص قائلاً : سلام عليك يا سوريا سلاماً لا لقاء بعده .

أيها الأحبة : كانت حكومة سيدنا الصديق مؤلفة من أربعة من الصحابة برئاسته ، لم يكن له وزير ، و إنما كان سيدنا عمر يلي القضاء ، و سيدنا أبو عبيدة أميناً لبيت المال قبل أن يسيره إلى الشام ، و كان يكتب له سيدنا زيد بن ثابت ، و يكتب له الأخبار سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فيا أحباب رسول الله الفتح المبين الذي تمّ في عهد الصديق رضي الله عنه هو كتابة القرآن الكريم لأول مرة في التاريخ ، كتبه و جمعه في مصحف واحد بعد أن كان محفوظاً في صدور الصحابة رضي الله عنهم ، فقد قتل كثير من الحفاظ في حرب الردة ، فخيف على ضياع القرآن فكتبه له سيدنا زيد بن ثابت و بعض الصحابة من المهاجرين ، و سمي هذا المصحف بمصحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

لكن الصديق كان ينحل جسمه يوماً بعد يوم ، و كل ذلك حزناً على فراق سيدنا محمد ، حتى بلغت مدة خلافته سنتين و ثلاثة أشهر و عشر ليال ، و مرض مرضاً شديداً .

و زاره الناس و قالوا له : ألا ندعوا لك الطبيب . فقال الصديق : قد رأي . قالوا : فأي شيء قال لك ؟ فقال : (إني فعال لما أريد) . (وحدوا الله) .

فلما ثقل في مرضه شاور الصحابة فيمن يخلفه من بعده ، فأشاروا عليه أن يكون سيدنا عمر بن الخطاب ، فطلع على الناس و أخبرهم بأنه لم يأل جهداً في اختيار من هو أصلح لهم من بعده ، و أنه قد استخلف عليهم عمر فقالوا جميعاً : سمعنا و أطعنا .

و كتب الصديق بذلك عهداً للفاروق و ختمه .

فلما كان يوم الإثنين تمنى سيدنا الصديق أن يقبض قبل الفجر تأسياً بوقت وفاة سيدنا رسول الله ، فتوفي رضي الله عنه بين المغرب و العشاء في جمادى الآخر في سنة ١٣هـ - عن عمر ٦٣ سنة و هي السن التي توفي عنها سيدنا النبي ، و أوصى أن تغسله السيدة أسماء بنت عميس زوجته ، و صلى عليه سيدنا عمر بن الخطاب و دفن بالحجرة النبوية بجوار سيدنا رسول الله ، فكان سيدنا الصديق ثاني اثنين إذ هما في الغار ، و أصبح الآن ثاني اثنين في الحجرة النبوية الشريفة رضي الله عنه و أرضاه .

و هكذا تكون الصحبة الصادقة و المحبة الصادقة في الدنيا و الآخرة ، هنا و هناك ، و ما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة سيدنا محمد يقول فيها الحبيب الأعظم : (أبو بكر كالغيث أين ما نزل نفع) .

سنن الجمعة

عظم الله الجمعة وجعلها كرامة لهذه الأمة فالجمعة لنا ثم السبت لليهود والأحد للنصارى فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه تقوم الساعة وهو يوم عيد المسلمين فهو يوم مميز في حياة المسلم يجتمع أهل الأحياء ليسمعوا كلمة الله وكلمة رسوله والتوجيهات اللازمة لذلك جعل الله آداباً وسنن لنا رسول الله سنناً

أولى هذه الآداب (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع)

غسل الجمعة سنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : " غسل الجمعة واجب على كل محتلم " [صحيح البخاري، ٨٧٩] ، يعني على كل بالغ [وكذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : " إذ جاء أحدكم الجمعة فليغتسل " [صحيح البخاري ٨٧٧] والوجوب هنا للتأكيد عليه.

ويس أن يتنظف كما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : " لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى " [صحيح البخاري ٨٣٣].

والتنظيف أمر زائد عن الاغتسال ، فالتنظيف يقطع الرائحة الكريهة وأسبابها .

وعلى ذلك فيسن حلق العانة ونتف الإبط وحف الشارب وتقليم الأظفار .

فالبعض يظن أن من تمام التنظف أن يحلق لحيته ، و لذلك فهو يقوم بذلك قبل الذهاب لصلاة الجمعة ، لكن حلق الذقن معصية فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " جزوا الشوارب ، و أرخوا اللحي ، خالفوا المجوس " [صحيح مسلم ، ٢٦٠/٥٥] . و صيغة الأمر تدل على وجوب امتثاله ، بحيث يثاب فاعله و يعاقب تاركه ، عند غير الشافعية .

و يسن أن التطيب ، لما ورد في الحديث المذكور في البند الثاني " و يدهن من دهنه ، او يمس من طيب بيته ... " ، و يكون التطيب باستخدام أي طيب سواء من الدهن ن أو من البخور في ثيابه و بدنه .

كما أنه مما يسن في هذا اليوم أن يدهن ن و ذلك إذا كان له شعر رأس ، فإنه يدهن رأسه و يصلحه حتى يكون على أجمل حال .

و سين للمر لبس أحسن ثيابه ، لأن النبي صلى الله عليه و سلم كان يعد أحسن ثيابه للوفد و الجمعة .

فعن عبد الله بن عمر أن " عمر بن الخطاب رأى حلة سيرا عند باب المسجد ، فقال : يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة ، و للوفد إذا قدموا عليك " [صحيح البخاري ، ٨٨٦] .

كما روى عبد الله بن سلام أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم : على المنبر يوم الجمعة يقول : " ما على أحدكم إن وجد سعة ان يتخذ ثوبين ليوم الجمعة ، سوى ثوبي مهنته " [صحيح الجامع الصغير و زيادته ، ٥٦٣٥] .

و الأفضل أن يخصصها بسواك الجمعة و ليس السواك العادي ، و لهذا لو أن الانسان استعمل يوم الجمعة الفرشاة التي تطهر الفم لكان هذا حسناً و جيداً .

و فيه تنظيف الأسنان ففي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " لولا أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة " [صحيح البخاري ، ٨٨٧]

و يسن أن يبكر إلى الجمعة . و الدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، و من راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، و من راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، و من راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، و من راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة . فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر " [صحيح البخاري ، ٨٨١] .

و من أتى بعد دخول الإمام فليس له أجر التقدم ، و لكن له أجر الجمعة ، لكن أجر التقدم خرم منه كثير من الناس - نسأل الله لنا و لهم - ليس لهم شغل في يوم الجمعة ، و مع ذلك تجده يقعد في بيته أو في سوقه لأي حاجة و بدون أي سبب ، و لكن الشيطان يثبطه من أجل ان يفوت عليه هذا الأجر العظيم ، فبادر من حين تطلع الشمس ، و اغتسل و تنظف ، و البس أحسن الثياب ، و تطيب ، و تقدم إلى المسجد ، و صل ما شاء الله ، و اقرأ القرآن إلى أن يحضر الإمام .

التذكير إلى الصلاة : و هذا الأمر تهاون به كثير من الناس حتى أن البعض لا ينهض من فراشه ، أو لا يخرج من بيته إلا بعد دخول الخطيب ،

و آخرون قبل دخول الخطيب بدقائق و قد ورد في الحث على التبكير و العناية به أحاديث كثيرة منها :

أن رسول الله - صلى الله عليه و سلم - قال : (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا صحفهم و جلسوا يستمعون الذكر ، و مثل المهجر (أي المبكر) كمثل الذي يهدي بدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كبشاً ، ثم دجاجة ، ثم بيضة) .

فجعل التبكير إلى الصلاة مثل التقرب إلى الله بالأموال فيكون المبكر مثل من يجمع بين عبادتين : بدنية و مالية ، كما يحصل يوم الأضحى .

و كان من عادة السلف - رضوان الله عليهم - التبكير إلى الصلاة ، كما قال بعض العلماء : (و لو بكر إليها بعد الفجر و قبل طلوع الشمس كان حسناً) . (و كان يُرى في القرون الأولى في السحر و بعد الفجر الطرقات مملوءة يمشون في السرج ، و يزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد ، حتى اندرس ذلك) . و كان هذا الوقت يعمر بالطاعة و العبادة و قراءة القرآن و ذكر الله - عز وجل - و صلاة النافلة .

روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان يصلي قبل الجمعة اثنتي عشرة ركعة .

و كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يصلي ثمان ركعات .

و مما يعين على التبكير :

١- ترك السهر ليلة الجمعة .

٢- التهيؤ لها منذ الصباح الباكر بالتفرغ من الأشغال الدنيوية .

٣- استشعار عظم الأجر و المثوبة والحرص على جزيل الفضل و كثرة العطايا من الله عز وجل .

الإكثار من الصلاة على النبي - صلى الله عليه و سلم - قال عليه الصلاة و السلام : (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم و فيه قبض ، و فيه النفخة ، و فيه الصعقة ، فأكثرُوا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الانبياء) .

و قد تساهل الناس بهذه السن العظيمة ، على عكس إذا كان ذاهباً لحفل أو مناسبة فتراه متطيباً لابساً أحسن الثياب .

و يسن أن يقرأ سورة الكهف في يوم الجمعة ، لأن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " من قرأ سورة لكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين " [صحيح الجامع الصغير و زيادته ، ٦٤٧٠] . و عنه أيضاً صلى الله عليه وسلم : " من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه و بين البيت العتيق " [صحيح الجامع الصغير و زيادته ، ٦٤٧١] . و لا يشترط قراءتها في المسجد بل المبادرة إلى قراءتها و لو كان بالبيت أفضل .

و فيها ساعة الإجابة .

و من آدابه

ألا يفرق بين اثنين ، يعني لا تأتي بين اثنين تدخل بينهما و تضيق عليهما ، اما لو كان هناك فرجة فهذا ليس بتفريق ، لأن هذين الاثنين هما اللذان

تفرقا ، لكن ان تجد اثنين متراصين ليس بينهما مكان لجالس ثم تجلس بينهما !! هذا من الإيذاء ، و قد رأى النبي صلى الله عليه و سلم رجلاً يتخطى الرقاب يوم الجمعة و النبي صلى الله عليه و سلم يخطب ، فقال له : " اجلس فقد آذيت " . صحيح الجامع الصغير و زيادته ، ١٥٥/٦٣] .

و لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ، صلى الله عليه و سلم قال : " إن في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه " . و قال بيده يقللها . [صحيح البخاري ، ٩٣٥] .

و بذلك نعلم ان الجمعة فيها ساعة إجابة ، و ليس ساعة نحس ، كما ألبس علينا أعدائنا ، و قد رجحوا قولين في تحديد هذه الساعة ، هما : الأول : أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة ، و الثاني : انها بعد العصر ، و قال : و هذا أرجح الأقوال .

- وجوب الانصات للخطبة و الحرص على فهمها و الاستفادة منها ، قال :- صلى الله عليه و سلم - : (إذا قلت لصاحبك : انصت يوم الجمعة و الإمام يخطب ، فقد لغوت) .
- إذا انتهت الصلاة فلا يفوتك أن تصلي في المسجد أربع ركعات بعد الأذكار المشروعة ، أو اثنتين في منزلك .

* و في الختام : أخي المسلم : تحرّ ساعة الإجابة ، و ارجح الأقوال فيها : أنها آخر ساعة من يوم الجمعة ، فادع ربك و تضرع إليه و اسأله حاجتك، و أره من نفسك خيراً ، فإنها ساعة قال عنها النبي : - صلى الله عليه و سلم - : (إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم و هو قائم يصلي يسأل الله شيئاً ، إلا أعطاه إياه) .

جعلنا الله و إياكم ممن يعبد الله حق عبادته و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم .

التجديد في الفقه في القنصلية الأندونيسية

بسم الله الرحمن الرحيم

معشر الإخوة وقف العالم الإسلامي في عصر التحاليل المخبرية والمطهرات الفعالة مع الفقه الإسلامي وقفة المتأمل، ولم يفهموا المقصود من القلتين اللتين لا ينجس فيهما الماء، وأحجار الاستنجاء، والغسل سبع مرات احداهن بالتراب، واستغلق عليهم الذراع والباع والجريء والصاع والودق والقزي وما الى ذلك من مقاييس القرون الخالية التي هُجرت، ولم يدركوا معنى لبنت المخاض وابن اللبون والتبيع والحقة والجذعة وغيرها من أنصبة الزكاة ومستحقاتها، التي كانت في عصر الرعي والزراعة، ولم يعرفوا لها علاقة بنشاطاتهم الاقتصادية الراهنة، واستغربوا الحديث عن القن والمكاسر والمدبر والمبعض وأم الولد وغير ذلك من انواع الرق وملك اليمين، التي غطت أحكامها مساحة واسعة من كتب الفقه، على الرغم من إلغاء الرق في العالم، كما أنهم حدثوا عن بيع لم يألفوها، وعقوبات بعد طول عهدهم بطرق تنفيذها فكانت النتيجة أن تولى القانون الوضعي تصريف شؤون الحياة، وترك الفقه للتبرك في حلقات العلم الشرعي ومعاهده.

واليوم يطالب الجيل الجديد من شباب المسلمين نفوذ الغبار عن هذه المقاييس، وتقديمتها بأسلوب معاصر، الشباب المسلم اليوم يطالب بتجديد الفقه الإسلامي، لأنه مولع بالحديث وترك القديم، وليس في هذا من غضاظة، نحن معهم في هذا ضمن الحدود المقبولة شرعا وعقلا وعرفا، لأن الإسلام سواء في الدائرة العربية أو الدائرة الإسلامية أو الدائرة العالمية يتسع لكل تجديد في كل زمان ومكان، في الأنماط والأساليب، في الأنماط والغايات، وفي رعاية المصطلحات في التجاوب مع المصالح والحاجات، فلا يقف التجديد فيه أمام كل تغير أو تبدل، وقد قذفت الحياة المعاصرة بمئات من المسائل والقضايا والمشكلات، هذه القضايا تحتاج كلها من المنظور الإسلامي إلى إبداء الرأي فيه لتظل هذه الشريعة صالحة لكل زمان ولكل مكان.

لكنني وقبل البدء بالبحث والخوض فيه أريد أن أبين لكم حقيقة هامة: أن التجديد في الفقه لجأ إليه كبار من الصحب المكرمين، فكانت أولى المسائل المستجدة: مسألة الخلافة والمرتدين، ومسألة قتل الجماعة بالواحد، وجمع القران في مصحف واحد، وكان أعظم شخصيات هذا التجديد سيدنا عمر رضي الله عنه، إذ حسم كثيرا من المشكلات بمشورة الصحابة الكرام، كترك قسمة الأراضي في العراق والشام ومصر، ووضع الخراج عليها، والتأريخ بالهجرة، وحد الخمر، وحد الرجم، وصلاة التراويح جماعة، وتنظيم القضاء والدواوين، وإيقاف سهم المؤلفة قلوبهم، وترك الزواج بالكتائب، أي ثورة ستحدث في فقها المعاصر لو طبقنا تلك المبادئ التي سار عليها الصحابة والتابعون في التعامل مع المستجدات.

وبلغ التجديد أوجه في القرنين الثاني والثالث الهجري وهو الدور الذهبي للاجتهاد، ارتفع الفقه ونمت زهوته، ونمت خصوبته، وتبلورت مدرسة الحديث في الحجاز، ومدرسة أهل الراي في العراق، فجعلوا الأحكام تدور مع عللها وجودا وعدما، ونشط الاجتهاد والتجديد في عصر أئمة المذاهب لعناية الفقهاء بالفقه والفقهاء وحرية الراي، وظهرت المذاهب الأربعة وغيرها على نحو متميز بزعامة كل إمام من الأئمة، وإن كان كل إمام لم يتوقع من تمسك التلاميذ والأتباع بأرائه، بل وينهاهم عن اتباعه وكان يطلب منهم العمل بالحديث اذا صح، وليس ببعيد عنا قول الإمام المطلبي (اذا صح الحديث فهو مذهبي).

فالصحابة والتابعون جددوا وهم على بعد سنوات من النبوة، فماذا نقول نحن على بعد قرون من النبوة، والمستجدات تتوالى علينا في كل يوم، التجديد يا سادة زادت الحاجة إليه بسبب طروء مسائل حديثة على الساحتين الاجتماعية والدينية، والمسائل الطبية، والمسائل الاقتصادية كالتأمين التجاري والمعاملات المصرفية وقامت بهذا الجهد المشكور المجامع الفقهية، فظهرت ثمار الاجتهاد الجماعي، وكانت قراراته وتوصياته حكيمة وسديدة ومعتدلة كحكم أطفال الأنابيب، وبلوغ الحليب وأجهزة الإنعاش، وحكم التعامل بالمصارف الإسلامية وأحكام الأوراق النقدية، ونقل الأعضاء وتحديد أرباح التجار، والعرف والبيع بالتقسيط، وزراعة

الأعضاء التناسلية والاستنساخ البشري، التجديد اليوم مطلوب في فرعين أساسيين هما الفقه وأصول الفقه.....

لكن التجديد في أصول الفقه لا زالت تتنازع اتجاهات مختلفة لم ينضج بعد حتى يمكن الحديث فيه، لذا الحديث هنا سيكون عن التجديد في الفقه إن شاء الله.

فما هو التجديد في المادة الفقهية؟:

أول ما نحتاجه في هذا الصدد:

تقديم اجتهادات جديدة في المسائل القديمة بما يتفق مع تغير الظروف الزمانية والمكانية، وهذا حدث كثيرا في تاريخ الفقه الإسلامي، بل في حياة الفقهاء الأكابر كما حدث مع مولانا الإمام الشافعي في مذهبه القديم ومذهبه الجديد الذي أملاه في مصر، فالاجتهاد حركة دائمة مستمرة، والآراء الاجتهادية أيا كانت آراء أصحابها من الفقهاء لا يجوز إضفاء صفة الثبات عليها، فالثبات لنصوص الكتاب والسنة فقط، أما الاجتهاد فيجب أن يساير الواقع المتغير حتى يحقق مقاصد الشريعة...

أما تجميده واقتصار الآراء الفقهية على أقوال السابقين وحفظها وتكرارها فهو من أهم أسباب توقف النمو الفكرية عامة والفقهية خاصة، وقد غير التابعون حكم التسعير فبعد أن كان غير جائز في العهد النبوي لعدم وجود مسوغ له، لأن ارتفاع السعر كان بسبب قلة العرض وكثرة الطلب، ولم يكن بسبب جشع التجار وأطماعهم ولما صار ارتفاع السعر بسبب التجار جاز التسعير لوجود مسوغ له.

وأجاز مذهب مولانا الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل تخصيص بعض الأولاد بالهبة في حال الحياة خلافا للمقرر بالسنة النبوية من النهي والمنع، بسبب ترك العدل (ساووا بين أولادكم في العطية) وذلك لمعنى جديد يقتضي العطاء، مثل زيادة الحاجة لولد من الأولاد أو الزمانة، معه مرض مزمن أو عمى أو اشتغال بطلب العلم.

ومنع القاضي شريح وغيره من التابعين قبول شهادة الأبناء للآباء بسبب التهمة وظهور التزوير والمحاباة في الشهادة وكان ذلك سائغا قبل ذلك حتى في قصة

سيدنا علي رضي الله عنه في قصة تقديم شهادة ابنه سيدنا الحسن في قضية الدرع التي ادعاها اليهودي.

الاجتهاد من فروض الكفاية: أي من واجبات الأمة أن يكون فيها دائماً مجتهدون يقومون بتلك الفريضة، وحينها فقط يرتفع الإثم عن الأمة وإلا يكون الجميع آثمين والمقصود هنا وجود المجتهد الحي الذي يعرف الواقع ويتعامل معه، ولا يغني ووجود كتب المجتهدين عن وجود هذا المجتهد الحي، وبهذا معنى قولهم: بعدم جواز خلو عصر من مجتهد، وبين قوسين: هذا المجتهد الذي سيجدد الفقه يجب أن يكون فيه شرطان أساسيان:

الشرط الأول: أن يكون محيطاً بمدارك الشرع وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره.

الشرط الثاني: أن يكون عدلاً متجنباً للمعاصي القادحة للعدالة، وهذا الشرط لجواز الاعتماد على فتواه، فمن ليس عدلاً فلا تقبل فتواه...

يقول الامام الشاطبي: إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين:

أحدهما فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

الثاني: التمكن من الاستنباط بناءً على فهمه فيها.

فما هي المادة الفقهية التي سيجدها المجتهد أو سيجتهد فيها؟: هنا مناط البحث

ادعواكم أولاً لتصلوا على النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم

هنا رباط الفرس

هذا السؤال أجاب عنه مولانا الإمام الغزالي رحمه الله وقال: الْمُجْتَهِدُ فِيهِ كُلُّ حَكْمٍ شَرْعِيٍّ لَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ قَطْعِيٌّ...

والدليل القطعي هو الذي تفهمه إذا قرأته، وقراءته تفسيره و(أقيموا الصلاة) لا أفهم منها إلا إقامة الصلاة...

لذلك يدخل فيه هذا الحكم: الصلوات الخمس والزكاة والحج وتحريم الزنا وشرب الخمر والعقوبات أو الكفارات المقدرة، فإنها وأمثالها لا مجال للاجتهاد فيها، قال فإذا قال مولانا عز وجل **(الزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة)** فلا مجال للاجتهاد لعدد الجلدات هي مئة جلدة كما قال الله تعالى..

وكذلك تحريم الربا في آية **(وحرّم الربا)** لا يجتهد في مبدأ التحريم، وقد وضحت السنة تحريمه في النقيدين والمطعومات الستة

فأستطيع أن أقول الآن: إن مجال الاجتهاد أو التجديد أمران: مالا نص فيه أصلا، أو مالا فيه نص قطعي

فلا يجوز الاجتهاد في القطعيات، وما يجب الاعتقاد به من أصول الدين إذ **(لا مساغ للاجتهاد في مورد النص)** هذه قاعدة نحفظها جميعا..

لذا القاعدة التي تقول: **(لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان)** هذه قاعدة ليست على إطلاقها أبدا إنما يعمل بها في نطاق الأحكام الاجتهادية الفقهية المعتمدة على القياس أو دواعي المصلحة المتفقة مع مصالح أو مقاصد الشريعة أو العرف الذي يتغير بين عصر وعصر...

يقول الإمام ابن عابدين الحنفي رحمه الله تعالى: (كثير من الأحكام تتغير بتغير أزمان لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان، بحيث لو بقي الحكم على ما هو عليه للزم منه المشقة والضرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير).

عوامل التغير نوعان: فساد وتطور:

فساد الأخلاق العامة أو فساد الزمان وأهله.

فمن أنواع التغير لفساد منع النساء الشابات من حضور المساجد لصلاة الجماعة. بخلاف ما كان عليه زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرا لفساد الأخلاق وانتشار الفساد ...

مما دعا السيدة عائشة رضي الله عنها لتقول: (لو علم النبي ما أحدثت النساء بعده لمنعهن الخروج إلى المساجد).

ومن أمثلة تغير الزمان ما أفتى به المتأخرون من العلماء بجواز أخذ الاجرة على تعليم القرآن والإمامة و الأذان وسائر الطاعات فهو حكم خولف به ما كان مقررأً عند العلماء وخصوصاً أئمة الحنفية، نظراً لانقطاع عطايا المعلمين وأصحاب الشعائر الدينية من بيت المال، فلو اشتغل هؤلاء باكتساب كزراعة وصناعة وتجارة للزم ضياع القرآن وإهمال تلك الشعائر، منها ما أفتى الإمام الاصطخري فيه من الشافعية: من جواز دفع الزكاة لآل البيت، بعدما كان المعتمد من المذهب عدم دفع الزكاة لهم، كما هو معتمد من السُّنَّة معللاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لآل البيت: (**إن لكم في خمس الخمس ما يغنيكم**)، إن لكم من خمس خمس المغنم التي تأتيكم ما يغنيكم، قال الاصطخري: وقد منعوا اليوم من خمس الخمس فزال العلة في عدم إعطائهم من الزكاة ...

والأمة اليوم تحتاج إلى كلمة التجديد الفقهي في مسائل يلزمها اجتهاد معاصر، ولأضرب لكم بعض الأمثلة لو تكرمت:

أولاً: انبثاق مؤسسات اجتماعية دينية عن فريضة الزكاة

ثانياً: تحويل زكاة الركاز إلى صندوق للتنمية في العالم الإسلامي ..ما يستخرج من الأرض من المعادن والنفط والبتترول وما إلى ذلك هذا كله من الركاز يحول إلى صندوق تنمية للعالم الإسلامي...

ثالثاً: تطوير مؤسسة القضاء.

رابعاً: تطوير مؤسسة الوقف.

خامساً: تطوير مؤسسة الخلافة.

وتطوير مؤسسة الاجتهاد، وتطوير مؤسسة الشورى، وتطوير مؤسسة الحسبة.

بالإضافة إلى تنقية التراث واختصاره وتحديث لغته، وتجديده في الطباعة والإخراج والفهرسة ...

إن تقديم اجتهادات في المسائل المستحدثة أصبح أمراً مقبولا اليوم في الحس؟ الإسلامي في العالم منه والعلمي، لأن النتيجة الحتمية لقاعدة صلاح الاسلام لكل زمان ومكان والمنبثقة عن كونه الدين الخاتم، وكونه للناس كافة، ولقاعدة: (إن النصوص متناهية والأحداث غير متناهية) التي تكلم عنها كثير من العلماء، والتي عبر عنها بشكل صريح سؤال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بن جبل سأله : (فإن لم تجد في الكتاب ولا في السنة) ؟ رد سيدنا معاذ فقال: اجتهد رأيي وأقره سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يا شباب: الفقهاء المعاصرون لا ينكرون أهمية الاجتهاد فيما يستجد من مستحدثات، ولكنهم لا يجرؤون من الناحية العملية على اقتحام هذا الباب، متعللين بشتى الأعذار مثل عدم توفر شروط المجتهد المطلق في زماننا، مع أننا في الاجتهاد الخاص إذا اجتهدنا فيه الكفاية ليس من الضروري أن يكون مجتهداً مطلقاً، ممكن أن يكون مجتهد مذهب أو مجتهد مسألة ...

أو خشية الوقوع في الخطأ، مع أن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أجراً للمجتهد المخطئ ...

ومن يتجاوز هذا التعللات سواء عن اقتناع أو مسايرة لتيار المعاصرة تجد بعضهم اليوم يطلق الفتاوى دون بيان لمنهجه في الاجتهاد، أو دون بيان دليله الشرعي للفتوى، وبعضهم الآخر يقيس على أقوال علماء سابقين في مسألة مشابهة أو غير مشابهة، مع أن القياس لا يصح إلا على نصوص الكتاب والسنة، وليس على نصوص الفقهاء، ولا أنكر على كل حال الاجتهاد في المسائل المستحدثة المبرأة من هذه العيوب خاصة، الفتاوى والاجتهادات الجماعية التي تصدر عن المجمع الفقهي والمؤتمرات العلمية والرسائل الجامعية ولكنها للأسف تبقى خارج جسم الفقه فلا تدرس في كليات الشريعة، ولا تدخل في كتب الفقه المتداولة والأمثلة على المسائل المستحدثة كثيرة ...

واسمعوا بعضها:

الشخصية الاعتبارية عموماً. هذه مسألة

بعض صور الشركات المستحدثة. المؤسسات الفردية. معاملات البنوك والتأمين والبورصات.

الممارسات الطبية الحديثة كنقل الأعضاء. الحمل بغير طريق المعاشرة المعروفة. الاستنساخ والقائمة لا تنتهي.

نعم أيها الأخوة: التجديد مسموح ولكن ضمن الضوابط، مسموح من هيئة علمية موثوقة أو عالم مشهود له بالعلم والمعرفة وأهلية الاجتهاد.

إما أن يدعي التجديد من لا صلة لهم بالاجتهاد أو استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها فهذا لا يقبل بحال، إن التجديد ليس العبث بالأحكام الشرعية أو الإتيان بما يخالف النص أو يتخطاه ...

أريد أن أنبه معشر الإخوة إلى مسألة جوهرية بهذا البحث، وهو التفريق بين الشريعة وبين الفقه، الذين يحبون التجديد راحوا يجددوا بالشريعة وتركوا المسائل الفقهية هذا من أكبر الغلط ...

الشريعة: مجموعة الأحكام الآمرة والناهية التي تضمنتها الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، هذه الفئة لا تقبل التغيير ولا التبديل ولا النسخ ولا الإلغاء ولا التقييد دون دليل شرعي ...

إنما الذي يجدد هو الفقه الإسلامي الذي عرفه العلماء وهو الأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية ...

أي أدلة ومصادر الاستنباط من القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والعرف وعمل الصحابي وشرع من قبلنا وسد الذرائع وشرع من قبلنا والاستصحاب، أو بعبارة أخرى هو ذلك العمل الفني العقلي الذي يقوم به الفقهاء لتفسير الشريعة الإسلامية وفهم مرامي نصوصها وحسن تطبيقها ...

هذا القسم هو الذي يسمح فيه التجديد، نحن لا نسمح لأحد أن يجدد أن يجدد في عدد ركعات الصلاة فيجعلها رباعية في المغرب والفجر مع الظهر والعصر والعشاء، لا نسمح لأحد أن يقترب من الثوابت الخاصة بشريعتنا، لأن رسول الله لما أراد أن يبعث سيدنا معاذاً قاضياً إلى اليمن سأله: بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: ثم بم؟ قال: بسنة رسول الله. وهذان المصدران الأساسيان لا تجديد فيهما وللأسف أن بعضاً ممن يحسبون على أهل العلم وممن يعرفون بأحد أساتذة مدرسة الحداثة قام يوماً في محاضرة ألقاها في ألمانيا فقال عبارة سمجة، قال: (إن القرآن مثل السوبر ماركت تأخذ منه ما تشاء وتترك منه ما تشاء). واستهجن منه الطلاب الألمان هذه العبارة ...

بل تجرأ مرة أخرى في المؤتمر العالمي للفكر الإسلامي في اسطنبول عام ٩٧ هو نفسه قال: إن النص الشرعي يجعل في آخر مراتب الاجتهاد، أما التجديد فهو من مقتضيات المصلحة، هذه توضع في المقدمة.

هؤلاء يا سادة لا يصلحون ان يكونوا مجددين لأنهم دخلاء وليسوا أصلاء ...

إن الذين يهرولون أو يترقبون للقول بتجديد الفقه الإسلامي إنما يتأثرون بصنع رجال القانون الوضعي بحسن نية أو بسوء نية، أو جهل كما يتأثرون بكتابة المستشرقين وكتاباتهم ودعاويهم التجديدية، وهم لا يريدون إلا هدم الشريعة وجعل الأحكام الفقهية على مدار أربعة عشر قرناً عرضة للنسخ والتعديل والإلغاء، فهي كلمة حق في الظاهر أريد بها باطل في الواقع، مظهرين الغيرة والشفقة على أوضاع المسلمين، والحقيقة أن أوضاع التخلف في العالم الإسلامي ليس منشؤها تخلف العمل بالشريعة الإسلامية، بل إنها ألغيت كيداً وعدواناً، وإنهم عملوا بالقوانين الشرقية والغربية وجربوا الأنظمة المستوردة من رأسمالية وبيروقراطية واشتراكية وهم ما زالوا على موقفهم يراوحوون في مكانهم، فالاحتماء بالغيرة على المسلمين وهم باطل وخداع سافر.

نحن يا أحبة مع التجديد في الإطار الممكن المسموح به شرعاً، ولسنا سائرين في إطار استبعاد الشريعة شيئاً فشيئاً، والعمل بالهواء والنزوات الطائشة إذاً لصاح سعي مئات الآلاف من العلماء السابقين للحفاظ على هذه الشريعة.

يؤسفني أن أصرح دون مجاملة أن بعض حاملي لواء التجديد المعاصر أغلبهم تتلمذوا بالغرب الكافر، ومعرفتهم بالإسلام سطحية، ويغلب عليهم الجهل، ونظريون لا عمليون، ويناقضون أنفسهم ويصادمون نصوص الشريعة المطهرة الواضحة من القرآن والسنة، فهم مشبهون أو جهلة، والمخلص منهم قليل، وكم أسفت أشد الأسف عندما طالعت جريدة الأسبوع في عددها ٣٧١ يوم ١٩ نيسان سنة ٢٠٠٤ فقد أصدر مركز ابن خلدون في مصر القاهرة بزعامة سعد الدين إبراهيم (عميل الغرب الكافر) مقالاً تناول فيه على الإسلام ونبي الإسلام ...

قال فيه هذا التعس بكل صفاقة، اسمعوا هذا التجديد الذي يريده هذا التكتور سعد: (لا نعترف بالسنة، وصحيح البخاري غير صحيح، والإسلام بحاجة إلى نبي جديد للإصلاح).

هذا من رجال الإصلاح الحديث هل سمعتم مثل هذا التصريح الخطير هؤلاء درسوا في الغرب وحملوا معهم إلى وطنهم معولاً لهدم الشريعة، ولو استمعنا إلى هؤلاء سنصحو يوماً ما وقد استبدل الناس بالقرآن الكريم كتاب الفرقان الباطل الذي اخترعه بوش لصرف الأمة عن دينها وشريعتها ...

يا أمة الإسلام: إن التجديد ليس هو العبث بالأحكام الشرعية، أو الإتيان بما يخالف النص.

أيها الإخوة: إذا أردتم التجديد فارجعوا إلى كتب الفتاوى، فهذه الكتابات ترجع أهميتها إلى اتصالها بالواقع أكثر مما تتصل به الكتابات التقليدية، هل سمعتم (بكتاب النوازل) الأساس بكتاب النوازل حدوث أمور مستجدة كانت تعد سابقاً نازلة من النوازل العارضة وبعد ذلك تبين أن حياتنا نوازل في نوازل، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

المهم أن هذه الكتب تبين معرفة المنهج الذي كان يتعامل به هؤلاء الفقهاء مع الأمور المستجدة، وكيف كانوا يعالجونها يعالجون المسائل التي هي من داخل الجسم الفقهي لا من خارجه، لا بصورته الثابتة.

إذا أردتم التجديد يا سادة فارجعوا إلى الكتب الفقهية المعاصرة سواء من العلماء المعاصرين أو من طلاب الماجستير الذين اختاروا موضوعات فقهية لبحوثاتهم، وكان فيها اجتهادات مهمة تحت إشراف أساتذتهم، هذه البحوث لم يتم نشرها، بل بقيت في مكتبات الجامعات، وينبغي الرجوع إليها لأنها تسد ثغرة كبيرة في هذا المجال بالإضافة إلى ما يصدر من المؤتمرات والندوات العلمية والجامع الفقهية، فكلها تصلح أن تكون مصدراً للتجديد في المادة الفقهية، ويعدّها البعض صورة من صور الاجتهاد الجماعي.

والتجديد الفقهي أيضاً ينبغي أن يتمثل في بث الروح في الكتابات الفقهية الجافة، وعلى سبيل المثال لا الحصر عندما نجد تعريف السجود في كتب الفقه تجده تمريناً رياضياً، كلمة السجود أين البعد الروحي لها لماذا نحن في السجود نقول سبحان ربي الأعلى وفي الركوع نقول سبحان ربي العظيم.

لماذا السجود على سبعة أعظم؟ ما البعد الروحي لذلك؟

هذا غائب في كتبنا الفقهية.

يجب أن يكون من مناظر التجديد الجديدة عندما نجد الكتب التي توزع على الحجاج نجدها أقرب إلى الدليل السياحي وغاب منها روح المناسك: فالحاج يرمي جمرة العقبة دون أن يعلم أن هنا عقد التأسيس لأول دولة إسلامية، يصلي في الروضة لأن الثواب فيها سبعون ضعفاً، يعني صفقة تجارية أما أن الروضة هي الجامعة للنور التي خرج منها النور، وغيرت مجرى التاريخ وتخرج منها عمالقة من الصحب الكرام فهذا لا تحسه في الفقه ...

حينما تطوف حول الكعبة لا تشعر أنه أول بيت وضع للناس في الأرض، وأصبح قبلة للأمة الخالدة تجديداً للدين، وإمساكاً للمجد من طرفين، فروح العبادة أصبح غير موجود ...

عقد الزواج في القرآن: هو عقد مودة ورحمة وسكن وميثاق، أما في الفقه أصبح عقد تملك بضع الزوجة لا علاقة له بروح الشريعة ومضامينها الجميلة الراقية، ولعل هذا ما دفع مولانا الإمام الغزالي رحمه الله إلى رفع شعاره إحياء علوم الدين لأنها ماتت وجفت روحها، وهذا الإحياء هو ما نحتاج إليه اليوم.

نحن يا سادة اليوم في حاجة التجديد الفقهي إلى الجمع بين العقل والقلب أضيفوا إليه أننا نحتاج في الفقه إلى بيان الحكمة من التشريع في كل قضية حتى يقتنع به العقل ويطمئن به القلب فهو لم يخلق شيء إلا لحكمة، فهو كما تنزه عن الباطل في خلقه (ربنا ما خلقت هذا باطلاً) تنزه عن العبث في شرعه، حتى إن القرآن جعل للعبادات المحضة عللاً وحكماً مفهومة، كما في نحو قوله عن الصلاة (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقال عن تعليل فرضية الصيام (لعلكم تتقون) وقال في الحج (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله) وقال في الزكاة (تطهرهم وتركيهم بها)

فنحن اليوم في إطار التجديد الفقهي نحتاج لبيان الأسرار الباطنة للعبادات المفروضة، فمما لا ريب فيه أن للعبادات حكماً ينبغي الالتفات إليها وإبرازها، فالعبادة جسم وروح: فجسم العبادة هو الشروط والأركان الظاهرة التي تؤديها الجوارح، أما روحها فهو التقوى والإخلاص والإحسان الذي فسرناه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) هذه لباب العبادة، وأما الرسوم الظاهرية فهي مظهرها، وهذا أيضاً في كتاب الله

قال تعالى في هدايا الحج وذبائحه (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)

وقال (قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون)

وقال في الصوم (لعلكم تتقون)

وفي الصحيح: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يضع طعامه وشرابه)

إن من مراحل التجديد أن نوجه عنايتنا إلى معاني الأقوال والحركات بالعبادات، كما قال مولانا الغزالي في إحيائه، وفعل في هذا التأليف وفي هذا السفر المبارك كما فعل من بعده الشيخ الأكبر ابن عربي في كتابه الشريعة والحقيقة ...

بقيت العملية الأخيرة للتجديد والتي هي في نظري هامة جداً: ألا وهي تقنين الفقه الإسلامي كما فعل من قبل بتقنين مجلة الأحكام العدلية على المذهب الحنفي، لكن حركة التقنين هذه التي ستقوم يجب أن تنظر إلى جميع أحكام الفقه الإسلامي لا مذهب بعينه، فالدراسة المقارنة في عصرنا ضرورية لحركة التجديد، حركة التقنين هذه الجديدة لا تستهينوا بها، ستكون من أهم الأشياء التي ستمد الهيئات الدولية في تفسير دساتير الدول التي تعتبر الشريعة مصدراً وحيداً وأساسياً يرجع إليها عند الخلاف، هذه الحركة حركة التقنين المقارن ستظهر مستقبلاً حين تطبق على القوانين الوضعية في المعاملات، ستُظهر معرفة مدى مخالفة الشريعة في القوانين الوضعية حين نقابل بين القوانين الشرعية الصحيحة وبين القوانين الوضعية، سيظهر الفرق وسيظهر عدم اتباع الشرع في القوانين الوضعية، وستصحح على حسب القوانين الشرعية ستأتي إلى تعديل تلك القوانين الوضعية المخالفة للشريعة، وسنصبح يوماً على سجل ضخم على قوانين مستمدة من الفقه الإسلامي المقارن نتيجة لشمول المذاهب الإسلامية ...

ختاماً أذكر لكم بعض المقترحات العملية للتجديد الفقهي، ويقع عاتق هذا التجديد عليكم يقع هذا التجديد عليكم بعد أن تنهوا دراستكم الفقهية:

أولاً: أن يكتب الفقه بلغة مبسطة وأسلوب سهل بعيد عن الإغراب في الألفاظ والتكلف في العبارات ...

ثانياً: تجنب وعورة المصطلحات التي فيها كثير من الغموض لدى القارئ غير المتخصص، وترجمتها إلى عبارات سلسلة مفهومة للشخص العادي، دون الإخلال بالمعنى أو المصطلح ...

ثالثاً: التوسط بين الإيجاز المنجز التي عرفت به المتون في المجالس المتبوعة والتي كان المقصود منها تسهيل الحفظ، ثم احتاجت المتون إلى شروح، والشروح إلى حواشي، والحواشي أحياناً إلى تقارير، كل ذلك بين الإطناب الممل الذي يتوسع في الشرح والتفصيل من غير حاجة إلى ذلك ...

رابعاً: ينبغي الاستفادة من كل وسائل الإيضاح الممكنة التي أتاحها لنا العلم المعاصر لتساعد على زيادة الفهم للأحكام الشرعية، ومن كل ما هو مباح وملائم ومتيسر من رسوم توضيحية وصور وخطوط بيانية، وجداول وخرائط تأسيساً بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يعلم أصحابه بالخط على الرمال وضرب الأمثلة للتقريب والتوضيح ...

خامساً: استبعاد الأمثلة والمباحث التي لم تعد موجودة في حياتنا كالرق والرقيق واستبدالها بأمثلة تنبع من واقعنا، ونحمد الله تعالى أن تحقق مقصد الإسلام في هذا الصدد بإلغاء الرق، فلا داعي لتلك المباحث وتلك الأمثلة عن الرق والرقيق في عصر يسوده الأحرار ...

سادساً: أن لا يقتصر على بيان أحكام شركات المفأوضة والأبدان والوجوه، وإنما يحاول كذلك تصويبها للتطبيق في حياتنا، وكذلك بيان الحكم في أنواع الشركات القائمة حالياً من تضامن وتوصية بسيطة وتوصية بالأسهم ومساهمة وذات مسؤولية محدودة، وشركة الرجل الواحد، والشركة المفتوحة، والشركة ذات الرأسمال المتغير ...

سابعاً: أن لا يتوسع في زكاة الأنعام في عصر صارت تعلف فيه هذه الأنعام، فلا تحتاج إلى إخراج زكاتها، وإنما يتوسع في زكاة الأموال القائمة حالياً من معاملات استثمارية واستثمارات عقارية ...

ثامناً: أن لا يقتصر على ذكر المقادير الشرعية كالصاع والودق والقلّة والذراع والدرهم والدينار والأوقية والمد ونحوها وفهارس بالمصطلحات التراثية تسهل للباحث الوصول للمعلومات المبتغاة بأقصر وقت ممكن ...

تاسعاً: من الضروري وجود كتب مبسطة يستطيع عامة الناس أن يطالعوها بالإضافة إلى كتب أكثر عمقاً وتوسعاً، تتوجه إلى المتخصصين، وقد كان علمائنا السابقون يراعون هذا في تأليفهم، فنجد مولانا الإمام الغزالي رحمه الله يؤلف الخلاصة، ثم الوجيز، ثم الوسيط، ثم البسيط، ونجد ابن قدامة أيضاً يؤلف في فقه الحنابلة العمدة، ثم المقنع، ثم الكافي، ثم المغني ١٤ مجلد.

لكن أيها السادة قبل هذه الأعمال نحتاج إلى أمور أخرى في التجديد

تجديد أصول الفقه. تحقيق السنة المطهرة جيداً. إعداد الفقهاء والمفتين والقضاة القادرين على تنفيذ خطة تجديد الفقه. إنجاز دراسات لوضع خطة منهجية جادة للتجديد إتاحة مكتبة شاملة للباحثين المشاركين في المشروع تمكنهم من تنفيذ المشروع وفقاً للمعايير والشروط المطلوبة وهذا حلم أرجو أن يتحقق على أيديكم.

والحمد لله رب العالمين



العقيدة وتحدياتها المعاصرة

على مدرج جامعة دمشق لطلاب ماليزيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويدفع نقمه ويكافئ مزيده

الحمد لله المنفرد بالإيجاد والعدم، المتوحد بالتأثير والابداع وخلق الأعراض والأجسام، المنزه عن الحلول والاتحاد بشيء من الأجرام، القاهر فوق عباده، المنعم على أهل وداده، المتفضل بإرشاده فلا وجوب عليه ولا إلزام، الذي أبدع بلا مثال سبق، واتصف بكل كمال، وقدر الأرزاق والآجال، ودبر الليالي والأيام، المحيط علماً بالجائزات والواجبات والمستحيلات، المتصرف بالعلويات والسفليات، المهيمن على جميع الممكنات، فلا حصر له تعالى بخاص ولا عام، المنزه عن الكيف والكم، وعن الفرح والحزن والكم، وعن الألم والذوق والشم، وتردى بالكبرياء والعظمة على الدوام، المنزه عن الأين، الذي حجب نفسه في الدنيا عن أوليائه ليروه بالعين، المحسن بكشف الغطاء يوم الغين، ليراه المحبون بالإعزاز والإكرام.

فسبحان من تعزز عن الإدراك، وتعاضم عن الإشراف، وتحجب عن الرسل والأملأك، فاستوى بالحجب عن حقيقته جميع الأنام.

أحمد من قدر الأمور في القدم، وأخرج الكائنات من العدم، وقضى وأمر وحكم واتصف بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والحياة، وتعالى عن المكافأة والمشاكلة والمماثلة، وعن المضاهاة والمعادلة، ليس كمثله شيء ولا تتخيله الأوهام، وأصلي وأسلم على هذا الرسول الأعظم، والنبى الأكرم، والسيد السند الأفخم، الذي رقاء ربنا أعلى مقام، وعلى سيدنا ومولانا محمد، متعنا الله باتباعه وأحيانا على سنته، وأمانتنا على ملته، وجعلنا من حزبه المفلحين ومن أصحاب اليمين، يوم تتميز الرسل عن غيرهم بالمنار والأعلام.

أما بعد:

فمع خالص شكري لكم أن جمعتُموني بهذه الثلة الطيبة المباركة، وتحدثت إليكم في هذا الصباح الذي أرجو أن يكون صباحاً إيمانياً مشرقاً بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وإنه من الحق والواجب - معشر الإخوة - أن ينبري علماء أصول الدين أي التوحيد في كل عصر وفي عصرنا هذا خاصة ليبينوا الحق ويمحصوه أمام تلك الأفكار والنحل والمعتقدات الفاسدة التي تُخرج في المسلمين جهالاً ومنحرفين، وضالاً دخلاء عليهم أو كفاراً مارقين { يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرين } يريدون أن يدخلوا ذلك الفساد في عقول المسلمين وقلوبهم، أو يجعلوها تعيش مع عقائدهم في قلب واحد، وذلك محال وأنى يجتمع النور والظلام، أو يجتمع الإيمان والكفر في قلب مسلم.

لقد تصاغر هذا العالم حتى كاد يصبح رجلاً واحداً، وأخذت من جديد على نطاق واحد أفكار الملاحدة من جهة وعقائد أهل الأهواء من جهة، ودعوات الوهابية من جهة على الإذاعة والتلفاز، وفتحت القنوات على مصراعيها فضائياتها فأضحى حقاً على العلماء أكثر من الماضي، الذين آتاهم الله علماً وتقوى ولساناً وقلماً أن يعرضوا عقيدة الإسلام على حقها ونورها وصفائها ويدفع بالحجة والبرهان دعوات الزيغ والضلال ...

قال الإمام التابعي الجليل سيدنا أبو حنيفة النعمان في آخر كتابه الفقه الأكبر: (وإذا أشكل على الإنسان شيءٌ من دقائق علم التوحيد فإنه يجب أن يعتقد في الحال ما هو الصواب عند الله تعالى، أي أن يعتقد أنه تعالى (ليس كمثله شيء) إلى أن يجد عالماً فيسأله ولا يسعه تأخر الطلب ولا يعذر بالوقف.

فيجب على المسلم أن لا يتأخر بسؤال عالم عن قضية تعرض له، وما دمتُم يا أخواني بالله قد حملتم هذه الراية وستكونون أهلاً لهذا الشرف وهذا الفضل، الذي قال الله تعالى فيه { فسألوا أهل الذكر } وقال { بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم } وقوله { إنما يخشى الله من عباده العلماء } وقوله { قل هل

يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون { وقول حبيبنا الأعظم صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)

فالعلماء نور الله في أرضه وهداته إلى سبيله، وأمنائه في تبليغ دينه، فعليكم أن تحملوا الراية بأمانة وصدق، وتحترموا أئمة أهل السنة والجماعة وتدرسوا عقيدتها، وتحذروا من أعدائها.

أستطيع أن أقول: إن أهمية العقيدة تكمن في مناهضة ما دب في ساح الفكر الإسلامي من دبيب المترجمات الضالة، والحاجة إلى ما ينفذ إلى المجتمع الإسلامي من الحضارة المادية اليهودية والنصرانية والوثنية والإلحادية، ويكفي دليلاً على ذلك أن الجامعات في البلاد العربية والإسلامية إلا ما رحم ربك باتت تضم أعداداً لا يستهان بها من الذين يسيرون وراء عقيدة فصل الدين عن الدولة، وجعله من الأمور الشخصية القابعة في زوايا النفوس، لا تشم من هواء التطبيق ذرة.

أليس هذا أشد خطراً من الشرك الواضح الجلي؟! لأن جملة من المسلمين يتزينون بزى الإسلام، وينطقون بالضلالات، ويخالفون ما عليه السلف الصالح، هؤلاء أشد خطراً من الذين يلبسون البدلة والكرافة بدون طاقية أو عمامة، لأن هؤلاء العلمانيين معروفون أنهم علمانيون، أما الذي يتزيا بالعمامة ويلبس الجبة ويلبس الثوب الإسلامي ثم يتحدث عن فصل الدين عن الدولة هذا الذي يجب أن يُحذر، لأنه يتزيا بزى أهل الدين. إن بعض من ترأس منصب الإفتاء يقوم وبكل جرأة على حدود الله ويصدّر النصارى والدروز ويعتز أنه يرفعهم إلى صدر المجلس، وهم يعتقدون عقيدة التثليث، هذا مفتي على رأسه عمامة الإسلام يفعل ذلك، والمعروف لا يجوز أن يُصدّر في مجالس المسلمين إلا المسلمون، وقام آخر في بعض الجامعات الخاصة في بلدنا ينكر التوسل والتبرك، وبعد أن قام الطلاب بمناقشة وإحضار الأدلة وإعلان إفلاسه قال: كل من يكتب بالامتحان بجواز التوسل سيرسب ... هكذا بكل تحدٍ لا يريد أن ينصاع إلى الحق ...

إن في المكتبات اليوم من يُدعى بالفيلسوف، وهو القائل إيتوني بالماء والأجزاء الكيماوية والوقت وسوف أخلق لكم إنساناً، يريد أن يشارك الله في الخلق، كُبرت

كلمةً تخرج من فيه، أفلا يحتاج مثل هذا إلى من يرده عن غيه. وقال آخر: إذا أعطيتُموني الوقت فسوف أريكم كيف تُخلق الأرض، يريد أن يخلق أرضاً جديدة كخلق الله ...

هذه الأقوال تهاجم العقيدة في جوهرها، والسكوت عنها هدم للعقيدة، ولقد استطاع علماء العقيدة بفضل الله وبما آتاهم الله تعالى أن يردوا البحر المتلاطم من الظلمات والشك، ويكشفوا ستر خدعة أسكرت عقولاً هي بدعة المصادفة تفسيراً لهذا الوجود، وكل من يقول: إن الظواهر الكونية والحيوان والنبات والجماد والطاقات كلها وجدت بطريق المصادفة لا ينفك عن السذاجة البلهاء، وحتماً لا علاقة له بالمنطق العلمي، وهو كقول القائل: إن انفجاراً حدث في مطبعة فأدى إلى أن تصطف الحروف مصادفة على هيئة قاموسٍ محكم جمع بين دفتيه جموعاً من المعرفة تستعصي على الحساب!! فهل يصدق هذا العقلاء؟! أصبح من الأهمية بمكان إذا: التنبيه على العقيدة الصحيحة في مواجهة العقائد الضالالية التي تُسمع وتُغنى على الفضائيات وفي بطون الكتب، التي توزعها العربية السعودية على الحجاج والمعتمرين لتضلّل عقولهم، وها هو مغنٍ من مصر مافون يكفر فيصف قدر الله بالحمق:

(قدرٌ أحمق الخُطى سحقت هامتي خُطاه).

وصف قدر الله الذي يتجلى من القدرة والإرادة وصفه بالحمق فوصف صفتين من صفات الله بالحمق، مغني يغنيها وتُغنى هذه الأغنية وقد مات هذا المغني وأفضى إلى ربه وسوف يلقي عذابه الشديد ...

وهذا مغنٍ آخر يقول: (سلمى عبدتك بعد الله) ولا معبود بعد الله أحد، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، لا معبود إلا الله.

وهذا شاعر أندلسي يقول:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر.

أي أن قوة الشعب أكبر من إرادة الله تعالى، وكان عليه أن يقول: إذا الله يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب الشعب ...

لأنه لا راد لقضاء الله أحد ...

أضيف على ذلك ما يفعله الوهابيون إلى نشر عقيدة التجسيم والجهة في العالم الإسلامي، وهذا مؤلف وعالم عظيم من دمشق يبايع على أن يكون رئيس رابطة العلماء يدعى إلى مؤتمر ذكرى (محمد بن عبد الوهاب) في المملكة العربية السعودية وهو حنفي وعقيدته ماتريديية انقلب مئة وثمانين درجة لأجل عشرة آلاف ريال سعودي أعطيتها وضعت بين يديه، ليؤلف رسالة جعل فيها محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر، يعني وضعه في مرتبة الإمام الشافعي ومرتبة الإمام الجنيدي ومرتبة عمر بن عبد العزيز، ومرتبة هؤلاء الأفاضل الذين يبعثهم الله على رأس مئة سنة ليجددوا أمر هذا الدين وما خفي كان أعظم ...

المهم - يا أخوتي الماليزيين - المهم أن نعرف أن الأحكام الشرعية:

- منها: ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى الأحكام الفرعية والعملية
- ومنها: ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية وعقدية أو اعتقادية

العلم المتعلق بالأولى: علم الفروع يسمى علم الشرائع الأحكام، لما أنها لا تُستفاد إلا من جهة الشرع ولا يسبق الفهم عند إطلاق الأحكام إلا إليها.

وبالثانية: على التوحيد والصفات، يقال لهذا العلم علم التوحيد لأن ذلك أشرف مباحثه وأشرف مقاصده، وقد كانت الأوائل من الصحب والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لصفاء عقيدتهم ببركة صحبة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقرب العهد بزمانه وقلة الوقائع والاختلافات وتمكنهم من المراجعة إلى الثقات كانوا مستغنيين عن تدوين العلمين وترتيبهما أبواباً وفصولاً وتقرير مقاصدهما فروعاً وأصولاً، إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين وغلب البغي على أئمة الدين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وكثرت الفتاوى والواقعات والرجوع إلى العلماء في الملمات، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال

والاجتهاد والاستنباط، وتمهيد القواعد والأصول، وترتيب الأبواب والفصول، وتفصيل المسائل بأدلتها وأوردوا الشبه بأجوبتها، وعينوا الأوضاع والاصطلاحات، وبينوا المذاهب والاختلافات وسموا:

- ما يفيد معرفة الأحكام العملية عن أدلتها التفصيلية بالفقه.
- ومعرفة أصول الأدلة إجمالاً في إفادتها الأحكام سموها أصول الفقه.
- ومعرفة العقائد عن أدلتها سموها بعلم الكلام.

فلماذا سمي بعلم الكلام؟ لأن عنوان مباحثه كان قولهم في كل مسألة تعرض لهم كانوا يقولون: الكلام في كذا، والكلام في كذا، فسمي علم التوحيد بعلم الكلام، ولأن مسألة الكلام التي هي سابع صفة من الصفات المعاني كانت أشهر مباحثه وأكثر نزاعاً وجدالاً، حتى إن بعض المتغلبة قتل كثيراً من أهل الحق زمن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ولأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم في المنطق والفلسفة ولأن ما يجب من العلوم التي تعلم وتعلم بالكلام لذلك، ثم خص بالاسم ولم يطلق على غيره تمييزاً له ولأنه أيضاً إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين وغيره.

وغير هذا العلم قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب ولأنه أكثر العلوم اختلافاً ونزاعاً فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرد عليهم، ولأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون غيره، كما يقال للأقوى من الكلامين: هذا الكلام، نقول لشخص ألزم الحجة: هذا الكلام الصحيح، ولأنه لا يبتناؤه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيراً بالقلب وتغلغلاً فيه، فسمي الكلام المشتق من الكلم وهو الجرح، فلماذا هذا الاختلاف في العقيدة؟ ومتى حدث هذا الاختلاف؟

هذه المسألة جوهرية في أهمية العقيدة أريدكم أن تنتبهوا كيف أصبحت هذه الأمة تنتبئ النبي الكريم لها كيف أصبحت اثنتين وسبعين فرقة

أيها الاخوة الماليزيون: كان المسلمون عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه، غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً، وأول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي صلى الله عليه وسلم، فزعم قوم أنه لم

يُمت وإنما أراد الله تعالى رفعه إليه كما رفع سيدنا عيسى إليه، وزال هذا الخلاف وأجمع الكل على موته حين تلا عليهم الصديق الأكبر قول الله تعالى لرسوله **(إنك ميت وإنهم ميتون)** وتعرفون كيف شهر الفاروق سيفه وهو يقول: لا تقولوا مات رسول الله.

وكان يقول: **(من كان يعبدُ محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإن رب محمد حي لا يموت)**

ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع دفن النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم فأراد أهل مكة رده إلى مكة لأنها مولده ومبعثه وقبلته ومبعث نسله، وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنها دار هجرته ودار أنصاره، وقال آخرون بدفنه في القدس عند قبر جده إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وزال هذا الخلاف أيضاً بأن روى لهم الصديق الأكبر عن النبي عليه الصلاة والسلام.

(إن الأنبياء يدفنون حيث يُقبضون) فدفنوه في حجرته بالمدينة.

ثم اختلفوا بعد ذلك في الإمامة وأذعنت الأنصار بالبيعة لسعد بن عباد الخزرجي وقالت قريش إن الإمامة لا تكون إلا في قريش، ثم أذعنت الأنصار للمهاجرين لما روى لهم قول النبي صلى الله عليه وسلم **(الأئمة من قريش)** وهذا الخلاف باق إلى اليوم، لأن الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش.

ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن فذك وفي توريث التركات للأنبياء عليهم السلام ثم نفذ في ذلك قضاء أبي بكر بروايته الحديث عن رسول الله **(إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً)**، **(إن الأنبياء لا يورثون ما تركوه فهو صدقة)**.

ثم اختلفوا بعد ذلك في مانعي وجوب الزكاة، ثم اتفقوا على رأي سيدنا أبي بكر في وجوب قتالهم.

ثم اختلفوا بعد ذلك في قتال طليحة حين تنبأ وارث حتى انهزمهم إلى الشام حتى رجع في عهد عمر إلى الإسلام وشهد مع سعد بن أبي وقاص حرب القادسية وشهد بعد ذلك حرب نهاوند وقتل فيها شهيداً، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة

الكذاب إلى أن كفى الله تعالى أمره وأمر سجاح المتنبية وأمر الأسود بن زيد العنسي، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال سائر المرتدين إلى أن كفى الله تعالى أمرهم، ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله لهم الفتوح، وهم في ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد وفي سائر أصول الدين، وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه كميراث الجد مع الإخوة والأخوات، والأخوات مع الأب والأم وكمسائل أخرى في الفرائض لا نطيل بذكرها.

ومع هذا الاختلاف لم يكن اختلافهم تضليلاً ولا تفسيقاً كانوا أمة العدل وكانوا أمة الإيمان وكانوا على هذه الجملة في أيام الصديق وسيدنا عمر وست سنين من خلافة سيدنا عثمان.

ثم اختلفوا بعد ذلك في أمر سيدنا عثمان في أشياء نقموها منه حتى أقدم الظالم على قتله وهو يقرأ القرآن، ثم اختلفوا بعد قتله في قاتليه وخاذليه اختلافاً باقياً إلى يومنا هذا، ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن سيدنا علي وأصحاب الجمل وفي أصحاب معاوية وأهل صفين وفي حكم الحكمين أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص اختلافاً باقياً إلى اليوم الذي حدث في زمان المتأخرين من الصحابة، وخلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة الكرام كعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وعقبة ابن عامر الجهني وأقرانهم، وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدرية ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم، ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيما بينهم في فرقتين فرقة كل واحدة تكفر سائرهما، ثم حدث في أيام الحسن البصري خلاف وأصل بن عطاء الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين، وانضم إليه عمر بن عبيد في بدعته فطردهما الحسن البصري عن مجلسه فاعتزلا عن سارية من سواري مسجد البصرة، فقليل لهم ولأتباعهما: معتزلة، لا عترالهما قولة الأمة أن الفاسق في أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر هكذا قال المعتزلة الفاسق لا مؤمن ولا كافر في منزلة بين المنزلتين.

وأما الروافض فهم السَّبَابِيَّة الذين يسبون الصديق والفاروق منهم، أظهروا بدعتهم في زمان سيدنا علي فقال بعضهم لعلني أنت الأمة يعني أنت الذي نقاتل من أجله لا من أجل الله ولا من أجل رسوله، فأحرق سيدنا علي قوماً منهم ونفى ابن سبأ إلى المدائن وهذه الفرقة ليست من فرق الإسلام لتسميتهم علياً إلهاً، والغلاة من الروافض فرقة كل فرقة منهم تُكفر سائرهما، وجميع فرق الغلاة منهم فرقٌ خارجون عن فرق الإسلام، فأما فرق اليزيدية و فرق الإمامية فمعدودون في فرق الأمة، فأما اليزيدية من الرافضة فهي ثلاث فرق وأما الإمامية التي فارقت اليزيدية والكسائية والغلاة فإنها خمس عشرة فرقة، وأما الخوارج فإنها لما اختلفت صارت عشرين فرقة، وأما القدرية المعتزلة عن الحق فقد افرقت عشرين فرقة كل فرقة منها تُكفر سائرهما، واثنان منها ليست من فرق الإسلام وهما الحائطية والحمارية، وأما المرجئة فثلاث أصناف:

عشرون روافض، وعشرون خوارج، وعشرون قدرية، وعشر مرجئة، وثلاث نجارية وبكرية وضاررية وجهمية وكرامية فهذه اثنتان وسبعين وفرقة.

وأما الفرقة الثالثة والسبعون فأهل السنة والجماعة من فريقَي الرأي والحديث دون من يشتري لهو الحديث، وفقهاء هؤلاء الفريقين وقرائهم ومحدثوهم ومتكلموا أهل الحديث منهم كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته وعدوله وحكمته وفي أسمائه وصفاته وفي أبواب النبوة والإمامة وفي أحكام العقبي وفي سائر أصول الدين، وإنما يختلفون في الفروع من الحلال والحرام من فروع الأحكام وليس بينهم في ما اختلفوا تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية، ويجمعها الإقرار في توحيد الصانع وقدمه وقدم صفاته الأزلية وإجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل مع الإقرار بكتبه ورسله ومع تأييد شريعة الإسلام واستباحة ما أباحه القرآن وتحريم ما حرمه القرآن، مع قيود ما صح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم واعتقاد الحشر والنشر وسؤال الملكين في القبر والإقرار بالحوض والميزان، فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخطئ إيمانه بشيء من بدع الخوارج والروافض والقدرية وسائر أهل الأهواء فهم من جملة الفرقة الناجية إن ختم الله له بها، وقد دخل في هذه الجملة جمهور الأمة وسوادها الأعظم وأصحاب

مالك والشافعي والحنبلي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وأهل الظاهر، وأما الوهابية فهم خلاف أهل السنة والجماعة.

وهنا علينا أن نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لأن المسألة تحتاج إلى صحو: كل هؤلاء الفرق لا نعرفهم ولا نختلط بهم ولكن الذين نختلط بهم هم الوهابية هذه الفرقة يجب أن تنتبهوا لها وتسمى عندكم في ماليزيا المحمدية، وقد زرت ماليزيا واجتمعت بهم تحدثت إليهم وناظرتهم ولكنهم أبوا كل الإباء قلت لهم إن أهل التصوف الذين تحاربونهم في ماليزيا من أمة الإسلام فلماذا لا تذهبون إلى هؤلاء النصاري فتدخلوهم في الإسلام بدل أن تعالجوا هؤلاء الصوفية من المسلمين وتتهموهم بالكفر، قالوا: لا، هؤلاء الصوفية أكفر من الكفار ... هكذا قالوا، لذلك انتبهوا إلى تلك الفرقة لأنها تتغلغل بين المسلمين، الآن بدأت المحاضرة وكل ذلك مقدمة ...

رئيس هذه الفرقة محمد بن عبد الوهاب الذي ولد قبحه الله في القرن الثاني عشر سنة ألف ومئة وأحد عشرة (١١١١) ومات سنة ألف ومئتين وست سنين (١٢٠٦) عن اثنتين وتسعين سنة، وهو من بني تميم، وكان يطلب العلم في المدينة ومكة وأخذ عن كثيرين من علماء المدينة منهم الشيخ محمد الكردي الشافعي، ومنهم محمد حياة السندي الحنفي وكان ذنيك الشيخين وغيرهما يتفرسون فيه الإلحاد ويقولون: سيضل هذا ويضل الله به من أبعد وأشقاه، فكان الأمر كذلك ولم تُخطئ فراستهم فيه، وكان والده عبد الوهاب من العلماء الصالحين وكان يتفرس فيه الإلحاد، وكان يذمه كثيراً، ويحذر الناس منه ورحم الله من قال: (خبث الرجل الصالح في منيه) أي قد يظهر خُبث الرجل الصالح في أحد أولاده، ولما أراد إظهار ما زينه له شيطانه من البدع إلى الضلال ترك المدينة ورحل نحو الشرق، وصار يدعو الناس إلى التوحيد وترك الشرك ويزخرف لهم القول ويفهمهم أن ما عليه الناس كله شرك وضلال ويظهر لهم عقيدته شيئاً فشيئاً وتبعه كثير من غوغاء الناس وعوام البوادي، واشتهر أمره بنجد وقراها بعد الخمسين ألف ومئة (١١٥٠) وممن أعانه على ذلك وقام بنصرته أمير الدرعية محمد بن سعود، وجعل ذلك وسيلة إلى اتساع ملكه ونفوذ أمره، وقد كان محمد بن سعود عنده من

الجيش ما يستطيع أن يتغلب به على تلك المناطق، فحمل أهل الدرعية على متابعتها، الدرعية أصبحت اليوم تسمى الرياض، حمل أهل الدرعية على طاعته في كثير مما يقول، وما زال يطيعه كثير من أحياء العرب حي بعد حي، وقبيلة بعد قبيلة، حتى قوي أمره فخافته البوادي وهو يزخرف لهم القول ويقول إنما أدعوا إلى التوحيد الخالص والدين السليم وجميع من هم على غير عقيدته مشركون، ومن قتل مشركاً دخل الجنة وهم أناس جهلاء لا يعرفون شيئاً من أمور الدين، فاستحسنوا ما جاء به فكان بينهم كالنبي في أمته، لا يتركون شيئاً مما يقول، ولا يفعلون شيئاً إلا بأمره، ويعظمونه غاية التعظيم، والأمير محمد بن سعود رأس الدولة السعودية آنذاك ينفذ كل ما يقول، وإذا قتلوا إنساناً وسلبوا ماله أعطوا محمد ابن سعود الخمس واقتسموا الباقي، وبعد أن اتسع لابن سعود الملك غزا مكة (وحذفت لهذه المحاضرة بعد أن كتبتها) أنه قتل في الطواف في مكة مئة ألف طائف لأنهم كانوا يتمسحون بالمقامات ويتبركون بها، محمد بن سعود بأمر من محمد بن عبد الوهاب قتلوا المسلمين بالطواف لأنهم صوفية يتمسحون ويتبركون بالأضرحه، واستمرت الحرب بينه وبين أمير مكة خمس عشرة سنة وتغلبوا عليه وأخذوها واتسع ملكهم فملكوا أولاً المشرق وإقليم الإحساء والبحرين ومسقط وقرب ملكهم من بغداد والبصرة، وملكوا مكة والمدينة وما حولهما وما بينهما، وقرب ملكهم من الشام وحلب لما ملكوا الطائف سنة ألف ومئتين وسبعة عشر (١٢١٧) من ذي القعدة، قتلوا الكبير والصغير، والمأمور والأمر، ولم ينج منهم إلا من طال عمره، وكانوا يذبحون الصغير على صدر أمه، ونهبوا الأموال وسبوا النساء وفعلوا أشياء يطول ذكرها، قبحهم الله ومن تبعهم، وتبع محمد بن عبد الوهاب ابن تيمية وزاد عليه سخافة وقبحاً وتبرأ منه أخوه الشيخ سليمان ابن عبد الوهاب وكان من أهل العلم، وكان ينكر عليه إنكاراً شديداً في كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه

قال له مرة: كم أركان الإسلام يا محمد؟ قال له: خمسة. فقال له: أنت جعلتها ستة السادس اتباعك، فمن لم يتبعك فليس بمسلم لذلك كنت تقتله هذا عندك ركن سادس للإسلام، ولما خاف منه لسطوته وكثرة أتباعه ذهب الشيخ سليمان إلى المدينة الشريفة وأقام بها وألف كتاباً للرد عليه وهو مطبوع في عصرنا اليوم، وأرسله له

فلم ينتهي، وألف كثيراً من علماء الحنابلة كتباً وأرسلوها إليه، ولم ينته (ومن يضل الله فماله من هاد)

قال له رجل مرة: وكان الرجل رئيساً على قبيلة بحيث لا يقدر أن يسطوا عليه، قال له: ما تقول إن قال لك رجل ذو صدق وأمانة بأن قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم فلم يجدوا أحداً أتصدق الألف أم الواحد الصادق عندك، فقال أصدق الألف. فقال: إن الجميع العلماء الأحياء والأموات يكذبون في كتبهم ما أتيت به فنصدقهم ونكذبك، اثنا عشر قرناً أي ألف ومئتي سنة كانوا على مقالة واحدة في التوحيد أنصدقك أنت الواحد أم نصدق ملايين العلماء، فلم يعرف جواباً لذلك، وكان ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى من سماعها وينهى عن الإتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنابر، ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب وربما قتله، وكان يقول (إن الربابة في بيت الزانية أقل إثماً ممن ينادي بالصلاة على النبي على المنابر) هل رأيتم مدى الضلال الذي وصل إليه ويتفكر بقوله أن ذلك بدعة وأنه يريد المحافظة على التوحيد، وكان يمنع أتباعه من مطالعة كتب الفقه والحديث والتفسير حتى لا يعرفوا زيف آرائه، وأحرق كثيراً منها، وأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج، فكان كل واحد من أتباعه يفعل ذلك، وحتى الذي لا يقرأ القرآن فيقول الذي لا يقرأ للذي يقرأ أقرأ علي حتى أفسر لك القرآن، فإذا قرأ عليه فسر برأيه.

وأمرهم أن يعلموا بما يفهمونه وجعل ذلك مقدماً على كتب العلم ونصوص العلماء وكان يقول في كثير من أقوال الأئمة الأربعة ليست بشيء، وأقبح كفرياته أنه كان ينتقص النبي ويزعم أنه يريد المحافظة على التوحيد، ومنها قوله: إنه صلى الله عليه وسلم طارش، والطارش في لغة الشرق المرسل من قوم إلى آخرين، فمراده أن النبي حامل كتب غاية أمره الذي يرسله الملك ليلبلغ قوماً ثم ينصرف، وكان أتباعه يظهرون ذلك في حضرته وهو يظهر لهم الرضا، قال له واحد منهم: عصاي هذه خير من محمد بزعمه أنه ينتفع بها بقتل الحية وغيرها ومحمد قد مات ولم يبقى فيه نفع أصلاً وهو طارش وقد مضى.

ولا شك أن هذا كفر بالإجماع، احتقار النبي كفر بالإجماع لا يجوز أبداً انتقاص النبي، وليس ببعيد عنا ما قامت به الدانمارك وما قامت بمقابله الأمة الإسلامية حينما ثارت على هذه الكلمة التي انتقص بها الحبيب الأعظم.

وكان يقول: نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا وكذا كذبة، وغير ذلك من المفتريات.

وإنما أطلت الكلام أيها الكرام في مذهب الوهابية ليعلم أن الطائفة المحمدية بماليزيا القائلة بنبذ المذاهب والعمل بالكتاب والسنة هم من ضمن طائفة الوهابية، هذه كلمة الكتاب والسنة ككلمة حق أريد بها باطل، حتى يجعلوا الناس يقبلون عليهم، بالله عليكم الأئمة الأربعة استمدوا كتبهم من الكتاب والسنة أينبذ هؤلاء المتبعون في اثني عشر قرناً وتبع رجلاً في قرن واحد هو محمد بن عبد الوهاب، هذا خطأ فادح وقعت به السعودية، وتجنني الآن ثمار هذا الخطأ، الآن يقتل أبناء السعودية من هؤلاء الذين كانوا يقولوا لأتباعهم كل الناس كفار إلا نحن.

نحن أهل السنة، وهؤلاء كلهم كفار، الآن السعودية تعيد النظر في كل علماء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم يضللون الناس، مرادهم بالكتاب ما يفسرونه هم بأهوائهم الفاسدة، ومرادهم بالسنة ما يوافق منها هو أهم بحسب أفهامهم، وأما ما يرد عليهم مما يكذبهم نصاً ولا يقدرّون على تأويله فيطعنون فيه ويقولون: حديث موضوع حديث التوسل عندهم موضوع، وحديث الجارية المضطرب عندهم قوي.

ويدعون أنه ليس من كلام النبي، ولو كان في صحيح البخاري ومسلم، ويحرّمون الزيارة والتوسل بالأنبياء والأولياء، والوهابية اليوم نتج عنها دمار الاقتصاد الإسلامي وتسلط الغرب والشرق الملحد على السعودية والمغرب وتونس والكويت وسرق النفط العربي علانية هجمة استعمارية بحجة القضاء على الأصوليين أو الوهابية أو المحمدية، فجرّت الوهابية على الأمة ويلات ودمرت اقتصاداً كان يمكن أن يحيي الله به البلاد والعباد، والسعودية الآن تحصد هذا الزرع الذي زرعه زمن محمد بن عبد الوهاب إلى الآن بقتل أهل السنة والجماعة بحجة

تكفيرهم، اليوم الوهابية في السعودية يقتلون إخوانهم السعوديين لأنهم يعتقدون عقيدة الأشاعرة أو الماتريديّة، وقد كنت في الكويت وناظرتهم في مسجدي الذي كنت أخطب فيه فنصرني الله عليهم، ولما خرج الناس صاروا يسفّهون الوهابية ويقولون: أنتم تكذبون علينا والحق مع الشيخ، ولما انقلب الناس عليهم أتوا إلي وطرقوا الباب وصاروا يقولون أين الكافر ليخرج إلينا لأنني أشعري سموني كافر، هذا كله تواجهه أهل السنة والجماعة اليوم في عصرنا أنتم ستحملون الولاية وهذه الثقافة ستكون في أذهانكم هؤلاء ليسوا من أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريديّة المعتزلة ليسوا من أهل السنة والجماعة، الخوارج ليسوا من أهل السنة والجماعة الشيعة ليسوا من أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة: الأشاعرة والماتريديّة هذه كتب أهل السنة والجماعة، افتحوها وانظروا وصيتي إليكم أحباب رسول الله حفظ عقيدة أهل السنة والجماعة

بيان الكفریات واثبات حکمها لكي تُحذر كما نص عليه الملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر

إنكار المنكرات التي تؤدي الى الكفر

مهمتنا : أن نبقي هذه الأمة حية برسالتها، الأمة قد تنام ولكن لا تموت

الأيام القريبة شهدت صحوه عقب ما جرى في لبنان والعراق

العراق جعلت الأمة تصحو، الذبح على الهوية سني يذبح وشيعي يذبح، ليس من ذنب إلا لأن هذا شيعي وهذا سني، صارت الأمور واضحة لا لبس فيها ولا خفاء

انتبهوا: اعرّفوا مع من تضعون أيديكم ومثل هذه المحاضرات مهمة، أحب أن تعملوا دورات في العقيدة مكثفة، وتحذروا من الغزو الصليبي التبشيري والماركسي الملحد والتحذير من الفرق التي تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدتنا حب القرابة واحترام الصحابة، إيقاننا باحترام الشيخين الصديق والفاروق ومن سبهما غرم، ومن سبهما خرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدتنا براءة السيدة عائشة مما نسب إليها من حديث الإفك وكل من يكذب هذه الحقيقة يكون قد

كذب القرآن ومن كذب القرآن فحكمه معروف في الشريعة، عقيدتنا أن المصحف الشريف هو كل ما نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غير منقوص ولا بحرف، وكل من يقول إن هناك مصحف فاطمة فيه ثلاثة أمثال هذا المصحف فهو كذاب ويطعن بالصحابة الذين كتبوا القرآن وخصوصاً الصديق والفاروق، عقيدتنا لا شرقية ملحدة ولا غربية كافرة، عقيدتنا إسلامية سنية أشعرية ماتريدية لا نخرج عنها ولو عذبنا أو أخرجنا ...

عقيدتنا: عقيدة السلف والخلف سائرة بين التأويل والتفويض

التفويض: ترك التفويض في الآيات المتشابهة التي تسمى آيات الصفات إلى علم الله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به

السلف اتبعوا التفويض والخلف اتبعوا التأويل

وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح

وطريقة السلف أسلم وظهرت طريقة السلف والخلف بتنزيهه عن المعنى المحال والتأويل الإجمالي وفي القرآن آيات لا يقال فيها إلا بالتأويل (الرحمن على العرش استوى).

أما أن نقول استوى بالمعنى الذي قال: والذي أراد استواءً منزهاً عن الحلول والاتحاد، فلا العرش يحمله ولا الكرسي يسنده، بل العرش وحملته، والكرسي وعظمته محمول بلطف قدرة الله تعالى، والاستواء معلوم، والكيف مجهول، معلوم أنه استوى ولكن الكيف مجهول بالنسبة لنا أما بالنسبة لله فمعلوم.

الذي أريده: إما أن نفوض فنقول استوى كما قال الله، أو نأول فنقول استوى برحمانيته على العرش من باب { ورحمتي وسعت كل شيء } في معنى آخر لغوي لا أحبذه استوى أي استولى، لكن أهل العقيدة يفضلون استوى برحمانيته على العرش.

(وهو معكم اينما كنتم) : إما أن نقول هو بمعنى العلم والإحاطة، أو نقول هو معنا الله أعلم بمراده.

(وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول) (إن معي ربي سيهدين) (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) فإن قالوا: إنه مع الأنبياء والصالحين والكفار بالعلم والإحاطة كان حق، وكان ذلك تأويلاً، ونحن نقول لهم قولوا بقوله { الرحمن على العرش استوى } الله أعلم بمراده وكان ذلك تفويضاً.

أما تأولون بعض الآيات مثل { وهو الله في السموات والأرض } وتمنعون تأويل بعضها الآخر، والدافع في جميع ذلك اللغة العربية وأقوال العلماء تحتمله فذلك كيل بمكيالين

ووزن بميزانين وجاء ابن تيمية في القرن الثامن يدعي أن الله صوتاً تكلم به بحروف القرآن، ومسألة صفة الكلام تكلم فيها علماء الكلام وأراحونا فيها وقال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر: والله يتكلم لا ككلامنا، الآن أنتم تسمعون كلامي بصوت، والله تعالى (ليس كمثله شيء) والله كلامه ليس ككلامي، كل ما كان فيك ليس لله أن يكون، أنت تتكلم بحرف وصوت وهذا يستلزم شفة ولسان وأسنان وحلق ورئتين إذا صار الله كالمخلوق، الله يتكلم بلا صوت وبلا حرف ونحن نتكلم بآلة وحرف، والله يتكلم بلا آلة وبلا حرف، والحروف مخلوقة وكلام الله غير مخلوق، فمن قال: إن تلاوة التالين هي نفسها كلام الله الحقيقي وهي الصفة القديمة لله تعالى فقد كابر وخالف وزعم أن صفات الله تقوم وتحل بالمخلوقات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إن الكلمات الموجودة في اللوح المحفوظ حادثة تعبر عن العلم الأزلي، وكذلك المصحف، ولا يقال أن كلام الله القديم يحل بالألواح والأبدان والأوراق ولم يصح نسبة الصوت لله في القرآن ولا في الأحاديث عن الله، والعلماء سلفاً وخلفاً ينفون صفة الحروف والأصوات إلى كلام الله تعالى.

قال العز بن عبد السلام: القرآن كلام الله تعالى وصفة من صفاته، قديم بقدمه ليس بحرف ولا أصوات.

ومن زعم أن الوصف القديم هو لين أصوات القارئ وكتابة الكاتبين فقد أُلحد في الدين وخالف إجماع المسلمين.

وصار واضح أن ابن تيمية مخطئ في هذا الكلام نسبة الصوت إلى الله عز وجل، وابن تيمية خرق الإجماع بعشرين مسألة ومنها هذه المسائل ...

وسارع أقوامٌ فجعلوا والدي المصطفى في جهنم، ونسوا أن ذلك يؤذي الله ورسوله وقد قال الله تعالى: **{ والذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة }** رغم أن عقيدة أهل السنة والجماعة نجاة أبويه صلى الله عليه وسلم لأنه من أهل الفترة التي لم يبعث في عصرهما نبي، وقد شنع أقوام على الملا علي القاري حينما قال هذه المقالة.

قال تعالى: **{ لتتذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك }**

وقال: **{ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا }**.

يقول المحدث الشيخ عبد الله الغماري المتوفى سنة الثالثة عشرة وأربعمئة وألف هجرية (١٤١٣ هـ)

فإن قيل: قد روى مسلم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال: أين أبي؟ قال: في النار فلما مضى الرجل دعاه فقال: (إن أبي وأبوك في النار)

هذا الحديث في صحيح مسلم يقول المحدث عبد الله الغماري هذا الحديث شاذ مردود، (والشاذ ما خالف به المأثرة) الحديث صحيح، ولكنه معارض بأحاديث كثيرة كلها صحيحة، فهذا الحديث لا يؤخذ به في العقيدة، صح إسناده ولكنه شاذ لمخالفته المأثرة من الجماعة الكثيرة من المحدثين.

ويقول عبد الرحمن الغماري: هذا الحديث شاذ مردود في العقيدة، يعني أما شذوذه فقد جاء من حديث البزار وليس فيه ذكر والد المصطفى من رواية معمر بن ثابت بل فيه (إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار) ليس فيه أبي وأبوك في النار.

فعند الطبراني والبيهقي من طريق ابراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه وتمامه أن أعرابياً قال لرسول الله: أين أبي؟ قال في النار. فقال: أين أبوك؟ فقال: (حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار) إسناده على شرط الشيخين، وهو أصح من حديث مسلم، فإبراهيم بن سعد روى له الشيخان وحماد بن سلمة روى له مسلم دون البخاري، وحماداً تغير في آخر حياته أي أصابه الخرف، ولعله قاله في تلك الفترة، وليس لأحد أن يلزم في عقيدة الأشعري أو يتهمه فضلاً عن أن يتهمه في الكفر، فضلاً عما فعلت الوهابية، وأريد هنا أن أنقل ما روى الإمام الذهبي الذي عنون ترجمة للإمام أبي الحسن الأشعري فقال: (هو العلامة امام المتكلمين) ثم قال بروايته عن زاهر بن أحمد السرخسي لما قرب حضور أبي الحسن الأشعري في داره ببغداد دعاني فأتيت فقال: اشهد علي أنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، (كل من يصلي إلى قبلتنا لا أكفره) لأنهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد وهذا كله اختلاف العبارات. يقول العلامة الذهبي بنحو هذا ادين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية، فالوهابية لا أتباع ابن تيمية ولا أتباع أحد لأنهم خالفوا حتى ابن تيمية فالجماعة انتسبوا إلى ابن تيمية ظاهراً، أخذوا الأقوال الشاذة منه وتركوا الثمينة منها فحسبوا عليه.

أيها الأحبة: أيها الإخوة الماليزيين:

انصحكم بعمل دورات مكثفة للباحثين دورة في الحديث، دورة في الفقه، دوره في العقيدة، دورة في إعداد الباحث العصري والداعية العصري، نريد الداعية المتمكن فأنتم تمثلون أكبر عدد في بلد واحد من المسلمين ٢٥٠ مليون مسلم، وأريد أن أنبهكم من الكتب الحديثة التي تصدر في العقيدة تنبيه وتحذير ممن يفرقون بين الألوهية والربوبية، ولا فرق بينهما إنما هو اختلاف العبارات لا فرق بين أن أقول: الله ربي، أو أقول لا إله إلا الله.

إلا المعنى اللغوي الرب أي الله معبودي، ولا إله إلا الله أي لا معبود بحق إلا الله، ولا فرق بين العبارتين، والوهابية وضعوا لها فرقاً وتميزت كتبهم بهذا الفرق فاحذروا من هذه الكتب التي تميز بين الألوهية والربوبية احذروا من الكتب التي

تدعو إلى التآخي بين الأديان، مؤتمرات التآخي ماهي إلا ليعترف الناس بالأديان، وبهذا نخالف القرآن لأنها القرآن فرق بين الأديان فقال:

{ قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. لكم دينكم ولي دين }

وقال تعالى: **{ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين }**

وقال: **{ لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر }** الله تعالى في القرآن كفر أهل الأديان الأخرى، ونحن عندما ننفي عنهم صفة الكفر نكون قد خالفنا القرآن والسنة، نعم نحن مع الإخاء الوطني، البلد تتسع لكل الأديان، ولكنهم ليسوا بإخواننا، هم مستوطنون مثلنا، يسعهم الوطن ويسعنا، ولكن لا يدّعون أنهم إخواننا في الدين، إنما المؤمنون إخوة.

وقف أحد رؤوس أهل العلم مرة عندنا وهو أعلى مرتبة علمية في الشام يريد التقريب بين الأديان فقال: لا فرق بيننا وبين النصارى، نحن نقول: بسم الله الرحمن الرحيم، وهم يقولون، بسم الآب والابن وروح القدس.

ما رأيكم بهذا الكلام!!؟

نحن نقول بسم الله صفته الرحمن وصفته الرحيم، وهم يقولون بالتثليث باسم الآب والابن وروح القدس هل هناك اتفاق بين الكلاميين هذه أعلى عمامة في بلاد الشام كانت في مؤتمر للتآخي بين الأديان قال هذا الكلام، وقد وقف خليفته من بعده الأرعن الأحمق وقد سئل: كم عدد النصارى في سورية؟ فقال: عشرين مليون نصراني، ثم سئل كم عدد المسلمين فقال: عشرين مليون مسلم، يريد أن يقول لا يوجد مسلم ونصراني في سورية كلهم إخوة على دين واحد، يريد أن يجعل المسلمين نصارى والنصارى مسلمين، فما رأيكم دام فضلكم!!؟

يجب أن نحذر من أمثال هؤلاء وهذا كتاب يدرس في جامعة دمشق كتاب لعالم معروف اسمعوا ماذا سمى الله فيه، سماه العلة، وسماه السبب، وسماه روح الكون، وسماه الواسطة، وسماه المصدر، وسماه العقل المدبر، وكلكم تعلمون أنه لا يجوز

تسمية الله تعالى بغير ما سمي به نفسه، هذا الكتاب يدرس في الجامعة، نفس هذا المؤلف كان يقول: إن النبي أخطأ، وكتبه في كتابه فقه السيرة أن النبي أخطأ (وأنا عجبت لهذه الكلمة)، وقد نص العلماء الأصوليون (إن المعصوم لا يخطئ) ارجعوا إلى علم الأصول (المعصوم لا يخطئ) هو قال: لا ...

قلت له وقال له أشياخنا احضر لنا دليل واحد من قول الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين أن النبي أخطأ قولاً واحداً ونحن نسلم لك فلم يستطع ...

١- هو نفسه صاحب هذا الكتاب قال في الصفحة ١٦ ثم إن المؤمنين بالله قد فرغوا من تحليل ظاهرة الوجود هذه عندما قالوا ان سلسلة الموجودات باسرها لابد أن تعتمد في وجودها على ذات واجبة الوجود ..إلى هنا الكلام ما في شيء

إلى أن قال مباشرة: ينبثق الوجود من ذاتها
كالأم ينبثق الولد من ذاتها: لا يجوز هذا الكلام

٢- قال الصفحة ٧٧ : وبتعبير آخر نقول أن ما تراه من حقائق الكون الكبرى إنما هو فيض من حقيقة واحدة ألا وهو ذات الله، سمي الله حقيقة، وارجعوا إلى أسماء الله الحسنی هل فيها كلمة حقيقة ...

٣- قال في الصفحة ٨٧ : إذا علمت هذا نقول لمن أقر بحدوث العالم وادعى أنه ولد بتأثير نفسه ما هي أول نواة أو ذرة سبقت غيرها في الظهور الى الوجود ومهما كان هذا الشيء فإننا نقول فما هي العلة التي أوجدته ...
سمى الله علة أوجدت هذا الكون وأنهضته من ظلمات اللا شيء، وجعلته في أول مدارج الوجود.

٤- قال في الصفحة ٩١ : فما من مجموعة تركيبية تتناسق في تحقيق غاية تطرد في تحقيق غايتها إلا ومن وراء هذه الجملة عقل مدبر

يا أمة الإسلام العقل حادث أم قديم؟ كيف تصف الله بالعقل المدبر!!؟

٥- قال في الصفحة ١٤٧ : لكن هذا لا يعني ولا يستلزم أن الله قد توسط لتحقيق ما يريد لبعض المخلوقات الأخرى بل إنه هو الواسطة الأولى والأخيرة.
الله واسطة لخلق الشيء وليس خالقاً ..الله وسيلة هذا كلام لا يجوز

٦- قال في الصفحة ١٣٤ : فلأن كلمة العلم نطقت يومها على لسانه وهو في

غيوبته تلك بهذا الهذيان فإن حقيقة العلم لتنادي اليوم بأعلى صوتها فوق

أعلى قمة من قمم الوجود بأن الله هو حقيقة الحقائق كلها

هذا كلام لا دخل له في العقيدة، وهذا كتاب في العقيدة لا يجوز، اسالوا

علماء العقيدة

٧- قال في الصفحة ٢٨٧ : غير أن عدد الأسباب الظاهرة أمامك تتناقد كلما

أمعنت النظر وسبرت أغوار الأسباب نفسها كما تتناقد فروع الشجرة

أمامك، كلما دنوت بنظرك نحو جذعها إلى أن تتجمع الأسباب المختلفة كلها

في سبب رئيسي واحد وهو السبب الواجب أو واجب الوجود.

- هل الله خالق أم سبب في الخلق؟ كيف تقول عن الله أنه سبب أسباب

ومسببات الله خالق وموجد وليس سبب في الإيجاد لم يقلها أحد قبله.

٨- قال في الصفحة ٢٩١ : ولكي يتم فيه التناسق ينبغي أن يكون مرتباً بعضه

فوق بعض، بأن يكون هذا محتاج وذاك محتاج إليه، فيتلاقيان طبقاً للحاجة

بينهما، فإذا تجلّى لك في الكون هذا التناسق تنبّهت لما قلناه من ضرورة

تناقض العلل في المسائل المتناسقة، كلما أمعنت النظر أكثر وكلما سبرت

النظر في أغوار هذه العلل والمعلولات، فتصير متأملاً في هذا السبيل إلى

أن تنتهي بك هذه العلل الكثيرة المختلفة إلى العلة الوحيدة الكبرى الكامنة

خلف كل ما رأيت، أي إلى واجب الوجود وهو الله

- سمى الله علة العلل وهذا قول الفلاسفة والفلاسفة كفار ...

هذا كتاب يدرس في الجامعة، ويدرس ربما ببعض المعاهد الشرعية. هذا

الكتاب وهذه الألفاظ لك ترد بأي كتاب من كتب العقيدة، ارجعوا إلى كتب

العقيدة.

أسماء الله قالها الفلاسفة الملحدون هذه الأشياء الذين سمو الله علة العلل وهذه

ارفقتها مع رسالتي.

أخيراً أشكر لكم تفضلكم بدعوتكم على مائدتك، وارجو أن لا أكون ضيفاً ثقیل

الظل عليكم، وأقدم لكم مجموعة من كتبي إن شاء الله تضعونها إما في مكتبكم أو

تسلموها لشيوخكم ليدرسوكم إياها ...

والحمد لله رب العالمين

دور الاجتهاد في مصادر التشريع

محاضرة في الدروس المحمدية في الجزائر العاصمة ٢٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع منار العلم في كل عصر ومصر،

وأقام أهله ظاهرين على الحق مؤيدين بالفتح والنصر،

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الأعطران على سيدنا ومولانا محمد المنزل عليه سورة الفتح والنصر، وعلى آله وصحبه ونصراً مؤزراً لسيدنا ومولانا الإمام الشيخ محمد عبد اللطيف بلقايد وزاويته وذريته وأحبابه ومريديه، اللهم ارزقهم عناية وكفاية ووقاية وحماية،

وأعظم عزاً يدوم أبداً، واجعلهم من أئمة الدين والهوى.

وبعد: ما زالت الدروس تترا في مصادر التشريع الإسلامي

والآن حان الوقت للتحدث عن دور الاجتهاد في مصادر التشريع الإسلامي.

فقد اتفق علماء الأصول أن الأدلة ترجع في جملتها إلى مصدرين هما: النصوص والاجتهاد.

وإذا كانت النصوص تشمل نوعين من الأدلة هما القرآن والسنة (ويلحق بها فتوى الصحابي)، فإن سائر الأدلة الأخرى ترجع إلى الاجتهاد، ومن بينها بعض أنواع الإجماع، والقياس كله، ثم الاستصلاح والاستحسان والاستصحاب ومراعاة العرف

الاجتهاد عبارة عن نتاج لفهم المجتهدين للكتاب والسنة فحكم الله ما أدى إليه اجتهاد المجتهد.

النصوص القطعية لا مجال للاجتهاد فيها، أما سائر الأدلة التي من بينها النصوص الظنية، فالاجتهاد هو مصدر الاستدلال فيها.

لن أذكر مسائل الاجتهاد بكاملها لضيق الوقت، ولكن أبحث معكم في نقطتين هامتين منه أو ثلاث: تعريفه، ومجاله، وشروطه.

فما هو الاجتهاد؟

الاجتهاد بذل أقصى الجهد للوصول إلى حكم شرعي عملي من دليله التفصيلي بطريق استنباط الحكم من دليله.

والدليل التفصيلي: قد يكون نصاً ظني الدلالة، وقد يكون القياس، وقد يكون الاستصلاح، وقد يكون الاستصحاب، وقد يكون مراعاة العرف.

فمجال الاجتهاد ليس النص القطعي الدلالة لأن الوصول إليه لا يحتاج إلى بذل جهد كبير:

{ والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهم مئة جلدة }، قطعي الدلالة أنها مئة جلدة.

(يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) قطعي الدلالة في: أن نصيب الابن من التركة ميراثاً ضعف نصيب البنت.

فمجال الاجتهاد هو كل واقعة لم يرد بحكمها نص قطعي صريح.

فما هي نصوص الاجتهاد؟

أولاً: هو النص الظني، الدلالة الذي يحتمل أكثر من معنى، ولأضرب لكم بمثالين يوضحان ذلك:

المثال الأول: في قوله تعالى: { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق } [الأنعام ١٢١]

ما هذه الواو؟ هل وضعت للعطف أو وضعت للحال؟، فاختلف الحكم لأحد الاحتمالين:

أ- فرجح الإمام أبو حنيفة أنها وضعت للعطف، فاشتراط لِحْلٍ أكل الذبيحة أن يذكر اسم الله عليها، فكل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها لا يحل أكلها عنده، ولو لم يذكر عليها اسم غير الله تعالى.

ب- وذهب مولانا الإمام الشافعي رضي الله عنه إلى أن (الواو) وضعت للحال، وأن جملة الحال (وإنه لفسق) في الحقيقة هي شرط الحِلِّ. فالذبيحة إنما تحرم إذا صحب ذبحها فسقٌ (أي ذكرٌ لغير الله) فإن لم يذكر عليها اسم الله ولا اسم غيره من آلهتهم الباطلة حلَّ أكلها، إذاً لا فسق فيها حينئذٍ.

المثال الثاني: لفظ القَرء في قوله تعالى { والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء } فهل وضع (القَرء) للدلالة على الطهر، أو للدلالة على الحيض؟ فاختلوا في عدّة المطلقة من ذوات الحيض: أهى ثلاثة أطهار أم ثلاث حيضات؟

أ- فذهب إمامنا الشافعي رضي الله عنه وشيخه الإمام مالك إلى الأول: (القراء هو الطهر)،

ب- وذهب إلى الثاني الإمام أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم (القراء هو الحيض).

ولولا ضيق الوقت لفصلت لكم رأي كل إمام.

إذاً مجال الاجتهاد النص الظني الدلالة، والأدلة التي ليست نصاً.

هل يوجد أدلة أخرى للاجتهاد؟ نعم.

الأمر التي يجتهد فيها هي:

الأدلة التي ليست نصاً، والأدلة التي ليست نصاً: هي القياس والاستصلاح والاستحسان والاستصحاب ومراعاة العرف، وغيرها، وهي بطبيعتها مجال للاجتهاد لأسباب أذكر لكم سببين لزيادة الفهم:

١- أن حجيتها ليست محل اتفاق بين الأئمة، فالذين أثبتوا القياس وهم جمهور الفقهاء يحتجون به، ويحكمون بما يؤدي إليه، على حين لا يحتج به منكروه وهم المعتزلة والظاهرية ولا يرتبون عليه حكماً...

والذين قبلوا الاستصلاح يعتبرونه دليلاً شرعياً، في حين يعتبره الذين لم يقبلوه عملاً بالهوى ... وكذا يقال في باقي الأدلة التبعية.

٢- أن بينات المجتهدين تختلف، فيترتب على ذلك اختلافهم في تقدير المصالح والأعراف والضرورات، وفي طريقة الحكم عليها.

ومن هنا كان لمولانا الإمام الشافعي في مصر مذهب جديد غيّر فيه بعض ما كان يقول به في مذهبه الأول قبل سفره إلى مصر... ومن هنا كان الطابع العام لمذهب الحجازيين (أهل الحجاز: أهل مكة والمدينة) مختلفاً عن الطابع العام لمذهب أهل العراق.

لكن السؤال المهم الذي يسأل؟

هل الاجتهاد لكل أحد علم أو جهل، أم هناك شروط للاجتهاد ومؤهلاته؟

من هو الذي يستحق أن يقول: اجتهد رأيي ولا آلو، (أي لا أقصر) كما ورد في الحديث، وهل صحيح ما يفعله بعضهم من الأخذ من القرآن والسنة مباشرة والحال أنه ليس أهلاً لذلك.

أجابنا عن هذا السؤال مولانا الإمام الشافعي في كتابه الأصولي الأول في بابهِ (الرسالة) ألفه الإمام الشافعي مرتين (مرة في العراق ومرة في مصر) وهو أول كتاب صنف في الأصول وضع فيه الضوابط التي يلتزم فيها المجتهد في بيان الأحكام الشرعية (حققه الشيخ أحمد شاكر وغيره).

وإذا كان الناس عيالاً في الفقه على سيدنا أبي حنيفة فالناس عيالٌ في أصول الفقه على الإمام الشافعي رضي الله عنهما.

في هذا الكتاب حدد لنا معالم شروط الاجتهاد، يقول:

لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً:

١ - عارفاً بكتاب الله بنا سنحه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيّه ومدنيّه.

٢ - ويكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناسخ والمنسوخ ...

٣ - ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن.

٤ - ويستعمل هذا مع الإنصاف ...

٥ - ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار.

٦ - وتكون له قريحة بعد هذا ...

فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي (انتهى كلام الإمام الشافعي رضي الله عنه.

هذه مؤهلات المجتهد وشهاداته وعلمه، حددها الإمام ببلاغة نادرة حتى لا يتعدى أحد حدوده في دعوى العلم، فليس كل مدع مصدق.

فأصغوا إلي يرحمكم الله أبين لكم هذه القضية ببعض تفصيل، لأن الانتباه نصف العلم : من يريد أن يأخذ أحكامه من الكتاب والسنة مباشرة يجب:

أولاً: أن يكون عالماً العلم التام بالتشريع العملي في القرآن كلياته وجزئياته، ذلك أن القرآن الكريم لم ينزل ليكون كتاب دعوة فحسب، ولم ينزل ليقرر أصول العقيدة الصحيحة ويوجه الأنظار إلى أدلتها وبراهينها فقط، ولكنه أنزل ليشرّع للناس مع هذا أقوم شريعة يستطيعون أن يسيروا في ضوئها، وأن يحتكموا في علاقتهم بالله عز وجل، وفي علاقة بعضهم ببعض أفراداً وشعوباً ...

ومن هنا: كان فيه إلى جانب آيات العقيدة والدعوة والقصص نحو خمسمئة آية تؤصل قواعد التشريع، وتقرر مبادئه، وتضع كلياته، وتتناول بالتفصيل بعض

الموضوعات. وهي المعروفة بآيات الأحكام في القرآن الكريم، وهي التي تكون فقه القرآن.

وقد تناول تفسيرها المفسرون كل بحسب مذهبه الفقهي، وأفردت لها التأليف كما في كتاب آيات الأحكام للصابوني، والسايس، وكتابي الأوامر والنواهي الشرعية.

فلا بدّ لمن يتصدى للإفتاء عن اجتهاد أن يدرسَ هذه الآيات ويعلمَ فقهها كلّها.

ثانياً: العلم التام بالتشريع العملي في السنّة كلياته وجزئياته، سواء أكانت السنة قولية أم فعلية أم تقريرية، ذلك أن السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ولا بد للمجتهد من الوقوف على ما قرّره من أحكام في العبادات والمعاملات واللغويات وغيرها قبل أن يتصدّى للإفتاء.

ومما سهل على الدارس والباحث ما فعله بعض المعنيين بالسنة أن جمع أحاديث الأحكام من الكتب المعتمدة كلّها أو معظمها في كتب خاصة كابن تيمية الجد (عبد السلام بن عبد الله أبو البركات مجد الدين فقيه حنبلي محدث ومفسر / ٥٩٠ هـ - ٦٥٢ هـ) في منتقى الأخبار في أحاديث الأحكام شرحه الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار)، والإمام ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في كتابه بلوغ المرام من أدلة الأحكام، والشيخ منصور ناصف (ت ١٩٥١) في التاج الجامع للأصول، رحمهم الله تعالى ...

وعلى الباحث قبل أن يتصدى للاجتهاد أن يدرس هذه الأحاديث مستعيناً بما كتبه الشراح في شرحها على أن يعلم العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، والناسخ والمنسوخ وغير ذلك مما لا بد للمجتهد من العلم به، وهذا موجود في كتب الأصول.

ثالثاً: الشرط الثالث من مؤهلات المجتهد:

العلم التام بالتشريع العملي الذي ثبت بإجماع علماء المسلمين في جميع العصور حتى عصر المجتهد، ذلك أن الأحكام التي وقع عليها الإجماع ليست مجالاً للاجتهاد بعد هذا الإجماع، وقد يُستفتى فقيه في واقعة سبق الإجماع على حكم

فيها، فما لم يكن على علم بكل مواقع الإجماع أمكن أن يفتي فيها بخلاف الحكم المجمع عليه، وهذا لا يجوز.

رابعاً: العلم التام بمقاصد التشريع الإسلامي ومبادئه وكلياته العامة لأنه إذا جهل شيئاً منها كان معرضاً لأن يخطئ في اجتهاده فيحكم أو يفتي أو يعمل بما يعارضه، وهو لا يجوز.

خامساً: العلم بما جرى عليه عرف الناس وبأحوالهم وبما فيه صلاح أو فساد، إذ لا تنيسر له الفتوى الصحيحة بدون هذا العلم ... ومن لم يكن عالماً بأهل زمانه فليس بعالم.

سادساً: العلم التام باللغة العربية من حيث بنية الكلمات وإعرابها وفصاحتها ومن حيث معناها ظهوراً وخفاءً، حقيقة أو كناية، إفراداً وعموماً واشتراكاً، بحيث يتمكن نتيجةً لهذا العلم من القطع بما تدل عليه كل كلمة، وبطريقة دلالتها: عبارة أو إشارة أو فحوى أو اقتضاء...

وقد اختلف الأصوليون في بيان المقدار الواجب من هذا العلم باللغة، فذهب الإمام الشاطبي إلى اشتراط أن يبلغ فيه مبلغ الأصمعي والخليل وسيبويه ... واكتفى غيره أن يتمكن من فهم النصوص فهماً صحيحاً دقيقاً.

سابعاً: العدالة الكاملة في دينه وخلقه، وواضح أن هذا الشرط إنما يجب توافره لقبول فتواه أو حكمه لا لعمله هو بما أداه إليه اجتهاده.

ثامناً: كمال عقله: فليس لناقص العقل أن يجتهد، لأنه لن تنهيا له وسائل الحكم الصحيح ...

إخوتي خذوا الحق والتحقيق:

هذه الشروط كلها كانت متوفرة بالأئمة الأربعة رضي الله عنهم ولذلك دامت مذاهبهم وبقيت حتى اليوم.

وأما من لم تتوفر له هذه الآلات الاجتهادية. فليقلّد أحد هؤلاء الأبرار فمن قلّد عالماً لقي الله سالماً.

سادتي:

لا يجوز لغير من تأهل للاجتهاد أن يأخذ حكماً مباشراً من آية أو حديث، لأنه سيضل ويُضِل كما فعل بعض من لا علم عنده، مدعياً أن التقليد حرام وممنوع، وهذه غلطة كبيرة غلّطها ابن حزم، ورحم الله من قال:

فاجزم على التحريم أي حزم والحقّ ألا تتبع ابن حزم

نحن متعبّدون بالمذاهب الأربعة الفقهية وأقوال أئمتها رضي الله عنهم.

ألم تسمعوا إلى قول الإمام اللّقاني المالكي المصري صاحب جوهرة شيخ الإمامين الخرشي والزرقاني مرجعي المالكية:

ومالك وسائر الأئمة كذا أبو القاسم هداه الأئمة

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

لقد أجمع أهل العلم أنه يجب تقليد أحد المذاهب الأربعة في الفروع الفقهية لكل ما كان دون مرتبة المجتهدين، ونقل هذا الإجماع المحدث ابن الصلاح رحمه الله فقال: (أجمع أهل العلم أنه لا يجوز تقليد إلا المذاهب الأربعة الفقهية).

إخوتي:

لم ينقطع الاجتهاد ولكن انقطعت آلاته، ومن ادعاه فعلية البينة، فالدعوى عريضة والعجز ظاهر.

رغم أنه لا بد من وجود مجتهدين في الأمة، بحيث يكون في كل عصر مجتهد أو أكثر، بحيث تأثم الأمة إذا خلا عصر من عصورها عن أهل الاجتهاد .

لماذا؟

لأن الله تعالى أمر برّد الخلاف إلى الله و رسوله، وهذا عام في كل عصر، وليس كل واحد من المؤمنين أهلاً لرد المتنازع فيه إلى الله ورسوله، لا بدّ أن يوجد في الأمة من هم أهل لمعرفة أحكام الله ورسوله من النصوص، ومن أهل لرد المتنازع فيه إلى الله ورسوله، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

هذا أولاً.

وثانياً: إن رب العزة والجلال وجه قوله إلينا فقال: { فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون }

فأهل الذكر هم أهل الاجتهاد الذين يجيبون عن كل ما يسألون عنه، وبينت السنة من هؤلاء، فقال سيد الخلق وحبیب الحق: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) (ق).

وهذه الطائفة التي تقوم بالحق وتدعو إليه لا تكون إلا من أهل النظر في الشريعة والقدرة على استنباط الأحكام من أصولها العامة وأدلتها التفصيلية، هؤلاء هم أهل الاجتهاد، فيجب إذاً ألا يخلو منهم عصر وإلا فالأمة كلّها آثمة.

الأهمية الثالثة لوجود المجتهد: تلك الوقائع المتجددة التي لا تنتهي:

تواجه الأمة الإسلامية في كل زمن أنواعاً من المعاملات والشركات والعقود لم ترد بأحكامها النصوص، ولم يتناولها اجتهاد سابق، واليوم تغزو العالم شركة جديدة تسمى شركة التسويق الشبكي فيها عشر محرمات، والناس تتعامل معها ولا تدري أن التعامل فيها حرام ... لا بدّ إذاً من وجود أهل الاجتهاد في كل عصر ليستنبطوا لهذه الوقائع أحكامها، وخاصة أن الإسلام هو خاتم الأديان، وأنه دين البشر كلهم حتى تقوم الساعة.

ولا أطيل عليكم لأنني اغتبت برنامج الدروس اغتباقاً، وعذراً ثم عذراً **فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا.**

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم والدينا وأشياخنا، وبارك لنا بحياة شيخنا الإمام محمد عبد اللطيف بلقايد وعافه وأمدّه بالصحة والقوة، واجعل هذا الصرح العظيم عزاً للإسلام والمسلمين، وأقم به إلى عمود الدين وانفع به المسلمين^١.

والحمد لله رب العالمين

^١ انظر المحاضرة على موقعنا في اليوتيوب.

**برنامج
درب العاشقين
على قناة
سما الفضائية
التصوف**

رمضان ١٤٤٠ – أيار ٢٠١٩

أسئلة البرنامج

- ❖ هل هناك رابط بين الولاية والوصول والتصوف
- ❖ أيهما أفضل للسالك الشاذلية الرفاعية قادرية نقشبندية
- ❖ ما تفسير الكرامة الصوفية وهل فوارق العادات دليل الولاية والصلاح.
- ❖ هل متبع الطرق تظهر عليه علامات فارقة عن الآخرين.
- ❖ ما الفرق بين مصطلحي الصوفي والدرويش.
- ❖ هل هناك أسرار في التصوف لا يجوز البوح بها لغير أهلها فلماذا يكون سراً.
- ❖ معنى الحضرة في التصوف وما التأصيل الشرعي لها. هل هو شرط للوصول إلى الله
- ❖ ما معنى الحضرة وما فلسفتها.
- ❖ هل الحضرة اليوم وكثرة الصراخ والحركات جائزة وما الدليل عليها.
- ❖ مراتب الأولياء هل يمكن تفسيرها وهل لها دليل في الكتاب والسنة.
- ❖ تقديس الصوفية لشييوخهم إلى درجة أنهم قالوا إذا قال المريـد لشيخه لم، لم يصلح... ما هو الرأي الشرعي له.

أقوال الأئمة في فضل التصوف

- التصوف لا يذم لذاته مطلوب لكل مسلم إذا أريد به الاهتمام النواحي الخلقية.
- نزن أعمال التصوف بميزان الكتاب والسنة.
- التصوف القيام بغاية الإخلاص.
- التصوف هو حب الله ورسوله الصادق ألا ينحرف عن أحكام الله وأحكام رسوله.
- لكل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة.
- للإمام الجيلاني الفتح الرباني عبارة قيمة في التصوف: إمامنا الكتاب والسنة وحقائق التصوف تابعة لهما.
- الإمام محمد السفاريني^١ الحنبلي يقول: إن الإمام أحمد رحمه الله قال: لا أعلم قوماً أفضل منهم.
- قليل: إنهم يستمعون ويتواجدون. فقال: دعوهم يفرحوا مع الله تعالى.
- ماذا يفعلون مما هو مخالف للشرعية؟! لا شيء؛ مجلس لا اختلاط فيه، ولا آلة موسيقية، ولا تنثني بالحركة أو تخنث فيها، السماع مباح ضمن ضوابط الشرعية.
- الإمام تاج الدين عبد الوهاب السبكي^٢ يقول في الصوفية: حياهم الله وبياهم (أي أضحكهم وبوأهم الجنة)

١ - ت ١١٨٨ هـ / عاش ٧٤ سنة / له كتاب من أنفس الكتب شرح فيه ثلاثيات الإمام أحمد بينه وبين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة رواة، شرحه في مجلدين.

٢ - ت ٧٧١ هـ / عاش ٤٤ سنة / ابن سيدنا تقي الدين السبكي، جاء به من مصر إلى الشام وصار إمام الفقهاء الشافعية، له مؤلفات من أجملها: طبقات الشافعية في ٨ مجلدات - جمع الجوامع في الأصول، معيد النعم ومبيد النقم.

وجمعنا بالجنة نحن وإياهم، وقد تشعبت الأقوال فيهم بسبب الجهل بحقيقتهم حتى قال الجويني^١:

- لا يصح الوقف عليهم، فرد عليه الإمام السبكي: الصحيح صحة الوقف عليهم لأنهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في أغلب أوقاتهم بالعبادة ... إلى أن قال الإمام السبكي: والحاصل: أنهم أهل الله وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم.
- شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري^٢ يقول: التصوف هو علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق لتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية.

- من عظماء التاريخ في التصوف الإمام الحارث المحاسبي^٣ يقول: (فقيض لي الرؤوف لعباده قوماً وجدت فيهم شمائل التقوى وأعلام الورع وإيثار الآخرة، ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفاعيل أئمة الهدى فأصبحت راغباً في مذهبيهم مقتبساً من فضائلهم، محباً لطاعتهم، لا أعدل بهم شيئاً ولا أوثر عليهم أحداً، ففتح الله لي علماً أتضح لي برهانه وأنا لي فضله، ورجوت النجاة لمن أقرَّ به وأنتحله وأيقنت الغوث لمن عمل به، ورأيت الاعوجاج لمن خالفه، ورأيت الدين متراكماً على قلب من جهله وجمده، ورأيت الحجة العظمى لمن فهمه، فاعتقدت في سريرتي وانطويت عليه في

١ - أبو محمد الجويني: شيخ الإمام الغزالي، أعجوبة الزمان في خراسان، جاور في مكة والمدينة ٢٤ سنة فسمي إمام الحرمين الجويني له /٤٠٠/ تلميذاً، لما مات خلعوا عماماتهم وكسروا منبر شيخهم ومحابرهم ومكثوا سنة حزينين على سيدهم، كان والده لا يطعمه إلا حلال (ت ٤٧٨ هـ).

٢ - ملك العلماء وسultan الفقهاء وإمام الأصوليين وإمام القراء، لا يوجد فن من الفنون لم يكتب فيه، تلميذ الإمام ابن حجر العسقلاني، والعز بن عبد السلام، شيخ شيوخ القرن العاشر الهجري، له أكثر من ١٥٠ شيخاً، تواضع شديد، له شرح في الفقه الشافعي، عاش ١٠٠ سنة ويصلي من قيام عمي آخر عمره، إمام الدنيا، لم عين مثله، له رسالة بالتعليق في التصوف، شرح البخاري مسلم، دفن بجوار الإمام الشافعي بمصر سنة ٩٢٦ هـ/

٣ - جمع بين الشريعة والحقيقة شيخ الإمام الجديد، الزاهد العابد شيخ الصوفية، له كتب بالزهد قال عنه الإمام الشاطبي: المحاسبي من كبار الصوفية المقتدى بهم. وقال عنه الإمام القشيري: الحارث عديم النظير في عصره، كان له حصى يسبح بها. رد على الفرق الضالة في عصره المخالفين لأهل السنة له كتاب الرعاية لحقوق الله - الوصايا.

ضميري، وجعلته أساساً لي، وبنيت عليه أعمالي، وتقلبتي فيه بأحوالي،
وسألت الله عز وجل أن يودعني شكر ما أنعم به علي مع معرفتي بتقصيري
بذلك.

- كتب التصوف ليست للتسلية بل للتحقق بها.
- خذوا ما صفا ودعوا ما كدر منها، وادعوا بالتوفيق والهداية لمن سلكه.
- ولا أحد معصوم بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الكرامة

الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرونة بدعوى النبوة يظهرها الله على أيدي أوليائه الصالحين من أتباع الرسل كرامة لهم وهذا مجمع عليه.

وفي القرآن كرامات كثر للأولياء سيدنا سليمان قال له من يعرف اسم الله الأعظم أنا أتيك بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين (قبل أن يرتد إليك ظرفك)

سيدتنا مريم وجد عندها زكريا فأكهة الشتاء بالصيف.....

سيدنا عمر نادى جيش سارية في الصين يا سارية الجبل الجبل.

لكن الصوفية يعتبرون أن أعظم الكرامات في الاستقامة على شرع الله

القشيري: من أجلّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والحفظ من المعاصي والمخالفات والصوفية يمنعون إظهار الكرامة إلا لغرض صحيح كنصرة شريعة الله أمام الكافرين أما إظهارها بدون سبب مشروع فهو مزموم لما فيه من خط النفس والمفاخرة والعجب.

والسؤال المهم هل من تظهر عليه الكرامات أفضل من غيره؟

الصوفية لا يعتبرون ظهور الكرامات على يد الولي الصالح دليلاً على أفضليته على غيره

الإمام الياقعي: لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة... لأن الكرامة قد تكون لتقوية صاحبها ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى. القشيري: لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدم عدلها في كونه ولياً.

تقديس الصوفية لأئمتهم

التصوف هو مجمل تراث المسلمين الروحي.

وهو جزء مهم من التراث العربي الإسلامي بدليل وجود عدد كبير من مخطوطات علم التصوف تزرخ بها المكتبات وشكلت تياراً فكرياً غلباً. وأنجب كوكبة من العلماء ممن تركوا آثار قيمة لا تزال تعزز بها المكتبة الإسلامية حتى قال الشيخ محمد عبده: إنه لم يوجد في أمة من الأمم من يضاهي الصوفية في علم الأخلاق وتربية النفوس وأنه بضعف هذه الطبقة فقد الدين.

والنهضة الإصلاحية التي ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر لم تنأهض التصوف وإنما بدأ هذا مع ظهور الحركة الوهابية في نجد.

ونظرة التقديس ليست بدعاً من الصوفية لم تبدأ منهم ولكنها بدأت من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علمنا احترام العلماء ورجال الدين فقال: العلماء ورثة الأنبياء، وقال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم (ت).

وعند الإمام أحمد الترمذي ليس منا من لم يجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه.

بل الآيات قدستهم: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات.

هذه النظرة استمرت عبر القرون فلم يعدل أحد عن رأي الصديق الأكبر يوم أن كان خليفة رسول الله ولا عدلوا عن رأي سيدنا عمر يوم كان أمير المؤمنين وهكذا عبر القرون.

وجاء كبار الأولياء كسيدنا الجد الإمام عبد القادر الجيلاني وسيدنا الإمام الرفاعي وسيدنا الإمام البدوي فتوجوا هذه المعلومة بما أعطاهم الله من مكانة ورفعة.

ومن عقيدتنا الثابتة احترام العلماء الهداة الإمام الطحاوي له عبارة توزن بماء الذهب يقول فيها:

(وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكروا إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

سيدنا ابن المبارك يقول: من استخف بالعلماء ذهب آخرته.

الإمام أحمد يقول: لحوم العلماء مسمومة من شمها مرض ومن أكلها مات.

الإمام ابن عساكر أخذ هذا الكلام وصاغه جميلة فقال: لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة...

لذلك ورد عن ابن عباس حول الآية الكريمة يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قال هم العلماء عند الخطيب البغدادي عن ابن عباس من آذى فقيهاً فقد آذى رسول الله ومن آذى رسول الله فقد آذى الله.

ومرة سيدنا ابن عباس أخذ بركات سيدنا أبي بن كعب ف قيل أنت ابن عم رسول الله تأخذ بركات رجل من الأنصار فقال: سينبغي للحبر أن يعظم ويشرف.

فنظرة التقديس موجودة وما تزال حتى العوام لا يوافقون على الاعتراض على الشيخ في كلامه ورأيه وهم القائلون من لم يكن له كبير ليس له تدبير.

لكن وهنا ضعوا خطين حمراً كل شيوخ أهل السنة الكبار والصغار لم يقولوا إن الشيخ معصوم عن المعصية هذه وليست عقيدة أهل السنة العصمة فقط للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سئل الإمام الجنيد رحمه الله هي يعصي الولي؟ فسكت ونظر ثم قال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً ... إذا وقع القضاء عمي البصر.

التقديس عندنا له حدود لا يتجاوز الشريعة.

مراتب الأولياء وهل لها دليل من الكتاب والسنة

ليس بعد كلام الله كلام يقول عز من قائل في سورة آل عمران هم درجات عند الله.

ومراتب الصوفية حسب الشعائر التي يمارسونها يترقون من طبقة إلى طبقة ويسمون رجال الغيب إذا الأنبياء درجات كذلك: كل ولي على قدم نبي فهم درجات.

وأول من فصل في هذه القضية أبو بكر الكتاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وحدد لهم درجات النقباء - النجباء - البدلاء - الأخيار - العمد - الغوث - السياحون.

ثم فصلها الإمام أبو طالب المكي في أواخر القرن الرابع الهجري إلى القطب والأوتاد والأبدال وكلهم أبدال الصالحين وعلى أقدامهم يقول:

القطب هو إمام الثلاثة والأوتاد السبعة والأبدال الأربعين والسبعين إلى ثلاثمائة كلهم في ميزان وهو بدل عن سيدنا أبي بكر، والثلاثة بعده إنما هم أبدال الثلاثة الخلفاء بعده، والسبعة هم أبدال السبعة إلى العشرة، والأبدال الثلاثمائة وثلاثة عشر هم أبدال البدرين من الأنصار والمهاجرين... أي على أقدامهم رضي الله عنهم.

في القرن السابع الهجري قال الإمام محي الدين بن عربي رحمه الله فيلسوف الإسلام وشيخ الصوفية بوضع الأسس الثابتة لمرجعية التصوف فوضع نظاماً للأولياء ورجال الغيب ورتبهم في مراتب ودرجات ولكل مرتبة نظامها.

القطب أو الغوث أعلى مرتبة يصل إليها الصوفي، وهناك قطب في كل زمان، وعدّ ابن عربي ٢٥ قطباً من آدم حتى نبي الإسلام له علم بصفات الله ولا حدود لعلمه أكمل المسلمين، ويمكنه الانتقال حيث شاء ومن وظائفه التصرف في الكون ووقاية المرید...

ثم يليه الأئمة اثنان هما يد القطب وبجانبه وخليفة القطب عند وفاته.

ثم يليه الأوتاد عددهم أربعة مهمتهم حفظ الأرض من كل سوء وشر كالحكام يحكمون شعوبهم من الفتن لكل واحد مقام في جهة من جهات الأرض بهم روحانية من الله خاصة. يملكون علوماً كثيرة أحدهما على قلب سيدنا آدم، والثاني على قلب سيدنا ابراهيم، والثالث على قلب سيدنا عيسى، والرابع على قلب سيدنا محمد.

الإمام الجيلاني يقول وأنا على قدمي جدي رسول الله.

ثم يليهم الأبدال وعددهم سبعة مهمتهم حفظ الأقاليم السبعة ولكل منهم إقليم واحد وسموا بالأبدال لأن لهم قدرة تبديل أنفسهم بشييه بينما ينتقلون في أماكن أخرى كالأشباح...

ثم يليهم النجباء وعددهم أربعون أقل درجة من الأبدال مهمتهم حمل أثقال البشرية والدعاء لهم أن يصرف الله البلاء عنهم ثم النقباء أول درجات الترقى الصوفي بعد إتمام الطريقة والشعائر الصوفية عددهم ثلاثمائة وزاد عليهم الإمام ابن عربي مقاماً آخر هو مقام الصديقية العظمى ويسمى مقام القربة وهو مقام سيدنا الخضر على القول بولايته وليس بنبوته.

لسان الدين ابن الخطيب جعلهم سبع طبقات الأبدال – الأقطاب – الأوتاد – العرفاء – النجباء – النقباء – وسيدهم الغوث.

الآن بعضهم كابن تيمية ينكر هذه التسميات والمقامات لعدم ورودها في السنة قال إلا الأبدال لكن هناك أقوال لعلماء ربانيين في الاستدلال على مراتب الأولياء كما هي مراتب الأنبياء وما كان معجزة النبي جاز أن تكون كرامة لولي والناس درجات ليس الفقيه كالجاهل وليس العامي كالعالم وهكذا.....

الإمام أحمد في مسنده يروي حديثاً عن سيدنا أنس وسيدنا علي بمعناه (لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر رواه في مجمع الزوان بإسناد حسن وله روايات سيدنا ابن عساكر يذكر عن سيدنا علي أن رجلاً من الخوارج لعن أهل الشام فقال

له سيدنا علي: ويحك لا تعمم فإن منهم الأبدال ومنكم العَصْب (جمع عصابة: قرابة الرجل في الفرائض: العصابات)

تذكروا صار عنا بالأدلة مرتبتان الأبدال – العَصْب.

وعند سيدنا ابن عساكر: (الأبدال بالشام والنجباء بالكوفة) صاروا ثلاثة.

من طريق أخرى عن سيدنا علي: قبة الإسلام الكوفة، والهجرة بالمدينة، والنجباء بمصر، والأبدال بالشام وهم قليل.

رواية: الأخيار من أهل العراق صاروا أربع مراتب.

الإمام أبو نعيم في الحلية عن سيدنا ابن عمر رفعه: (خيار أمتي في كل قرن خمسمئة، والأبدال أربعون، فلا الخمسة ينقصون ولا الأربعون) الحصية ٨/١ وكنز العمال /٣٤٥٩١/

في تاريخ بغداد للخطيب عن الكتاني (عبد العزيز بن أحمد) وهو محدث ومؤرخ ت ٤٦٩ (كما في الأعلام ١٣/٤ وشذرات الذهب ٣٤٥/٤) ويقول: النقباء ثلاثمئة والنجباء سبعون والبديلاء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد.

فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة. (أنظر القسطلاني على شرح المواهب)

السيوطي له رسالة الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال وأنظروا كتاب التعريفات للجرجاني.

الحضرة وفلسفتها وحكم الصراخ وغيره فيها

الحضرة مصطلح إسلامي صوفي يطلق على مجالس الذكر الجماعية السنية بشكل خاص، يقوم على رأسها شيخ عارف بالطريقة وقواعدها ينبه على كل ما من شأنه أن يخالف الشريعة أو القواعد.

سميت بذلك لأنها سبب لحضور القلب مع الله تعالى وأصلها من الشريعة الإسلامية لأن الآيات والأحاديث النبوية دعت إلى الذكر الجماعي والدعاء الجماعي والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. في حين يدعي أدعياء السلفية أن الحضرة بدعه ليست من الإسلام اسمعوا معي ماذا يقول الأصوليون في قواعدهم، يقولون: إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ...

فتعالوا معي أستعرض معكم مفردات حضرة الذكر: أولاً: الحركة في الذكر فيها حركة القيام وحركة الركوع ... الحركة مباحة في الإسلام لا يقال عنها حلال ولا حرام ولو كانت حراماً لحرم السعي في الحج ولحرمت الهرولة في الطواف حول البيت العتيق.

ثانياً: الحضرة فيها الذكر بالاسم المفرد لله وهذا حلال بل مأمورون به للآيات الكثيرة التي تخص على الذكر بالاسم : - واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلاً - الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم

ثالثاً: الحضرة فيها الإنشاد الديني الملتزم لرجال تعلقت قلوبهم بالله ... وكم وكم وقف الشعراء ينشدون أمام الحبيب الأعظم والنبي يقرهم ويكافئهم سيدنا حسان وابن رواحة وابن كعب وحادي العيس كان ينشد وهو على الإبل تسرع بسرعة الإنشاد والغناء وتبطن ببطئه حتى قال رسول الله رويدك يا أنجشه رفقا بالقوارير. وقام الحبشة بالإنشاد والغناء أمام النبي وهو يرددون محمد عبده صالح.

السؤال: هل في هذه المفردات ما يعيب؟

الأئمة تكلموا في الحركة في الذكر الإمام النووي في روضة الطالبين يقول: الرقص ليس بحرام.

ابن حجر الهيتمي ص ٢١٢ من الفتاوى الحديثية أخبر أن رقص الصوفية له أصل من السنة رقص سيدنا جعفر بن أبي طالب لما قال له الحبيب الأعظم في خيبر أشبهت خلقي وخلقي.

وقد صح القيام والرقص في مجالس السماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام الإمام العز بن عبد السلام ولما رقص الحبشة في مسجد رسول الله أمام الحبيب الأعظم والسيدة عائشة تنظر زجرهم سيدنا عمر فقال له سيدنا النبي – دعمهم – أمناً بني أرفدة يعني أكملوا وعليكم الأمان ... خ ٣٥٣٠

ولما قال الإمام أحمد عن الصوفية لا أعلم أحداً أفضل منهم، قيل أنهم يستمعون ويتواجدون فقال دعوهم يفرحوا مع الله تعالى لكن سادات الصوفية تحدثوا عن آداب الحاضرة منها الوضوء وتعطير ثيابه والسكون وال سكوت قبل حلقة الذكر ليحصل له استخفاء نية الصدق عند الذكر....

ثم وفي أثناء الحاضرة الجلوس على مكان طاهر واختيار الوقت والمكان المناسب للذكر كالمساجد واغماض عينية والصدق في الذكر وألا يقوم بالصراخ في حاضرة الذكر بل يخشع قلبه لتخشع جوارحه وأن لا يرفع رجليه عن الأرض أثناء الحركة في الذكر وإنما تواجد وتمايل مع نغمة الإنشاد وتفرغ القلب عن كل موجود حال الذكر سوى الله تعالى...

وأن ينتبه للفظة التوحيد لا يبدل فيها ... وغيرها من الآداب

وقد قال شاعر التصوف عبد الرحمن بن سعيد الأخضرى المغربي

والرقص والصراخ والتصفيق عمداً بذكر الله لا يليق

وإنما المطلوب في الأذكار الذكر بالخشوع والوقار

ومن المحظورات في مجالس الذكر: الاختلاط بين الجنسين ومرافقة الآلات الموسيقية وعدم التثني كانت في الحركة يعني السماع مباح ضمن الضوابط الشرعية.

الخلوة في التصوف

الخلوة انقطاع عن البشر لفترة محدودة وترك الأعمال الدنيوية لمدة يسيرة ليتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي. ثم ذكر الله بقلب حاضر خاشع بإرشاد شيخ عارف بالله يعلمه إذا جهل ويذكره إذا غفل وينشطه إذا فتر ويساعده على رفع الوسوس وهواجس النفس...

وأدلتها لا تحصى والآية الكريمة تقول: { واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً } أي انقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته.

وسيدتنا عائشة تقدم لنا تقريراً عن بداية أمره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فتقول لنا: (أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة ... ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء (فر رأس جبل) فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد لا يفعل ذلك مرة بل مرات.

يعلق علماء الإسلام على هذا الحديث: ابن أبي جمرة أحد العلماء الربانيين يقول: الخلوة عون الإنسان على تعبدته وصلاح دينه لأن النبي الكريم لما اعتزل عن الناس وخلا بنفسه أتاه هذا الخير العظيم.

وفيه دليل على أن الأولى بأهل البداية الخلوة والاعتزال لأن سيدنا النبي كان في أول أمره يخلو بنفسه...

الإمام القسطلاني شارح البخاري: هذا الحديث فيه فضل العزلة لأنها تريح القلب من أشغال الدنيا وتفرغه لله تعالى فتتفجر منه ينابيع الحكمة...

والإمام الغزالي علمنا طريقة الخلوة....

والصوفية يجعلون للخلوة نوعين: خلوة عامة وهي أن ينفرد المؤمن ليتفرغ لذكر الله بأية صيغة كانت أو لتلاوة القرآن أو محاسبة نفسه...

وخلوة خاصة: يقصد منها الوصول إلى مراتب الإحسان والتحقق بمدارج المعرفة بالله بإرشاد شيخ مرشد مأذون يلقنه ذكراً معيناً ويكون على صلة دائمة به.

ولها أهمية عندهم لأن الفتح لا يكون إلا بعد الخلوة.

مولانا الجد الإمام الجيلاني رضي الله عنه بقي في الخلوة (٢٥ سنة) والإمام الغزالي بقي خمس سنوات في الجامع الأموي بدمشق وسيدنا الإمام أبو يزيد البسطامي بقي سبع سنوات... وجاءهم الفتح المبين بعدها.

الخلوة تطهرك من كل ما لا يليق بالمقام في حضرة الله عز وجل لأن حضرة القدوس لا يدخلها أرباب النفوس.

القائم بالخلوة ممنوع في حقه الهفوات والخطرات وسيدنا ابن عطاء الله يقول: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

سيدنا الإمام البسطامي جاهد نفسه سبع سنوات ثم قال: يا رب سبع سنوات وأنا بين يديك فهتف به هاتف:

- يا أبا يزيد خلّ نفسك وتعال...

يا سادة الخلوة مهمة لأنها تعمل عملاً في العقل: للتأمل والتفكير لتتكشف له حقائق الكون

يا سادة الخلوة مهمة لأنها تعمل عملاً في الجوارح: تذللها لربها وتقودها على الطاعة وترك المعصية فتنقاد لله وأوامره....

تعمل عملها في النفس على تركيتها وتطهيرها من رعونتها.

تعمل عملها في القلب تجليه وتتجلى عليه وفي الحديث (إن القلب ليصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاءه ذكر الله)

تعمل عملها في الروح تطلق الروح من عوالم الجسد محلقة في ملكوت الله فلا تحدها أرض ولا سماء....

ولكل شيخ أسلوبه في الخلوة ومسلكه الأصول واحدة والآداب تختلف:

سيدنا الجد الإمام الجيلاني يبدأ بها بلا إله إلا الله كما في كتابه سر الأسرار، وكتابه الطريق إلى الله....

وقد يكون جزء منها بين العصر والمغرب بقراءة القرآن ثم الذكر بالاسم المفرد وعند الشاذلية لها أربعة مراتب وغير ذلك.

انتبهوا يا إخوة هؤلاء على خير جميعاً حضرة النبي الأعظم ولنا على الخلوة آخر الزمان فقال: (خ) سيأتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنيمتان يأوي بها إلى الجبال فاراً بدينه من الفتن العزلة والخلوة فضيلة لمن خاف على دينه، ومكانتها بعد الجهاد في سبيل الله من أين استقينا هذا الكلام من حديث (ق) سأل رجل أي الناس أفضل يا رسول الله قال:

١ - مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

قال: ثم من ؟ قال: رجل يعتزل بشعب من الشعاب يعبد ربه.

الإمام الجنيد سيد أهل عصره يقول لنا: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس.

وسيدنا سفيان الثوري يقدم لنا تقريراً بهذا الخصوص فيقول:

(من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم. ومن راءاهم وقع فيما وقعوا وهلك فيما هلكوا والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة في زماننا)

هذا الكلام متى؟ في القرن الثاني الهجري لأن سيدنا سفيان توفي سنة ١٦١ هـ .

الإمام الشافعي رضي الله عنه يجعل الخلوة سبباً في الفتح والعلم يقول: من أحب أن يفتح الله قلبه ويرزقه العلم فعليه بالخلوة وقلة الأكل وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذي ليس معهم إنصاف ولا أدب (بستان العارفين للنووي).

هل هناك أسرار في التصوف لا يجوز البوح بها لغير أهلها، ولماذا تكون سرّاً؟

في كل فن من الفنون أسرار ربما إذا أعلنها عالم الفن تكون فتنة أولاً يستسيغ هذا السر مثل الطفل عندما تعطيه لقمة كبيرة على فمه يلقيها من فمه ويتأثر بها.

وسيدنا أبو هريرة حدثنا عن ذلك في (خ) رقم ١٢٠ حيث يقول: حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم.

ورواية عند الإمام أحمد بسند صحيح: لو حدثتكم بكل ما سمعت من النبي لرميتموني بالقشع (بالحجر والتراب)

فسيدنا أبو هريرة خاف على نفسه الفتنة أو القتل.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول أو الفروع أو المدح أو الذم.

وفي (خ): حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

ورواية: حدثوا الناس على قدر عقولهم....

ولا شك تذكرون أمين سر سيدنا رسول الله سيدنا حذيفة بن اليمان كان لا يحدث بأسماء المنافقين الذين أخبره رسول الله عنهم.

فبعض الأسرار لا يبوح بها المتصوفة خوفاً على المرید لأنه ليس أهلاً لها وقد ذكر علماء التصوف أن الولي يخفي كرامته كما تخفي المرأة وجهها. خوفاً من الرياء والعجب.

وربما هذه الأسرار المكتومة تضر المرید إذا أخبره بها الشيخ، لكن محال أن يكون الذي كتبه الشيخ هو أمر الشريعة فإنه لا يجوز كتمانها لأمر النبي لنا بذلك:

ليبلغ الشاهد منكم الغائب وحديث مشهور (ومن كتم علماً عن أهله ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار)

أليس يقول الحكماء ليس كل ما يعلم يقال...

.... اليوم الحديث عن الفرق الإسلامية وحكمها في الإسلام أو الحديث عن الفرق الضالة قد يجر فتنة لا أول لها ولا آخر وقد تؤذي المجتمع والأفراد.

وأحياناً العوام أو طلبة العلم يسألون عن علل المسائل وحكم التشريعات بما يضرهم الجواب عنها لذا ضرب سيدنا عمر بن الخطاب صبيّاً وشرّد به لما كان كثير السؤال عن علوم القرآن لا يتعلق بها عمل .

فليس كل علم يبيث وينشر وإن كان حقاً.

وقد أخبر إمام أهل الهدى الإمام مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلماً ما تكلم فيها ولا حدث بها أو كان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل....

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

وكذلك الأمر في التصوف وفي كل فن...

هل هناك رابط بين الولاية والتصوف

لنبدأ بأعلى الوصفين الولاية، دعونا من كلام القوم ولنقرأ قوله تعالى:

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون – الذين آمنوا وكانوا يتقون
..... لهم بشرى

هل لاحظتم التعريف بالأولياء آمنوا وكانوا يتقون.

الآية أعلنت أن ولي الله هو المؤمن التقى الذي يحب الله وينصره ويسير في رضائه ويحفظ حدوده ويقيم شريعته ودينه فهذا هو ولي الله عند أهل السنة الولاية وهب إلهي دون سبب .

والصوفي يسير في طريق الولاية يقوم بأداء الفرائض ثم يتدرج في أداء النوافل حتى يحبه الله فإذا أحبه كان ولياً حقاً اسمعوا هذه الحقيقة من (خ) على لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه) الحديث.

فالصوفي يبدأ بحمل مورثات الشريعة وأخلاقها يتدرج فيها شيئاً فشيئاً لا يقرب المعاصي ويتوب إذا فعلها مباشرة وهذا معنى الحفظ للأولياء فإذا اصطفاه الله جعله ولياً يعني حسب اجتهاده في دقائق التقوى.

وليس كل المتقين على درجة واحدة وهناك حقيقة قد تخفى على الناس وهي أن كل أهل الإيمان بالله ورسوله أولياء بالولاية العامة المذكورة في القرآن الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ولكن قريهم من الحق جل جلاله على قدر معرفتهم به يوصلهم إلى الولاية الخاصة بعد الولاية العامة...

والولي تولى طاعة الله تعالى فتولى الله أمره فلم يكله لغير طرفه عين.

فإذا تدرج الصوفي في مدارج الكمال كان قريباً من الولاية إذا كان عبداً ظاهر الصلاح عارفاً بالله وصفاته حسب الإمكان مواظباً على الطاعات متجنباً للمعاصي غير منهمك بالشهوات ولو كانت مباحة فهذا قريب جداً من الولاية إن لم يكن ولياً...

وعندها يكرمه الله بالكرامات لتدل على مكانته عند الله.

الصوفي يكرمه الله بالمعونة شبيهة الكرامة أما الولي فيكرمه الله بالكرامات (وهي درجات عند الله) معلوم عند أهل العقيدة بأن الخوارق سبع منها المعجزة للأنبياء والكرامة للأولياء والمعونة للصالحين راجعوا كتب العقيدة والتصوف اليواقيت والجواهر للإمام الشعراني ٧٩/٢

المعجم الصوفي لسعاد الحكيم ١٨٩ - ٩٠٩

لكن الولي يخفي كرامته كما تخفي المرأة الصالحة وجهها لئلا يصيبه الرياء.

وبهذا تنقلها الأقطاب الأربعة في حياتهم وقرأوا سيرهم وقد اشتهر في المغرب والمشرق بين المسلمين أربعة أقطاب معظمين أعني بهم مولانا الإمام أحمد الرفاعي ومولانا الجد الإمام الجيلاني ومولانا الإمام أحمد البدوي ومولانا الإمام إبراهيم الدسوقي نفعنا الله بعلمهم وحالهم...

أيهما أفضل في الطرق

كلهم على خير ورثوا التصوف كابراً عن كابر

وكانت شهرة التصوف على يد الإمام الجنيد رحمه الله تعالى (ت ٢٩٧ هـ) ثم تتابعت أئمة التصوف على نهجه وكلهم من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي.

وأول من نادى بالطرق الصوفية سيدنا الجد الإمام الجيلاني رضي الله عنه وكلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقاً تخالف ذلك أصلاً لا هو ولا عامة شيوخ التصوف.

الطريقة الفضلى هي من تتابع أنت عليها فشيخها أبوك الروحي (على تعبير الإمام النووي) وبقية شيوخ الطرق أعمامك وأتباعهم أولاد عمك هكذا فهم الأولون وهكذا يجب أن يفهم المعاصرون.

نحترم الجميع ونقدس أرواحهم ونلهج بذكر مناقبهم رضي الله عنهم...

علامات فارقة للصوفي

إن خيار عباد الله من هذه الأمة إذا رؤوا ذكر الله تعالى وإن شرار عباد الله من هذه الأمة المشاؤون بالنميمة المفرقون الأحبة الباغون للبراء العتت) يبحثون عن عيوب الناس ويقولوا ما لم يقولوا.

فإذا رأينا العبد متخلفاً بالشرعية ذاكراً تالياً للقرآن كان من خير الناس وتظهر عليه الصلاح والنور

رواد المساجد وعمار بيوت الله يتقون أذى الجار كيف سيكون سلوكهم

التصوف سلوك وتظهر آثاره على سلوك العبد الصوفي تراه تاركاً للشهوات والمباحات يتوجه إلى بيوت الله متواضع لا يتكبر.

في مسند الإمام أحمد ١/٣٩٩ عن سيدنا عمر رفعه يقول الله تبارك وتعالى من تواضع هكذا وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها إلى الأرض رفعته هكذا وجعل باطن كفه إلى السماء ورفعها نحو السماء...

وتراه في حسن الخاتم الاستشهاد في ساحات الوغى أثناء القتال أو الموت يمرض أو الفرق أو المرأة المؤثر في نفسها كل ذلك في الأحاديث الشريفة صاحب ذات الجنب شهيد وصاحب الحق شهيد من يدافع عن دينه وماله وأرضه ووطنه.

الفرق بين مصطلحي الصوفي والدرويش

الدرأوئش هم زهاد بعض الطرق الصوفية شد يدي الفقر يعيشون على إحسان الآخرين زهداً بالدنيا

في فارس درفئش دروئش في تركيا

در بالفارسية الباب الدروئش الذي يفتح الباب

ردها بعضهم لكلمة دار بالعربية وتعني منزل فالدروئش هو الذي يدور من دار إلى دار طالباً الإحسان اليوم تدل على شخص بسيط فقير أأخذ باب التسول للتدرب على البساطة والتواضع لكنهم إسلامياً لا يتسولون لأنفسهم بل يتبرعون إلى فقواء آخرين...

أما الصوفي فقد يكون غنياً وفي التاريخ عمالقة التصوف كانوا أغنياء ويحبون لبس الجديد حتى لا يظن الناس فيهم أنهم درأوئش

بعض الطرق الصوفية اعتمدت الدروشة مثل المولوية والسنوسية.

وإذا أردت التفاصيل بينهما فأفضلهما أأقاهما وكلاهما تخليا عن الرذائل وحب الدنيا ونزهوا الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح وكلاهما ذاكر شاكراً

**برنامج
درب العاشقين
على قناة
سما الفضائية**

التصوف والطريقة القادرية

ذو الحجة ١٤٤٠ – آب ٢٠١٩

مهاور برنامج

الإمام الشیخ عبد القادر الجیلانی رضی اللہ عنہ.

- ❖ نسبہ – أسرتہ – أبوه – أمه – عمتہ – عصره – ولادته – تبشیر الأولیاء به – کرامته قبل خروجه من بغداد.
- ❖ خروجه إلى بغداد – طلبه العلم – شیوخه – خلوته الطویلة.
- ❖ علم الإمام – طریقته – أوراده – اعتزازه بالشریعة – شروط شیخ التصوف عنده.
- ❖ طریقته – أورادها – مجالسه – أخلاقه – کراماته.
- ❖ احترام الأولیاء له – کتبه – زوجاته – أولاده – أخلاقه – وفاته – جنازته.

الحلقة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

في أعلى قمة الولاية لله تعالى تربع الأقطاب المحمديون الذين سبحت أرواحهم في محيط النور المحمدي، تحققت ذواتهم بكمالات الإرث المحمدي الذي نالت لفضله شرف الإمامة، وتربعت على عرش الكرامة، قلوبهم بذكره أحياءها، ومن الأقدار طهرها وجلالها.

أحيا بهم الدين، ونفع بهم المريدين، وأغاث بهم العباد، وأصلح بهم البلاد، استخلصهم الله لذاته وأجلسهم على بساط أنسه، وقربهم إلى حضرة قدسه.

وفي الذروة العليا ممن تربعوا على عرش الولاية الربانية، الإمام العارف بالله، قطب الأقطاب في عصره، وسلطان العارفين الأصفياء، باب الحضرة المحمدية: سيدنا الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني. قدس الله سره.

تميز عصره باضمحلال الخلافة العباسية، حروب كثيرة، مما أثر على جميع ميادين الحياة، وتميز عصره بظهور العلماء الأعلام في كل فن كابن الجوزي، وأبي سعيد المخرمي، وابن رشد.

وَنَسَبُ الإمام إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك فيه ولا ريب، وبينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر واسطة، فهو من جهة أبيه من نسل سيدنا الحسن من السيدة فاطمة الزهراء، ومن جهة أمه من نسل سيدنا الحسين رضي الله عنهم. فهو حسني حسيني.

فأكرم بالفروع وبالأصول

فروع من أصول عاليات

لجدهم التهامي الرسول

تسلسل أصلهم خلقاً وخلقاً

أما والده فكان محارباً شجاعاً حتى لقبوه بـ جنكي دوست أي رجل الحرب.

وأما والدته فهي السيدة أم الخير السيدة فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي من كبار الصالحين كان مجاب الدعوة إذا أحب أمراً فعله الله له، كثير الذكر والنوافل، ظاهر الخشوع.

وأما أم الخير والدته فكانت بنت أبيها في الصلاح والتقوى والخير أخبرت غير مرة أنها حملت بسيدنا عبد القادر وهي بنت ستين سنة، ولا تحمل لستين إلا قرشية، ولما وضعته كان لا يرضع ثديها في نهار رمضان.

وله عمة من صلاحها وتقواها أنها كانت إذا أجذبت الأرض في منطقة جيلان جاؤوا إليها، وسألوها أن تستسقي لهم، فتقوم فتكنس رحبة بيتها وتقول: يا رب أنا كنست قرشاً أنت، فتمطر السماء ببركتها.

هاجر أحد أجداده إليها لينجو من حاكم كان يلاحق آل البيت ويؤذيهم فترك بغداد إلى جيلان بطبرستان، وهناك رزق ذرية طيبة وتحولت الذرية إلى أعاجم لا يحسنون العربية.

وجيلان معرب من كيلان، وطبرستان منطقة شمال إيران على بحر قزوين.

وتمت بركة ربي عز وجل على أهل جيلان بمجيء زين الدنيا والدين سيدنا عبد القادر، وكان الأولياء يبشرون بولادته ويقولون: سوف يظهر بالعراق رجل من العجم عالي المنزلة اسمه عبد القادر، ومسكنه بغداد، تدين له الأولياء في عصره.

من هذه الأصول الطيبة ولد جدي الإمام الجيلاني يوم ١١ ربيع الثاني سنة ٤٧٠ هـ.

فاستقبلوا معي ولياً من أولياء الله، بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، لا ثاني له في وقته، وقولوا رضي الله عنه.

نشأ الإمام في جو صلاح وتقوى، وكان كلما هم أن يلعب مع الصبيان في صغره سمع قائلاً يقول: إلى أين يا مبارك؟ فيهرب.

وفي شبابه كان يسمع صوتاً يقول: يا عبد القادر واصطفيتك لنفسى.

ومرة سأله سائل: علامَ بنيتَ أمرك؟ فقال: على الصدق، ما كذبت قط ولا عندما كنت في الكتاب.

يقول: عندما كنت صغيراً في بلدنا، خرجت إلى السواد (منطقة كلها أشجار) في يوم عرفة وتبعته بقر حَرَّتْ (يعمل بحراثة الأرض) فالتفتُ إلى بقرة وقالت لي: يا عبد القادر ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت ... فرجعت فزعاً إلى داري، وصعدت إلى سطح الدار، فرأيت الناس واقفين بعرفات كشف الله له عن بصره بسرّ قول جده (وبصره الذي يبصر به).

فقدم الإمام إلى أمه وأخبرها بخبره وقال لها: هبيني الله عز وجل وائذني لي بالمسير إلى بغداد، اشتغل بالعلم وأزور الصالحين فبكت الأم وقالت: اذهب يا ولدي فقد خرجت عنك الله عز وجل، فهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة.

وجهازت ولدها وقدمت له أربعين ديناراً خبأتها تحت إبطه، وعاهدته على الصدق في كل أحواله.

إخوتي أدعوكم لمرافقة الإمام في رحلته إلى بغداد في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى.

استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة الثانية

خروجه إلى بغداد - طلبه العلم - شيوخه - خلوته الطويلة

ترك الشاب القرشي منطقة جيلان، ودعوات والدته تغمره، ودموعها تتحدر من عينيها الطاهرتين، غادر مع قافلة صغيرة تطلب بغداد، فلما تجاوزوا همدان خرج عليهم ستون فارساً من الأودية فأخذوا القافلة وتركوا الغلام القرشي لم يأبهوا له، فمرّ به فارس وسأله: يا فقير ما معك؟ فقال: أربعون ديناراً. فضنه يستهزئ به فتركه ومرّ به آخر فأجابه بالإجابة نفسها، فأخذه إلى زعيم العصابة وسأله: أين هي؟ قال: مخاظة تحت إبطي، فأمره بفتح ثوبه واستخرج الأربعين ديناراً، وذهل رئيس العصابة وسأله ما حملك على الاعتراف فقال: عاهدت ربي أمام أمي على الصدق وإنني لا أخون عهداً.

وهنا تفرقت الدموع في عيني زعيم العصابة وقال: عاهدت الله على الصدق ونحن نخون عهدنا مع الله، فأعلن توبته، وصدع بها أمام جماعته الذين حذوا حذوه فتأبوا كلهم على يدي الشاب الجيلاني، وردوا إلى القافلة ما أخذوه منهم، فكانت هذه أول بركة للفتى الجيلاني مع الخلق ...

إخوتي: ولما قرب من بغداد هتف هاتف بالفتى الجيلاني: يا عبد القادر أدخل إلى بغداد، فدخلها رضي الله عنه سنة ٤٨٨ هـ وعمره ١٨ سنة.

وسارع في طلب فروع العلم وأصوله وقصد الأشياخ الأئمة الأعلام يدور عليهم واحداً واحداً في حلقات ومسجد بغداد.

وكان إذا مرّ على مجالس العلم ببغداد ينهض له الأولياء والعلماء حين يرونه، ويقولون لمن حضر: قوموا لولي الله، وربما قالوا: من لم يقم لهذا الشاب لم يقم لولي الله.

وحين سئل سيدنا عقيل المنبجي في أطراف حلب عن قطب الوقت قال: هو في وقتنا هذا في مكان خفي لا يعرفه إلا الأولياء، وسيظهر في العراق فتى أعجمي يتكلم على الناس ببغداد ويعرف كرامته الخاص والعام، وهو قطب وقته، يقول:

(قدمي هذه على رقبة كل ولي)، وتضع الأولياء له رقابهم، ولو كنت في زمانه لوضعت له رأسي رضي الله عنهم

وأوصله قدره إلى زاوية الإمام القطب قبله سيدنا حماد الدباس الذي انتهت إليه تربية المريدين، وكان قطب زمانه فجلس بين يدي شيخه الدباس متأدباً، ثم قام، فالتفت الإمام حماد لمريديه وقال: لهذا العجمي قدم تعلو في وقتها على رقاب الأولياء في ذلك الوقت، وليؤمن أن يقول: (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله) ولتوضعن له رقاب الأولياء في زمانه.

أحبتي:

واشتغل الإمام بالقرآن العظيم حتى أتقنه، وبالعلوم الشرعية حتى صار إماماً فيها، وقرأ الفقه الشافعي ثم الحنبلي حتى أصبح إماماً فيهما.

وسلم قياد نفسه للقطب سيدنا حماد الدباس، وأخذ عنه علم الطريق، وتأدب به، وصحبه خمساً وعشرين سنة في خلوة متجرداً سائحاً في براري العراق، وهي أطول خلوة عرفت في طريق الأولياء.

وبقي أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة يصلي العشاء ثم يستفتح القرآن، وهو واقف على رجل واحدة حتى ينتهي إلى آخر القرآن عند السحر رضي الله عنه.

وكان يلقي سيدنا الخضر عليه الصلاة والسلام، ويأمره أن يأكل معه وتأتيه طوائف من رجال الغيب والجان، يعلمهم الطريق إلى الله تعالى وترد عليه أثقال لو وضعت على الجبال تفسخت، ويضع جنبه على الأرض ويقرأ (**فإن مع العسر يسراً**، **إن مع العسر يسراً**) ثم يرفع رأسه وقد فرج الله عنه.

وأظهر الله الحكيم من قلبه على لسانه، وظهرت علامات قدوته من الله تعالى، وأمارات ولايته، وشواهد تخصيصه حتى فاق أهل زمانه، ثم أظهره الله للخلق فأوقع له القبول العظيم على الخاص والعام والهيبة الوافرة عند العلماء.

وبعد موت الإمام حماد الدباس سنة ٥٢٥ هـ (خمس وعشرين وخمسمئة) سحب شيخ الصوفية الشيخ أبا سعيد المخرمي وأخذ العلم الشرعي عليه، وسكن مدرسته وتأدب بأدبه، وحين مات استخلفه على مدرسته، واجتمع بها من العلماء والصلحاء والفقهاء جماعة كثيرة انتفعوا بكلامه وقصد إليه طلبة العلم من كل مكان، وقوي بالاشتغال بالتدريس حتى نقلوا عنه أنه كان يتكلم في ثلاثة عشر علماً، يبدأ درسه بختم القرآن كاملاً بين أصحابه، ثم يلقي درساً يفهمه مريدوه، وتزاحم عليه الناس حتى ضاقت عليه مدرسته، فخرج منها إلى سور بغداد يستند إلى جدار مدرسته والناس بين يديه، فإذا دخل وقت الصلاة صلى بهم الفريضة إماماً.

وفي كل ليلة كان يأمر بمَد بساط طويل يأكل مع الأضياف، ويجالس الضعفاء، ويصبر على طلبه العلم، لا يظن جليسه أن أحداً أكرم عليه منه.

وُوصِفَ الإمام الجيلاني رضي الله عنه بأوصاف عدة: بذى البيانين واللسانين، كريم الجدين والطرفين، صاحب البرهانين والسلطانين، إمام الفريقين والطريقتين، ومحبي الدين، الباز الأشهب، شيخ الإسلام، أستاذ الوجود، شيخ الشيوخ، سلطان الأولياء، إمام الحنابلة، تاج العارفين.

والحمد لله رب العالمين

الحلقة الثالثة

علم الإمام - طريقته - أوراده - اعتزازه بالشرعية - شروط شيخ التصوف عنده

في حلقتنا اليوم نجيب عن سؤال مهم، حير عقول العلماء والمحدثين وهو: كيف وصل الإمام الجيلاني رضي الله عنه لما وصل إليه من مرتبة علمية مرموقة عالية؟ كيف أصبح علماً الأعلام في عصره؟ ما هي المسالك التي سلكها لأجل ذلك؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة استعرض مع حضراتكم المراحل العلمية التي خاضها الإمام رضي الله عنه.

فقد اتبع خطة علمية نفذها طوال حياته:

أول بند فيها: الشيوخ التي انتقاها لإغناء فكره بالعلوم، وبناء شخصيته الإصلاحية.

والبند الثاني: الكتب الجيدة التي تبحر فيها.

والبند الثالث: الدأب العلمي والتفرغ لدراسة العلم.

فلمولانا جدي الإمام الجيلاني شيوخ كثر من أهمهم:

الإمام الغزالي رضي الله عنه، التقى به وتأثر به، حتى إنه ألف كتابه الغنية لطالبي طريقة الحق، على طريقة إحياء علوم الدين.

وثاني شيخ من أهم شيوخه سيدنا الإمام أبو سعيد المخرمي الحنبلي أستاذ الفروع الفقهية وكان له مدرسة درس فيها الإمام الجيلاني حتى مات شيخه فخلفه على مدرسته.

وثالث الشيوخ الإمام العلم صاحب التآليف العظيمة وشيخ الحنابلة، عالم العقيدة، الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل توفي ٥١٣ هـ وهو غير ابن عقيل شارح الألفية في النحو عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩ هـ) بالقاهرة، له كتاب ٨٠٠ مجلد،

جمع فيه فوائد من الوعظ والتفسير والفقه والأصول والنحو واللغة والشعر والتاريخ، حتى قال فيه الإمام الذهبي في تاريخه: لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب.

والشيخ الذي رباه تربية صوفية عالية سيدنا الإمام أبو الخير حماد بن مسلم الدباس، من بيع الدبس، أصله من الشام وهو أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق، قطب وقته بالإجماع، انتمى إليه معظم مشايخ بغداد ت سنة ٥٢٥ هـ، دفن ببغداد، وقيل بل بدمشق بجوار سيدنا بلال الحبشي. هؤلاء من أهم شيوخه.

الأمر الثاني الذي أهله للإمامة في الدين العلوم التي درسها الإمام الجيلاني ولم يغب عن درس واحد فيها ولو في شدة البرد، الحديث وعلومه وفقه وأصول وعلم الخلاف ونحو ولغة وتفسير وعقيدة، مع الاتقان والمناظرة فيه، حتى إن بعض العلماء أحضروا له أسانيد وخطوا أحاديثها فرد الإمام كل حديث إلى سنده، مما طأطأ لهم رؤوسهم وخضعوا له، انتبهوا كل ما دُون في بعض كتب الإمام الجيلاني من الأحاديث الموضوعة فهي مدسوسة عليه بعد وفاته وتم اثبات ذلك بالمخطوطات القديمة للكتاب.

والبند الثالث الذي بوأ الإمام مكانة علمية عالية دأبه العلمي وحرصه على متابعة جزئيات كل علم من العلوم، حتى نَقَلَ عنه الإمام الشعراني في طبقاته الكبرى: أنه كان يتكلم في ثلاثة عشر علماً: درساً في القرآن والتفسير، ودرساً في الخلاف المذهبي، ودرساً في علوم الحديث والمذهب والأصول، والنحو، وكان يقرأ بالقراءات بعد الظهر، ويفتي على مذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل، وكانت فتواه تعرض على العلماء في العراق فتعجبهم أشد الإعجاب:

بقدر الجد تكتسب المعالي	ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً	يغوص البحر من طَلَبِ اللَّالِي
أُتزعَم أن تنال بغير سعي	منالاً. لا سبيل إلى المنال
فمن هجر الكَرى وصل الأمانِي	فذلك الهجر داعية الوصال

بقي الإمام طالباً متعلماً دؤوباً على العلم حتى فاق أهل زمانه، ثم أظهره الله للخلق فأوقع له القبول العظيم، والتفت عليه المجالس في جامع بغداد ومدرسته التي بناها سنة ٥٢٨ هـ، وقصد إليه طلبة العلم من كل مكان فحملوا عنه وسمعوا منه، وانتتهت إليه تربية المريدين، فأصبح قطب الوقت حكماً وعلماً.

وصدق من قال: (إذا أراد الله بقوم سعادة سخر لهم سعيداً فسعدوا به).

رفع إليه مرة سؤال في رجل: حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها.

وكان هذا السؤال يعرض على علماء العراق فيعجزوا عن إجابته، فلما وصل السؤال لجدنا الإمام الجيلاني أجاب خلف الفتوى فوراً: يأتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف سبعاً وحده وتنحلّ يمينه.

إخوتي في الله:

لقد غدا الإمام إمام الحنابلة وشيخ بغداد والعالم بلا منازع، وتزاحم عليه الناس حتى ضاقت عليه مدرسته فخرج منها إلى سور بغداد يستند إلى جدار مدرسته، ليلقي درسه الذي يحضره عشرات الآلاف من مشايخ البر والبحر والإنس والجن، وكان يقرأ ويقول:

كل ولي على قدم نبي وأنا على قدم جدي صلى الله عليه وسلم، وما رفع المصطفى قدماً إلا وضعت أنا قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه.

وكانت طريقته سهلة على المسلم ومفهومة، تتفق مع روح الشريعة حتى أشاد بها علماء العالم أجمع وقالوا: إنها الطريقة الشرعية الصحيحة.

أريدكم أن تعرفوا أيها السادة أن سيدنا الإمام عبد القادر الجيلاني هو أول من نادى بالطرق الصوفية في العالم وأسسها و ٧٠% من الطرق الصوفية تتقاطع مع سيدنا الإمام الجيلاني، والقادرية تفرعت ٤٧ فرعاً في العالم الإسلامي، ويقول: إن

التصوف من الصفاء من أدران النفس الأمارة بالسوء، وإنه الصدق مع الحق، وحسن الخلق مع الخلق.

يعني باختصار التصوف عند جدي الإمام الجيلاني أن يلتزم الصوفي الكتاب والسنة التزاماً حرفياً، فكل حقيقة يتصف بها الصوفي لا تشهد لها الشريعة الغراء هي زندقة.

اسمعوا معي هذا الكلام العالي الذي يطرز بالذهب يقول فيه: طرُّ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، اجعله وزيرك ومعلمك، دع يده تزينك وتمشطك وتَعْرِضُكَ عليه.

ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال.

بالتوفيق والسداد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحلقة الرابعة

طريقته - أوراها - مجالسه - أخلاقه - كراماته

أسس الإمام الجيلاني طريقته وفق الكتاب والسنة ووضع لها ضوابط شرعية حتى لا يكثر الشطط والتغيير والابتداع ويدعي المشيخة من يعلم ومن لا يعلم.

واحفظوا معي الوصايا السبع التي كانت تقوم عليها طريقته القادرية:

- ١- مجاهدة النفس عن هواها
- ٢- التوكل على الله تعالى
- ٣- حسن الخُلق مع الناس
- ٤- الذكر لله تعالى
- ٥- الصبر على قضائه
- ٦- الرضا بقدره
- ٧- الصدق في كل أمره

أليست هذه الوصايا من عيون الشريعة الغراء، إن مولانا الإمام الجيلاني رضي الله عنه، يريد من المريـد أن يكون عبد الأمر الإلهي، وليس عبدَ هواه.

يريد ما يريد الله تعالى، لا ما تريد نفسه الأمارة بالسوء.

والورد الأعظم الذي يقرؤه القادرية يومياً هو:

٧٠ مرة أستغفر الله، ٣١٣ مرة الصلاة على سيدنا رسول الله بأي صيغة كانت، ١٦٦ مرة لا إله إلا الله.

وقد أجزت بالطريقة القادرية وبقراءة هذا وردها لكل من أراد الانتساب إلى هذه الطريقة العلية بالسند المتصل إلى جدي الإمام الجيلاني ومنه إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد بين سيدنا الإمام الجيلاني قدس الله سره شروط شيخ الطريقة وصفات المرشد الذي يتصدر للإرشاد في أبيات جميلة منها:

إذا لم يكن للشيخ خمسُ فوائِدِ	وإلا فـدجال يقود إلى جهل
عليّ بأحكام الشريعة ظاهراً	ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل
ويظهر للورّاد بالبشر والقري	ويخضع للمسكين بالقول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره	عليّ بأحكام الحرام من الجَلِّ
يهذب طلاب الطريق ونفسه	مهذبة من قبل ذو كرم كلّي

لقد وضع سيدنا الإمام الجيلاني رضي الله عنه قواعد سار بها بنفسه قبل الأمر بها، فكان ناجحاً في تربية المريدين وتركية نفوسهم ... لذلك قلما يوجد بلد إلا وفيه مريدون من القادرية.

وقد ظهرت كرامات الإمام للعيان حتى قال سيدنا الإمام النووي رضي الله عنه: ما علمنا فيما بلغنا من الثقات الناقلين كرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه، كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد...

وحتى قال الإمام العز بن عبد السلام: إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر، فإن كراماته نقلت إلينا بالتواتر.

حدّث غير مرة فقال: الإنس لهم مشايخ، والجن لهم مشايخ، والملائكة لهم مشايخ، وأنا شيخ الكل، ويقول: خرجت في بعض سياحتي إلى البرية ومكثت أياماً لا أجد ماءً، فاشتد بي العطش، فإذا بغمامة تظللني وينزل علي منها شيء يشبه الندى حتى ترويت، ثم رأيت نوراً أضاء حولي وبدت لي صورة ونوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك وقد أحلت لك المحرمات.

فقال سيدنا عبد القادر: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإذا بذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، وإذا هو إبليس، وإذا بإبليس يجيبه: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك وبحفظ ربك، وصدقك في أحوال منازلتك، ولقد أغويت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق.

وسئل الإمام: بم عرفت أنه شيطان؟! فقال: بقوله قد حلت لك المحرمات!!

وكان رضي الله عنه إذا مرَّ على الجامع يوم الجمعة وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم (يا رب بجاه الجيلاني اغفر لنا)

ونقل مريدوه وأولاده: أنه كان إذا صعد الكرسي للدرس فقال: الحمد لله أنصت له كل ولي في الأرض، سواء كان حاضراً مجلسه أو غائباً عنه، ويكررها ويسكت بعدها، وإن الأولياء ليزدحمون في مجلسه، وإن الرحمة لتصب على الحاضرين يشعر بخشوعها، وتنزل عليهم السكينة كما وردت به الأحاديث.

ويقول أصحابه الأولياء: رأينا أبا العباس الخضر عليه السلام يكثر من حضوره فسألناه فقال: من أراد الفلاح فعليه ملازمة هذا المجلس... وكان قلما يخلو مجلس من مجالسه من تائب يتوب على يديه، ويعقد درسه ثلاث مرات في الأسبوع، وبقي على ذلك أربعين سنة، وتصدَّر الفتوى ٣٣ سنة، ويحضر مجلسه نحو سبعين ألفاً ...

أناه راهب من اليمن وأسلم علي يديه في المجلس، وقال لمن حوله: وقع الإسلام في نفسي وقوي عزمي على ألا أسلم إلا على خير أهل اليمن في ظني، وجلست مفكراً، فغلب علي النوم فرأيت عيسى بن مريم عليه السلام وهو يقول لي: يا سنان اذهب إلى بغداد وأسلم على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني، فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت.

يقول جدي الإمام الجيلاني: أراد الله مني منفعة الخلق: فأسلم على يدي أكثر من ٥٠٠ من اليهود والنصارى، وتاب على يدي أكثر من مئة ألف.

وكان الخليفة المستجد يحضر مجلس الإمام في مقصورة خاصة به.

وعندما قال عبارته: (قدمي هذه على رقبة كل ولي) كان في مجلسه خمسون شيخاً من عامة مشايخ العراق، فحين قالها مد الحاضرون كلهم أعناقهم، ولم يبق ولي في الأرض إلا مدّ عنقه منهم سيدي عدي بن مسافر، وسيدي أحمد الرفاعي، وسيدنا أبو مدين الغوث في المغرب وسيدي حياة الحراني في دمشق.

حتى قال سيدي عدي: بخ بخ ذلك قطب الأرض، وضعت ثلاث مئة ولي لله وسبع مئة غيبي ما بين جالس في الأرض ومارّ في الهواء أعناقهم له في وقت واحد.

كراماته يسمو عن العد قدرها ومن أين رمل البحر نحصيه

تابعونا في الحلقة الأخيرة من حياة مولانا قطب الوجود

والحمد لله رب العالمين

الحلقة الخامسة

احترام الأولياء له - كتبه - زوجاته - أولاده - أخلاقه - وفاته - جنازته

قضيت مع حضراتكم في الحلقات الأربع السابقة من حياة الإمام الجيلاني التي استمرت تسعين سنة من العطاء الدعوي والشفافية الشرعية والروح النورانية التي أوصلت سيدنا عبد القادر إلى الولاية القطبية حتى قال مؤرخو الإسلام والمحدثون والعلماء والأولياء: إنه ما مرَّ على المسلمين أيامٌ ازدهر فيها الإسلام مثل عصره، وخضعت لقدمه رقاب الأكابر، كما قال الإمام الياضي، وقبله الإمام النووي والعز بن عبد السلام وابن كثير وابن تيمية وابن الجوزي، وابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيتمي، والذهبي، والشعراني وابن قدامة المقدسي صاحب موسوعة المذهب الحنبلي والمُلا علي القاري، والمؤرخ البيطار والمفسر الإمام الألوسي، ومن لا يحصى من أكابر العلماء وصدور الإسلام.

لقد أسَرَ الإمام الجيلاني الخلق بأخلاقه الرضية، وأوصافه الزكية، ونفسه الأبية، وكفه السخية. رضي الله عنه.

كان سريع الدمعة، شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله، يقول: فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أود لو أن الدنيا بيدي فأطعمها الجياع، كفي مثقوبة لا تضبط شيئاً، لو جاءني ألف دينار لم أبيئتها.

لم يقف في باب والٍ أو سلطان، وكانوا يهابونه ويعرفون حرمة، يدخلون إليه فيكلمهم الكلام الخشن، ويبالغ في الموعظة، ويقبلون يده ويجلسون بين يديه متواضعين متصاغرين، وإذا كَتَبَ إلى الخليفة يكتب إليه: عبد القادر يأمرُك بكذا وكذا، وأمره نافذ فيك، وطاعته واجبة عليك، وهو لك قدوة، وعليك حجة، فإذا وقف الخليفة على ورقته قبلها وقال: صدق الشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

جاء إليه الخليفة أبو المظفر الملقب بالمستجد وسلم عليه وقال: أريد أن أرى شيئاً من الكرامات ليطمئن قلبي، قال: وما تريد؟ قال: تفاحاً من الغيب، ولم يكن أو ان التفاح بالعراق، فمد بيده في الهواء فإذا فيها تفاحتان، فأعطاه إحداهما. وقسم الشيخ الجيلاني التي بيده وإذا بها بيضاء تفوح منها رائحة المسك، وكسر المستجد التي بيده فإذا فيها دودة، فقال: ما هذا؟ قال: يا أبا المظفر لمستها يد الظلم فدودت.

كان احترام الأولياء له في عصره لا يوصف، حتى من أكابرهم وأقطابهم حتى كان تلامذته الأولياء:

(ومن لطيف القول: أن ما أحد تتلمذ على يديه إلا صار فقيهاً أو محدثاً أو ولياً أو زاهداً).

كان تلامذته عندما يفتتحون دروسهم يقولون أول درسهم: الحمد لله على الإيمان والإسلام والكتاب والسنة، وأن كنا من محبي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه.

قال سيدنا الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه يوماً لأحد مريديه: اذكر لي شيئاً من مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته، فذكر له شيئاً منها، فجاء رجل في أثناء حديثه وقال: مَهْ لا تُذَكِّر عندنا مناقب غير مناقب هذا (وأشار إلى سيدي أحمد الرفاعي) فنظر إليه الإمام الرفاعي مغضباً ورفع الرجل من بين يديه ميتاً، ثم قال: ومن يستطيع وصف مناقب الشيخ عبد القادر، ومن يبلغ مبلغ الشيخ عبد القادر؟

ذلك بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء اغترف، الشيخ عبد القادر لا يأتي له ثانٍ في عصرنا رضي الله عنهما.

وكان الإمام الرفاعي يوصي أصحابه إذا جاؤوا يودعونه للسفر إلى بغداد يقول له: إذا دخلت بغداد فلا تقدّم على زيارة الشيخ عبد القادر شيئاً إن كان حياً، ولا على زيارة قبره إن كان ميتاً، فقد أخذ له العهد: أيما رجل من أصحاب الأحوال دخل بغداد ولم يزره سلب حاله ولو قبيل الموت، ثم قال: عندما كان يجيء إلى الشيخ

حماد الدباس وهو شاب قوم إليه ويتلقاه ويقول: مرحباً بالجبل الراسخ والطود العنيف، الذي لا يتحرك، ويجلس إلى جانبه رضي الله عنه.

كان احترام الأولياء له متواتراً في عصره وبعد عصره إلى يومنا هذا، وما زال العالم الإسلامي اليوم يتوسل إلى الله بالإمام الجيلاني ولذلك لقب بالغوث الأعظم.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

هذا غيظ من فيض، وقد تأثر بدعوته القائد صلاح الدين الأيوبي وأقام على دعوته تحرير بيت المقدس، كما كتب ذلك عدد من المؤرخين وانظر رسالتي الإمام الجيلاني، وترك عدداً من المؤلفات بلغت أكثر من ثلاثين مؤلفاً.

ولم يتزوج إلا بعد الخامسة، والثلاثين وتزوج أربعاً من الحرائر وعدداً من الجواري، وأعقب ٤٩ ولداً لم يبق منهم إلا ثلاثة عشر ذكراً وبناتاً كما نقله ولده جدي الشيخ عبد الرزاق.

وحضر مع الإمام الرفاعي حجة مدّ يد النبي الأعظم ليقبلها سيدنا الرفاعي رضي الله عنه سنة ٥٥٥ هـ، وقام بتهنئته وتقبيله وضمه على هذه المكرمة الإلهية.

لقد عاش جدي الإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني تسعين سنة من سنة ٤٧٠ هـ - ٥٦١ هـ وحضرت عنده طوائف الأولياء والعارفون وكان يوصيهم بقوله لهم ولأولاده:

عليكم بتقوى الله وطاعته، لا تخافوا أحداً ولا ترجوه، وكلوا الحوائج كلها إلى الله عز وجل، واطلبوها منه، لا تثقوا بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمدوا إلا عليه سبحانه: التوحيد، التوحيد، التوحيد ... مرّوا بأخبار الصفات كما جاءت، الحُكم يتغير والعلم لا يتغير، الحُكم ينسخ، والعلم لا ينسخ، لا تَبْغَضُوا علم الله بحكمه.

بعد أن أوصى أولاده ومريديه قال لهم:

قال: قد حضر عندي غيركم فوسعوا لهم وتأدبوا معهم، وهنا زحمة عظيمة، لا تضيقوا عليهم المكان، وصار يمد يده ويرفعها ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته....

هو ذا أجيء إليكم، استعنت بلا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان، من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت....

الله، الله، الله، حتى خفي صوته ثم خرجت روحه الكريمة رضي الله عنه.

وضجت بغداد بمن فيها، وأغلقت الدكاكين، ولم يبق أحد في بيته إلا وخرج إلى المسجد، وامتألت الساحات بأهل الظاهر وأهل الباطن وبالإنس والجن وحضر خلق لا يحصون من الأبدال والنقباء والنجباء والأولياء والأقطاب ورجال الغيب، وصلى عليه ولده الشيخ عبد الوهاب وكان يوماً مشهوداً، ودفن في مدرسته هناك.

إخوتي في الله:

هذا بعض من سيرة الإمام الجيلاني قدس الله سره، الذي كان يقول:

(يا غلام سافر ألف سنة لتسمع مني كلمة)

عبدك فوق المعالي رتبة	وله المحاسن والفخار الأفخر
وله الفضائل والمكارم والندى	وله المناقب في المحافل
تذكر غوث الورى غيث الندى	نور الدجى شمس الضحى بل أنور
قطع العلوم مع العقول فأصبحت	أطوراها من دونه تتحير
ما في علاه مقالة لمخالف	فمسائل الإجماع فيه تسطر

أبيات منسوبة للإمام الجيلاني

ونوديت يا جيلاني أدخل لحضرتي	وقفت بباب الله وحدي موحداً
عطيت اللوا من قبل أهل الحقيقة	ونوديت يا جيلاني أدخل ولا تخف
أتى الإذن حتى تعرفوا من حقيقتي	وما قلتُ هذا القول فخراً وإنما
فأنت وليي في مقام الولاية	وما قلت حتى قيل لي قل ولا تخف

على سائر الأقطاب قلبي وحرمتي	أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة
أغيثك في الأشياء طراً بهمتي	توسلُ بنا في كل هول وشدة
وأحرسه من كل شر وفتنة	أنا لمريدي حافظ ما يخافه
أغثه إذا ما سار في أي بلدة	مريدي إذا ما كان شرقاً ومغرباً
فإنك محروس بعين العناية	فيا منشداً للنظم قلبه ولا تخف
تعش سعيد صادقاً بمحبتني	وكن قادري الوقت لله مخلصاً

ووقتي قبل قبلي قد صفا لي	بلاد الله ملكي تحت حكمي
وأعلامي على رؤوس الجبال	أنا الجيلاني محيي الدين اسمي
وأقدامي على عنق الرجال	أنا الحسني والمخدع مقامي
ونالوا في الهوى أقصى منال	رجال خيموا في حي ليلي
ورهبان إذا جن الليالي	رجال في النهار ليوث غاب

مصادر ترجمة الإمام الجيلاني

- فيض المنان في إسناد القادرية إلى السنة والقرآن ، تأليف د. أبو إدريس عبد الرحمن، ص ٤٧ .
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج ٢، ص ٢٠١.
- الطبقات الكبرى، للشعراني، ج ١، ص ١٣١.
- نظرات في التصوف الإسلامي، للشيخ عبد المحمود بن الشيخ الجيلي الحفيان، ج ١، ص ٤١٢.

❖ عبد القادر الجيلاني – باز الله الأشهب ، تأليف د. يوسف محمد طه زيدان، ص ٦٠،

❖ فوات الوفيات، لمحمد بن شاکر الکتبي، ج ٢ ص ٥ ،

❖ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، ج ٤ ص ١٩٩.

❖ حياة الحيوان، للدميري، ص ٣٠٠ ،

❖ سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج ٢٠ ص ٤٤٨.

❖ جدي الإمام الجيلاني

❖ كتاب الأنساب

❖ كتاب معجم البلدان

❖ بهجة الأسرار ومعدن
الأنوار في مناقب الباز
الأشهب

❖ قلائد الجواهر في مناقب
الشيخ محيي الدين عبد
القادر الجيلاني

❖ الفتح المبين

❖ وفيات الأعيان

❖ طبقات الحنابلة

❖ تاريخ النقباء في سيرة
الإمام عبد القادر
الكيلاني

❖ أضواء علي الشيخ عبد
القادر جيلاني وانتشار
طريقته

❖ قطب بغداد سيدنا عبد
القادر الكيلاني

❖ أنوار الناظر في معرفة
أخبار الشيخ عبد القادر

❖ نزهة الناظر في مناقب
الشيخ عبد القادر

د. عبد العزيز الخطيب الحسني

للسمعاني ٤٦٣/٣

ياقوت الحموي ج ١ علي بن يوسف

الشيخ الشطنوفي المصري (ت ٧١٣ هـ)

محمد بن يحيى القادفي الحنبلي (ت ٩٦٣ هـ)

الشيخ أبو المظفر ظهير الدين القادري

ابن خلكان ج ٢

ج ١

محمد النجشي

عبد الفتاح مفتاح

ميعاد شرف الدين الكيلاني

مفتي العراق أبو بكر عبد الله بن نصر التميمي

عبد اللطيف أحمد الهاشمي البغدادى

قطب الدين موسى الونيني البعلبكي (ت ٧١٦)

للفيروز آبادي صاحب القاموس (ت ٨٨٠ هـ)

❖ الشرف الباهر في مناقب
الشيخ عبد القادر

❖ روضة الناظر

فهرست كتاب المحاضرات

٣	الأدب مع الشيوخ
٦	الإمام احمد رضا خان
٩	الإمام الجيلاني وكراماته
١٢	الإمام الجيلاني شيوخه
١٥	الإمام محمد بن الهاشمي
٢٨	الحذر من إيذاء سيد البشر صلى الله عليه وسلم
٣٣	الدفاع عن النبي وفداؤه بأرواح الصحابة
٣٦	العلامة محمد أختار رضا خان
٤٠	الكرامة
٤٢	أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية
٤٧	أهمية تعليم المرأة
٥١	بين آل البيت و الصحابة
٥٥	الإمام الجيلاني - تصوفه
٥٧	حقوق الاخوات في الإسلام *
٦١	خطبة الجمعة
٦٢	خطبة المشفى
٦٥	خلق الإيثار
٦٩	صور من محبة الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم واقتداؤه بأرواحهم
٧٤	فضل التجارة والتجار
٧٧	فضل الصلاة على سيدنا النبي
٨٠	كلمة افتتاح الكلية

٨٣	 اغتنام الوقت
٨٧	 التقارب بين الطرق الصوفية (اندونيسيا)
٩٨	 من هم الأولياء ، وما هي درجاتهم؟
١٠٧	 هذا منهجنا
١٠٨	 سورة البلد
١١٠	 خطبة عقد أخي الشيخ راشد
١١٣	 أهمية العمل في الإسلام
١١٦	 فضائل الشام
١١٨	 سورة الأعلى
١٢٢	 الفطرة هي دين الاسلام
١٢٧	 سيدنا أبو بكر الصديق
١٣١	 إغاثة الملهوف
١٤٠	 دور المسلمات في خدمة الدين
١٤٤	 الأحمديّة القاديانية أفكارها وعقائدها
١٥٠	 الإرهاب
١٥٥	 السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله
١٦١	 الغلو والتشدد والتطرف وحكم كل منها في الإسلام
١٨٥	 القدس لنا
١٩٠	 القدس عربية
٢٠٧	 برامج الإذاعة
٢٠٩	 العمل الصالح وأثره في بناء المجتمع الإسلامي
٢٢١	 الإيثار و أثره في بناء المجتمع
٢٢٨	 القرآن الكريم

٢٣٧	 صور عن التوبة
٢٤٥	 تاريخ الخوارج
٢٥٤	 حب النبي من الإيمان
٢٥٨	 حقوق الوالدين
٢٦٢	 فضائل أهل بيت النبوة
٢٧٠	 مكانة الشيخ في الطرق الصوفية
٢٨١	 مواقف من عزة الرسول
٢٨٣	 محبة النبي صلى الله عليه وسلم
٢٩٠	 كمالاته صلى الله عليه وسلم
٢٩٤	 مكانته وفضله صلى الله عليه وسلم
٢٩٧	 فضله صلى الله عليه وسلم
٣٠١	 خطبة افتتاح المعهد الشرعي
٣٠٥	 التوبة
٣١٢	 تعظيم النبي الكريم
٣١٦	 رحمته صلى الله عليه وسلم
٣٢٣	 فضل الذكر
٣٢٧	 المنهج النبوي في الحلم عن الأذى
٣٣١	 برنامج دروس الرحلة الثالثة إلى كراتشي
٣٣٤	 الوهابية
٣٣٨	 طريقة البريلوية
٣٤٤	 سيدنا أبو بكر (ج ٢)
٣٥٣	 سنن الجمعة
٣٥٩	 التجديد في الفقه في القنصلية الأندونيسية

العقيدة وتحدياتها المعاصرة	٣٧٤
دور الاجتهاد في مصادر التشريع	٣٩٥
التصوف	٤٠٥
أقوال الأئمة في فضل التصوف	٤٠٩
الكرامة	٤١٢
تقديس الصوفية لأئمتهم	٤١٣
التصوف هو مجمل تراث المسلمين الروحي	٤١٣
مراتب الأولياء وهل لها دليل من الكتاب والسنة	٤١٥
الحضرة وفلسفتها وحكم الصراخ وغيره فيها	٤١٨
الخلوة في التصوف	٤٢٠
هل هناك أسرار في التصوف لا يجوز البوح بها لغير أهلها، ولماذا تكون سرّاً؟	٤٢٣
هل هناك رابط بين الولاية والتصوف	٤٢٥
أيهما أفضل في الطرق	٤٢٧
علامات فارقة للصوفي	٤٢٨
الفرق بين مصطلحي الصوفي والدرويش	٤٢٩
التصوف والطريقة القادرية	٤٣١
الحلقة الأولى	٤٣٥
الحلقة الثانية	٤٣٨
الحلقة الثالثة	٤٤١
الحلقة الرابعة	٤٤٥
الحلقة الخامسة	٤٤٩
أبيات منسوبة للإمام الجيلاني	٤٥٣
مصادر ترجمة الإمام الجيلاني	٤٥٤